

الشيوعية العالمية

ماركس انجلز لينين



ترجمة
الدكتور فؤاد أيوب

صادر الاسترالية العلمية



مصَادِرُ الاشتِرَاكِيَّةِ العَامِيَّةِ

ماركس انجلز لينين

الشيوعيَّة العَامِيَّة

ترجمة
الدكتور فؤاد أيوب



الشُّوعِيَّةُ الْعَالَمِيَّةُ

جميع الحقوق محفوظة
للطبعة العربية
لدار نشر

الطبعة الأولى - ١٩٧٢

تذييه من المترجم

هذا الكتاب مجموعة من أفكار ماركس وانجلز ولينين عن الشيوعية . وقد جمعت نصوصه في فصول وفقاً لمبدأ تخطيطي يحتم بالضرورة الترتيب الزمني . وقد ترجمت النصوص عن الطبعة الفرنسية الصادرة عن منشورات التقدم في موسكو عام ١٩٦٧ . أما الفقرات التي وردت الاشارة الى نقلها عن الترجمات العربية ، فهي جميعاً من الكتب التي نقلها المترجم من قبل الى اللغة العربية .

الفصل الأول

الاشتراكية رواد الشيوعية العالمية الاشتراكية الطوباوية

... وعلى الرغم من ان البورجوازية تستطيع على العموم ان تزعم ، في نضالها ضد النبالة ، انها تمثل في الوقت نفسه مصالح الطبقات العاملة المختلفة في تلك المرحلة ، فقد كانت كل حركة بورجوازية كبرى تشاهد مع ذلك جيشانات مستقلة لتلك الطبقة التي تشكل النذير الاكثر او الاقل تطورا للبروليتاريا الحديثة . مثال ذلك اللامعموديون(١) وتوماس مونزر أيام الاصلاح الكبير وحرب الفلاحين في المانيا ، ودعاة التسوية(٢) في الثورة الانكليزية الكبرى ، وبابوف في الثورة الفرنسية العظمى .

وكانت تظاهرات نظرية تقابل هذه الانتفاضات الثورية لطبقة لما تتطور بعد : اللوحات الطوباوية عن مجتمع مثالي(٣) في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر ، والنظريات الشيوعية الصريحة في القرن الثامن عشر (موريللي ومابلي) . ولم يعد مطلب المساواة مقتصرًا بعد الآن على الحقوق السياسية، بل صار يشمل ايضا ظروف الافراد الاجتماعية . ولم تعد الامتيازات الطبقية وحدها هي التي يجب ابطالها ، بل المفارقات الطبقيه بالذات ايضا. وكانت شيوعية نسكية ، سبارطية ، تستنكر سائر ملذات الحياة هي

الشكل الاول لهذا التعليم الجديد . ثم جاء الطوباويون الثلاثة الكبار : سان سيمون الذي كانت حركة الطبقة المتوسطة تحتفظ بعد عنده ببعض الوزن جنباً الى جنب مع الحركة البروليتارية ، وفوريه وأوين ، وقد وضع هذا الاخير اقتراحاته من اجل ابطال المفارقات الطبقيّة بصورة منهجية ، وفي اتصال مباشر بالمادية الفرنسية ، وذلك في البلد حيث كان الانتاج الراسمالي اعظم تطورا منه في اي مكان آخر ، وتحت تأثير التناحرات الناجمة عن هذا الوضع .

ويشترك ثلاثتهم في شيء واحد ، الا وهو أن ايا منهم لا يعتبر نفسه ممثلاً لمصالح تلك البروليتاريا التي كان التطور التاريخي قد انجباها في تلك الاثناء . لم يكونوا يطمعون ، مثلهم مثل الفلاسفة الفرنسيين ، الى تحرير طبقة مخصوصة ، بل الانسانية جمعاء . وكانوا مثلهم يريدون أن يحققوا مملكة العقل والعدالة الابدية ، لكن هذه المملكة كما يرونها كانت بعيدة عن مملكة فلاسفة عصر الانوار بعد السماء عن الارض . ذلك أن العالم البورجوازي ، المؤسس على مبادئ هؤلاء الفلاسفة ، هو لا عقلائي وجائر تماما ، وبالتالي فانه في سبيله الى سلة المهملات ، تماما مثل النظام الاقطاعي وسائر المراحل الاولى للمجتمع . واذا لم يكن العقل الخالص والعدالة قد سادا في العالم حتى هذا الحين ، فانما السبب الوحيد في ذلك هو أن البشر لم يفهموها كما ينبغي . وان ما تمس الحاجة اليه هو الانسان الفرد العبقري ، هذا الذي نهض الآونة والذي سبر اغوار الحقيقة . اما انه قد نهض الآونة ، واما ان الحقيقة قد فهمت الآونة بكل وضوح ، فليس ذلك حدثا محتوما ينجم بالضرورة عن سلسلة التطور التاريخي ، بل مجرد مصادفة سعيدة . ولقد كان يمكن أن يولد قبل خمسمائة عام ، وعندئذ فلعله كان يوفر على الانسانية خمسمائة عام من الاخطاء والصراعات والالام .

وكان الفلاسفة الفرنسيون في القرن الثامن عشر ، رواد الثورة ، قد استنجدوا بالعقل بوصفه الحكم الوحيد لكل ما هو كائن . فلا بدء من

تأسيس حكومة عقلانية ومجتمع عقلاني ، كما أن كل ما يناقض العقل الأبدى ينبغي الخلاص منه دون أدنى تردد أو ندامة . وراينا أيضاً أن هذا العقل الأبدى لا يعدو كونه في حقيقة الامر الإدراك الذي اسبغت عليه صفة المثالية ، ادراك مواطن القرن الثامن عشر الذي كان يتحول في ذلك الحين بالضبط الى بورجوازي . ولقد حققت الثورة الفرنسية هذا المجتمع العقلاني وتلك الحكومة العقلانية ، لكنه تبين أن هذا النظام الجديد للأشياء ، العقلاني بما فيه الكفاية بالمقارنة مع الظروف السابقة ، ليس مطلق العقلانية في حال من الاحوال . فقد انهارت الدولة المؤسسة على العقل كلياً ، وتحقق **العقد الاجتماعي** لروسو(١) في حكم الارهاب الذي لجأت اليه البورجوازية هرباً منه ، وقد فقدت الثقة بقدرتها السياسية ، الى فساد حكم الادارة(٢) ، بادىء الامر ، واخيراً تحت جناح الطفيلان النابليوني . وتحول السلام الأبدى الموعود الى حرب من الفتوحات لا آخر لها . ولم يكن نصيب المجتمع المؤسس على العقل بأفضل من ذلك . فالتضاد بين الفني والفقير لم ينحل في الرخاء العام ، بل ازداد حدة بدلاً من ذلك من جراء القضاء على الامتيازات النقابية وبعض الامتيازات الأخرى التي كانت تستره حتى درجة ما ، ومن جراء الغاء مؤسسات الاحسان الكنسية . لقد تبين أن « تحرير الملكية » من القيود الإقطاعية ، هذا التحرير الذي تحقق بصورة حقيقية الآن ، لا يعدو كونه ، بالنسبة الى الرأسماليين الصغار والملاكين الصغار ، حرية بيع ملكيتهم الصغيرة المسحوقة تحت ثقل المنافسة الطاغية للرأسماليين والملاكين الكبار ، وبيعها بالضبط الى هؤلاء الأسياد الكبار ، بحيث تحول ذلك التحرير الى « التحرر من الملكية » ، وذلك بقدر ما يتعلق الامر بالرأسماليين الصغار والفلاحين الملاكين . وان تطور الصناعة على أساس رأسمالي قد جعل من فقر الجماهير العاملة وبؤسها شرط وجود المجتمع . ان الدفع عدلاً وتقديراً قد أصبح أكثر فأكثر ، حسب تعبير كارليل، الرباط الوحيد بين الانسان والانسان . وازداد عدد الجرائم سنة بعد سنة . فمن قبل كانت الشرور الإقطاعية تتهادى في وضوح النهار ، واذا هي لم تهتت حالياً ، فقد دفعت الى الصنوف الخلفية على أية حال . وجعلت

الشرور البورجوازية ، التي كانت تمارس سرا حتى ذلك الحين ، تزدهر في مكانها بمزيد من الترف . واصبحت التجارة بدرجة متزايدة رديفة الغش ، كما أن « اخاء » الشعار الثوري(٦) قد تحقق في مباحكات معركة المنافسة وخصوماتها . وحل الفساد مكان الاضطهاد بالقوة ، كما حل الذهب مكان السيف بوصفه الرافعة الاولى للقوة الاجتماعية . وانتقل حق الليلة الاولى من السادة الاقطاعيين الى الصناعيين البورجوازيين ، وانتشر المهر بصورة لم يسبق لها مثيل . ولقد بقي الزواج نفسه ، كما كانت الحال من قبل ، الشكل المعترف به قانونيا للمهر أو المعطف الرسمي لهذا المهر ، فضلا عن ذلك فقد غذي بمواسم غنية من الزنا .

وباختصار فان المؤسسات الاجتماعية والسياسية التي ولدت من « انتصار العقل » قد كانت صورا شوهاء وخيبة للأمسال بصورة مريرة بالمقارنة مع الوعود الرائعة التي كالمها الفلاسفة . وكانت الحاجة تمس الى رجال يصوغون هذه الخيبة فحسب ، وقد جاؤوا مع مطلع القرن الجديد . ففي عام ١٨٠٢ صدرت رسائل سان سيمون الجنوية ، وفي ١٨٠٨ ظهر اول مؤلفات فورييه ، وان تكن أسس نظريته تعود الى عام ١٧٩٩ . وفي الاول من كانون الثاني عام ١٨٠٠ ، استلم روبرت أوبن ادارة نيولانارك(٧) .

ومهما يكن من أمر ، فان الاسلوب الراسمالي في الانتاج ، ومعها التضاد بين البورجوازية والبروليتاريا ، قد كانا متطورين بعد بصورة ناقصة جدا في ذلك الحين . وكانت الصناعة الكبرى ، التي نشأت لتوها في انكلترا ، مجهولة بعد في فرنسا . والحال ان الصناعة الكبرى وحدها تطوّر من جهة واحدة النزاعات التي تتطلب بصورة لازمة ثورة في اسلوب الانتاج - وهي ليست نزاعات بين الطبقات التي تولدها فحسب ، بل كذلك بين القوى الانتاجية نفسها واشكال المبادلة الناشئة عنها . وانها لتطور من جهة اخرى ، في هذه القوى الانتاجية العملاقة ذاتها ، وسائل انتهاء تلك النزاعات .

وبالتالي فاذا كانت النزاعات الناشئة عن النظام الاجتماعي الجديد لا تبرح في سبيلها الى التشكل حوالي عام ١٨٠٠ ، فان هذا الامر لينطبق اكثر من ذلك على وسائل حلها . واذا استطاعت الجماهير « المملقة » الباريسية ان تستولي على السلطة لبرهة من الزمان خلال حكم الارهاب ، وان تقود هكذا الثورة البورجوازية الى النصر رغما عن البورجوازيين انفسهم ، فلقد اثبتت اذن كم كانت هذه السيطرة محالة في ظل الشروط السائدة وقتذاك . اما البروليتاريا ، التي بدأت تنفصل في ذلك الحين للمرة الاولى عن تلك الجماهير « المملقة » بوصفها نواة طبقة جديدة لما تبرح عاجزة كليا عن العمل السياسي المستقل ، فقد بدت كفضيلة مضطهدة ، معدبة ، لا يمكن في افضل الاحوال مداها بالمعونة - في عجزها عن العون الذاتي - الا من الخارج او من فوق .

وكان هذا الوضع التاريخي يسيطر كذلك على مؤسسي الاشتراكية . كانت النظريات الفجة تقابل شروط الانتاج الرأسمالي الفجة والظروف التطبيقية الفجة . ولقد حاول الطوباويون اخراج حل القضايا الاجتماعية ، هذه القضايا التي كانت مخفية بعد في العلاقات الاقتصادية المتخلفة ، من الدماغ الانساني . لم يكن المجتمع يبدي سوى الاخطاء ، وكان من واجب العقل القضاء على هذه الاخطاء . ولذا كان من الضرورة بمكان اكتشاف نظام اجتماعي جديد اكثر كمالا يفرض على المجتمع من الخارج بواسطة الدعاية ، وبواسطة قدوة التجارب النموذجية حيثما كان ذلك في المستطاع . وكانت هذه الانظمة الاجتماعية الجديدة محكوما عليها سلفا بالطوباوية ، وبقدر ما كانت تصمم بمزيد من التفاصيل فقد كانت تنساق اكثر فاكثر مع الاوهام الخالصة .

واما تقرر هذه الحقائق مرة ، فليست بنا حاجة الى اطالة الوقوف اكثر من ذلك عند هذا الجانب من المسألة الذي أصبح يخص الماضي كليا . اننا نستطيع ان نترك للتفاهات الكتابية ان تماحك بكل مهابة بخصوص هذه

الأوهام التي لا تفعل في الوقت الراهن أكثر من تسليتنا ، وان تمنق بشأن
تفوق حججها السخيفة تلقاء مثل ذلك « الجنون » . أما نحن ، فاننا
نغضب بهذه الافكار العظيمة جدا وبالبدور الفكرية التي تنتشر في كل مكان
من خلال غلافها الوهمي والتي يعنى عنها أولئك المراءون .

كان سان سيمون ابن الثورة الفرنسية الكبرى ، ولم يكن قد بلغ
الثلاثين بعد عند اندلاعها . وكانت الثورة انتصار الطبقة الثالثة ، يعني
جماهير الامة الفقيرة ، **العامة** في الانتاج وفي التجارة ، على الطبقات المنعمة
الماطلة ، يعني النبلاء والاكليروس . . بيد ان انتصار الطبقة الثالثة سرعان
ما انكشف على اعتباره الظفر الموقوف على قسم ضئيل من هذه « الطبقة » ،
على اعتباره استيلاء على السلطة من قبل الفئة المنعمة اجتماعيا من تلك
الطبقة ، يعني البورجوازية المالكة . وانه لمن المؤكد ان البورجوازية قد
تطورت سريعا اثناء الثورة ، سواء بفضل المتاجرة بأراضي النبالة والكنيسة
التي صودرت وطرحت للبيع فيما بعد ، أم بفضل الاحتيالات على الامة
بواسطة الصفقات العسكرية . وان سيطرة هؤلاء المحتالين هي التي قادت
فرنسا والثورة ، تحت حكم الادارة ، الى شفا الخراب ، وبذلك وفرت
لنابليون الذريعة من أجل انقلابه .

ولذا فان التضاد بين الطبقة الثالثة والطبقات المنعمة قد اتخذ بالنسبة
الى سان سيمون شكل التضاد بين « العاملين » و « الماطلين » . ولم يكن
الماطلون هم المنعمين القديما فحسب ، بل كذلك سائر أولئك الذين
يعيشون من مداخيلهم دون ان يسهموا البتة في الانتاج والتوزيع . ولم
يكن العاملون العمال الأجورين وحدهم ، بل كذلك الصناعيين ، والباعة ،
والصيافة . أما ان الماطلين قد فقدوا القدرة على القيادة الفكرية
والسيادة السياسية . فذلك ما اثبتته وتثبته الثورة التي استقرت نهائيا .
واما ان الطبقات غير المالكة لا تملك تلك القدرة ، فذلك ما كانت تثبته ،
فيما يتراءى لسان سيمون ، تجارب حكم الارهاب . اذن فمن ذا الذي

سيقود ويأمر ؟ في رأي سان سيمون ان العلم والصناعة هما اللذان سيفعلان ذلك ، وقد اتحد كلاهما برباط ديني قدر له أن يجدد وحدة الأفكار الدينية التي فقدت منذ زمن الإصلاح - وتلك « مسيحية جديدة » صوفية بالضرورة ومرتابة بكل صرامة . بيد ان العلم انما هو العلماء ، اما الصناعة فتلك هي في المحل الاول البورجوازيون العاملون ، من صناعيين ، وباعة ، وصيارفة . ومن المؤكد انه كان مفروضا في هؤلاء البورجوازيين ان يتحولوا الى نوع من الموظفين العاملين ، من الأوصياء الاجتماعيين ، لكنهم كانوا سيحتفظون بعد ، حيال العمال ، بمركز قيادي وممتاز اقتصاديا . وكان لا بدّ من الاستنجاد بالصيارفة بصورة خاصة كي يديروا مجموع الانتاج الاجتماعي عن طريق تنظيم الائتمان . وكان هذا المفهوم متوافقا كليا مع زمن كانت فيه الصناعة الحديثة في فرنسا ، ومعها التعارض بين البورجوازية والبروليتاريا ، في سبيلهما الى الوجود بعد . بيد أن هناك نقطة شدد سان سيمون عليها بصورة مخصوصة . ان ما يجذب اهتمامه قبل كل شيء ، وفوق كل شيء ، هو مصير الطبقة التي هي الأكثر عددا والاشد فقرا .
(La classe la plus nombreuse et la plus pauvre)

لكن الاعتراف بالثورة الفرنسية بوصفها حربا طبقية بين النبالة والبورجوازية وغير المالكيين قد كان عام ١٨٠٢ اكتشافا بعيد المغزى . وانه ليعلم في عام ١٨١٦ ان السياسة هي علم الانتاج ، ويتنبأ بامتصاص السياسة التام من قبل الاقتصاد . واذا لم تكن فكرة كون الظروف الاقتصادية قاعدة المؤسسات السياسية ظاهرة الا بصورة مضمية هنا ، فان فكرة الانتقال من حكم البشر السياسي الى ادارة الامور وقيادة العمليات الانتاجية ، يعني « الفاء الدولة » الذي قامت ضوؤا عظيمة بخصوصه مؤخرا ، تصاغ هنا بالمقابل بكل وضوح .

ويبرهن سان سيمون مرة اخرى على تفوقه على معاصريه حين يبادي عام ١٨١٤ ، بعد دخول الحلفاء الى باريس مباشرة ، ومرة اخرى عام ١٨١٥ ،

أثناء حرب المائة يوما (٨) ، بتحالف فرنسا وانكلترا ، ومن بعد تحالف هذين البلدين مع ألمانيا ، على اعتبار ذلك الضمانة الوحيدة من أجل التطور المزدهر والسلام في أوروبا . وبمهما يكن من أمر ، فان تبشير الفرنسيين عام ١٨١٥ بالتحالف مع الظافرين في واترلو (٩) قد كان بالتأكيد يتطلب من الشجاعة قدر ما يتطلبه من سعة الأفق التاريخي .

وإذا كنا نجد عند سان سيمون رحابة في النظر بحيث ان أفكار الاشتراكيين اللاحقين غير الاقتصادية الخالصة موجودة جميعا على وجه التقريب لديه بصورة مضغية ، فاننا نجد عند فوريه نقدا لظروف المجتمع القائم فرنسا وحصيها بكل معنى الكلمة ، لكنه لا يقل عن ذلك كملا وشمولا من جراء ذلك . ان فوريه يحاسب البورجوازية ، وانبياءها الملهمين قبل الثورة ، ومداحيها النغميين بعدها ، استنادا الى أقوالهم بالضبط . انه يمري دون هوادة بؤس العالم البورجوازي المادي والخلقي ، ويقابله من جهة واحدة بالوعود المذهلة التي كالمها فلاسفة الانوار عن مجتمع لن يسود فيه إلا العقل وحده ، وعن حضارة تكون السعادة عمومية فيها ، وعن كمال بشري غير محدود ، ومن جهة أخرى باللغو الزاهي الالوان للايديولوجيين البورجوازيين في ذلك الحين . وانه يبين كيف ان الحقيقة الأبعث على الزئاد تقابل في كل مكان العبارات الأشد ريننا ، ويفرق هذا الافلاس اليأس الذي منيت العبارة به بسخريته اللاذعة .

وليس فوريه ناقدا فحسب ، بل ان طبيعته الصافية الرزينة تجعل منه هجاء ، وبالتأكيد واحدا من اعظم الهجائين في سائر الازمان . انه يصف في قوة وفتنة متساويتين المضاربات المجنونة التي ازدهرت فوق حطام الثورة ، والروح الخاصة باصحاب الدكاكين التي طفت على التجارة الفرنسية في ذلك الحين وكانت صفة مميزة لها . وان نقده للقبالب الذي اعطته البورجوازية للعلاقات بين الجنسين ومركز المرأة في المجتمع البورجوازي لأروع من ذلك ايضا . ولقد كان سباقا الى المناادة بان درجة تحرر المرأة في اي مجتمع معين هي المقياس الطبيعي للتحرر العام .

لكن فوريه يخلق في مفهومه عن تاريخ المجتمع الذي يقسم مجراه الكلي حتى ذلك الحين الى اربع مراحل من التطور : التوحش ، والهمجية ، والنظام البطريركي ، والحضارة . وان هذه المرحلة الاخيرة لتتوحد مع ما يسمى المجتمع البورجوازي في ايامنا الحاضرة ، يعني مع النظام الاجتماعي الذي قام منذ القرن السادس عشر . وانه ليبرهن على ان « المرحلة المتحضرة رفعت كل غيب كانت الهمجية تمارسه في شكل بسيط الى شكل من الوجود المعقد ، الملبس ، المتضارب والمراثي » ، وان الحضارة تتحرك في « حلقة مفرغة » ، في تناقضات تجدها باستمرار دون ان يكون في مستطاعها حلها، وهكذا فهي تنتهي دائما الى النقيض مما كانت تسعى الى بلوغه ، او تزعم انها تسعى الى بلوغه ، ومثال ذلك ان « الفقر قد ولد من الفيض بالذات في ظل الحضارة » .

هكذا نرى ان فوريه يستخدم الطريقة الجدلية بحذق لا يقل عن حذق معاصره هيغل . وانه ليبين ، مستخدما هذه الطريقة الجدلية عينها، ضلال الثروة الجارية بشأن قابلية الكمال الانساني غير المحدود ، موضحا ان لكل مرحلة تاريخية شعبة صاعدة وشعبة هابطة ايضا ، ومن ثم يطبق هذه الملاحظة على مستقبل النوع الانساني بأسره . وكما ادخل كانط فكرة دمار الارض الاخير الى العلم الطبيعي ، كذلك ادخل فوريه الى العلم التاريخي فكرة الدمار الاخير للنوع الانساني .

وبينما كان اعصار الثورة يكتسح الارض في فرنسا ، كانت ثورة اهدا ، لكنها ليست اقل عظيمة بسبب من ذلك ، تجري في انكلترا . كان البخار والماكينية الجديدة يحولان المانيفاكتورة الى الصناعة الحديثة ، وبذلك يقبلان بصورة ثورية جميع اسس المجتمع البورجوازي . وتحول المسير الثاني لتطور المرحلة المانيفاكتورية الى عاصفة حقيقية ومرحلة من اشتداد الانتاج . وكان انقسام المجتمع الى رأسماليين كبار وبروليتاريين مملقين يتقدم في سرعة متعاطمة ابدا . وكان جمهور غير مستقر من الصناع واصحاب الدكاكين الصغار ، وهم اكثر اقسام السكان ذليلة ، يعيشون

الأونه وجودا متزعزعا بين أولئك الراسماليين والبروليتاريين ، وذلك في مكان الطبقة الوسطى السابقة التي كانت تتمتع بالاستقرار .

وكان الاسلوب الجديد في الانتاج في بدء مرحلته الصاعدة بعد . لقد كان الطريقة الطبيعية في الانتاج - الطريقة الوحيدة الممكنة بعد في ظل الظروف القائمة . ومع ذلك فقد كان يخلق وقتذاك مساوئ اجتماعية صارخة - تجميع فئات من السكان العديدة المأوى في اسوا احياء المدن الكبرى ، وتراخي سائر الروابط الاخلاقية التقليدية ، والخضوع البطريركي ، والعلاقات العائلية ، والاجهاد في العمل حتى درجة مريسة ، وبالخاصة بالنسبة الى النساء والفلمن ، والتدهور المعنوي المطلق للطبقة العاملة التي طوح بها على حين غرة في ظروف جديدة كليا ، منتقلة من الريف الى المدينة ، ومن الزراعة الى الصناعة الحديثة ، ومن ظروف الحياة المستقرة الى ظروف مضطربة تتبدل بين يوم وآخر .

عند هذا الملتقى تقدم صناعي يبلغ التاسعة والعشرين من العمر متصديا للاصلاح . كان انسانا ذا بساطة في الطبع طفولية تقارب الجلال ، وكان في الوقت نفسه واحدا من أولئك القلائل الذين ولدوا كي يقودوا البشر . كان روبرت اوين قد تبني تعاليم الفلاسفة الماديين : ان طبيعة الانسان هي نتاج الوراثة من جهة واحدة ، ونتاج البيئة التي يعيش فيها المرء في سياق حياته من جهة أخرى ، وبالخاصة خلال مرحلة نموه . ولم يكن معظم افراد طبقته يجدون في الثورة الصناعية سوى الفوضى والاضطراب ، والفرصة السانحة من أجل الصيد في هذه المياه المكورة والاثراء باقصى سرعة . اما هو فشاهد فيها الفرصة السانحة من اجل تطبيق نظريته المفضلة ، وبذلك تحقيق النظام انطلاقا من الفوضى . وكان قد جرب ذلك من قبل بكل نجاح ، بوصفه المشرف العام على نيف وخمسمائة عامل في احد معامل مانشستر . ومن بعد ، من عام ١٨٠٠ حتى عام ١٨٢٩ ، اشرف على ادارة مصنع القطن الكبير في نيولانارك ، في اسكوتلاندا ، بوصفه شريكا اداريا

على الاسس ذاتها ، لكن بمزيد من حرية العمل وبنجاح جعل شهرته تتم
أوروبا بأسرها . لقد حول عددا من السكان كانوا يتألفون في الاصل من أشد
العناصر تنوعا ، ومعظمهم منحلون حتى درجة بعيدة ، وقد زادوا تدريجيا
حتى بلغ عددهم ٢٥٠٠ شخصا ، الى مستعمرة نموذجية كان السكر
والشرطة والقضاة والدعاوى والاغاثة العامة والحاجة الى الاحسان امورا
مجهولة فيها . ولقد حقق ذلك كله بمجرد وضع الناس في شروط جديدة
بالكائنات الانسانية ، وبالخاصة بتربية الجيل الصاعد بكل عناية . ولقد
كان هو مؤسس مدارس الاطفال ، وقد انشأها للمرة الاولى في نيولانارك .
كان الاولاد يقصدون المدرسة في سن الثانية، وكانوا ينعمون فيها كثيرا بحيث
كانوا يابون العودة الى البيت تقريبا .

ف. انجلز : الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية
العلمية ، في المؤلفات المختارة لكارل ماركس وفريدريك
انجلز ، في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ،
المجلد الثاني ، ص ١٢٣ - ١٣١ .

كان الانتقال الى الشيوعية نقطة التحول في حياة اوين . فطالما اكتفى
بدور الانسان الفيري المحب للخير بكل بساطة ، لم يحصد الا الثروة ،
والتصفيق ، والتبجيل ، والمجد . لقد كان اعظم الناس شعبية في أوروبا .
ولم يكن الناس الذين من طبقته يصفون وحدهم اليه ، بل لقد كان رجال
الدولة والامراء يصفون اليه مؤيدين ايضا . لكنه حين طلع على الناس
بنظرياته الشيوعية اختلفت الامور كثيرا . لقد كان يتراءى له ان ثمة ثلاث
عقبات كبرى تسد بالخاصة الطريق الى الاصلاح الاجتماعي ، الا وهي
الملكية الخاصة ، والدين ، والشكل الراهن للزواج . وكان يعرف ما يجابهه
في حال تهجمه على هذه الامور : الحرمان من حماية القانون ، والنسب من
المجتمع الرسمي ، وفقدان مركزه الاجتماعي كليا . لكن ايا من هذه المواقف
لم يمنه من شن الهجوم عليها دون اي خوف من النتائج . ولذا ما توقعه
يحدث بالفعل . ولما نبذ من المجتمع الرسمي وحيكت ضده مؤامرة من

الصمت في الصحافة ، واملق من جراء تجاربه الشيوعية الفاشلة في اميركا ، هذه التجارب الذي ضحى فيها بكل ثروته ، فقد عاد ادراجه مباشرة الى الطبقة العاملة واستمر يعمل في صفوفها طوال ثلاثين عاما .

ف. انجلز : الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية ، في المؤلفات المختارة لكارل ماركس وفريدريك انجلز ، في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد الثاني ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .

لما كانت الشروط الاجتماعية لم تتطور بصورة كافية لتتيح للطبقة العاملة ان تتشكل في طبقة نضالية ، فان الاشتراكيين الاولين (فوريه ، اوين ، سان سيمون ، الخ) قد اضطروا بصورة حتمية ان يقتصروا على احلام عن المجتمع المثالي للمستقبل وان يدينوا جميع المحاولات ، كالاضرابات ، والائتلافات ، والحركات السياسية ، التي يقوم بها العمال بغرض ادخال بعض التحسين الى مصيرهم . لكن اذا كان لا يجوز لنا ان ننكر بطارقة الاشتراكية هؤلاء اكثر مما يجوز للكيميائيين ان ينكروا اسلافهم السيميائيين ، فيجب علينا على اي حال ان نتفادى الوقوع من جديد في اخطائهم التي سوف تكون اخطاء لا تفتقر اذا ارتكبتها نحن .

ك. ماركس : « الامبالاة في الامور السياسية » ، في كارل ماركس وفريدريك انجلز ، « ضد الفوضوية » ، مكتب المنشورات ، باريس ، ص ٩ - ١٠ .

لايتقدم سان سيمون بصورة مباشرة على اعتباره الناطق باسم الطبقة الكادحة ويعلن ان تحرر هذه الطبقة هو هدف جهوده الاخير الا في مؤلفه الاخير ، المسيحية الجديدة . وليست جميع كتاباته السابقة في حقيقة الامر سوى تمجيد للمجتمع البورجوازي الحديث الذي يدافع عنه ضد المجتمع الاقطاعي ، او مجتمع الصناعيين والمصرفيين ضد المارشالات وصنعة القوانين والنصوص القضائية للمصر النابليوني . ما اعظم الفرق فيما

أو قارناها بمؤلفات أوين المكتوبة في الفترة نفسها(*) .

ك. ماركس : رأس المال ، المنشورات
الاجتماعية ، باريس ، الكتاب الثالث ، المجلد
الثاني ، ص ٢٦٤ .

ويكفي ان نستشير كتب روبرت أوين كي تقتنع بان نظام العمل قد
كان سباقا الى بدر فكرة التربية في المستقبل ، هذه التربية التي ستجمع
بالنسبة الى سائر الاولاد الذين فوق سن معينة بين العمل الانتاجي والتعليم
والرياضة البدنية ، وذلك ليس كواسطة لمضاعفة الانتاج الاجتماعي فحسب ،
بل على اعتباره الوسيلة الوحيدة التي ليس هنالك وسيلة سواها لخلق
كائنات بشرية كاملة النمو .

ك. ماركس : رأس المال ، منشورات دار اليقظة
العربية ، دمشق ، الكتاب الاول ، المجلد الثاني ،
ص ٢٦٣ .

ان النظم الاشتراكية والشيوعية حقا التي جاء بها سان سيمون
وفوريه وأوين وسواهم قد ظهرت في المرحلة الأولى من الصراع بين
البروليتاريا والبورجوازية .

ان مبتدعي هذه النظم يدركون تماما التضاد بين الطبقات ، كما يدركون
فعل عناصر الانحلال في المجتمع الذي يسود هذا التضاد فيه ، غير انهم
لا يرون من جانب البروليتاريا أي استقلال تاريخي أو أية حركة سياسية
خاصة بها .

(*) لم يتحدث ماركس قط الا بكل اعجاب عن مقربة سان سيمون ودماغه
الموسوعي . واذا كان سان سيمون قد جهل في كتاباته الاولى التضاد بين البورجوازية
والبروليتاريا ، التي كانت في مهدها بعد في فرنسا في تلك الفترة ، واذا كان قد صنف بين
العمال تلك الفئة البورجوازية التي تشغل بالانتاج ، فذلك يقابل مفاهيم فوريه الذي
كان يريد ان يحقق المصالحة بين الراسمال والعمل ، ويفسر بالوضع الاقتصادي والسياسي
الذي كان سائدا في فرنسا في ذلك الحين . واذا كان أوين قد توصل ، والحالة هذه ، الى
مغطورات اعرض ، فذلك لانه كان يعيش في بيئة اخرى ، في قلب الثورة الصناعية والتضادات
الطبقية التي كانت تعند منذ ذلك الحين (ف . ! .) .

ولما كان نمو التضاد الطبقي يسير جنباً إلى جنب مع نمو الصناعة ، فانهم لا يرون كذلك الظروف المادية لتحرير البروليتاريا ، ويأخذون في البحث عن علم اجتماعي بغية خلق هذه الظروف .

فراهم يستعوضون بمهارتهم الخاصة في الابتداع عن النشاط الاجتماعي ، وبشروط خيالية من وحي أهوائهم عن شروط التحرير التاريخية، وتنظيم كل تفاصيله من مبتكراتهم عن تنظيم البروليتاريا التدريجي التلقائي في طبقة . ويتقرر مستقبل العالم في نظرهم بالدعاية لبرامجهم ومشاريعهم عن المجتمع وتطبيقها .

غير أنهم يدركون ، عند وضع برامجهم ومشاريعهم هذه ، أنهم يدافعون قبل كل شيء عن مصالح الطبقة العاملة لأنها أكثر الطبقات تألماً . أن البروليتاريا لا توجد بالنسبة اليهم الا بمظهر الطبقة الأكثر تألماً .

الا ان الشكل الابتدائي لنضال الطبقات ، وكذلك وضعيتهم الاجتماعية الخاصة ، يدفعانهم الى اعتبار انفسهم فوق كل تضاد طبقي ، فيرغبون في تحسين ظروف الحياة المادية لسائر أعضاء المجتمع حتى أحسنهم حالاً وأكثرهم اعتباراً ، ولذا لا يكفون عن التوجه بنذائهم الى المجتمع بأسره دون تمييز ولا تفریق ، بل يفضلون التوجه الى الطبقة الحاكمة المسيطرة . اذ يكفي في نظرهم ان يفهم المرء حقيقة نظامهم ليعترف بأنه احسن مشروع ممكن لتنظيم احسن مجتمع ممكن .

فهم يرفضون اذن كل عمل سياسي وينكرون على الخصوص كل عمل ثوري ، ويسمون الى بلوغ هدفهم بوسائل سلمية ، ويحاولون ان يشقوا الطريق لانجيلهم الاجتماعي الجديد بقوة القدوة وبالقيام بتجارب على قياسي صغير ، مصيرها طبعاً الاخفاق والفشل على الدوام .

الا ان هذه الكتابات الاشتراكية والشيوعية تحوي كذلك عناصر

انتقادية . انها تهاجم المجتمع الحالي في قواعده واسسه ، فهي قد قدمت في حينها مواد قيمة و ثمينة لانارة العمال و تثقيفهم ، وكانت اقتراحاتها الايجابية عما يجب ان يكون عليه المجتمع المقبل - القضاء على النزاع بين المدينة والريف و الناء العائلة و الكسب الخاص و العمل الماجور و اعلان الانسجام و التناسق الاجتماعي و تحويل الدولة الى مجرد ادارة بسيطة للانتاج - كل هذه الاقتراحات انما تبشر بزوال تضاد الطبقات ، هذا التضاد الذي لم يكن الا في بداية ظهوره في ذلك الحين و الذي لم يعرف منه و اضمو هذه النظم سوى اشكاله الاولى المبهمة الغامضة المبللة . ولذا ليس لهذه الاقتراحات سوى معنى طوبوي صرف .

ان اهمية الاشتراكية و الشيوعية الانتقادية الطوبوية تناسب عكسا مع التطور التاريخي ، فبقدر ما يشتد نضال الطبقات و يتخذ شكلا واضحا ، فان هذا الازدراء الخيالي الذي يوحيه ، و هذه المعارضة المتعصبة التي يلقاها ، يفقدان كل قيمة عملية ، و كل مبرر نظري .

كـ . ماركس و فـ . انجلز : البيان الشيوعي ، منشورات دار دمشق ، الطبعة الثالثة ، ص ٩١ - ٩٢ .

ان جميع الكتاب الاشتراكيين و الشيوعيين قد انطلقوا من هذه المشاهدة : من جهة واحدة ، تظل الوقائع البراقة الاكثر ملاءمة دون نتائج براءة و يبدو انها تضيع في التفاهات ، و من جهة ثانية فان جميع تقدمات الفكر قد كانت ، حتى ايامنا الحاضرة ، تقدمات موجهة ضد كتلة البشرية التي التي بها في اوضاع اقل فاقل انسانية . لقد اعطونا اذن (فوريه) « التقدم » على انه صيغة مجردة ناقصة ؛ و لقد افترضوا (لوين) وجود رذيلة اساسية في العالم المتحضر ، و لذا فقد اخضعوا الاسس الواقعية للمجتمع الحالي لنقد جارح . و كان هذا النقد الشيوعي يقابله على الفور في الممارسة حركة الكتلة الكبرى التي جرى التطور التاريخي ضدها حتى ذلك الحين . و لا بد للمرء ان يعرف ما يحرك العمال الفرنسيين و الانكليز

من دواعي الدراسة ، والتعاطف الى التعلم ، وطاقاة أخلاقية ، ورغبة لا تكل في التطور ، كيما يستطيع ان يشكل فكرة عن النبل الانساني الذي تتحلى به هذه الحركة .

ك. ماركس و ف. انجلز : **العائلة المقدسة** ،
المؤلفات الفلسفية ، باريس ، منشورات كوست ،
المجلد الثاني ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

ينطلق **فوريه** مباشرة من عقيدة الماديين الفرنسيين . وكان أتباع **بابوف** (١٠) ماديين أفظاظا ، جهلة ، لكن الشيوعية المتطورة يعود تاريخها هي نفسها بصورة مباشرة الى **المادية الفرنسية** . وان هذه المادية لتعود بالفعل ، في الشكل الذي منحها **هيلفيتيوس** اياه ، الى وطنها الام **انكلترا** . **فبنثام** يؤسس نظامه عن **الفائدة المفهومة جيدا** على الاخلاق التي وضعها **هيلفيتيوس** ، كما ان **أوين** يؤسس ، انطلاقا من نظام **بنثام** ، الشيوعية الانكليزية . وحين نفي **كلبييه** الى انكلترا ، افوته هناك الافكار الشيوعية في الحال ، فرجع الى فرنسا ليصبح فيها المثل الأكثر شعبية ، وان يكن الأشد ابتذالا ، للشيوعية . وان الشيوعيين العلميين الفرنسيين ، **ديزاهي** ، **غبي** - الخ ، ليطورون مثل **أوين** عقيدة **المادية** على انها عقيدة **الانسية الفعلية** وعلى انها القاعدة المنطقية للشيوعية .

ك. ماركس و ف. انجلز : **العائلة المقدسة** ،
المؤلفات الفلسفية ، باريس ، منشورات كوست ،
المجلد الثاني ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

ان جميع مؤسسي الشيع الاشتراكية ينتسبون الى مرحلة كانت الطبقة العاملة نفسها فيها ناقصة التدريب والتنظيم بفعل تطور المجتمع الرأسمالي بالذات بحيث لا يمكنها ان تقوم بدخول تاريخي على خشبة المسرح العالمي ، الى مرحلة حيث كانت ، على اي حال ، الشروط المادية لتحررها ناقصة النضوج في العالم القديم نفسه . لقد كان بؤسها موجودا،

لكن شروط تحريرها الخاص لم تكن موجودة بعد . وان مؤسسي الشروع الطوبوية ، وهم يملنون بالنقد الذي يوجهونه الى مجتمع زمنهم عن هدف الحركة الاجتماعية، الا وهو الغاء العمل المأجور وجميع شروطه الاقتصادية المؤدية للسيطرة الطبقية ، ماكانوا يجدون لا في المجتمع نفسه الشروط المادية لتحويله ، ولا في الطبقة العاملة القدرة المنظمة ووعي التحرك .

وقد حاولوا ان يخفوا الشروط التاريخية للحركة بلوحات ومشاريع من صنع الخيال عن مجتمع جديد ، وكان نشر فكرة هذا المجتمع يلوح في نظرهم وسيلة الخلاص الحقيقية . ومنذ أصبحت حركة الطبقة العاملة حقيقة واقعة ، تلاشت الاوهام الطوبوية ليس لان الطبقة العاملة تخلت عن الهدف الذي اشار هؤلاء الطوبويون اليه ، بل لانها اكتشفت الوسائل الفعلية من اجل تحويل هذا الهدف الى حقيقة واقعة . لقد ظهر في مكان هذه الطوبويات ادراك فعلي للشروط التاريخية للحركة وتنظيم عسكري متماظم القوة للطبقة العاملة .

ك. ماركس : الحرب الاهلية في فرنسا . المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

لقد كان الطوبويون ، كما رأينا ، طوباويين لأنهم كانوا لا يستطيعون ان يكونوا شيئاً آخر في وقت كان الانتاج الرأسمالي قليل التطور فيه بعد . ولم يكن لهم بد من تشييد عناصر المجتمع الجديد من رؤوسهم الخاصة ، لان عناصر هذا المجتمع الجديد لم تكن قد ظهرت بعد على العموم ضمن المجتمع القديم . وما كان في مكنتهم ، من اجل الخطة الأساسية الخاصة بالبناء الجديد ، ان يستنجدوا الا بالمقل وحده ، وذلك بالضبط لانه لم يكن في مقدورهم بعد الاستنجد بال تاريخ المعاصر .

ف. انجلز : انتي - دوهرنغ ، منشورات دار دمشق ، ص : ٢١٩ .

كما ان الاقتصاديين هم الممثلون العلميون للطبقة البورجوازية ،

كذلك الاشتراكيون والشيوعيون هم منظرو الطبقة البروليتارية . وطالما ان البروليتاريا لم تنم بعد بصورة كافية كي تتشكل في طبقة ، وان النضال بالذات بين البروليتاريا والبورجوازية لم يملك بعد ، بنتيجة ذلك ، طالما سياسيا ، وان القوى المنتجة لم تتطور بعد بصورة كافية في قلب البورجوازية نفسها كما تتيح استشفاف الشروط المادية الضرورية لتحرر البروليتاريا ولتشكيل مجتمع جديد ، فليس هؤلاء المنظرون سوى طوباويين يرتجلون الانظمة تداركا لحاجات الطبقات المضطهدة ، ويمدون خلف علم مجدّد . لكن بقدر ما يسير التاريخ ، وبقدر ما يرتسم معه نضال البروليتاريا بمزيد من الوضوح ، فليست بهم حاجة الى البحث عن العلم في ذهنهم ، بل يكفيهم ان يتبينوا ما يجري امام انظارهم وان يكونوا لسانا له .

ك. ماركس : يؤس الفلسفة ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ص : ١٣٣

ان وجهة نظر الطوباويين قد سادت طويلا الافكار الاشتراكية للقرون التاسع عشر ولا تزال تسودها حاليا حتى درجة ما . ولقد كانت حتى وقت قصير وجهة نظر سائر الاشتراكيين الانكليز والفرنسيين ، والاشتراكيين الالمان الاولين ، بما فيهم ويتلغ . ان الاشتراكية بالنسبة اليهم هي التعبير عن الحقيقة المطلقة والعقل والعدالة ولا يتطلب الامر سوى اكتشافها كي تغزو العالم كله بفضل قوتها الخاصة . ولما كانت الحقيقة المطلقة مستقلة عن الزمان والمكان وعن تطور الانسان التاريخي ، فانه من قبيل المصادفة وحدها حتى واين يتم اكتشافها . وبلاضافة الى ذلك كله ، فان الحقيقة المطلقة والعقل والعدالة تختلف عند مؤسس كل مدرسة مختلفة . ولما كان النوع المخصوص من الحقيقة المطلقة والعقل والعدالة لكل واحد من الناس مشروطا ايضا بتفهمه الذاتي وظروف وجوده ومقدار معرفته وتكوينه الفكري ، فليس ثمة نهاية ممكنة لهذا النزاع بين الحقائق المطلقة غير تنافيها المتبادل . وهكذا لم يكن في الامكان ان ينتج عن ذلك سوى نوع من الاشتراكية الانتقائية المتوسطة التي سيطرت في واقع الامر حتى الوقت الراهن على

ماذهان معظم العمال الاشتراكيين في فرنسا وانكلترا . ومن هنا كانت الفوضى التي تؤدي الى تشعب في الآراء بالغ الشدة ، فوضى من البيانات النقدية والنظريات الاقتصادية واللوجات عن المجتمع المقبل التي يضعها مؤسسو الشيع المختلفة ، وهي جميعا دون سابقاتها في الأهمية ، فوضى يزداد اختمارها سهولة بقدر ما تمسح الحواقي الحادة المحددة لعناصرها المركبة الفردية في تيار المساجلة ، مثل الحصى المدورة في الجدول .

فلا بدّ قبل كل شيء ، في سبيل إنتاج علم عن الاشتراكية ، من وضعه على اساس واقعي .

د. انجلز : الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية
الطمية في المؤلفات المختارة لكارل ماركس وفريدريك
انجلز ، في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ،
المجلد الثاني ، ص : ٢٢٣ - ٢٢٤ .

كان يفهم من كلمة الاشتراكيين ، عام ١٨٤٧ ، انصار مختلف المذاهب الطوباوية من جهة ، انصار اوين في انكلترا ، واتباع فوريه في فرنسا ، وهؤلاء واولئك ليسوا اليوم سوى شيعتين تلتفطان انفاهما الأخيرة شيئا خشيئا ، ومن جهة اخرى مختلف انواع الدجالين الاجتماعيين الذين يبشرون باصلاح سائر المساويء الاجتماعية ، وذلك بمختلف اساليب الترقيع ، ودونما ادنى خطر على رأس المال أو الربح . ولم يكن هؤلاء جميعا ، في كلتا العتاتين ، سوى اناس من خارج حركة الطبقة العاملة ، يبحثون عن سند لهم عند الطبقات « المستنيرة » . وعلى أية حال ، فإن قسما من الطبقة العاملة قد صار الى الافتناع بدم كفاية الثورات السياسية وحدها ، وقام يطالب بضرورة تغيير المجتمع تغييرا أساسيا جوهريا ، وكان هذا القسم يدعو نفسه شيوعيا في ذلك الحين . وكانت شيوعيته فجأة ، على شيء من الخشونة ، وغريزية صرفة ، ومع ذلك فقد بلغت النقطة الحساسة ، وكانت على ما يكفي من القوة في صميم الطبقة العاملة كي تنتج الشيوعية الطوباوية ، شيوعية كايه في فرنسا وشيوعية ويتلغ في ألمانيا . في عام

١٨٤٧ ، كانت الاشتراكية تعني حركة بورجوازية ، وكانت الشيوعية تعني حركة عمالية .

ف. انجلز : مقدمة الطبعة الانكليزية الصادرة عام ١٨٨٨ « لبيان الحزب الشيوعي » ، كارل ماركس وفريدريك انجلز ، البيان الشيوعي ، منشورات دار دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٩

يعرف الجميع مثلاً أن **راس المال** - هذا المؤلف الجوهري والأساسي الذي يقدم عرض الاشتراكية العلمية - يقتصر على التنبيهات الأكثر عمومية فيما يتعلق بالمستقبل ، ولا يدرس سوى العناصر المتوفرة اليوم والتي يتخلص منها النظام المقبل . ويعرف الجميع أن الاشتراكيين القدامى قدموا عن منظورات المستقبل شيئاً أكثر بصورة لا متناهية ، هم الذين كانوا يصيغون المجتمع المقبل في سائر تفاصيله ، تحدهم الرغبة الجامحة في إثارة البشرية بصورة نظام لا يحتاج البشر فيه بعد الآن الى الصراع ، ولا تقوم علاقاتهم الاجتماعية فيه بعد الآن على الاستغلال ، بل على مبادئ حقيقية للتقدم ، متطابقة مع الطبيعة الانسانية . ومهما يكن من أمر ، فعلى الرغم من جحفل كامل من الرجال اصحاب الموهبة الكبيرة الذين كانوا يعرضون هذه الافكار ، والذين كانوا اشتراكيين على قدر عظيم من القناعة ، فقد ظلت نظرياتهم خارج الحياة ، وظلت برامجهم في معزل عن الحركات السياسية الشعبية طالما ان الصناعة الآلية الكبرى لم تجرف في اعصار الحياة السياسية جماهير البروليتاريا العمالية وطالما لم يتم العثور على الشعار الحقيقي لنضالها . وان ماركس هو الذي وجد هذا الشعار ... ليس بمساعدة بعض المنظورات ايا كانت ، بل بالتحليل العلمي للنظام البورجوازي المعاصر ، وبايضاح ضرورة الاستغلال في مثل هذا النظام ، ودراسة قوانين تطوره .

ف. لينين : من هم « اصداقاء الشعب » وكيف يناهضون ضد الاشتراكيين الديموقراطيين ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الاول ، ص : ٢٠١ - ٢٠٢ .

... كان عدد كبير من الحالمين ، وبعضهم لا تعوزهم المبقرية ،
 محسوبون انه يكفي إقناع الحكومات والطبقات السائدة بجور النظام
 الاجتماعي القائم كيما يسود على الارض السلام والرخاء العمومي . كانوا
 يطمون باشتراكية خالية من الصراع . واخيراً فإن معظم الاشتراكيين في
 ذلك الحين ، وبصورة عامة معظم اصداق الطبقة العاملة ، ما كانوا يرون
 في البروليتاريا سوى جرح يشاهدون بكل هلع انه يتسع بقدر ما كانت
 الصناعة تنمو وتتطور . ولذا فقد كانوا يبحثون عن سائر الوسائل القمينة
 بايقاف نمو الصناعة والبروليتاريا ، بايقاف « دولاب التاريخ » . وبينما كان
 نمو البروليتاريا يوحى بالخوف العام ، فان ماركس وانجلز قد وضعوا كل
 آمالهما في نمو البروليتاريا . فبقدر ما يزداد عدد البروليتاريين ، سوف
 تكون قوتهم اعظم على اعتبارهم طبقة ثورية . كما سوف تكون الاشتراكية
 اقرب وامكانيتها اعظم . ويمكن ان نعبر بكلمات قليلة عن الخدمات التي
 اداها ماركس وانجلز للطبقة العاملة بقرائنا انهما علماهما ان تعرف ذاتها
 وان تعي ذاتها ، وانهما استعاضا عن الاوهام بالملم .

ف. لينين : « فريدريك انجلز » ، المؤلفات
 الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني ،
 ص ١٤ .

قبل ولادة الحركة العاملة ، ساد هذا النوع من العقائد « الاشتراكية »
 في جميع البلدان ، وهي لم تكن في حقيقة الامر سوى أحلام منظرين
 بورجوازيين صغار يجهدون للافلات من صراع الطبقات ، ولايجاد الوسيلة
 للاستغناء عن هذا الصراع . وكان لابداء للحركة العاملة الواعية في سائر
 البلدان ، كما في روسيا ، ان تخوض نضالاً عنيداً ضد هذا النوع من
 العقائد التي كانت « اشتراكية » البورجوازية الصغيرة تقابل أوضاع
 المعلمين الصغار ووجهة نظرهم .

وما كان يمكن للحركة العاملة ان توجد وان تنمو بنجاح قبل ان يتم
 دحض هذه النظرية الخاصة بالمعلمين الصغار عن امكانية « اجتناب »

الراسمالية . واما يخفي السيد راكيتنيكوف الخطيئة الاساسية لفريق ميخائيلوفسكي ، فإنه يشوش من جراء ذلك بالضبط نظرية الصراع الطبقي . ولكن هذه النظرية هي النظرية الوحيدة التي دلت العمال على مخرج من اوضاعهم وبينت كيف يستطيع العمال ويجب عليهم ان يناضلوا هم انفسهم من اجل تحررهم .

ف. لينين : «اللعاب الشعبي وطبقة اللجورين»
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلس
الثقوي ، ص : ١٠٥ .

ما الذي يجعل مشاريع التعاونيين القداماء وهمية، بما في ذلك روبرت اوين الذي يجب ان نبدأ به ؟ ذلك انهم يحطمون في تحويل المجتمع الحديث بصورة سلمية بواسطة الاشتراكية ، دون اعتبار لهذه المسائل الاساسية التي هي صراع الطبقات ، والاستيلاء على السلطة السياسية من قبل البروليتاريا، وقلب سيطرة طبقة المستغلين . ولذا كنا على حق حين قلنا ان هذه الاشتراكية « التعاونية » هي شيء خيالي محض ، رومانسي ، وحتى مبتذل ، طالما انها تحلم بتحويل الاعداء الطبقيين الى متعاونين طبقيين ، وصراع الطبقات الى سلام طبقي (سلام اجتماعي كما يقولون) ، وذلك بمجرد تجميع السكان في التعاونيات .

ف. لينين : « في التعاون » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثالث والثلاثون ،
ص : ٤٨٦ - ٤٨٧ .

ان ثورة ١٨٤٨ توجه ضربة قاتلة الى جميع هذه الاشكال الصالحة ، المشاغبة ، الكثيرة الضوحاء ، للاشتراكية السابقة لماركس . فالثورة تظهر، في جميع البلدان ، طبقات المجتمع المختلفة قييد العمل . وان مذبحه العمال على يد البورجوازية الجمهورية ، في ايام حزيران ١٨٤٨ في باريس ، تكمل تحديد الطبيعة الاشتراكية للبروليتاريا ، وللبروليتاريا وحدها . ان

البورجوازية الليبرالية تخشى استقلال هذه الطبقة أكثر مما مرة من الرجعية الخالصة . إن الليبرالية المدعورة تزحف أمام هذه الرجعية . وتكتفي طبقة الفلاحين بإلغاء بقايا الاقطاعية وتنضم الى صف النظام : انها لا تتذبذب إلا نادراً بين الديمقراطية والمالية والليبرالية البورجوازية . إن جميع العقائد عن الاشتراكية خروج الطبقات والسياسة خارج الطبقات تتضح انها اثرثة لا غناء فيها . . . وفي نهاية المرحلة الاولى (١٨٤٨ - ١٨٧١) ، مرحلة العواصف والثورات ، تموت الاشتراكية السابقة لماركس . وتنشأ احزاب بروليتارية مستقلة : الاممية الاولى (١٨٦٤ - ١٨٧٢) والاشتراكية الديمقراطية الالمانية .

ف. لينين : المصائر التاريخية للذهب ل. ماركس ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد
الثامن عشر ، ص : ٥٤٥ .

كان تشيرنيشفسكي اشتراكياً طوبوياً يحلم بالانتقال الى الاشتراكية بواسطة الجماعة الفلاحية ، نصف الاقطاعية . لم يكن يرى ، وما كان في مكنه في الستينات من القرن الماضي ان يسرى ان تطور الرأسمالية والبروليتاريا يستطيع وحده ان يخلق الشروط المادية والقوة الاجتماعية الضرورية من أجل تحقيق الاشتراكية .

ف. لينين : « الإصلاح الفلاحي » والثورة
البروليتارية والفلاحية ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة
الروسية الرابعة ، المجلد السابع عشر ، ص : ٩٧ .

لقد اقترب هرتزن عن كتب من المادية الجسدية وتوقف أمام المادية
التاريخية .

وإن هذا « التوقف » هو الذي تسبب في افلاس هرتزن المعنوي بعد هزيمة ثورة عام ١٨٤٨ . وكان هرتزن قد غادر روسيا قبل ذلك ، وكان يراقب هذه الثورة عن كتب . وكان في ذلك الحين ديموقراطياً ثورياً ،

اشتراكياً . بيد أن « اشتراكيته » كانت واحداً من أشكال وتوجهات الاشتراكية البورجوازية والبورجوازية الصغيرة التي كانت متوقفة بأعداد كبيرة في فترة ١٨٤٨ ، وقد سقطت بصورها حاسمة في أيام حزيران . ولم تكن تلك اشتراكية في حقيقة الأمر ، بل جملة وادمية ، حلماً سمحاً ، تلبسها الديوقراطية البورجوازية ، وكذلك البروليتاريا التي لما تبين خاضعة لنفوذها ، روحها التي كانت ثورية. في ذلك الحين .

إن افلاس هرتزن المعنوي ، وتشككه العميق وتساؤمه بعد عام ١٨٤٨ ، تشير الى افلاس الأوهام البورجوازية في الاشتراكية . لقد كانت مأساة هرتزن المعنوية نتيجة وانكاساً لتلك المرحلة التاريخية العظمى التي كان الروح الثوري للديموقراطية البورجوازية يموت فيها الآن (في اورديا) ، بينما لم يكن الروح الثوري للبروليتاريا الاشتراكية قد بلغ بعد مرحلة النضوج .

د. لبنين : في ذكرى هرتزن ، الإلغات الكاملة ،
الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد الثامن عشر ،
ص - ١٠ .

يجب ألا ننسى كلمة انجلز المرموقة :

« إن ماهو خطأ بمعنى اقتصادي صوري يمكن أن يكون صحيحاً بمعنى تاريخي عمومي (١١) » .

لقد صاغ انجلز هذه الموضوعة العميقة بخصوص الاشتراكية الطوبوية : كانت هذه الاشتراكية « خاطئة » بالمعنى الاقتصادي الصوري . كانت هذه الاشتراكية « خاطئة » عندما كانت تنادي بأن فضل القيمة هي ظلامه من وجهة نظر قوانين المبادلة . ولقد كان منظرو الاقتصاد السياسي البورجوازي على حق ، ضد هذه الاشتراكية . بالمعنى الاقتصادي الصوري ، ذلك أن فضل القيمة تشتق من قوانين المبادلة بصورة «طبيعية» تفاعلاً ، بصورة « عدالة » كلياً .

لكن الاشتراكية الطوبوية كانت على حق بالمعنى التاريخي العمومي ،
ذلك أنها كانت أمارة وترجمانا ونذيراً للطبقة التي كانت قد تطورت منذ
ذلك ، وقد ولدتها الرأسمالية ، حوالي أوائل القرن العشرين ، فباتت قوة
مهيبة ، قادرة على أن تضع للرأسمالية حداً ، وهي تتجه بصورة لا تقاوم
نحو هذه الخاتمة .

ومن المهم أن نتذكر موضوعه انجلز العميقة عندما نريد أن تقدر
الطوبوية المعاصرة ، الشعبية او التروودوفية(١٢) في روسيا (ربما ليس في
روسيا وحدها ، بل في مجموعة كاملة من الدول الآسيوية التي تجتاز ، في
القرن العشرين ، ثورات بوزجوازية) .

إن الديمقراطية الشعبية ، الخاطئة بمعنى اقتصادي صوري ، هي
حقيقة بمعنى تاريخي : إن هذه الديمقراطية ، الخاطئة بوصفها طوبوية
اشتراكية ، هي حقيقة لهذا النضال الديمقراطي الأصيل ، المعين تاريخياً ،
الذي تخوضه الجماهير الفلاحية ، والذي يشكل عنصراً لا ينفصل عن
التحول البورجوازي وشرطاً لانتصاره التام .

د. لينين : طوباويتان ، الملفات الكاملة ،
الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد الثامن عشر ،
ص : ٢٢٨ - ٢٢٩ .

الفصل الثاني

مولد الشيوعية العالمية

العلاقة بين الشيوعية العالمية والاشتراكية الطوبوية

... إن الاشتراكية الألمانية النظرية لن تنسى قط أنها قامت على
اكتشاف سان سيمون وفوريه وأوين ، هؤلاء الرجال الثلاثة الذين يمدون ،
بالرغم من كل ما تشتم به نظرياتهم من وهم وطوبوية ، بين أعظم العقول في
جميع الأزمنة ، وقد حدسوا بصورة عبقرية افكاراً لا حصر لها تبرهن في
الوقت الحاضر على صحتها علمياً ...

ف. انجلز : مقدمة (١٨٧٠) حرب الفلاحين في
ألمانيا ، في ف. انجلز : الثورة الديمقراطية
البورجوازية في ألمانيا ، المنشورات الاجتماعية ،
باريس ، ص ٢٢ .

العلاقة بين الشيوعية العلمية والفلسفة الألمانية

لو لم تكن الفلسفة الألمانية موجودة من قبل ، وبصورة خاصة فلسفة
هيجل ، لما تأسست قط الاشتراكية العلمية الألمانية ، وهي الاشتراكية
العلمية الوحيدة التي قامت في يوم من الأيام . ولولا الحس النظري لدى
العمال لما كان في مكنتهم أن يتمثلوا قط هذه الاشتراكية العلمية كما
تمثلوها حالياً . وإن ما يثبت الميزة غير المحدودة التي يتسم هذا الامر بها

هو ، من جهة واحدة ، اللامبالاة حيال أي نظرية ، هذه اللامبالاة التي تشكل أحد الأسباب الرئيسية للتقدم الضئيل الذي حققته الحركة العاملة الإنكليزية ، وذلك بالرغم من التنظيم الممتاز لمختلف النقابات ، ومن جهة أخرى الاضطراب والفوضى اللذان خلقتهما البرودونية (١٢) في شكلها الأصلي عند الفرنسيين والبلجيكيين ، وفي شكلها الذي شوّهه باكونين في وقت لاحق عند الإسبان والإيطاليين .

ف. انجلز : مقدمة (١٨٧٠) حرب اللاعن
في ألمانيا ، في ف. انجلز : الثورة الديمقراطية
البورجوازية في ألمانيا : المنشورات الاجتماعية ،
باريس ، ص : ٢٢ .

إن الاشتراكية والشيوعية الألمانيتين نابتان أكثر من جميع المذاهب المعاصرة الأخرى من فرضيات نظرية : فنحن ، المنظرين الألمان ، نعرف بمدى العالم الواقعي قليلاً جداً بحيث لا يمكن أن تكون الشروط الاجتماعية الفعلية هي التي استحثتنا بصورة مباشرة على إصلاح هذا «الواقع الرديء» . وليس ثمة إنسان واحد من الأنصار العليين لهذه الإصلاحات على الأقل قد جاء إلى الشيوعية من طريق غير طريق فلسفة فيورباخ الذي حطم التأمل الهيفلي إرباً . إن الشروط الحقيقية لحياة البروليتاريا مجهولة جداً لدينا بحيث أن «الجمعيات من أجل رفع الطبقات الكادحة» ، هذه الجمعيات الداعية إلى الخير التي تسيء بوجوازيتنا الحالية معالجة المسألة الاجتماعية في أحضانها ، تتخذ هي نفسها باستمرار كمنطلقات لها أسخف الآراء وأتفهها عن أوضاع العمال . إن معرفة الحقائق هي ، في هذه القضية ، ذات ضرورة لازمة بالنسبة إلينا ، نحن الألمان بصورة خاصة .

ف. انجلز : أوضاع الطبقة الكادحة في إنكلترا ،
المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٢٢ .

لقد ارتقت الاشتراكية الألمانية خشبة المسرح قبل عام ١٨٤٨ بوقت طويل . وكان ثمة تياران مستقلان اذن . أولاً حركة عاملة متفرعة عن

الشيوعية العمالية الفرنسية ، وهي الحركة التي أنتجت شيوعية ويتلخ الطوبوية باعتبارها طوراً من أطوارها . ثم حركة نظرية ، صادرة عن انهيار الفلسفة الهيغلية : وان هذه الحركة ليسودها اسم ماركس منذ بدايتها . وإن البيان الشيوعي الصادر في كانون الثاني ١٨٤٨ ليسجل انصار هذين التيارين ، وهو الانصار الذي اكتمل وصار باتاً لا رجوع عنه في أوار الثورة حيث دفع الجميع ، عمالاً وفلاسفة ، الثمن من أشخاصهم .

ف. انجلز : الاشتراكية في ألمانيا : نشر بالروسية في المؤلفات الكاملة لماركس وانجلز ، المجلد الثاني والعشرون ، ص : ٢٥ .

الشيوعية العلمية والاقتصاد السياسي المثالي

... كان لا بد ، في سبيل شق الطريق للاشتراكية النقدية والمادية التي لا تريد سوى ايضاح التطور التاريخي الفعلي للانتاج الاجتماعي ، من الانفصال بكل قسوة عن الاقتصاد الايدولوجي الذي كان برودون ؛ دون علم منه ، آخر تجسيد له .

ك. ماركس : مذكرة عن « بؤس الفلسفة » . نشر بالروسية في المؤلفات الكاملة لماركس وانجلز ، المجلد التاسع عشر ، ص : ٢٢١ - ٢٢٢ .

برز الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبورجوازية على سطح الاحداث في تاريخ اكثر البلدان الاوروبية تقدماً ، وذلك بصورة متناسبة مع نمو الصناعة الكبرى من جهة واحدة ونمو السيطرة السياسية التي استولت البورجوازية عليها حديثاً من جهة ثانية . وكانت الوقائع تكذب بحماسة متعاطفة ابدأ تعاليم الاقتصاد البورجوازي بشأن تماثل مصالح رأس المال والعمل ، وبشأن التناسق العمومي والرخاء العمومي اللذين سيكونان عاقبة المنافسة المطلقة العنان . ولم يعد في الـ ان بمد الآن تجاهل سائر

هذه الامور أكثر مما يمكن تجاهل الاشتراكية الفرنسية والانكليزية التي كانت التعبير النظري عنها رغماً عن سائر نقائصها . . بيد أن المفهوم المثالي القديم عن التاريخ ، هذا المفهوم الذي لم يرد بعد ، لم يكن يعرف شيئاً عن الصراعات الطبقيّة القائمة على أساس المصالح الاقتصادية ، ولم يكن يعرف شيئاً ، على العموم ، عن المصالح الاقتصادية : إن الانتاج ومختلف العلاقات الاقتصادية كانت تظهر فيه بوصفها مجرد عناصر طارئة ، ثانوية ، في « تاريخ الحضارة » .

وجعلت الحقائق الجديدة إعادة دراسة التاريخ المنصرم برمته أمراً إلزامياً . عندئذ تبين أن التاريخ المنصرم برمته ، باستثناء مراحل البدايات ، قد كان تاريخ الصراعات الطبقيّة ، وأن هذه الطبقات المتحاربة في المجتمع هي على الدوام منتجات لعلاقات الإنتاج والمبادلة - وباختصار منتجات للعلاقات الاقتصادية لزمانها ، وأن بنية المجتمع الاقتصادية تشكل على الدوام الأساس الحقيقي الذي يمكننا انطلاقاً منه وحده أن نتوصل إلى التليل الأخير لكل البنية الفوقية الخاصة بالمؤسسات القضائية والسياسية ، وكذلك بالافكار الدينية والفلسفية والافكار الأخرى الخاصة بمرحلة تاريخية معينة .

لقد حرر هيفل مفهوم التاريخ من الميتافيزياء - جملة جديلاً . بيد أن مفهومه عن التاريخ كان في جوهره مثالي النزعة ، وهكذا طردت المثالية من ملجئها الأخير ، أي فلسفة التاريخ ؛ وجعلت معالجة مادية النزعة للتاريخ تبسط الآونة ، كما وجدت طريقة من أجل تليل « وجدان » الإنسان بواسطة « كينونته » بدلاً من تليل « كينونته » بواسطة « وجدانه » كما كانت الحال ، حتى ذلك الوقت .

واعتبروا من ذلك الحين لم تمد الاشتراكية اكتشافاً طارئاً لهذا الفكر المبقرى أو ذاك ، بل النتيجة الضرورية للصراع بين طبقتين متطورتين تاريخياً ، ألا وهما البروليتاريا والبورجوازية . ولم تمد مهمتها بعد الآن هي صناعة نظام للمجتمع كامل قدر الامكان ، بل دراسة التسلسل التاريخي

الاقتصادي للأحداث الذي انبثقت هاتان الطبقتان وتناحرهما منه بالضرورة ،
واكتشاف وسائل إنهاء ذلك الصراع في الشروط الاقتصادية الناجمة عن
ذلك الوضع . بيد أن الاشتراكية السابقة كانت متنافرة مع هذا المفهوم
المادي النزعة بقدر ما كان مفهوم الطبيعة الخاص بالماديين الفرنسيين متنافراً
مع الجدلية والعلم الطبيعي الحديث . ومن المؤكد أن الاشتراكية السابقة
انتقدت الأسلوب الرأسمالي القائم في الإنتاج وعواقبه ، بيد أنه لم يكن في
وضعها تفسير هذه الأمور ، وبالتالي لم يكن في وسعها التحكم فيها . كل
ما كان في وسعها هو رفضها باعتبارها سيئة . ويقدر ما كانت هذه
الاشتراكية المبكرة تفضح بعنف اعظم استثمار الطبقة العاملة ، هذا
الاستثمار الذي لا مفر منه في ظل الرأسمالية ، كانت أقل قدرة على أن
تبين بكل وضوح فيما يقوم هذا الاستثمار وكيف ينشأ . لكنه كان من
الضروري في سبيل ذلك : ١ - تصوير الأسلوب الرأسمالي في الإنتاج في ارتباطه
التاريخي وحتميته خلال مرحلة تاريخية معينة ، وبالتالي تصوير انهياره
المحتوم أيضاً . ٢ - تعرية صفته الأساسية التي كانت سراً بعد .

وهذا ما تحقق باكتشاف فضل القيمة . لقد برهن على أن تملك العمل
غير المدفوع الأجر هو أساس الأسلوب الرأسمالي في الإنتاج وأساس استثمار
العامل الذي يحدث في ظله ، وأنه حتى في حال ابتياع الرأسمالي قوة عمل شغيلة
بقيمتها الكاملة كبضاعة في السوق ، فإنه يستخرج منها مع ذلك قيمة أكبر مما
يدفع لقاءها ، وأن فضل القيمة هذه تشكل في آخر تحليل تلك الحصلة
من القيم التي تنشأ عنها كتل الراسمال المتعاظمة ابداً والمتكدسة بين أيدي
الطبقات المالكة . وهكذا فسر تكوين الإنتاج الرأسمالي وإنتاج الراسمال
على حد سواء .

واننا لندين لماركس بهذين الاكتشافين العظيمين ، ألا وهما المفهوم
المادي للتاريخ وكشف سر الإنتاج الرأسمالي بواسطة فضل القيمة . ولقد
أصبحت الاشتراكية علماً بفضل هذين الاكتشافين ، وأضحت المهمة التالية

ف. انجلز : الاشتراكية الطوبوية والاشتراكية
العلمية ، في كارل ماركس ولريديك انجلز ،
المؤلفات المختارة ، في مجلدين ، منشورات التقدم ،
موسكو ، المجلد الثاني ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

إن المفهوم المادي للتاريخ ينطلق من الموضوعة القائلة إن الانتاج ، ومن بعد الانتاج مبادلة الاشياء المنتجة ، هو أساس كل البنية الاجتماعية ، وأن الطريقة التي يتم بها توزيع الثروة وانقسام المجتمع الى طبقات او فئات ترتبط ، في كل مجتمع ظهر في التاريخ ، بالاشياء المنتجة ، وكيفية انتاجها ، وكيفية مبادلة المنتجات . ومن وجهة النظر هذه ، فإنه ينبغي البحث عن الاسباب الاخيرة لسائر التبدلات الاجتماعية والثورات السياسية ليس في ادمغة البشر ، ليس في فهمهم النامي للحقيقة والعدالة الأبديتين ، بل في التبدلات الطارئة على اساليب الانتاج والمبادلة . إنه ينبغي البحث عن هذه الاسباب ليس في الفلسفة ، بل في الاقتصاديات كل فترة تاريخية معينة . وليس الادراك النامي لكون المؤسسات الاجتماعية القائمة غير معقولة وغير عادلة ، وكون العقل قد اصبح اللاعقل والحق قد اصبح الباطل ، سوى برهان على التبدلات التي طرأت في سكون على اساليب الانتاج والمبادلة ، وهي تبدلات لم يمد النظام الاجتماعي المتكيف مع شروط اقتصادية سابقة يماشيا بعد الآن . وينجم عن ذلك ايضا ان وسائط الخلاص من المفاربات التي اميط اللثام عنها يجب ان تكون موجودة هي الأخرى في حالة اكثر او اقل تطوراً ضمن اساليب الانتاج المتبدلة نفسها . ولن تخترع هذه الوسائل اختراعاً ، لن تنسج من الدماغ ، بل ينبغي اكتشافها بمساعدة الدماغ في حقائق الانتاج المادية القائمة .

ما هو اذن موقف الاشتراكية الحديثة في هذا الشأن ؟

إن بنية المجتمع الراهنة - وهذا امر معترف به حالياً بصورة عمومية -

هي من صنع الطبقة الحاكمة حالياً ، اي البورجوازية . وان اسلوب الانتاج الخاص بالبورجوازية ، المعروف منذ ماركس بالاسلوب الرأسمالي في الانتاج ، قد كان متنافراً مع الامتيازات المحلية وامتيازات المراتب ، وكذلك مع الروابط الشخصية المتبادلة الخاصة بالنظام الاقطاعي . ان البورجوازية قد حطمت النظام الاقطاعي وشيدت على خرابه النظام الرأسمالي للمجتمع ، مملكة المنافسة الحرة ، والحرية الشخصية ، والمساواة بين سائر اصحاب السلع امام القانون ، وجميع البركات الرأسمالية الباقية . ومتدلياً ففسد أصبح في مقدور الاسلوب الرأسمالي في الانتاج أن يتطور بكل حرية .

وما دام البخار ، والآليات ، وصناعة الآلات بواسطة الآليات ، قد حولت المانيفاكتورة الى صناعة حديثة ، فان القوى الانتاجية المتولدة تحت توجيه البورجوازية قد تطورت بسرعة وبدرجة لم يسبق لها مثيل . لكنه كما ان المانيفاكتورة القديمة ، والصناعة اليدوية التي نمت وتطورت اكثر فآكثرت تحت تأثيرها ، قد اصطدمت في حينه بالعوائق الاقطاعية للنقابات الحرفية ، كذلك اصطدمت الصناعة الحديثة الآن ، في تطورها الاكثر كمالاً ، بالحواجز التي يعبسها ضمنها الاسلوب الرأسمالي في الانتاج . لقد تجاوزت القوى الانتاجية الجديدة الاسلوب الرأسمالي في استخدامها ، وليس هذا النزاع بين القوى الانتاجية وأساليب الانتاج بالنزاع المتولد في ذهن الانسان ، كما هي حال النزاع بين الخطيئة الاصلية والعدالة الالهية . إنه موجود في الحقيقة بصورة موضوعية ، خارجاً عنا ، وبصورة مستقلة عن ارادة وافعال حتى اولئك الذين جلبوه . وليست الاشتراكية الحديثة سوى انعكاس هذا النزاع الواقعي في فكر الانسان ، انعكاسه على شكل الافكار ، قبل كل شيء في اذهان الطبقة التي تمناني منه بصورة مباشرة ، اعني الطبقة العاملة .

ف. انجلز : انتي - دوهرنغ ، منشورات دار

دمشق ، ص : ٢٢١ - ٢٢٢ .

العلاقة بين الشيوعية العلمية ونضال البروليتاريا الطبقي .

ليست الشيوعية عقيدة ، بل حركة : انها لا تنطلق من المبادئ ، بل من حقائق . وليست مقدمة الشيوعيين المنطقية هذه الفلسفة او تلك ، بل مجرى التاريخ السابق برمته ، وبصورة أدق خاتمته الفعلية الحالية في البلدان المتحضرة . إن الشيوعية نتيجة للصناعة الكبرى ولتواجها التي هي تشكل السوق العالمية وما يترتب عليها من منافسة لا لجام لها ؛ والازمات التجارية التي تصح اعنف وأعم أبداً ، وقد باتت منذ الآن أزمات حقيقة للسوق العالمية ؛ وتكوّن البروليتاريا وتمركز الراسمال ، والنضال الطبقي المترتب على ذلك بين البروليتاريا والبورجوازية . وبقدر ما تكون الشيوعية نظرية ، فانها التعبير النظري عن موقف البروليتاريا في هذا النضال والتعميم النظري لشروط تحرر البروليتاريا .

د. انجلز : الشيوعيون وكارل هاينزن ، مؤلفات
ماركس - انجلز ، برلين ، المجلد الاول ، ص :
٢٢١ - ٢٢٢ .

إن الاشتراكية الحديثة هي ، في جوهرها ، النتاج المباشر من جهة واحدة لوعي التناحرات الطبقيّة القائمة في المجتمع الحالي بين الملاكين وغير الملاكين ، الراسماليين والعمال المأجورين ، ومن جهة ثانية لوعي الفوضى القائمة في الانتاج ، بيد أن الاشتراكية الحديثة في شكلها النظري تبدو في الاصل ، ظاهريا ، كامتداد أكثر منطقيا للمبادئ التي وضعها الفلاسفة الفرنسيون الكبار للقرن الثامن عشر . وكان من المحتم على الاشتراكية الحديثة باديء الامر ، مثلها مثل أية نظرية جديدة ، أن ترتبط بالبضاعة الفكرية المتوفرة لديها ، مهما كانت جذورها عميقة في الحقيقة الاقتصادية .

د. انجلز : الاشتراكية الطوبوية والاشتراكية
العلمية ، في كارل ماركس وفريدريك انجلز :
المؤلفات المختارة ، في مجلدين ، منشورات التقدم ،
موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ٤٢١ .

إن وضع الطبقة العاملة هو الأساس الفعلي الذي صدرت عنه جميع الحركات الاجتماعية الحالية لأنه في الوقت نفسه الحد الأخير والتظاهرة الأوضح للوضع الاجتماعي الحالي البائس . وأن الشيوعيتين العماليتين الفرنسية والألمانية هما نتيجته المباشرة ، ومذهب فوريه ، والاشتراكية الإنكليزية ، وكذلك شيوعية البورجوازية الألمانية المثقفة، نتيجته غير المباشرة . إن معرفة شروط حياة البروليتاريا هي ضرورة مطلقة إذا شئنا أن نضمن أساساً متيناً للنظريات الاشتراكية ، وكذلك للأحكام عن شرعيتها ، وأن نضع حداً لجميع الهذيان والتوهّمات الأسطورية المؤيدة أو المعارضة .

ف. انجلز : أوضاع الطبقة الكادحة في انكلترا ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٢١ .

لم تصبح الإحلام الاشتراكية نضالاً اشتراكياً يخوضه ملايين البشر الا يوم وحدثت اشتراكية ماركس العلمية الاتجاهات الإصلاحية النزعة مع نضال طبقة معينة . أن الاشتراكية ، خارج نضال الطبقات ، لاتعدو كونها جملة فارغة أو حلماً مريضاً .

ف. لينين : الاشتراكية البورجوازية الصغيرة والاشتراكية البروليتارية ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد التاسع ، ص : ٤١٢ .

ان الانفصال بين الحركة العاملة والاشتراكية قد أدى الى ضعفهما وتخلفهما معاً : ان المذاهب الاشتراكية التي لم تنصهر مع النضال العمالي قد ظلت بكل بساطة طوباويات ، وتمنيات نقية دون تأثير في الحياة الواقعية ؛ ان الحركة العاملة قد ظلت اذن متمحورة على تفاصيل ، مجزأة ، ولم تكتسب أهمية سياسية ، ولم تستضئ بنور العلم الطليعي لزمانها . وهكذا يتبين لنا ان اتجاهاً متزايد الشدة نحو صهر الاشتراكية والحركة العاملة في قلب حركة اشتراكية - ديموقراطية وحيدة قد تظاهر في جميع البلدان الأوروبية . وفي أعقاب هذا الانصهار ، يصبح نضال العمال الطبقي

فصلاً واعياً للبروليتاريا في سبيل التحرر من الاستغلال الذي تعاني منه
من قبل الطبقات المالكة . وفي الوقت نفسه ، ينضج شكل أعلى للحركة
العاملة الاشتراكية : **الحزب العمالي الاشتراكي - الديمقراطي المستقل** .
ان توجيه الاشتراكية نحو الانصهار مع الحركة العاملة هو الفضل الرئيسي
لكارل ماركس وفريدريك إنجلز : لقد خلقا نظرية ثورية اوضحت ضرورة
هذا الانصهار وجعلت من واجب الاشتراكيين تنظيم نضال البروليتاريا
الطبقي .

ف. لينين : حركة دمجية في الاشتراكية -
الديموقراطية الروسية ، المؤلفات الكاملة ،
باريس موسكو ، المجلد الرابع ، ص : ٢٦٢-٢٦٤ .

كارل ماركس وفريدريك إنجلز ، مؤسس الشيوعية العلمية :

في مانشستر بينت ، باوضح طريقة ، أن الوقائع الاقتصادية التي لم
يعز لها المؤرخون حتى ايماننا هذه سوى دور ثانوي ، هذا حين كانوا يعزون
اليها دوراً ما ، تشكل في العالم الحديث على الاقل قوة تاريخية حاسمة ؛
انها تشكل الاساس الذي ترتفع عليه التناقضات الطبقيّة الحالية ؛ وان
هذه التناقضات الطبقيّة ، على الاقل في البلدان حيث هيأت الصناعة
الكبرى لها ملء الازدهار ، وبالتالي في انكلترا بصورة خاصة ، تشكل بدورها
الاساس من اجل تشكل احزاب سياسية ، ونضالات حزبية ، وبنتيجة ذلك
من اجل كل التاريخ السياسي . ولم ينته ماركس الى نفس الفكرة فحسب ،
بل لقد عممها أيضا في **التحويلات الالمانية الفرنسية** ، منذ عام ١٨٤٤ ، وبين
ان الدولة ليست هي التي تشرط وتنظم المجتمع البورجوازي على العموم ،
بل المجتمع البورجوازي هو الذي يشرط الدولة وينظمها ، وأنه يجب بالتالي
ان نفسر السياسة والتاريخ بالشروط الاقتصادية وتطورها وليس العكس
من ذلك .

لكن هذا الاكتشاف الذي يقرب العلم التاريخي والذي هو ، كما يتبين لنا ، من عمل ماركس بصورة جوهرية ، والذي لا يستطيع أن اعزولنفسى سوى حصة زهيدة جدا منه ، قد كان ذا أهمية مباشرة من أجل الحركة العاملة في ذلك العصر . ان الشيوعية عند الفرنسيين والامان ، وحركة الميثاق عند الانكليز ، لم تعودا تتسمان بمظهر الشيء العرضي الخالص الذي كان وجوده وعدم وجوده سواء في الامكانية . فاعتبارا من تلك الآونة ، أصبحت هاتان الحركتان تمثلان على انهما حركة للطبقة المضطهدة في الازمنة الحديثة ، ألا وهي البروليتاريا ، على انهما الشكلان الاكثر او الاقل تطورا للنضال التاريخي الضروري الذي تخوضه البروليتاريا ضد الطبقة الحاكمة التي هي البورجوازية ؛ على انهما شكلان للنضال الطبقي ، لكنهما يختلفان عن جميع النضالات الطبقة القديمة بهذه النقطة الخصوصية : ان الطبقة المضطهدة الحالية ، البروليتاريا ، لا يمكن أن تحقق تحررها دون أن تحرر في الوقت نفسه المجتمع بأسره من الانقسام الى طبقات ، وبنتيجة ذلك دون تحريره من النضال الطبقي . ولم يعد المقصود من الشيوعية بعد الآن بناء مثل اعلى اجتماعي كامل قدر الامكان بواسطة جهد تبذله المخيلة ، بل تفهم طبيعة النضال الذي تخوضه البروليتاريا ، وشروطه ، واغراضه العامة الملائمة .

بيد ان نيتنا لم تكن في حال من الاحوال ان نهتم بهذه النتائج العلمية الجديدة في اذان العالم العالم عن طريق المجلدات الضخمة . ان الامر على التقيض من ذلك . لقد كان كلانا قد انخرط عميقا ، بصورة مسبقة ، في الحركة السياسية ، وكان لنا عدد من الانصار بين المثقفين ، وبصورة خاصة في شرقي المانيا ، وكنا على احتكاك عريض بالبروليتاريا المنظمة . وكان واجبا علينا ان نمنح مفهومنا اساسا علميا . لكنه لم يكن اقل أهمية بالنسبة اليانا ان نكسب الى قناعتنا البروليتاريا الاوروبية ، ابتداء من البروليتاريا الالمانية . وما أن أوضحنا جميع الامور حتى انهمكنا في العمل .

د . انجلر : بضع كلمات عن تاريخ هسبة

الشيوعيين ، في كارل ماركس وفريدريك انجلز ،
المؤلفات المختارة ، في مجلدين ، منشورات التقدم ،
موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ٢٧٢ - ٢٧٥ .

اننا نقف كليا على ارض نظرية ماركس ، فقد كانت سبابة الى تحويل
الاشتراكية من الطوبوية التي كانت عليها السى علم ، والسى وضع أسسها
الوطيدة ، والسى رسم الطريق الواجب سلوكها بتطويرها قدما وانضاجها في
جميع تفاصيلها . لقد فضحت طبيعة الاقتصاد الرأسمالي الحديث بايضاحها
كيف ان العمل المأجور ، شراء قوة العمل ، يخفي استبعاد الملايين من
غير الملاكين من قبل قبضة من الراسماليين ، والملاكين المقاريين ، وأصحاب
العامل ، والناجم ، الخ . ولقد بينت كيف أن تطور الراسمالية الحديثة
برمته يتجه نحو تنحية الانتاج الصغير من قبل الانتاج الكبير ويخلق الشروط
التي تجعل من الممكن ومن الضروري تنظيم المجتمع اشتراكيا . ولقد علمتنا
ان نميز ، خلف ستر العادات المتأصلة ، والمكائد السياسية ، والقوانين
المراوغة ، والمذاهب الماكرة ، صراع الطبقات ، الصراع الذي يجابه مختلف
الطبقات المالكة بكتلة غير المالكين ، بالبروليتاريا التي هي على رأس جميع
غير المالكين . ولقد اوضحت المهمة الحقيقية لحزب اشتراكي ثوري ، هذه
المهمة التي لا تستقيم في ابتداء خطط لاعادة تنظيم المجتمع ، أو في تبشير
الراسماليين وأجرائهم بتحسين مصير العمال ، أو في حيك المؤامرات ، بل
تستقيم في تنظيم نضال البروليتاريا الطبقي وقيادة هذا النضال الذي هدفه
الاخير هو الاستيلاء على السلطة السياسية من قبل البروليتاريا وتنظيم
المجتمع الاشتراكي .

د. لينين : برنامجنا ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الرابع ، ص : ٢١٦-٢١٧ .

لقد كان ماركس وانجلز أول من اوضحا ، في مؤلفاتهما العلمية ، أن
الاشتراكية ليست وهما ، بل الهدف الاخير والنتيجة الضرورية لتطور

ف. لينين : فريدريك انجلز ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ١٣ .

اعداد نظرية الشيوعية العلمية في الكتابات الاولى لماركس وانجلز

في المجتمع الشيوعي ، حيث مصالح الافراد لا تتعارض ، بل هي متحدة ، تتلاشى المنافسة . ومن المؤكد انه لن تثار مسألة دمار الطبقات المختلفة ، ولا مسألة الطبقات بصورة عامة ، مثل الاغنياء والفقراء في الايام الراهنة . ان التملك الخاص في الانتاج وتوزيع الخيرات الضرورية من اجل الحياة سيتلاشيان ، وكذلك طموح الفرد الى الثراء في ملء الاخطار التي يتعرض لها ، كما ان الازمات التجارية سوف يتم القضاء عليها هي الاخرى ، وسوف يكون من السهل في المجتمع الشيوعي اجراء حساب الانتاج والاستهلاك على حد سواء . فاذا ما عرف مرة كم يستهلك الفرد وسطيا ، فانه لامر بسيط جدا ان يحسب كم يستهلك عدد معين من الافراد ، وبما ان الانتاج لن يكون بين ايدي معلمين خاصين ، بل بين ايدي الجماعية وادارتها ، فلن يكون من العسير ضبط الانتاج وفقا للحاجات

ف. انجلز : خطاب البرفيلد ، ماركس - انجلز ،
المؤلفات الكاملة ، برلين ، المجلد الثاني ،
ص : ٥٣٩ .

... في الحضارة الحالية ، التي هي في حالة الحرب ، يلفظ تقدم الحضارة التعبير العنيف عن الاهواء . لشد ما سوف يكون ذلك اسهل عليه في المجتمع الشيوعي المسالم ! ان الجرائم ضد الملكية ستتلاشى من تلقاء ذاتها هناك حيث سيحصل كل فرد على ما يلزم من اجل تلبية حاجاته الحكيمة والروحانية ، وحيث سوف تسقط الحواجز وتتلاشى الفوارق الاجتماعية . وسوف يختفي القضاء الجنائي من تلقاء ذاته ، كما سوف يختفي القضاء المدني الذي يكاد اهمامه ان يقتصر على علاقات الملكية ، او

على الأقل العلاقات التي تفترض مسبقاً حالة الحرب الاجتماعية : ان
الخلافات التي هي حالياً الثمرة الطبيعية للمدء العام لن تكون سوى
استثناءات نادرة اذن ، ويمكن تسويتها بالتحكيم بكل سهولة . وان حالة
الحرب الدائمة هي أيضاً ، في العصر الراهن ، مصدر نشاط الاجهزة
الادارية : والشرطة والادارة بأسرها انما تعنيان بان تظل الحرب في حالة
كمون ، حرباً غير مباشرة ، فلا تستحيل الى عنف مكشوف ، الى جريمة .
لكن اذا كان من الاسهل بما لا يقاس الحفاظ على السلم من فرض حدود
معينة للحرب ، فانه من الاسهل كذلك بما لا يقاس ادارة مجتمع شيوعي
من إدارة مجتمع تسود المنافسة فيه . واذا كانت الحضارة قد علمت منذ الآن
البشر ان يبحثوا عن مصلحتهم في الحفاظ على النظام العام ، والامن العام ،
والمصلحة العامة ، وان يجعلوا بذلك الشرطة والادارة والقضاء نافذة جميعاً
قدر الامكان ، فما أحرى أن تكون تلك هي الحال في مجتمع حيث نصبت
جماعية المصالح مبداً أساسياً ، وحيث المصلحة العامة لا تختلف مطلقاً عن
مصلحة كل فرد على حده ! ان ما هو موجود منذ الآن وغداً عن المؤسسات
العامة سوف يتخذ سعة أعظم كثيراً حين تساهم المؤسسات العامة فيه
بدلاً من معارضته ! . . .

وان احدى المؤسسات الاكثر كلفة التي لا يستطيع المجتمع الحالي
الاستغناء عنها هي الجيوش الدائمة التي تحرم الامة من القسم الاشد
عنفواناً والاعظم منفعة من السكان ، وتلزمها بأن تطعم هذا القسم الذي
بات هكذا غير منتج . واننا لنعرف من ميزانيتنا الخاصة ما يكلفنا اياه
الجيش الدائم : أربعة وعشرون مليوناً في العام وانحراف انتاج اربعمائة
الف من الايدي العاملة الاشد قوة . ولن يفكر انسان قط في الجيش الدائم
في المجتمع الشيوعي . وما فائدته على أي حال ؛ للحفاظ على أمن البلاد
الداخلي ؟ لكن احداً لن يخطر له - كما رأينا من قبل - أن يعكر صفو الامن
الداخلي . ذلك ان الخوف من الثورة ليس سوى نتيجة تعارض المصالح ؛

وحيث تتطابق مصالح الجميع لا يمكن أن يكون ثمة مكان لمثل هذا الخوف .
لحرب من الفتوحات ؟ لكن كيف يمكن لمجتمع شيوعي أن يخطر له القيام
بحرب من الفتوحات ، هو الذي يعرف حق المعرفة أنه لن يجني سوى
خسارة الرجال والرساميل في الحرب ، بينما لن يفزوا على الأكثر سوى
بضعة أقاليم ناقمة سوف تكون اذن عنصر شغب بالنسبة الى النظام
الاجتماعي . لحرب دفاعية ؟ لن يكون في حاجة الى جيش دائم لهذا الغرض ،
لأنه سيكون من السهل تدريب جميع أعضاء المجتمع الصالحين للحرب على
استعمال الاسلحة ، بصورة متوازية مع مشاغلهم الأخرى ، وذلك بقدر
ما يكون هذا التدريب ضروريا من أجل الدفاع عن البلاد وليس من أجل
الاستعراضات . وخذوا بعين الاعتبار الى جانب ذلك انه في حالة نشوب
حرب من المفروغ منه انها لا يمكن أن تنشب الا ضد امم مناهضة الشيوعية ،
فان أعضاء مثل هذا المجتمع سوف يقومون بواجب الدفاع عن وطنهم
الحقيقي ، عن بيتهم **الحقيقي** ، وهم نتيجة ذلك سوف يقاتلون بحماسة ،
وعناد ، وأقدام لا بدّ للتدريب الآلي للجيش الحديث أن يتطاير حياها مثل
الذرارة ...

وان تبديدا للقوى البشرية اسوا من ذلك كثيرا يستقيم ، في المجتمع
الحالي ، في الطريقة التي يستثمر الاغنياء بها وضعهم الاجتماعي . ولا
أريد البتة أن أتحدث هنا عن ذلك الترف العديم الجدوى والسخيف بكل
صراحة الذي مصدره الوحيد جنون التظاهر والذي يحرف عددا كبيرا من
الايدي العاملة . لكن هلا دخلتم في يوم من الايام بيت احد الاغنياء ، هذا
البيت الذي هو حرّم له ، وهلا أخبرتموني اذا لم يكن من قبيل التبذير
الاكثر جنونا لقوة العمل جعل عدد كبير من الناس في خدمة رجل واحد ،
وهم يمضون يومهم في التواني ، او على الاكثر في انفاذ أعمال تعود ضرورتها
الى عزلة كل واحد بين جدران الاربعة . ماذا يفعل على العموم جميع
هؤلاء الوصيفات ، والطاهيات ، والخدم ، والحوذيين ، والعمال اليدويين ،
والبستانيين ، الخ ؟ ما اقل تلك اللحظات من النهار التي يستعملونها في

جعل الحياة لذيدة حقا لاسيادهم ، وفي تسهيل التطور الطليق والاستخدام العملي لصفاتهم ومواهبهم الفطرية ، وما أكثر تلك الساعات من النهار التي ينشغلون فيها بأعمال انما تنجم عن التنظيم السيء لعلاقاتنا الاجتماعية : انهم ينصبون في مؤخرة العربة ، ويرضخون لاهواء اسيادهم المتقلبة ، ويجرجرون خلعهم كلابهم الصغيرة ، ويقومون بوظائف اخرى لا تقل عن ذلك سخفا . أما في المجتمع المنظم بصورة عقلانية ، حيث يستطيع كل امرئ ان يحيا دون ان يرضح لاهواء الاغنياء المتقلبة ودون أن يبتدع لنفسه أهواء متقلبة خاصة ، في هذا المجتمع يمكن بكل تأكيد لقوة العمل المبددة حاليا في خدمة الترف أن تستخدم من أجل الصالح العام ومن أجل خير الشفيلة انفسهم .

ومن جهة اخرى ، فان تبديد اليد العاملة في المجتمع الحالي نتيجة مباشرة للمنافسة التي تخلق عددا كبيرا من العاطلين عن العمل : أن هؤلاء يودون تماما أن يشتغلوا لكنهم لا يستطيعون ان يجندوا عملا . وبما ان المجتمع لم ينظم بالضبط بحيث يأخذ بعين الاعتبار استخدام اليد العاملة استخداما فعليا ، طالما انه يترك لكل امرئ أن يبحث بنفسه عن وسائل معيشته ، فانه يترتب على ذلك بصورة طبيعية تماما أن توزيع المهمات النافعة فعليا او ظاهريا يترك عددا كبيرا من العمال دون عمل . ويصح هذا الامر أكثر فأكثر بقدر ما يدفع النضال التنافسي كل امرئ الى بدل أضخم الجهود ، والى انتهاز جميع الفرس التي تسنح له كي يستميض عن اليد العاملة الغالية بيد عاملة رخيصة ، الامر الذي يسهله تطور الحضارة اكثر فأكثر ؛ او بكلام آخر ، لا بد لكل امرئ ان يسعى جهده كي يحرم الآخرين من مورد الرزق ، وكي يحتل مكانهم بهذه الطريقة أو تلك . وهكذا يوجد في كل مجتمع متحضر عدد كبير من العاطلين عن العمل الذين يريدون بكل طيبة خاطر أن يعملوا لكنهم لا يجدون عملا ، وهذا المدد أعظم مما يحسب الناس على العموم . وهكذا نجد هؤلاء الناس يتفرون بهذه الطريقة او تلك : انهم يتسولون ، ويكنسون الطرقات ، ويقفون الساعات الطوال

في انتظار أي عمل ، ويسدون رمتهم بجهد جهيد بقيامهم بمختلف الخدمات العارضة ، وينقلهم مختلف أنواع البضائع التافهة ، أو كما رأينا هذا المساء بالنسبة التي بعض الفتيات البائسات اللاتي يجتزن الطرقات حاملات قيثارة ، يعزفن ويفنن لقاء بعض المال ، وهن ملزمات باحتمال الاهانات والعروض الجارحة في سبيل كسب دراهم قليلة . واخيرا ، كم منهن ينتهين ضحايا العهر بكل معنى الكلمة ؟ ان عدد العاطلين عن العمل الذين لم يبق لهم مجال آخر سوى التمهر بهذا الشكل أو ذاك لكبير جدا - وان مؤسساتنا الخيرية تستطيع ان تطلعنا على الشيء الكثير في هذا المجال ، ولا تنسوا ان المجتمع يطعم بهذه الطريقة أو تلك هؤلاء الناس بالرغم من عدم فائدتهم . لكن ما دام من واجب المجتمع أن يتحمل تكاليف اطعامهم ، فان من واجبه أيضا ان يعنى بأن يكسب هؤلاء العاطلون خبزهم بصورة شريفة . بيد ان هذا ما لا يستطيع ان يفعله المجتمع الحالي حيث تسود المنافسة .

ايها السادة ، اذا ما تأملتم جيدا في كل ما سبق - وان في مقدوري ان اورد عددا لا يحصى من الوقائع الاخرى التي تبين كيف يبدد المجتمع الحالي قوى عمله - اذا ما تأملتم جيدا في هذه الامور جميعا ، تبين لكم ان المجتمع يملك بفرارة قوى انتاجية لا تنتظر سوى تنظيم عقلاني وتوزيع ملائم كي تعمل بصورة تعود على الجميع بمغظيم الفائدة . وعندئذ يمكن ان تتحققوا من ان ذلك الخوف من ان يجد كل امرئ ، في حال توزيع ملائم للنشاط الاجتماعي ، ان مهمة ثقيلة جدا تقع على عاتقه بحيث تحظر عليه أي اهتمام آخر ، هو خوف عديم الاساس البتة . ان في استطاعتنا ان نفترض ، على العكس من ذلك ، ان اللجوء الى اليد العاملة غير المستخدمة او المستخدمة بصورة رديئة في الوقت الحاضر سوف يختصر ، بفضل مثل ذلك التنظيم ، نصف زمن العمل المطلوب حاليا من كل فرد .

ومهما يكن من امر ، فان المحسنات التي يوفرها تنظيم المجتمع تنظيميا شيوعيا من جراء استخدام قوى العمل المبددة حاليا ليست باهم المحسنات

اطلاقاً . إن أكبر اقتصاد لليد العاملة يستقيم في توحيد القوى المنزلة في قوة جماعية للمجتمع وفي تنظيم يرتكز على هذا التمرکز للقوى التي كانت متعارضة حتى ذلك الحين .

ف. انجلز : خطاب البريفيد ، ماركس - انجلز ،
المؤلفات الكاملة ، برلين ، المجلد الثاني ، ص :
٥٤١ - ٥٤٣ .

تتميز الشيوعية من جميع الحركات التي سبقتها حتى الآن في أنها تقلب قاعدة جميع علاقات الإنتاج والتداول الخاصة بالماضي وفي أنها تعالج للمرة الأولى بصورة واعية جميع الشروط الطبيعية المسبقة على أنها من صنع البشر الذين سبقونا حتى الآن ، وتنزع عنها طابعها الطبيعي وتخضعها لقدرة الأفراد المتحدين . إن تنظيمها اقتصادي جوهراً ، وهي الخليفة المادية لشروط هذا الاتحاد ؛ إنها تجعل من الشروط القائمة شروط الاتحاد . إن الخلق الدائم للشيوعية هو على وجه الدقة الأساس الواقعي الذي يجعل كل ما هو موجود بصورة مستقلة عن الأفراد أمراً محالاً - وذلك على أي حال بقدر ما يكون هذا الشيء الموجود ، بصورة خالصة وبسيطة ، نتاجاً للعلاقات القائمة بين الأفراد حتى هذا الحين .

ك. ماركس و ف. انجلز : الإيديولوجية الألمانية ،
النشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٦٦ .

... إن الصناعة الكبرى واتساع الإنتاج بصورة لا متناهية ، هذا الاتساع الذي أصبح ممكناً بفضلها ، يتيحان خلق نظام اجتماعي يتم فيه إنتاج قدر كبير من وسائل المعيشة بحيث يكون لكل عضو في المجتمع ، من الآن فصاعداً ، إمكانية تطوير وتشغيل قواه وإمكاناته المخصوصة بحرية ، بحيث أن هذه الخاصة بالذات التي تتسم بها الصناعة الكبرى التي تخلق البؤس وجميع الأزمات التجارية في المجتمع الحالي سوف تفضي ، في تنظيم اجتماعي آخر ، على ذلك البؤس وهذه الأزمات .

ف. انجلز : مبادئ الشيوعية ، مكتب النشر والتوزيع والدعاية ، باريس : ص : ٢٠ .

الفصل الثالث

الثورة الاجتماعية

التحرك في اتجاه الاشتراكية هو مضمون العصر العظمي

ان إلغاء الرأسمالية وبقاياها ، وإقامة قواعد النظام الشيوعي ، يشكلان مضمون العصر الجديد من التاريخ العمومي الذي بدأ لتوه . وان شعارات عصرنا هي ويجب أن تكون بصورة محتومة كما يلي : إلغاء الطبقات ، و دكتاتورية البروليتاريا من أجل تحقيق هذا الهدف . . .

ف. لينين : بمناسبة الصراع داخل الحزب الاشتراكي الإيطالي ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٤٠٧ .

إن الوضع الموضوعي مختلف اليوم بالنسبة إلى أكبر الدول المتقدمة في أوروبا . فلا يمكن للتقدم - إذا ما أخذنا في حسابنا بعض الانتكاسات الطارئة المؤقتة - أن يتحقق إلا في اتجاه المجتمع الاشتراكي ، في اتجاه الثورة الاشتراكية .

ف. لينين : بمناسبة كراسة جونيوس ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والعشرون ، ص : ٢٤٠ .

الطابع الحتمي تاريخياً للثورة الاشتراكية

منذ حول البخار والماكينية الجديدة المانيفاكتورة القديمة إلى صناعة

حديثه ، فان القوى الانتاجية المعدة تحت توجيه البورجوازية قد تطورت بسرعة وبدرجة لم يسبق لهما مثيل . لكنه كما أن المانيافاكتورة القديمة ، والصناعة اليدوية التي نمت وتطورت اكثر فاكثرت تأثيرها ، قد اصطدمتا في حينه بالموانق القطاعية للنقابات الحرفية ، كذلك اصطدمت الصناعة الآن ، حين تطورت بصورة اكمل ، بالحواجز التي يحبسها ضمنها الاسلوب الراسمالي في الانتاج ...

والآن ، ما هي مقومات هذا النزاع ؟

قبل الانتاج الراسمالي ، يعني في العصور الوسطى ، كان نظام الانتاج الصغير السائد بصورة عامة يقوم على أساس ملكية الشغيلة الخاصة لوسائل التاجهم : في الريف زراعة الفلاح الصغير ، اكان حرا أم رقاً ، وفي المدن الحرف اليدوية . وكانت ادوات العمل - من ارض ، وآلات زراعية ، وورشات ، وعدة - هي وسائل عمل اشخاص فرادى ، مكيفة من اجل استخدامها من قبل عامل واحد ، وبالتالي فقد كانت بالضرورة صغيرة ، قزمة ، محدودة . بيد انها كانت تخص ، لهذا السبب عينه ، المنتج شخصيا بصورة عامة . وكان تركيز وسائل الانتاج المحدودة والمبعثرة هذه ، وتوسيعها وتحويلها الى الرافعات الجبارة الخاصة بالانتاج في ايامنا الحاضرة ، هو بالضبط الدور التاريخي الخاص بالانتاج الراسمالي وبدعامته، اي البورجوازية . ولقد اوضح ماركس مفصلا في القسم الرابع من **راس المال** كيف ان ذلك قد تحقق تاريخيا منذ القرن الخامس عشر خلال المراحل الثلاث من التعاون البسيط ، والمانيافاكتورة ، والصناعة الحديثة . بيد ان البورجوازية ما كانت تستطيع ، كما هو مبين هناك ايضا ، ان تحول هذه الوسائل النافهة للانتاج الى قوى انتاجية جبارة دون ان تحولها في الوقت نفسه من وسائل انتاج خاصة بالفرد الى وسائل اجتماعية للانتاج لا يمكن تشغيلها الا من قبل مجموعة بشرية . ولقد استبدل دولاب الغزل ، والنول اليدوي ، ومطرقة الحداد ، بآلة الغزل ، والنول الآلي ، والمطرقة

البخارية ، كما استبدلت الورشة الفردية بالمعمل الذي يتطلب تشغيل
المئات والآلاف من الشغيلة . ولقد تبدل الإنتاج نفسه ، بطريقة نمائلة من
سلسلة من الأفعال الفردية الى سلسلة من الأفعال الاجتماعية ، كما تبدلت
المنتجات من منتجات فردية الى منتجات اجتماعية . ان خيوط الغزل ،
والثياب ، والسلع المعدنية التي تخرج من المعامل الآن قد أصبحت المنتج
المشترك لعمال عديدين لا بد لتلك السلع ان تمر بصورة متتالية بين أيديهم
قبل ان تصبح جاهزة للاستعمال . ولم يكن في مقدور أي شخص فرد ان
يقول عنها : « أنا صنعت هذا الشيء ، وهو من انتاجي » .

لكنه حيث يكون الشكل الاساسي للإنتاج ، في أي مجتمع محدد ، هو
ذلك التقسيم العفوي للعمل ، الذي يتسلل بصورة تدريجية من دون أية
خطة موضوعة بصورة مسبقة ، فان المنتجات تتخذ هنالك شكل **البضائع**
التي تمكن مبادلتها ، شراؤها وبيعها ، المنتجين الفرادى من ارضاء حاجاتهم
المتعددة . وتلك كانت الحال في العصور الوسطى . فقد كان الفلاح مثلا
يبيع الصانع منتجات زراعية ويبتاع منه منتجات الحرفة اليدوية . ولقد
جاء الاسلوب الجديد في الإنتاج يندس في هذا المجتمع من المنتجين الفرادى،
من منتجي السلع . واذا تقسيم العمل **وفقا لخطة مصعدة** ، كما هو منظم
في المصنع ، يقوم في قلب التقسيم القديم للعمل ، الناشيء عفويا **ومن دون**
اية خطة مصعدة ، وهو التقسيم الذي ساد المجتمع باسره . واذا الإنتاج
الاجتماعي يظهر جنبا الى جنب مع الإنتاج **الفردى** . وكانت منتجات
الانتاجيين جميعا تباع في السوق نفسها ، وبالتالي بأسعار هي على أقل
تعديل متساوية بصورة تقريبية . بيد ان التنظيم المنهج للعمل كان اقوى من
تقسيمه العفوى ، بحيث كانت المعامل المشتغلة بالقوى الاجتماعية المتشاركة
لجماعة من الافراد تنتج سلعا بصورة أبخس بما لا يقاس من المنتجين
الصفار الفرادى . وسقط الإنتاج الفردي في جناح بعد آخر ، كما قلب
الإنتاج الاجتماعي بصورة ثورية سائر طرق الإنتاج القديمة . بيد أن صفته
الثورية لم تكن في الوقت ذاته على شيء كبير من اوضوح ، بحيث انه ادخل،

على النقيض من ذلك ، بوصفه وسيلة من اجل زيادة انتاج البضائع وتطويره .
وحين قام هذا الانتاج ، فقد وجد بعض الآليات جاهزة من اجل انتاج
البضائع ومبادلتها فاستخدمها بمطلق الحرية : الراسمال التجاري ،
والحرف اليدوية ، والعمل المأجور . ولما فرض الانتاج الاجتماعي نفسه
على هذا الفرار بوصفه شكلا جديداً من الانتاج التجاري ، فقد كان امرا
مفروغا منه ان اشكال الاستملاك القديمة للانتاج التجاري ستظل سارية
المفعول بالنسبة اليه أيضا .

وما كان يمكن لمسالمة صاحب منتج العمل ان تثار في المرحلة الوسيطة
من تطور الانتاج التجاري . ان المنتج الفردي هو الذي صنعه - وتلك هي
القاعدة - من مواد خام تخصه ، وهي على العموم من صنعه شخصيا ، بواسطة
أدواته الخاصة ، ويعمل يديه الخاصتين او ايدي أسرته . وما كانت الحاجة
تمسه الى استملاك المنتج الجديد ، فقد كان امرا مفروغا منه ان هذا المنتج
يخصه كليا . وبالتالي فقد كانت ملكيته للمنتج تقوم على أساس عمله الشخصي .
وحتى حين كان يستخدم بعض العون الخارجي ، فقد كان العون على
العموم امرا غير ذي بال ، كما انه كان يحصل في كثير من الحالات على بعض
التعويض الآخر بالإضافة الى الاجور . لقد كان الاجراء والمياومون التابعون
للنقابات الحرفية يشتغلون طلبا للتعلم بالاحرى من الغذاء والاجور ، وذلك
كيما يستطيعون ان يصيروا هم انفسهم معلمين حرفيين .

وعندئذ جاءت مركزة وسائل الانتاج في ورشات كبرى ومانيفاكتورات ،
وتحولها الى وسائل انتاج اجتماعية بالفعل . بيد أن وسائل الانتاج ومنتجاتها
كانت تعامل بعد ، بعد هذا التحول ، بالضبط مثلما كانت تعامل من قبل ،
يعني على اعتبارها وسائل للانتاج ومنتجات خاصة بالافراد . ولقد كان
صاحب أدوات العمل ، حتى ذلك الحين ، يستملك المنتج هو نفسه ، لأن
هذا المنتج كان على العموم منتجه الخاص ، وكانت مساعدة الآخرين تشكل
استثناء لهذه القاعدة . أما الآن فان صاحب أدوات العمل يستملك بصورة

دائمة المنتج على الرغم من انه لم يعد بعد الآن منتجه ، بل هو منتج عمل الآخرين وحدهم . وهكذا فان المنتجات التي تنتج اجتماعيا الآن لا تستملك من قبل اولئك الذين يسيرون بالفعل وسائل الانتاج وهم ينتجون السلع بصورة فعلية ، بل من قبل الراسماليين . ان وسائل الانتاج، والانتاج نفسه، قد صيرت اجتماعية في جوهرها . لكنها كانت خاضعة لشكل من الاستملاك يفترض الانتاج الخاص للأفراد حيث كل امرئ يملك اذن منتجه الخاص ويطلبه الى السوق . ولقد اخضع اسلوب الانتاج لهذا الشكل من الاستملاك، وذلك على الرغم من ابطاله شروطه المسبقة . . .

ان هذا التناقض ، الذي يضيف على الاسلوب الجديد في الانتاج صفته الراسمالية ، يحتوي على بذرة جميع التضادات الاجتماعية الطالية . وبقدر ما كانت سيادة الاسلوب الجديد في الانتاج على سائر الحقول الحاسمة للانتاج والبلدان الحاسمة من وجهة النظر الاقتصادية تتعاضد ، وبقدر ما كانت ترجع اكثر فأكثر الانتاج الفردي الى مجرد فضلة تافهة ، فقد كان يتضح بصورة متزايدة ابدا التنافر ما بين الانتاج الاجتماعي والتملك الراسمالي .

ان الراسماليين الاوليين قد وجدوا ، كما اسلفنا ، شكل العمل المأجور جاهزا من اجلهم . بيد انه كان عملا مأجورا استثنائيا، تكميليا، ملحقا، وعابرا . فعلى الرغم من ان الشغيل الزراعي كان يُوجر نفسه بالمياومة من حين لآخر ، فقد كان يملك بضعة فدانان من الارض الخاصة به يستطيع ان يمش عليها مقترا في سائر الاحوال . وكانت النقابات الحرفية منظمة جيدا بحيث ان المياوم الحالي يصبح المعلم في الغداة . بيد ان هذه الامور جميعا قد تغيرت حالما اصبحت وسائل الانتاج اجتماعية وتمركزت بين ايدي الراسماليين ، واصبحت وسائل الانتاج الخاصة بالمنتج الفرد ، مثلها مثل انتاجه ، بخسة القيمة بصورة متزايدة ، بحيث لم يتبق امامه سوى ان يقصد الراسمالي ليشتغل عنده بالاجر . . . واصبح العمل المأجور ، وقد كان من قبل استثنائيا وملحقا ، القاعدة السائدة الآن واساسا للانتاج كله،

لقد أصبح الآن ، وقد كان من قبل تكميليا ، وظيفة العامل الباقية الوحيدة .
وأصبح العامل المأجور المؤقت عاملا مأجورا مدى الحياة . ولقد ازداد عدد
هؤلاء العمال المأجورين الدائمين بصورة هائلة من جراء انهيار النظام
الاقتصادي الذي حدث في الوقت ذاته بفعل تسريح اتباع السادة الاقطاعيين ،
وطرد الفلاحين من اماكن اقامتهم ، الخ . وأصبح الانفصال تاما بين وسائل
الانتاج المتمركز في ايدي الراسماليين من جهة واحدة ، وبين المنتجين
الذين لا يملكون شيئا سوى قوة عملهم من جهة ثانية . وان التناقض بين
الانتاج الاجتماعي والتملك الراسمالي يتظاهر بوصفه التضاد بين البروليتاريا
والبورجوازية .

لقد رأينا أن الاسلوب الراسمالي في الانتاج قد شق طريقه في مجتمع
من منتجي السلع ، من المنتجين الفرادى الذين كانت مبادلة منتجاتهم تشكل
واسطة تماسكهم الاجتماعي . بيد أن كل مجتمع يقوم على اساس الانتاج
السلمي يملك هذه الميزة ، الا وهي ان المنتجين قد فقدوا الاشراف على
علاقاتهم الاجتماعية المتبادلة الخاصة . ان كل انسان ينتج لنفسه بما
يستطيع أن يحصل عليه بفعل المصادفة من وسائل الانتاج ، ومن أجل
المبادلة التي يمكن أن تتطلبها حاجاته الشخصية . وليس من يدري مقدار
ما سينزل الى السوق من سلعته الخاصة ، أو مقدار الطلب الذي سيكون
عليها . وليس من يدري ما اذا كان منتجه الخاص سيصادف طلبا فعليا ،
وما اذا كان سيستوفي تكاليف انتاجه ، أو حتى ما اذا كان سيتمكن من بيع
بضاعته . أن الفوضى تسود في الانتاج الاجتماعي .

بيد ان للانتاج السلمي ، كما هي الحال في أي شكل آخر من الانتاج ،
قوانينه اللاصقة الخاصة التي لا تنفصل عنه ، وهي قوانين تعمل على
الرغم من الفوضى ، في الفوضى ، ومن خلالها . وانها لتتظاهر في الشكل
الوحيد الذي لا يبرح موجودا للعلاقات الاجتماعية المتبادلة، أعني في المبادلة،
وهي تتحكم هنا في المنتجين الفرادى بوصفها القوانين الالزامية للمنافسة .
انها لتكون مجهولة بادىء الامر بالنسبة الى هؤلاء المنتجين أنفسهم ، ولا به

لهم من اكتشافها بصورة تدريجية بعد تجربة طويلة . وهكذا فانها تبرز
العيان بصورة مستقلة عن المنتجين ، وفي تضاد معهم ، على اعتبارها
قوانين طبيعية طارئة خاصة بشكلهم المخصوص من الانتاج . ان المنتج
يتحكم في المنتجين ...

... لكنه حين اتسع انتاج السلع ، وبالخاصة مع قيام اسلوب
الانتاج الرأسمالي ، فقد سرى مفعول قوانين الانتاج السلمي ، التي كانت
هاجمة حتى ذلك الحين ، بمزيد من العننية ومزيد من القوة . وتراخت
الروابط العتيقة ، وتحطمت الحدود العازلة العتيقة ، وجعل المنتجون
يتحولون اكثر فأكثر الى منتجين للبضائع مستقلين ومنعزلين . واتضح
فوضى الانتاج الاجتماعي وتعاضمت اكثر فأكثر .

بيد أن الوسطة الرئيسية التي ضاعف بها اسلوب الانتاج الرأسمالي
من تلك الفوضى الخاصة بالانتاج الاجتماعي قد كانت تقيض الفوضى على
وجه الدقة ، أي التنظيم المتزايد للانتاج ، على أساس اجتماعي في كسل
حوسنة انتاجية على حدة . وبذلك فقد انتهت الاوضاع القديمة ،
المستقرة ، المسالمة . فما كان هذا التنظيم للانتاج ، حيثما طبق في الفروع
الصناعية ، يطبق بجانبه اية طريقة اخرى في الانتاج اقدم منه . فحيثما
استولى على حرفة يدوية ، كانت هذه الحرفة اليدوية مقضيا عليها .
واصبح حقل العمل ميدانا للمعركة . وان الاكتشافات الجغرافية الكبرى
والمشاريع الاستعمارية التي اعقبتها قد ادت إلى مضاعفة الاسواق والاسراع
في تحويل الحرفة اليدوية الى المانيفاكتورة . ولم تشمل الحرب بين المنتجين
المحليين الفرادى فحسب ، بل ان الصراعات المحلية قد انجبت بدورها
نزاعات قومية ، الا وهي الحروب التجارية للقرنين السابع عشر والثامن عشر .

واخيرا فان الصناعة الحديثة وانشاء السوق العالمية قد عمما الصراع ،
واضفيا عليه في الوقت نفسه فوعة لم يسبق لها مثيل . ان مزايا شروط

الانتاج الطبيعية والاصطناعية هي التي تقرر الآن وجود الرأسماليين الفرادى أو عدم وجودهم ، كما تقرر ذلك بالنسبة الى صناعات كاملة وبلدان كاملة . وان الغلوب ليقضى عليه دونما رحمة أو هوادة . ذلك هو الصراع الدارونى الذي يخوضه الفرد من أجل الوجود وقد تقل من الطبيعة الى المجتمع بمزيد من العنف . ان شروط الوجود الطبيعى بالنسبة الى الحيوان تتراعى بوصفها أوج التطور البشرى . وان التناقض بين الانتاج الاجتماعى والاستملاك الرأسمالى ليتجدد الآونة على اعتباره تضادا بين تنظيم الانتاج فى المصنع الفردى وفوضى الانتاج فى المجتمع على العموم .

ان الاسلوب الرأسمالى فى الانتاج يتحرك فى هذين الشكلين من التضاد اللاصق به منذ أصوله الأولى . وانه لعاجز عن الخروج قط من هذه « الحلقة المفرغة » التي سبق لفوريه ان اكتشفها . وفى الحقيقة ان مالم يكن فى مكنة فوريه أن يراه فى زمانه هو ان هذه الحلقة تضيق بصورة تدريجية ، وان الحركة تصبح حلزونية أكثر فأكثر ولا بد لها ان تنتهى الى خاتمة ، مثل حركة الكواكب ، من جراء الاصطدام بالمركز . ان القوة القاهرة للفوضى فى الانتاج الاجتماعى على العموم هي التي تحول بصورة متزايدة أبدا الغالبية العظمى من البشر الى بروليتاريين ، كما أن الجماهير البروليتارية هي التي ستضع بدورها حدا ، فى النهاية ، للفوضى السائدة فى الانتاج . وان القوة القاهرة للفوضى فى الانتاج الاجتماعى هي التي تحول قابلية الآليات غير المحدودة للكمال فى ظل الصناعة الحديثة الى قانون الزامى يفرض على كل رأسمالى صناعى فرد ان يحسن آلياته أكثر فأكثر تحت طائلة الخراب .

بيد أن تحسين الآليات يجعل العمل البشرى نافلا . فاذا كان تطبيق الآلات وزيادتها يعنىان الاستغناء عن ملايين العمال اليدويين لقاء بعض العمال الآليين ، فان تحسين الآليات يعنى الاستغناء عن عدد متعاظم من العمال الآليين أنفسهم . وان هذا ليعنى فى آخر تحليل انتاج

عدد من العمال المهاجرين المتوفرين يفيض على الحاجات الوسطية لرأس المال ، وتشكيل جيش احتياطي صناعي كامل ، كما أسميته في عام ١٨٤٥ ، وهو جيش جاهز في كل الاوقات حيث تعمل الصناعة تحت ضغط مرتفع ، ويمكن طرحه في الشارع حين يحدث الانهيار المحتوم ، وهو ككسل جيش دائم يثيد على اطراف الطبقة العاملة في نضالها من أجل الوجود مع رأس المال ، وضابط يحفظ الاجور منخفضة عند المستوى الواطئ الذي يناسب مصالح رأس المال .

وهكذا يحدث ، حسب تعبير ماركس ، أن الآليات تصبح السلاح الامضى في حرب رأس المال ضد الطبقة العاملة ، وأن أدوات العمل تنتزع باستمرار وسائط المعيشة من بين أيدي الكادح ، وأن المنتج الذي يصنعه العامل يتحول بالضبط الى أداة من أجل استعباده . وهكذا يحدث ان التوفير في أدوات العمل يصبح في الوقت نفسه ، منذ البدء ، التبريد الأشد طيشا لقوة العمل ، ونهباً مرتكباً بحق الشروط الطبيعية التي يشتغل العمل فيها ، وأن الآليات — وهي الاداة الأقوى من أجل الاختصار من زمن العمل — تصبح الواسطة الأشد ضماناً من أجل وضع كل برهة من وقت الكادح ومن وقت أسرته تحت تصرف الرأسمالي بغية توسيع قيمة رأسماله . وهكذا يحدث ان اجهاد البعض يصبح الشرط الأولي من أجل بطالة الآخرين ، وأن الصناعة الحديثة التي تطارد المستهلكين الجدد في مختلف انحاء العالم تدني استهلاك الجماهير في الوطن الام حتى الحد الأدنى من الجوع ، وبذلك تدمر سوقها الداخلية الخاصة . « أن القانون الذي يوازي دائماً بين الفائض النسبي من السكان ، أو الجيش الصناعي الاحتياطي ، وبين امتداد التجمع الرأسمالي وطاقته ، هذا القانون يربط العامل بالرأسمال بصورة أشد مما كانت اسافين فولكان تقيد بروميثيوس الى الصخرة الصماء . انه يحقق رابطة مشؤومة بين تجميع رأس المال وتجميع البؤس ، بحيث ان تجميع الثروة في قطب واحد هو في الوقت نفسه تجميع للبؤس ، وعباد الكسد الشاق ، والعبودية ، والقسوة ، والجهالة ، والانحطاط

الذهني في القطب المقابل ، يعني في جانب الطبقة التي تنتج منتجها الخاص
في صورة الراسمال . * .

اما ان نتوقع من اسلوب الانتاج الراسمالي أي نوع آخر من تقسيم
المنتجات ، فذلك أشبه بتوقعنا من مصعد البطارية ومهبطها الا يحللا الماء
المحمض ، والا يمررا الاوكسجين عند القطب الموجب والهيدروجين عند
القطب السالب ، وذلك ما برحا على اتصال بالبطارية .

رأينا ان الاتقان المتزايد ابدا للآليات الحديثة يتحول ، مسن جراء
موضى الانتاج الاجتماعي ، الى قانون الزامي يفرض على الراسمالي الصناعي
الفرد أن يحسن دائما آلياته ، وان يزيد دائما قوته المنتجة . وان مجرد
امكانية توسيع حقل الانتاج تتحول بالنسبة اليه الى قانون آخر لا يقل
الزاما عن ذلك . أن القوة الانتشارية الهائلة التي تتمتع بها الصناعة
الحديثة ، وليست قوة الغازات الانتشارية بالمقارنة معها سوى مجرد لعبة
اطفال ، تتراءى لنا الآن على اعتبارها ضرورة من اجل التوسع ، الكيفي
والكمي على حد سواء . الذي يسخر من كل مقاومة . وان مثل هذه المقاومة
لتنشأ عن الاستهلاك ، وعن المبيعات ، وعن الاسواق الخاصة بمنتجات
الصناعة الحديثة . بيد أن مقدرة الاسواق على الاتساع ، امتدادا وشدة ،
تخضع قبل كل شيء لقوانين مختلفة كل الاختلاف، قوتها دون ذلك كثيرا .
ان اتساع الاسواق لا يمكن ان يجاري اتساع الانتاج ، بحيث ان التصادم
يصبح محتوما . ولما كان هذا التصادم لا يستطيع ان يؤمن أي حل حقيقي
ما لم يحطم الاسلوب الراسمالي للانتاج إربا ، فان التصادمات تصبح دورية .
ان الانتاج الراسمالي قد انجب « حلقة مفرغة » أخرى .

وبالفعل فان مجموع العالم الصناعي والتجاري ، مجموع الانتاج

* ماركس ، وامي المال ، الكتاب الاول ، المجلد الثالث ، الفصل الخامس والعشرون ،
ص : ٨٨ . المنشورات الاجتماعية ، باريس ١٩٦٧ .

والمبادلة بين سائر الشعوب المتحضرة واتباعها الاكثر أو الاقل همجية، تتعرض للاضطراب والتفكك مرة كل عشر سنوات ، وذلك منذ عام ١٨٢٥ ، حين اندلعت الازمة العامة الاولى . ان التجارة تتجمد، والاسواق تتخمد، والمنتجات تتكدس ، وهي موفورة بقدر ماهي كاسدة ، والنقد يختفي ، والائتمان يندم ، والمعامل تفلق أبوابها ، وجماهير العمال تموزهم وسائط المعيشة لانهم انتجوا مقادير كبيرة جدل من وسائط المعيشة ، والافلاس يأتي في امقاب الافلاس ، والحجز في اعقاب الحجز . ويستمر الركود عدة سنوات ، والقوى الانتاجية والمنتجات تندر أو تئلف كما هي ، حتى ترشح في آخر الامر كتلة البضائع المكدسة بعدما تنخفض قيمتها بصورة تزيد أو تنقص، وذلك حتى يستأنف الانتاج والمبادلة حركتهما بصورة تدريجية . وتتسارع الخطى شيئاً فشيئاً ، حتى تصير خيباً . ويتحول الخيب الصناعي الى جري معتدل ، ويشد الجري المعتدل متحولاً بدوره الى ذلك العدو السريع القمين بأحد خيول سباق الحواجز الخاص بالصناعة والائتمان التجاري والمضاربة ، حتى ينتهي اخيراً ، بعد قفزات قاتلة ، حيث بدأ - في مستنقع الازمة . ويتكرر هذا الامر مرة بعد مرة . ولقد اجتزنا مثل هذه الاوضاع ، منذ عام ١٨٢٥ ، خمس مرات حتى الآن ، ونحن في الوقت الراهن (١٨٧٧) نجتازها للمرة السادسة . وان خاصية هذه الازمات لمحددة بكل وضوح ، بحيث أن فوريه اصاب في وضهما جميعاً حين وصف الازمة الاولى على اعتبارها **ازمة الاكتظاظ** .

وفي هذه الازمات ، ينتهي التناقض الاجتماعي والاستملاك الراسمالي الى انفجار عنيف . ويتوقف تداول البضائع عندئذ ، ويصبح المال - وهو واسطة التداول - عقبة في سبيل التداول . وتقلب سائر قوانين انتاج البضائع وتداولها رأساً على عقب . لقد بلغ التصادم الاقتصادي أوجه :

* crise pléthorique ، بالفرنسية في النص الاصلي .

أسلوب الانتاج يتمرد على أسلوب المبادلة والقوى الانتاجية تتمرد على أسلوب الانتاج الذي تجاوزته .

اما ان التنظيم الاجتماعي للانتاج ضمن المعمل قد تطور بعيدا جدا بحيث اصبح متنافرا مع فوضى الانتاج في المجتمع ، هذه الفوضى القائمة الى جانب المجتمع والسيطرة عليه ، فتلك حقيقة تبين للرأسماليين انفسهم من جراء التمرکز العنيف للرأسمال الحادث أثناء الازمات لقاء خراب عدد كبير من الرأسماليين الكبار وعدد أكبر ايضا من الرأسماليين الصغار . وتنهار كل آلية الاسلوب الرأسمالي في الانتاج تحت ضغط القوى الانتاجية التي هي خليفة ذلك الاسلوب . ولا يعود في قدرته بعد الآن ان يحول السبي رأسمال هذه الكتلة كلها من وسائط الانتاج التي تكسد ، بحيث لا يبدو للجيش الصناعي الاحتياطي من ان يكسد هو الآخر من جراء ذلك السبب بالضبط . ان وسائل الانتاج ووسائط المعيشة ، والشغيلة المتوفرين ، وسائر عناصر الانتاج والثروة العامة موجودة بصورة فائضة . بيد ان « الوفرة تصبح مصدر البؤس والحاجة » (فوريه) ، إذ هي بالضبط ما يعوق وسائل الانتاج والمعيشة من التحول الى رأسمال . ذلك ان وسائل الانتاج لا تستطيع ان تعمل ، في المجتمع الرأسمالي ، الا اذا اجتازت قبل ذلك تحولا اوليا الى رأسمال ، الى وسائل من اجل استثمار القوة الانتاجية البشرية . وان هذه الضرورة التي تحول وسائل الانتاج والمعيشة الى رأسمال تنتصب مثل الشبح بين هذه الوسائل عينها وبين العمال ، وهي وحدها ما يمنع تلاقي الرافعتين المادية والشخصية للانتاج ، وهي وحدها ما يمنع وسائل الانتاج من الاشتغال ، والعمال من المعمل والعيش . وهكذا فان الاسلوب الرأسمالي في الانتاج يقف من جهة واحدة مجرما بمجزه الخاص عن مواصلة توجيه هذه القوى الانتاجية ، في حين ان هذه القوى الانتاجية عينها تشدد من ضغطها ، من جهة اخرى ، من اجل القضاء على التناقض القائم ، من اجل الفناء نوعيتها بوضعها رأسمالا ، من اجل الاعتراف العملي بخاصيتها على اعتبارها قوى انتاجية اجتماعية .

هذا التمرد الذي تملنه القوى الانتاجية ، بقدر ماتماظم قوتها ، على نوعيتها بوصفها رأسمالا ، هذا الحكم الذي يشتد قوة بضرورة الاعتراف بخاصيتها الاجتماعية ، يجبران الطبقة الرأسمالية نفسها على معاملتها اكثر فاكثرا على اعتبارها قوى انتاجية اجتماعية ، وذلك بقدر ما يكون هذا الامر ممكنا في الظروف الرأسمالية . أن مرحلة الضغط الصناعي العالي ، بما تستتبعه من تضخم غير محدود للائتمان ، تميل بصورة لا تقل عن الانهيار نفسه ، الناشئ عن تدهور المؤسسات الرأسمالية الكبرى ، الى اقامة ذلك الشكل من التصبير الاجتماعي لكتل ضخمة من وسائل الانتاج ، وهو الشكل الذي نصادفه في صور مختلفة في الشركات المساهمة . ويكون العديد من وسائل الانتاج والتوزيع هذه عملاقة جدا منذ البدء بحيث تستبعد ، كما هي حال السكك الحديدية ، سائر الاشكال الاخرى للاستثمار الرأسمالي . ويصبح هذا الشكل غير كاف هو الآخر في مرحلة لاحقة من التطور . أن المنتجين الكبار في فرع معين من الصناعة في بلد معين يتحدون في « احتكار » ، وهو اتحاد غرضه تنظيم الانتاج . وانهم ليحددون المقدار الاجمالي الواجب انتاجه ، ويتوازونه ، وبذلك يفرضون سعر المبيع الذي حدوده سلفا . بيد أن الاحتكارات من هذا النوع هي عرضة للانقسام على العموم حالما تسوء احوال العمل ، ولهذا السبب بالضبط فهي تتطلب بالضرورة تمركزا اعظم للمشاركة . ويحول مجموع احدى الصناعات المعينة الى شركة مساهمة عملاقة واحدة ، وتفسح المنافسة الداخلية مكانها للاحتكار الداخلي الخاص بتلك الشركة الواحدة . وهذا ما حدث عام ١٨٩٠ لشركة القلويات الانكليزية التي أصبحت الآن ، بعد انصار ٤٨ معملا كبيرا ، بين يدي شركة واحدة ذات ادارة وحيدة ، وبراسمال مقداره ١٢٠ مليون مارك .

وفي التروستات ، تتحول حرية المنافسة الى تقيضها بالضبط - الى الاحتكار ، كما أن الانتاج دون اية خطة محددة ، وهو الانتاج الخاص بالمجتمع الرأسمالي ، يستسلم للانتاج المنهج ، هذا الانتاج الخاص بالمجتمع الاشتراكي الغازي . ومن المؤكد ان هذا الامر لم يحدث حتى الآن الا في مصلحة

الرأسماليين ولنفعتهم . بيد ان الاستثمار ملموس جداً في هذه الحال بحيث لا يهد له من الانهيار . فليس هناك امة يمكن أن ترضى بمثل هذا الانتاج المسير من قبل التروستات ، وبمثل هذا الاستثمار الصفيق للجماعة من قبل حفنة ضئيلة من المساهمين المستغلين .

ومهما يكن من أمر ، بتروستات أو بدون تروستات ، فإنه لا بد للممثل الرسمي للمجتمع الرأسمالي - أي الدولة - من أن تأخذ أخيراً أمر توحيد الانتاج على عاتقها . ان هذه الضرورة التي تفرض التحويل الى ملكية الدول تتضح يادىء الامر في المؤسسات الكبرى الخاصة بالواصلات - البريد والبرق والخطوط الحديدية .

وإذا كانت الازمات تبرهن على عجز البورجوازية بعد الآن عن تسيير القوى الانتاجية الحديثة ، فان تحويل المؤسسات الكبرى الخاصة بالانتاج

* أقول « لا بد ان تأخذ » . ذلك ان التقدم الاقتصادي لن يتحقق ، ولن يتم بلوغ الخطوة التالية المهينة لاستيلاء المجتمع نفسه على سائر القوى الانتاجية ، الا حين تكون وسائل الانتاج والتوزيع قد تجاوزت بصورة فعلية شكل التدبير الذي تقوم به الشركات المساهمة ، وبالتالي حين يصبح استلامها من قبل الدولة أمراً محتوماً من وجهة النظر الاقتصادية ، وذلك حتى اذا كانت الدولة القائمة في الوقت الراهن هي التي تقوم بمسئلة الاستيلاء . لكنه نشأ مؤخراً ، منذ هني بسشارك بملكية الدولة للمؤسسات الصناعية ، نوع من الاشتراكية المزيفة التي تنفسح هنا وهناك الى شيء من المداينة التي تملن دون مزيد من الضوضاء ان كل ملكية للدولة ، حتى اذا كانت من النوع البسماركى ، هي ملكية اشتراكية ، ومن المؤكد انه اذا كان استملاك صناعة التبغ من قبل الدولة هو تدبير اشتراكي ، فإنه يجب ان نعد نابليون ومترنيخ من بين مؤسسي الاشتراكية . اذا ما قامت الدولة البلجيكية ، لأسباب سياسية ومالية عادية تماماً ، بتعميد خطوطها الرئيسية من السكك الحديدية ، واذا ما استولى بسشارك ، دونما اي الزام اقتصادي ، على الخطوط البروسية الرئيسية في مصلحة الدولة ، وذلك لمجرد تحقيق المزيد من امكانية التصرف بها في حالة الحرب ، وتحويل مستخدمي السكك الحديدية الى قطيع مقترع في جانب الحكومة . وبالفحاسة خلق مصدر جديد من الدخل لنفسه بصورة مستقلة عن الاصوات البرلمانية - فليس هذا في حال من الاحوال تدبيراً اشتراكياً لا بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، ولا بصورة واهية أو غير واهية . والا فان الشركه البحرية الملكية ، وصناعة البورسلين الملكية ، وحتى الخياط المسكوي الخاص بكل فرقة ، هم مؤسسات اشتراكية ايضاً ، او حتى تدويل الواخير الذي اقترحه يكل حد أحد الكلاب الداهية في عهد فريدريك فليوم الثالث (ملاحظة من انجلر) .

والتوزيع الى شركات مساهمة والى ملكية الدولة يبين مبلغ عدم ضرورة
البورجوازية لهذا الفرض . ان سائر وظائف الرأسمالي الاجتماعية ينجزها
الآونة مستخدمون مأجورون ، ولم يعد للرأسماليين بعد الآن ابة وظيفة
اجتماعية سوى وظيفة المساهمين المختلسين الذين يقتطعون القسائم
ويقامرون في سوق الاوراق المالية ، حيث ينهب الرأسماليون المختلفون
رساميل بعضهم بعضا . لقد كان الاسلوب الرأسمالي في الانتاج يطرد
العمال بادىء الامر ، وهذا هو الآن يطرد الرأسماليين ويلقي بهم ، مثلما
لقى بالعمال ، في صفوف الفائض من السكان ، وان لم يلق بهم بصورة
مباشرة في صفوف الجيش الصناعي الاحتياطي .

لكن التحويل ، سواء الى شركات مساهمة أم الى ملكية الدولة ،
يقضي على الطبيعة الرأسمالية الخاصة بالقوى الانتاجية . ان هذه الطبيعة
واضحة للعيان في الشركات المساهمة . وليست الدولة الحديثة ، مرة
أخرى ، سوى التنظيم الذي يتخذه المجتمع البورجوازي بفرض دعم
الشروط الخارجية العامة للاسلوب الرأسمالي في الانتاج ضد تعديلات الاعمال
والرأسماليين الفرديين على حد سواء . وكائنا ما كان شكل الدولة
الحديثة ، فهي في جوهرها آلة رأسمالية ، دولة الرأسماليين ، التجسيد
المثالي للرأسمال الجماعي . وبقدر ماتعمد الى الاستيلاء على القوى
الانتاجية ، بقدر ما تصبح الرأسمالي الجماعي بصورة فعلية ، فانها تضاعف
من استثمارها للمواطنين . ويظل العمال عمالا مأجورين - بروليتاريين .
ولا يقضى على العلاقة الرأسمالية ، بل يطلق لها العنان بالاحرى . لكنه
حين يطلق لها العنان ، فانها تنكفيء . ان ملكية الدولة للقوى الانتاجية
لا تشكل حلا للنزاع ، لكن الشروط التقنية التي تشكل عناصر هذا الحل
تكون كاملة فيها .

ولا يمكن ان يقوم هذا الحل الا في الاعتراف العملي بالطبيعة الاجتماعية
للقوى الانتاجية الحديثة ، وبالتالي في تنسيق اساليب الانتاج والاستهلاك
والمبادلة مع الصفة الاجتماعية لوسائل الانتاج . وهذا مالا يمكن ان يتحقق

الا اذا استولى المجتمع بصورة علنية ومباشرة على القوى الانتاجية التي تجاوزت كل اشراف باستثناء اشراف المجتمع بوصفه كلا واحدا . ان الصفة الاجتماعية لوسائل الانتاج والمنتجات في الوقت الراهن ترتكس على المنتجين ، وتمزق بصورة دورية كل انتاج او مبادلة ، ولا تعمل الا كقانون طبيعي يمارس مفعوله بصورة عمياء واجبارية ومدمرة . لكنه حين يستولي المجتمع على القوى الانتاجية ، فان الخاصية الاجتماعية لوسائل الانتاج والمنتجات تستخدم اذن من قبل المنتجين بتفهم تام لطبيعتها، وعندئذ تصبح الرفاعة الاقوى للانتاج نفسه بالاحرى من أن تكون مصدرا للاضطراب والانهار الدوري .

ان القوى الاجتماعية الفاعلة تعمل على فرار القوانين الطبيعية بالضبط ، بصورة عمياء واجبارية ومدمرة ، وذلك ما لم نفهمها ونقدرها كما ينبغي . لكننا اذا ما فهمناها مرة ، اذا ما ادركنا ماهية فعلها مرة وادركنا منحائها ، ونتائجها ، فان الامر يتعلق بنا وحدنا اذن كي نخضعها لارادتنا الخاصة بصورة متزايدة وكي نتوصل بواسطتها الى اغراضنا الخاصة . وان هذا لينطبق بصورة مخصوصة تماما على القوى الانتاجية الجارية الحالية . فما دمنا نرفض بكل عناد ان نفهم طبيعة هذه القوى الانتاجية وخاصيتها - وان هذا الفهم ليناقض في مشربه الاسلوب الراسمالي في الانتاج والمدافعين عنه - ومادامت هذه القوى تفعل رغما عنا ، وبصورة معارضة لنا ، فانها ستظل سائدة علينا كما بينا اعلاه بصورة مفصلة .

لكننا حين نفهم طبيعتها مرة ، فانه يمكن تحويلها ، في ايدي المنتجين المتشاركين ، من شياطين متسلطة الى خدام طيبين . وان الفارق لاشبه بما بين القوة المدمرة للكهرباء في الصاعقة وبين الكهرباء الموجهة في البرق والقوس الفولطية ، بما بين الحريق وبين النار العاملة في خدمة الانسان . واخيرا فانه حين يتم هذا الاعتراف بالطبيعة الحقيقية للقوى الانتاجية في الوقت الحاضر ، فان فوضى الانتاج الاجتماعية ستخلي المكان لتنظيم الانتاج المنهج ، وذلك حسب حاجات الجماعة وكل فرد على حدة . وعندئذ فان الاسلوب الراسمالي في الاستهلاك ، حيث يستعيد المنتج المنتج اولا، ومن

بعد المالك نفسه ، يستبدل بذلك الاسلوب في استهلاك المنهجات القوائم على اساس طبيعة وسائل الانتاج الحديثة ، القائم من جهة واحدة على اساس التملك الاجتماعي المباشر بوصفه واسطة للحفاظ على الانتاج وتوسيعه ، ومن جهة أخرى على التملك الفردي المباشر بوصفه واسطة للمعيشة والتمتع .

وفي حين يحول الاسلوب الرأسمالي في الانتاج بصورة شاملة اكثر فآكثر الغالبية العظمى من السكان الى بروليتاريين ، فانه يخلق القوة التي لا بد لها ، تحت طائلة دمارها الخاص ، ان تحقق تلك الثورة . فاما يفرض بصورة متعاظمة تحويل وسائل الانتاج الواسعة ، المصيرة اجتماعية بصورة مسبقة ، الى ملكية الدولة ، فانه يبين من تلقاء ذاته الطريق من اجل انجاز تلك الثورة . ان البروليتاريا تستولي على السلطة السياسية وتحول وسائل الانتاج باديء ذي بدء الى ملكية الدولة .

ف. انجلز : الاشتراكية الطوبوية والاشتراكية
الطبية ، في ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات
المختارة ، في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ،
المجلد الثاني ، ص ١٤٤ - ١٥٨ .

اذا لم يكن لدينا ، بشأن الانقلاب العتيق للاسلوب الحالي في توزيع منتجات العمل ، بتضاداته الصارخة من العوز والترف ، والجوع والتخمة ، اية ضمانة افضل من الوعي بان هذا الاسلوب في التوزيع مجحف ، وان العدالة لا بد ان تنتصر في النهاية ، فمن المؤكد اننا في وضع سيء جدا ، ولعلنا سنضطر الى الانتظار طويلا . ان صوفي العصور الوسطى الذين كانوا يحلمون بالمصر الانفي السعيد الآتي قد كانوا واعين منذ ذلك الحين لاجحاف التضادات الطبقيه . ولقد اعلن ذلك توماس مونزر على رؤوس الاشهاد قبل ثلاثمائة وخمسين سنة ، على عتبة التاريخ الحديث . ولقد تردد النداء نفسه في الثورتين البورجوازييتين الانكليزيه والفرنسيه - ثم تلاشى .

وإذا كان هذا النداء نفسه من أجل إلغاء التضادات الطبقيّة والفوارق الطبقيّة ، الذي ترك الطبقات العاملة والمعدّية في برود حتى عام ١٨٣٠ ، يتردد اليوم صدهاء وقد تضاعف مليون مرة ، إذا كان يكتسح البلدان الواحد تلو الآخر بالترتيب الذي تطورت فيه الصناعة الحديثة في كل بلد ويمثل درجة تطور هذه الصناعة ، إذا كان قد اكتسب في جيل واحد قوة تمكنه من تحدي سائر القوى المتحالفة ضده ومن الثقة بالنصر في المستقبل القريب - فما هي علة ذلك ؟ ان علة ذلك ان الصناعة الكبرى الحديثة قد خلقت البروليتاريا من جهة واحدة ، هذه الطبقة التي تستطيع للمرة الاولى في التاريخ ان تطالب ليس بإلغاء هذا التنظيم الطبقي المخصوص او ذلك ، او هذا الامتياز الطبقي المصين او ذلك ، بل بإلغاء الطبقات عينها ، وهي تحتل مركزا يمكنها من تنفيذ هذا المطلب تحت طائلة التدهور الى مستوى الفعلة الصينيين . ومن جهة اخرى فان هذه الصناعة الكبرى عينها قد خلقت ، في البورجوازية ، طبقة تملك احتكار سائر ادوات الانتاج ووسائل المعيشة ، لكنها تبرهن في كل فترة من الرخاء التجاري وفي كل افلاس يعقبه على انها أصبحت عاجزة بعد الآن عن التحكم في القوى الانتاجية التي نمت بشكل يتجاوز سلطانها : طبقة يمدو المجتمع تحت قيادتها نحو الدمار مثل قاطرة أصبح سائقها أضعف من أن يفتح صمام أمانها الشديد الانضغاط . وبكلام آخر ، فان علة ذلك هي ان القوى المنتجة التي خلقها الاسلوب الرأسمالي الحديث في الانتاج ونظام توزيع السلع الذي أقامه ذلك الاسلوب قد وقما معا في تناقض صارخ مع ذلك الاسلوب نفسه في الانتاج ، وبالفعل فقد بلغ هذا التناقض حدا لا بد منه ، اذا كنا لا نريد انقراض المجتمع الحديث كله ، من قيام ثورة في اسلوب الانتاج والتوزيع ، وهي ثورة ستضع حدا لجميع الفوارق الطبقيّة . وان الثقة التي تملكها الاشتراكية الحديثة في النصر تقوم على هذه الحقيقة المادية الملموسة ، التي تفرض ذاتها على افكار البروليتاريين المستثمرين بشكل أكثر أو أقل وضوحا ، لكن بضرورة لا تقهر ، ولا تقوم على اية مفاهيم عن العدالة والظلم يبشر بها فيلسوف قابع في كرسيه المريض .

ف. انجلز : انتي دوهرنغ ، الترجمة العربية

منشورات دار دمشق ، ١٩٦٥ ، ص : ١٨٨-١٨٩

في المحل الاول ينفصل في اوروبا الغربية موت الملكية المشاعية وولادة الانتاج الراسمالي عن بعضهما بعضا بفاصل هائل ، يشمل مجموعة كاملة من الثورات والتطورات الاقتصادية المتعاقبة ، ليس الانتاج الراسمالي سوى التطور الاحداث فيها . فمن جهة واحدة طور بصورة رائعة القوى المنتجة الاجتماعية ، لكن فضع من جهة اخرى تنافره الخاص مع ذات القوى التي يولدها . وليس تاريخه من الآن فصاعدا سوى تاريخ من التضادات ، والازمات ، والنزاعات ، والكوارث . وفي المحل الاخير كشف للعالم اجمع ، باستثناء الذين تعميمهم المصلحة ، عن طابعه الانتقالي الخاص . وان الشعوب التي اتخذ عندها انطلاقة الكبرى في اوروبا وفي اميركا لاتطمح سوى الى تحطيم سلاسله باستبدال الانتاج الراسمالي بالانتاج التعاوني والملكية الراسمالية بشكل اعلى لنمط الملكية العتيق ، يعني الملكية الشيوعية .

ك. ماركس : « مسودة رسالة الى زاسوليتش » ،
نشر في الروسية في ك. ماركس وف. انجلز ،
المؤلفات الكاملة ، المجلد التاسع عشر ، ص :
٤١٢ - ٤١٣ .

ثمة من طرف واحد ثروات لا تحصى وفيض من المنتجات لا يستطيع المشارون مجاراته . ومن طرف آخر الجماهير الفقيرة من المجتمع الذين صيروا بروليتاريين ، الذين حولوا الى عمال مأجورين ، وجعلوا عاجزين لهذا السبب بالضبط عن استملاك ذلك الفيض من المنتجات . ان انقسام المجتمع الى طبقة صغيرة مفرطة الثراء وطبقة كبيرة معدمة من العمال المأجورين يؤدي الى مجتمع يفتنق من جراء فيضه الخاص ، في حين تكاد الغالبية العظمى من اعضائه ان يفتقروا ، او هم يفتقرون بالفعل ، الى الحماية من العوز المدقع . ان هذه الاوضاع تزداد سخفا يوما بعد يوم ، وتزداد بطلانا ، فيجب ان تلتفى ، وانه لفي الامكان الغاؤها .

ف. انجلز : مقدمة مؤلف ماركس : العمل المأجور
والراسمال ، في دراسات اقتصادية ، منشورات
دار دمشق ، ص : ١٦

ان الشروط البورجوازية للانتاج والمبادلة ، النظام البورجوازي للملكية ، كل هذا المجتمع البورجوازي الذي حمل الى الوجود مثل هذه الوسائل الجبارة للانتاج والمبادلة ، يشبه الساحر الذي ما عاد يعرف كيف يخضع القوى الجهنمية التي اطلقها من عقابها . منذ عدة اجيال وتاريخ الصناعة والتجارة ليس سوى تاريخ تمرد القوى المنتجة الحديثة على نظام الملكية الذي هو شرط وجود البورجوازية وسيطرتها . ويكفي ان نذكر الازمات التجارية التي تطرح بتواترها الدوري مسألة وجود المجتمع البورجوازي علي بساط البحث . فكل أزمة تدمر بصورة منتظمة لا كتلة من المنتجات التي سبق خلقها فحسب ، بل تدمر كذلك قسما كبيرا من القوى المنتجة نفسها . ان وباء كان يبدو زعما باطلا في أي عصر ينقض على المجتمع - انه وباء فرط الانتاج . ويجد المجتمع نفسه وقد القي به ، بصورة مباغتة ، في حال من الهمجية المؤقتة : ليقال ان مجاعة او حرب افناء تقطعان عنه سائر وسائل وجوده ؛ ويتراءى أن الصناعة والتجارة قد انعدمتا . ولماذا ؟ لان المجتمع يملك كثيرا من المدنية ، كثيرا من وسائل الوجود ، كثيرا من الصناعة ، كثيرا من التجارة . ان القوى المنتجة الموجودة تحت تصرفه لم تعد تساعد على نمو الملكية البورجوازية ، بل على العكس قد اصبحت عظيمة جدا بالنسبة الى هذه الملكية التي اصبحت بذلك تعترض سبيلها . وما أن تتحرر القوى الاجتماعية المنتجة من هذه القيود حتى ترمي الاضطراب في المجتمع البورجوازي بأسره وتهدد بالفناء وجود الملكية البورجوازية : لقد اصبغ النظام البورجوازي اضيغ من استيعاب الثروات التي خلقها .

د. ماركس وف. انجلز : البيان الشيوعي ، منشورات دار دمشق ، ١٩٦٩ ، ص : ٥٠ - ٥١ .

لمة حقيقة هائلة حاضرة، تسم القرن التاسع عشر ، ولا يجزؤ أي حزب على إنكارها . فمن جهة واحدة استيقظت على الحياة قوى صناعية وعلمية

ما كان يمكن لأي عصر تاريخي سابق حتى أن يرتاب فيها . ومن جهة ثانية فإنه تتظاهر دلائل على الانحطاط تتجاوز جميع الفطائع التي تثبتتها حوليات الأزمان الاخيرة للإمبراطورية الرومانية .

وفي أيامنا الحاضرة ، فإن أي شيء ينجب إذا جاز التعبير ضده . اننا نرى ان آلة تتمتع بقوة رائعة ، قَمينة بانقاص الجهد وبتحقيق عمل انساني خصب ، تؤدي الى المجاعة والى الانهالك . وان مصادر الثروة المكتشفة حديثا تتحول ، وليس من يدري بفعل أي سحر قاهر ، الى مصادر للحرمان . ويتراءى ان انتصارات الفن تشتري لقاء فقدان الصفات الاخلاقية . ان الانسانية بمجموعها تحصل على سلطان متزايد دون انقطاع على الطبيعة ، بينما يصبح الفرد عبد أناس آخرين او عبد اذلاله الخاص . بل انه ل يبدو ان نور العلم النقي لا يمكن أن يتألق الا على قاع الجهالة المظلم . ان جميع اكتشافاتنا وكل تقدمنا تقود ، فيما يبدو ، الى ان تمتلئ القوى المادية بحياة ذهنية والى ان تتدنى الحياة الانسانية الى مستوى قوة مادية بلهاء . ان التضاد بين الصناعة في أيامنا الحاضرة والعلم من جهة واحدة ، والبؤس والانحطاط من جهة ثانية ، هذا التضاد بين القوى المنتجة والعلاقات الاجتماعية في عصرنا هو حقيقة ملموسة ، جائرة ، ولا ريب فيها . فلتأسف بعض الاحزاب لذلك ، ولتترجح احزاب اخرى ان تتخلص مما حققته القضية من تقدم راهن ، املا في ان تتخلص في الوقت نفسه من النزاعات الراهنة ؛ ولتتوهم احزاب اخرى أيضا ان تقدما ملموسا حتى هذه الدرجة في الصناعة يجب ان يترافق بالضرورة بتقهقر لا يقل قدرا عنه في السياسة . اما بالنسبة الينا ، فاننا لا نغتر بطبيعة الروح الماكرة التي تبرز الى وضح النهار باستمرار من خلال هذه التناقضات . اننا نعرف ان قوى المجتمع الجديدة لا تحتاج سوى الى شيء واحد كي تنجز عملا نافعا ، الا وهو ان يمسك بزمامها اناس جدد ، وهؤلاء الناس الجدد هم العمال . ان العمال في اليوم الراهن هم ابتكار اشبه مايكون بابتكار الآلات .

فهي الوقائع التي تثير الانفعال في البورجوازية ، والارستقراطية ، والانباء
 المشؤومين للمسيرة التراجمية ، نصادف صديقنا، صاحبنا روبن غودفيلو،
 الخلد المعجوز الذي يعرف على خير وجه أن يحفر تحت الارض ، النقاب
 الحفار القديم ، الثورة . ان العمال الانكليز هم رواد الصناعة المعاصرة ،
 ومن المؤكد أنهم لن يكونوا آخر من يتقدم لمساعدة الثورة الاجتماعية ، الثورة
 المولودة من هذه الصناعة ، والتي تعني تحرر طبقتهم الخاصة في العالم
 اجمع ، وهي ثورة تضاهي في أهميتها سيطرة الرأسمال والمبودية المأجورة .
 ولاني لاعرف ذلك النضال البطولي الذي خاضه العمال الانكليز منذ منتصف
 القرن الماضي ، وهو نضال قليل الشهرة لان المؤرخين البورجوازيين أهملوه
 كي لا يحطموا الصمت . ولقد كان في المانيا ، في العصر الوسيط ، محكمة
 سرية تدعى Vehmgericht ، ومهمتها الانتقام من المساويء التي ترتكبها
 الطبقات السائدة . وكان صليب احمر مرسوم على الجدار يعني ان صاحب
 الدار قد حكم عليه بالاعدام من قبل هذه المحكمة . واليوم تحمل جميع
 الدور في اوربا صليبا غريبا . ان التاريخ نفسه يقوم بوظيفة القاضي ،
 والبروليتاريا هي التي تنفذ الاحكام .

د. ملركس : خطاب بمناسبة عيد « صحيفة
 النيب » ، في د. ملركس وف. انجلز ، المؤلفات
 الثالثة ، في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ،
 المجلد الاول ، ص : ٣٧٢ - ٣٧٤ .

ان الملكية الخاصة ، المؤسسة على العمل الشخصي ، هذه الملكية التي
 تلحم اذا جاز التعبير الشغيل المنزول والمستقل ذاتيا الى شروط العمل
 الخارجية ، سوف تحل مكانها الملكية الفردية الرأسمالية ، المؤسسة على
 استثمار عمل الغير ، على العمل المأجور .

ولا تكاد عملية التحول هذه تحلل بصورة كافية ، ومن القاعدة التي
 القمة ، المجتمع القديم ، ويتحول المنتجون الى بروليتاريين ، وشروط
 ملهم الى رأسمال ، واخيرا يتماثل النظام الرأسمالي بالقوة الاقتصادية

للأشياء وحدها ، حتى نجد أن التشريك اللاحق للعمل ، وكذلك التحول
التدرجي للأرض ووسائل الإنتاج الأخرى إلى أدوات مستثمرة اجتماعيا ،
مشتركة ، وباختصار القضاء اللاحق على الملكيات الفردية ، سوف يرتدي
شكلا جديدا . فليس التشغيل المستقل هو الذي يجب اغتصابه الآن ، بل
الراسمالي ، زعيم جيش او فصيل من العمال المجاورين .

ان هذا الاغتصاب يتم بلعب القوانين المحايثة للإنتاج الراسمالي ،
هذه القوانين التي تنتهي إلى تمركز الرساميل . وبصورة متلازمة مع هذا
التمركز ، مع اغتصاب العدد الصغير من الراسماليين للعدد الكبير منهم ،
يتطور على نطاق متعاطم أبدا تطبيق العلم على التقنية ، واستثمار الأرض
بصورة منهجية ومدروسة ، وتحويل الاداة إلى أدوات جبارة بالاستخدام
المشترك فقط ، وانطلاقا من ذلك اقتضاد وسائل الإنتاج ، وتشابك جميع
الشعوب في شبكة السوق العمومية ، ومن هنا كان الطابع الاسمي الذي
يدمخ به النظام الراسمالي . وبقدر ما ينقص عدد طغاة الراسمال الذين
يغتصبون ويحتكرون جميع امتيازات هذه المرحلة من التطور الاجتماعي
بتماظم البؤس ، والاضطهاد ، والعبودية ، والانحطاط ، والاستغلال
وتتماظم أيضا مقاومة الطبقة العاملة المتزايدة الحجم باستمرار والمنضبطة
أكثر فأكثر ، الموحدة والمنظمة بفعل آلية الإنتاج الراسمالي بالذات . ان
احتكار الراسمال يصبح عائقا في سبيل الإنتاج الذي كبر وازدهر معه
وتحت رعايته . ان تشريك العمل ومركزة نوابضه المادية يبلغان نقطة
لا يستطيعان عندها بعدئذ أن يصمدا في غلافهما الراسمالي . ويتحطم هذا
الغلاف إربا . لقد دقت ساعة الملكية الراسمالية . ان المقتصبين يغتصبون
بدورهم .

ل. مارتن : رأس المال ، دار البقطة العربية ،
جنيف ، الكتاب الاول ، المجلد الثالث ، ص :
٢٠٤ - ٢٠٥ .

... هنا أيضا يظهر الحد النوعي للانتاج الرأسمالي ، ويتبين جيدا انه ليس في حال من الاحوال الشكل المطلق لتطور القوى المنتجة وخلق الثروات ، بل هو على العكس من ذلك يدخل في تناقض معها عند نقطة معينة من تطوره . وان لدينا لمحة جزئية عن هذا النزاع في الازمات الدورية التي تنجم عن حقيقة ان قسما من السكان العاملين ، هذا القسم تارة ، وذلك القسم تارة اخرى ، يصبح نافلا في الفرع القديم لنشاطه . ان حد هذا الانتاج هو الزمن الزائد للعمال . اما زيادة الزمن المطلق التي ينتفع بها المجتمع فلا تمنيه على الاطلاق . ان تطور القوة الانتاجية لا أهمية له بالنسبة اليه الا في حدود زيادته لزم العمل الزائد الذي تقدمه الطبقة العاملة وليس حيث يسود زمن العمل الضروري من أجل الانتاج المادي على العموم ؛ وهكذا فانه يتحرك في متناقضات .

ولقد رأينا أن التراكم المتزايد للرأسمال يتضمن زيادة في تمريره . وعلى هذا الفرار تتعاضد قوة الرأسمال ، قوة شروط الانتاج الاجتماعية المصيرة ذات استقلال ذاتي والمجسدة في الرأسمالي ، في مواجهة المنتجين الفعليين . ويتراءى الرأسمال أكثر فأكثر على انه سلطان اجتماعي الرأسمالي هو عامله . ويبدو انه ليس بعد الآن علاقة ممكنة بينه وبين ما يمكن ان يطلقه عمل فرد منزول ؛ ان الرأسمال يتراءى على انه سلطان اجتماعي مضيق ، صائر مستقلا ذاتيا ، شيء يمارض المجتمع ويجابهه كذلك بوصفه سلطانا يتمتع به الرأسمالي ناشئا عن هذا الشيء . أن التناقض بين السلطة الاجتماعية العامة ، التي يتخذ الرأسمال شكلها ، والسلطة الخاصة للرأسماليين الفرادى على هذه الشروط الاجتماعية للانتاج يصبح صارخا أكثر فأكثر ويتضمن القضاء على هذه العلاقة ، منطويا في الوقت نفسه على تحول شروط الانتاج هذه الى شروط انتاج اجتماعية جماعية عامة . وان هذا التحول لتضمن في تطور القوى المنتجة الى نظام للانتاج الرأسمالي وفي الطريقة التي يتحقق بها هذا التطور .

د. ماركس : راسي للفكر ، المنشورات الاجتماعية
بباريس ، الكتاب الثالث ، المجلد الاول ، ص : ٢٧٦ .

ان تحويلا كتليا للبشر يتضح انه ضروري من اجل الخلق الكتلي لهذا
الوعي الشموعي ، وكذلك من اجل ايصال الامر نفسه الى نهاية حسنة ؛
والحال ان مثل هذا التحويل لا يمكن ان يحدث الا بفعل حركة عملية ، بفعل
ثورة . ولا تصبح هذه الثورة ضرورية. فحسب لانها الوسيلة الوحيدة من
اجل قلب الطبقة السائقة ، بل هي ضرورية كذلك لان الثورة وحدها تتيح
للطبقة التي تغلب الطبقة الاخرى ان تكنس كل عفن النظام القديم
وان تصبح قمينة باقامة المجتمع على اسس جديدة .

ك. ماركس وف. انجلز : الايدولوجية الاثانية ،
المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٦٥ .

كل ما كنا نعرفه ، ما بينه لنا على وجه الدقة افضل العارفين بالمجتمع
الراسمالي ، اقوى المفكرين الذين تنبأوا بتطوره ، هو ان هذا الانصهار
الجديد يجب بصورة حتمية ، وفقا لقوانين التاريخ ، ان يحدث على صعيد
رئيسي معين وان الملكية الخاصة لوسائل الانتاج محكوم عليها من التاريخ
وانها سوف تزول ، وان المستثمرين سوف يفتصبون بصورة لامفر منها .
ان هذا قد فقرر بدقة علمية تماما .

ف. لينين : « خطاب القي في المؤتمر الاول لاجلاس
الاقتصاد الوطني ، بتاريخ ٢٦ ايار ١٩١٨ » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع
والعشرون ، ص : ٤٣٥ - ٤٣٦ .

ان الراسمالية العالية قد انتهت اليوم ، منذ مطلع القرن العشرين
على وجه التقريب ، الى المرحلة الامبرياليية . ان الامبرياليية او عصر
الراسمال المالي هي هذا المستوى العالي لتطور الاقتصاد الراسمالي حيث
الرباطات الاحتكارية (نقابات ارباب العمل ، والكارتلات ، واكتروستات)
قد اكتسبت اهمية حاسمة ، وحيث الراسمال المصرفي ، الذي بلغ درجة
قصوى من التمركز ، قد انصهر مع الراسمال الصناعي ، وحيث تصدير

الراسمال الى البلدان الاجنبية قد اتخذ نسبا هائلة ، وحيث اقتسم العالم سلفا ، القلميا ، بين البلدان الاغنى ، وحيث التقاسم الاقتصادي للعالم بين التروستات الدولية قد بدأ .

ان الحروب الراسمالية ، يعني الحروب من اجل السيطرة على العالم ، من اجل اسواق الراسمال المصرفي ، من اجل خنق القوميات الصغيرة والضعيفة ، هي حتمية في هذه الاحوال . وتلك هي على وجه الكفة الحرب الامبريالية الكبرى الاولى ، حرب ١٩١٤ - ١٩١٧ .

الدرجة المرتفعة بصورة استثنائية لتطور الراسمال العالمي بصورة عامة ، والاستعاضة عن المنافسة الحرة بالراسمال الاحتكاري ، وتشكيل جهاز للتنظيم الاجتماعي للانتاج والتوزيع من قبل المصارف ، ومن قبل رابطات الراسماليين ايضا ، وارتفاع الاسعار والاضطهاد المتعظم للطبقة العاملة من قبل نقابات ارباب العمل ، تبعا لتطور الاحتكارات الراسمالية ، وكذلك للمصاعب التي يواجهها نضال الطبقة العاملة الاقتصادي والسياسي ، والاهوال ، والكوارث ، والخراب ، والهمجية ، الناشئة جميعا عن الحرب الامبريالية - هذا ما يجعل ان الراسمالية ، عند درجة تطورها الحالية ، تصيح عصر الثورة البروليتارية ، الثورة الاشتراكية .

ان هذا العصر قد بدأ .

ان الثورة البروليتارية ، الاشتراكية ، تستطيع وحدها ان تخرج الانسانية من المازق الذي خلقتة الراسمالية والحروب الامبريالية . وكأنثة ما كانت مصاعب الثورة ، وإخفاقاتها المؤقتة الممكنة ، او امواج الثورة المضادة ، فان نصر البروليتاريا الاخير لا مفر منه .

ولنا فان الشروط الموضوعية تضع في جدول اعطال العصر الذي نحياه

تهيئة البروليتاريا تهيئة مباشرة ، في سائر الميادين ، من اجل الاستيلاء على السلطة السياسية بفرض تطبيق تدابير اقتصادية وسياسية تشكل أسس الثورة الاشتراكية بالذات .

ف. لينين : « نصوص من اجل مراجعة برنامج الحزب » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الرابع والعشرون ، ص : ٤٢٢ - ٤٢٣ .

وفيما عدا ذلك ، فإن مصدرا دائما للخلافات هو الطابع الجدلي للتطور الاجتماعي الذي يتم في تناقضات وبواسطة التناقضات . ان الرأسمالية تقدمية ، ذلك انها تدمر أساليب الإنتاج القديمة وتنمي القوى المنتجة ؛ لكنها تعوق في الوقت نفسه ، عند درجة معينة من التطور ، نمو القوى المنتجة . انها تطور العمال ، وتنظمهم وتعلمهم الانضباط ؛ وانها لتثقل ، وتضطهد ، وتؤدي الى الانحلال ، والى البؤس ، الخ. ان الرأسمالية تخلق بنفسها حفار قبرها ؛ انها تخلق بنفسها عناصر نظام جديد ، وفي الوقت نفسه فان هذه العناصر المنزلة لا تغير شيئا في الاحوال القائمة على العنوم ، لا تمس سيطرة الرأسمال ، الا في حال « قفزة » . ان هذه التناقضات الخاصة بالحياة الفعلية ، بالتاريخ الحي للرأسمالية والحركة العاملة ، تعرف الماركسية ، على اعتبارها نظرية المادية الجدلية ، أن تسلط الاضواء عليها .

ف. لينين : « الخلافات في الحركة المطلقة الاوروبية » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السادس عشر ، ص : ٣١٨ .

الشروط المادية للثورة الاشتراكية .

... إن الشروط المادية الضرورية لتحرر البروليتاريا تولد بصورة:

عنفوية بفعل مسيرة الإنتاج ...

كارل ملركس : « رسالة الى ك. كافيري بتاريخ ٢٩
نور ١٨٧٩ » . نشرت بالروسية في ك. ماركس وف.
انجلز ، المؤلفات الكاملة ، المجلد الرابع والثلاثون ،
ص : ٢٠٠ .

... ان الصناعة الكبرى « تنضج تناقضات وتضادات الشكل
الراسمالي لعملية الإنتاج ، وبالتالي العناصر التي سيستأنفها المجتمع
الجديد والعناصر التي تسهم في زعزعة المجتمع القديم » ، ومن بعد ...
ان قلب الشكل الراسمالي للإنتاج « يعيد الملكية الفردية على أساس
مكتسبات العنصر الراسمالي ، على أساس تعاون الشغيلة الأحرار والملكية
الجماعية للأرض وادوات الإنتاج المتولدة عن العمل نفسه . »

ف. انجلز : « مقالة متعلقة بالمجلد
الأول من واس المال لكارل ماركس من
اجل صحيفة Disseldorfer Zeitung »
في ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات الكاملة ،
الطبعة الروسية ، المجلد السادس عشر ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

في الشركات المساهمة ، تنفصل الوظيفة عن ملكية الراسمال ؛ وانطلاقا
من ذلك ، فان العمل ينفصل كلياً ، هو الآخر ، عن حيازة وسائل الإنتاج
والعمل الزائد . ان هذه النتيجة للتطور الأعلى للإنتاج الراسمالي هي
النقطة التي يمر بها بالضرورة انقلاب الراسمال من جديد الى ملكية المنتجين ،
ليس على اعتباره بعد الآن الملكية الخاصة للمنتجين المخصوصين ، بل
على اعتباره ملكية المنتجين المشاركين ، وهي ملكية اجتماعية بصورة
مباشرة . وفيما عدا ذلك ، فتلك هي النقطة التي يمر بها تحول جميع
وظائف عملية التكاثر المرتبطة بعدد بملكية الراسمال الى وظائف بسيطة

للمنتجين المشاركين ، الى وظائف اجتماعية .

ك. ماركس : راسي المال ، المنشورات الاجتماعية ،
بليرس ، الكتاب الثالث ، المجلد الثاني ، ص :
١٠٢ - ١٠٣ .

وان هذه الثورة الصناعية بالضغط هي التي رفعت القوة الإنتاجية للعمل الانساني الى مثل ذلك المستوى العالي بحيث تتوفر الامكانية للمرة الاولى في تاريخ الجنس البشري ، في حال تحقيق تقسيم عقلائي للعمل بين الجميع ، ليس من اجل انتاج ما يكفي للاستهلاك الوافي لسائر اعضاء المجتمع ولا اعتماد احتياطي غزير فحسب ، بل كذلك من اجل توفير الوقت الكافي لكل فرد بحيث ان ما يستحق الابقاء عليه فعلا في الحضارة الموروثة تاريخيا - العلم ، والفن ، واشكال التهذيب - لن يحافظ عليه فحسب ، بل سيحول ايضا من احتكار موقوف على الطبقة الحاكمة الى ملكية جماعية للمجتمع بأسره ، وسوف يواصل تطوره . وهذا هو المنطق الحاسم . فعالمنا تبلغ القوة الإنتاجية للعمل الانساني هذا المستوى ، تتلاشى كل ذريعة للابقاء على طبقة سائدة . ومهما يكن من امر ، فان الحجة الاخيرة للدفاع عن الفوارق الطبقيّة قد كانت على الدوام كما يلي : لا بد من وجود طبقة لا يضطرها الامر الى إجهاد نفسها بانتاج معيشتها اليومية ، بحيث تتوفر لها الوقت لتتكفل بالعمل الفكري في المجتمع . ان هذه الخرافة ، التي كان لها حتى اليوم تبريرها التاريخي الكبير ، قد اجتثت من جذورها بصورة حاسمة بفعل الثورة الصناعية للسنوات المائة الاخيرة : أن وجود طبقة حاكمة يصبح يوميا ، أكثر فأكثر ، عائقا في سبيل تطور القوة الإنتاجية الصناعية ، وكذلك في سبيل تطور العلم والفن ، وبخاصة الاشكال المصفاة للحياة الاجتماعية .

ف. انجلز : مسألة الإسكان ، في ك. ماركس وف.
انجلز : دراسات اقتصادية ، منشورات داردمشق ،
ص : ٢١٠ .

... اننا نصف ... العلاقات الاقتصادية كما هي قائمة ومثلما تتطور ،
ونقدم البرهان ، بصورة اقتصادية صارمة ، على أن تطورها هو في الوقت
نفسه تطور لعناصر الثورة الاجتماعية : تطور من الجهة الواحدة لطبقة
تدفعها شروطها الحياتية بالضرورة الى الثورة الاجتماعية ، الا وهي
البروليتاريا ، وتطور من الجهة الثانية لقوى منتجة لا بد لها بالضرورة ،
وقد نمت بصورة تتجاوز اطار المجتمع البورجوازي ، أن تنسف هذا
الاطار ، وهي توفر في الوقت نفسه الوسائط من أجل الغاء الفوارق الطبقيّة
بصورة حاسمة في مصلحة التقدم الاجتماعي نفسه .

ف. انجلز : مسألة الاسكان ، في ك. ماركس
وف . انجلز : دراسات اقتصادية ، منشورات دار
دمشق ، ص : ٢٧٨ .

ان الثورة التي تطمح اليها الاشتراكية الحديثة هي ، باقتضاب ،
انتصار البروليتاريا على البورجوازية وتنظيم المجتمع تنظيمًا جديدًا بواسطة
القضاء على جميع الفوارق الطبقيّة . ولا بدّ في سبيل ذلك ليس مسن
بروليتاريا فحسب من أجل القيام بهذه الثورة ، بل من بورجوازية ايضا
تتطور بين يديها قوى المجتمع المنتجة بصورة كافية كيما يكون القضاء
النهائي على الفوارق الطبقيّة ممكنا . أن الفوارق الطبقيّة لا توجد أيضا عند
المتوحشين وانصاف المتوحشين ، وكل شعب قد مر بهذه المرحلة . ولا يخطر
في بالنا مطلقا ان نعيد تلك الحالة لمجرد أن الفوارق الطبقيّة سوف تتخلق
فيها بصورة مطردة مع نمو القوى المنتجة الاجتماعية . انه لن يكون في
الامكان رفع الانتاج الى مستوى يمثل فيه القضاء على الفوارق الطبقيّة
تقدما حقيقيا ويكون دائما دون أن يشير ركودة ، بله تقهقرا في أسلوب
الانتاج الاجتماعي ، الا عند مرحلة معينة من تطور القوى المنتجة الاجتماعية ،
وحتى عند مرحلة مرتفعة جدا من وجهة نظر شروطنا الراهنة . لكن
القوى المنتجة لم تبلغ هذه المرحلة من التطور الا بين يدي البورجوازية .

يرتبط على ذلك أن البورجوازية هي ، من جهة النظر هذه أيضا ، شرط مسبق للثورة الاجتماعية ، ضروري بقدر البروليتاريا نفسها .

ف. انجلز : « نصوص الاغتراب » ، مؤلفات
ماركس وانجلز ، برلين ، المجلد الثامن عشر ، ص :
٥٥٦ - ٥٥٧ .

لقد كان على المرحلة البورجوازية من التاريخ ان تخلق الاساس المادي للعالم الجديد - من جهة واحدة الاتصال المتبادل العمومي القائم على التبعية المتبادلة للجنس البشري ووسائل هذا الاتصال المتبادل ؛ ومن جهة أخرى تطور قوى الانسان المنتجة وتحويل الانتاج المادي الى السيطرة العملية على القوى الطبيعية . ان الصناعة والتجارة البورجوازيتين تخلقان هذه الشروط المادية للعالم الجديد بمثل الطريقة التي خلقت بها الثورات الجيولوجية سطح الكرة الأرضية . وحين تتمكن ثورة اجتماعية كبرى من السيطرة على منجزات العصر البورجوازي ، وعلى السوق المالية وقوى الانتاج الحديثة ، ومن إخضاعها للإشراف المشترك لأكثر الشعوب تقدما ، عندئذ فقط يكف التقدم الانساني عن مشابهة ذلك الصنم الوثني البشع الذي يأبى ان يشرب الرحيق الا في جماجم الضحايا البشرية .

ك. ماركس : « النتائج المقبلة للحكم البريطاني في الهند » ، في ك. ماركس وف. انجلز ، في الاستعمار ، منشورات دار دمشق ، ص : ٩١ .

اذا كان ماركس يبرز الجوانب السيئة للانتاج الرأسمالي، فانه يبرهن بما لا يقل وضوحا عن ذلك ان هذا الشكل الاجتماعي قد كان ضروريا من اجل رفع قوى المجتمع المنتجة تدريجيا حتى مستوى يستطيع عنده جميع اعضاء المجتمع أن يطوروا بصورة متساوية قيمهم الانسانية . وفي سبيل بلوغ هذا الغرض ، كانت جميع الاشكال الاجتماعية السابقة فقيرة جدا . وان الانتاج الرأسمالي لسباق الى خلق الثروات والقوى الانتاجية التي هي

الشروط الضرورية من أجل ذلك ، لكنه حين يخلق كذلك في الوقت نفسه جمهرة العمال المضطهدين يشكل الطبقة الاجتماعية التي ستجد نفسها ملزمة بصورة متعاظمة بأن تطالب باستخدام هذه الثروات وهذه القوى الانتاجية من أجل المجتمع بأسره ، وليس من أجل طبقة احتكارية كما هي الحال في الوقت الحاضر .

ف. انجلز : « راس المال » ، في ك. ماوكس :
راس المال ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ،
الكتاب الاول ، المجلد الثالث ، ص : ٢٢٥ .

يتبين هنا مما سبق انه اذا كان ماركس ينتهي الى التحول الحتمي للمجتمع الرأسمالي الى مجتمع اشتراكي ، فذلك انطلاقا من القوانين الاقتصادية لحركة المجتمع الحديث ، كليا وبصورة مانعة . فتشريك العمل الذي يتقدم بسرعة متزايدة ابدأ في ألف شكل متنوع ، والذي تظاهر بصورة رئيسية ، خلال نصف القرن الذي انقضى منذ وفاة ماركس ، باتساع الصناعة الكبرى ، والكارتلات ، والنقابات والتروستات الرأسمالية ، وكذلك بالزيادة الهائلة لنسب الرأسمال المالي وقوته ، تلك هي القاعدة المادية الرئيسية لقيام الاشتراكية المحتوم .

ف. لينين : « كلول ماركس » ، المؤلفات الكاملة ،
بلويس - موسكو ، المجلد الطادي والعشرون ،
ص : ٦٦ .

... ان اتقان التقنية ، الذي يركز وسائل الانتاج والمبادلة ويشرك العمل في المشاريع الرأسمالية ، يخلق بسرعة متزايدة ابدأ الامكانية المادية من أجل الاستماضة من هلاقات الانتاج الرأسمالية بعلاقات انتاج شيوعية ، يعني من أجل انجاز الثورة الاجتماعية التي هي الهدف الاخير لكل نشاط الحزب الشيوعي الاممي ، بوصفه التعبير الواعي عن حركة البروليتاريا الطبقية .

ف. لينين : « مشروع برنامج الحزب الشيوعي
(البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ،
ص : ١١٧ .

لا تنسف سيطرة الرأسمالية لأن بعض الناس يريدون الاستيلاء على السلطة . أن « الاستيلاء » على السلطة سوف يكون هراء خالصا . أن وضع حد لسيطرة الرأسمالية سوف يكون أمرا محالاً إذا لم يكن كل التطور الاقتصادي للبلدان الرأسمالية يقود اليه . ولقد عجلت الحرب بهذه العملية ، الأمر الذي جعل الرأسمالية مستحيلة من الآن فصاعدا . ليس ثمة قوة تدمر الرأسمالية إذا كان التاريخ نفسه لا ينسفها ويفجرها .

ف. لينين : « الحرب والثورة » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الرابع والعشرون ، ص : ٤٢٨ - ٤٢٩ .

ينسوق ماركس برهانه بالاسناد الى التاريخ ، ويلخص هنا بايجاز حينئذ انه كما أن الصناعة الصفري قد ولدت فيما مضى بفعل تطورها بالذات شروط دمارها ، كذلك ولد اليوم اسلوب الانتساج الرأسمالي ، بنفسه ، الشروط المادية التي يجب أن تؤدي به الى التهلكة .

ف. لينين : من هم « اصدقاء الشعب » وكيف يناضلون ضد الاشتراكيين الديمقراطيين ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الاول ، ص : ١٨٩ .

ان الحرب الامبريالية تدمغ عشية الثورة . وليس ذلك لمجرد أن هوالها ستؤدي الى الثورة البروليتارية - ليس ثمة ثورة تخلق الاشتراكية إذا لم تكن ناضجة اقتصاديا - بل كذلك لأن رأسمالية الدولة الاحتكارية هي التهيئة المادية الاكمل للاشتراكية ، هي مدخل الاشتراكية ، مرحلة التاريخ التي لا تفصلها اية مرحلة متوسطة اخرى عن الاشتراكية .

ف. لينين : « الكارثة الوشيكة ووسائل اجتنابها » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الخامس والعشرون ، ص : ٢٩٠ .

الفارق بين الثورة الاشتراكية والثورات الاجتماعية السابقة

في جميع الثورات السابقة ، كان أسلوب الفعالية لا يتغير ، وكان المقصود هو مجرد توزيع آخر لهذه الفعالية ، توزيع جديد للعمل بين اشخاص آخرين ؛ وبالمقابل فان الثورة الشيوعية موجهة ضد أسلوب الفعالية السابق ، فهي تلغي العمل وتقضي على سيطرة جميع الطبقات بقضائها على الطبقات نفسها ، اذ هي تنجز من قبل الطبقة التي لا تعتبر بعد الآن على انها طبقة في المجتمع ، التي لا يعترف بها بعد الآن بصفتها هذه والتي هي منذ الآن التعبير عن انحلال جميع الطبقات ، وجميع القوميات ، الخ . ، داخل المجتمع الحديث .

د. ماركس وف. انجلز : الايديولوجية الالمانية ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٦٥ .

ان بروليتاريي العصر الراهن ، المستبعدين كليا من كل تظاهرة للذات ، هم وحدهم القادرون على بلوغ تظاهرتهم الكلية ، لا المحدودة بعد الآن ، التي تستقيم في تملك جملة من القوى المنتجة وفي التطور المطروح على هذا الفرار لجملة من المواهب . ان جميع التملكات الثورية السابقة قد كانت محدودة . ان افرادا كانت تظاهرة الذات عندهم محدودة بفعل أداة انتاج محدودة وعلاقات محدودة قد كانوا يملكون أداة الانتاج المحدودة هذه ولا يتوصلون بذلك سوى الى تحديد آخر . كانت أدوات الانتاجية تصبح ملكا لها ، لكنهم كانوا هم أنفسهم يظنون خاضعين لتقسيم العمل ولأداتهم الانتاجية الخاصة . في جميع التملكات السابقة ، كانت كتلة من الافراد تظل خاضعة لأداة انتاج واحدة ؛ اما في التملك من قبل البروليتاريين ، فان كتلة من ادوات الانتاج هي التي تخضع بالضرورة لكل فرد ، والملكية هي التي تخضع للجميع . ان التداول العمومي الحديث لا يمكن أن يخضع للأفراد الا اذا كان خاضعا للجميع .

د. ماركس وف. انجلز : الايديولوجية الالمانية ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٦٣ .

ان سائر الطبقات التي استولت على السلطة فيما مضى قد حاولت تثبيت أوضاعها المكتسبة باخضاع المجتمع بأسره لاسلوب التملك الخاص بها ولا تستطيع البروليتاريا الاستيلاء على القوى المنتجة الاجتماعية الا بالقضاء على اسلوب التملك الذي يخصها في الوقت الحاضر ، وبالقضاء نتيجة ذلك على كل اسلوب للتملك ساري المفعول حتى يومنا هذا . ان البروليتاريا لا تملك شيئاً خاصاً بها حتى تصونه وتحميه ، فرسالها اذن ان تهدم سائر الضمانات والتأمينات السابقة الخاصة بالملكية الفردية .

ان سائر الحركات التاريخية الى يومنا هذا لم تكن سوى حركات قامت بها الاقليات او جرت في مصلحة الاقليات . اما الحركة البروليتارية فهي الحركة العفوية للاكثرية الساحقة في مصلحة الاكثرية الساحقة . فالبروليتاريا التي هي ادنى شريحة في مجتمعنا اراهن لا يمكن ان تنهض وتقوم عودها ما لم تنسف كل البنية الفوقية للشرائح التي تشكل المجتمع الرسمي .

ك. ماركس وف. انجلز : البيان الشيوعي ، منشورات دار دمشق ، ١٩٦٩ ، ص : ٥٩ - ٦٠ .

ان حقيقة ان الثورة قامت باسم الجماهير الشعبية وفي مصلحتها الصريحة ، يعني الجماهير المنتجة ، هي صفة تشترك هذه الثورة فيها مع جميع الثورات التي سبقتها . والصفة الجديدة هي ان الشعب ، بعد الانتفاضة الاولى ، لم يلق سلاحه ولم يضع سلطته بين ايدي المهرجين الجمهوريين للطبقات الحاكمة ؛ ذلك انه اخذ في يده ، من جراء تشكيل الكومونة ، زمام القيادة الفعلية لثورته ووجد في الوقت نفسه ، في حال النجاح ، وسيلة الابقاء عليها بين ايدي الشعب بالذات ، وذلك بالاستعاضة عن جهاز الدولة ، الجهاز الحكومي للطبقات السائدة ، بجهازه الحكومي الخاص .

ك. ماركس : الحرب الأهلية في فرنسا ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٢٢٢-٢٢٤ .

ان الثورات البورجوازية ، مثل ثورات القرن الثامن عشر ، تندفع
 سريرا من نجاح الى نجاح ، وتأثيراتها المأسوية تبرز نفسها، والبشر والاشياء
 يبدو أنهم مأخوذون في نيران ماسية ، وتكون الحماسة المنتشبة هي حالة
 المجتمع الدائمة ، لكن تلك الثورات قصيرة الامد . انها تبلغ بسرعة نقيضها
 القمعية ، فيستولي ضيق مديد على المجتمع قبل أن يتعلم كيف يتملك
 بصورة هادئة وريزية نتائج مرحلته العاصفة . وبالمقابل فان الثورات
 البيزوليتارية ، مثل ثورات القرن التاسع عشر ، تنتقد نفسها باستمرار ،
 وتقطع في كل لحظة مجراها الخاص ، وتعود على ما يبدو أنه قد أنجز من
 قبل كي تبدأ من جديد ، وتسخر دونما هواده من ترددات محاولاتها الاولى
 وضعفها ويؤسها ، وتبدو كأنها لا تصرع خصمها الا كي تتيح له ان يستقي
 قوى جديدة من الارض وينتصب من جديد رهيبا في وجهها ، وتراجع
 باستمرار من جديد امام السمة اللامتناهية لاغراضها الخاصة ، حتى
 يتخلق اخيرا الوضع الذي يجعل كل عودة الى الوراء مستحيلة ، وحتى
 تصرخ الظروف نفسها :

Hic Rhodus, hic salta

ههنا توجد الزهرة ، ههنا ينبغي الرقص !

ك. ماركس : ١٨ برومير لويس بوناپرت ، في
 ك. ماركس وف . انجلز : المؤلفات المختارة ، في
 مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد
 الاول ، ص : ٢٥٤ - ٢٥٥ .

لم تكن ثورات الماضي البورجوازية تطالب الجامعات سوى بالمحامين
 على اعتبارهم المادة الاولى الفضلى من اجل سياسييها ؛ وان تحرير الطبقة
 العاملة ليحتاج فيما عدا ذلك الى مهندسين ، وكيميائيين ، ومهندسين
 زراعيين ، وغيرهم من الاخصائيين ، ذلك أن المقصود هو الاخذ بزمام ليس
 الآلة السياسية فحسب ، بل الانتاج الاجتماعي برمته ايضا : وههنا لا بد

من معارف وطيدة بدلا من العبارات الطنانة .

ف. انجلز : « رسالة الى المؤتمر الاسمي للطبقة
الاشتراكيين » ، نشرت بالروسية في ك. ماركس
وف. انجلز : المؤلفات الكاملة ، المجلد الثاني
والعشرون ، ص : ٤٢٢ .

لقد ادت سائر الثورات حتى الوقت الراهن الى استبدال حكم طبقة معينة
بحكم طبقة اخرى . لكن سائر الطبقات الحاكمة حتى اليوم لم تكن سوى
اقلية ضئيلة بالنسبة الى جبهة الشعب المحكوم . وهكذا كانت إحدى
الاقليات الحاكمة تثقل ، فتأتي اقلية اخرى تستلم دفة الدولة بدلا منها
وتعيد تكوين مؤسسات الدولة بحيث تلائم مصالحها الخاصة . وكانت
هذه الاقلية ، في كل مناسبة ، هي القلة المؤهلة والمدعوة الى الحكم بنتيجة
الدرجة المينة للتطور الاقتصادي . وكان يحدث لهذا السبب بالضبط ،
ولهذا السبب وحده ، ان تسهم الاكثرية المحكومة في الثورة لمصلحة الاقلية ،
او ان تقبل بالثورة بكل هدوء . لكننا اذا تركنا جانبا المضمون الحسي في
كل حالة على حدة ، فقد كان الشكل المشترك لسائر هذه الثورات هو
كونها ثورات الاقلية . وحتى حين تسهم الاكثرية فيها ، فقد كانت تفعل ذلك
— برضاها او بدون رضاها — في خدمة الاقلية فقط ؛ لكن الاقلية كانت تكسب
لهذا السبب ، او حتى لمجرد موقف الاكثرية المنفعل والمجرد عن المقاومة ،
مظهر كونها ممثلة للشعب بأسره .

وعلى العموم ، كانت الاقلية الظافرة تنقسم بعد النجاح الكبير الاول ،
فيرضى نصفها الواحد بالمكتسبات الحاصلة ، بينما يسعى النصف الاخر
الى الذهاب قدما ، فيضع مطالب جديدة تكون ايضا ، بصورة جزئية على
الاقل ، في مصلحة الجبهة العظمى من الشعب ، فعليا او ظاهريا . وكانت
هذه المطالب الاكثر جذرية تفرض حقا في حالات فردية ، لكن بصورة مؤقتة
فقط في اغلب الاحيان . ان الحزب الاكثر اعتدالا يتغلب من جديد ، فاذا
ما تم كسبه مؤخرا يفقد مرة اخرى ، بصورة كاملة او جزئية . وعندئذ

يزرع المغلوبون منلرين بالعدو او يعزون هزيمتهم الى المصادفة . ومهمته
يكن من شيء ، فان حقيقة الامر في الواقع هي حتى درجة بعيدة كما يلي :
ان منجزات الانتصار الاولى لم تحفظ الا بفضل الانتصار الثاني الذي حققه
الحزب الاكثر جدلية . واما يتم ذلك ، ويتحقق معه ما كان ضروريا من
اجل البرهنة الراهنة ، فان الراديكاليين يخنفون مع منجزاتهم مرة اخرى
عن المسرح .

... وكانت الجماهير البروليتارية نفسها ، حتى في باريس بعهد
النصر ، لا تبرح تتمتع في الجهل المطلق بشأن الدرب التي ينبغي سلوكها .
ومع ذلك فقد كانت الحركة هناك ، غريزية ، تلقائية ، عاتية . ألم يكن
ذلك هو بالضبط الوضع الذي يجب ان تنتصر الثورة فيه، وان تكن الاقلية هي
التي تقودها حقا ، لكن ليس في مصلحة الاقلية هذه المرة ، بل في المصلحة
الفعلية للاكثرية ؟ واذا كان من السهل جدا ، في جميع المراحل الثورية
الاطول ، كسب جماهير الشعب الفقيرة بمجرد التصورات الكاذبة الخداعة
للاقليات المندفعة الى الامام ، فلم ينتظر اذن من هذه الجماهير ان تكون
اقل تأثرا بافكار تشكل الانعكاس الاصدق لظرفها الاقتصادي ، افكار ليست
هي سوى التعبير الواضح والعقلاني من حاجاتها ، هذه الحاجات التي لم
تفهمها بعد ، لكنها كانت تحسها فحسب بصورة غامضة ؟ ولا مرأه ان هذا
المزاج الخاص بالجماهير قد افسح المكان بصورة دائمة تقريبا ، وبسرعة
عظيمة عادة ، للاعياء او حتى لشعور من الاشمئزاز حالما يتبخر الوهم وتحل
خيبة الرجاء . الا ان المسألة هنا لم تكن مسألة تصورات كاذبة ، بل مسألة
تحقيق المصالح الخاصة العليا للغالبية الساحقة نفسها ، وهي مصالح لم
تكن حقا واضحة في ذلك الحين مطلقا لهذه الغالبية الساحقة ، لكنها سوف
تصبح واضحة لها في اسرع وقت ، وذلك في مجال تحقيقها العملي ، بنتيجة
وضوحها المقنع .

د. انجلر : « مقدمة مؤلف ك. ماركس :
الصراعات الطبقيه في فرنسا » ، في الصراعات الطبقيه
في فرنسا ، منشورات دار دمشق ، ص : ١٠-٩٩ .

أن أحد الفوارق الأساسية بين الثورة البورجوازية والثورة الاشتراكية هو أننا نشاهد ، بالنسبة الى الثورة البورجوازية التي تنبت على تربة القطاعية ، ان منظمات اقتصادية جديدة تتخلق في قلب النظام القديم بصورة تدريجية وتمدل مظاهر المجتمع القطاعي بصورة تدريجية . وكانت مهمة واحدة تترتب على الثورة البورجوازية ، الا وهي أن تكسب ، وتنبذ ، وتدمر عوائق المجتمع القديم . واما تنجز هذه المهمة ، فان الثورة البورجوازية تنجز كل ما هو مطلوب منها : انها تحرض تطور الرأسمالية .

ان وضع الثورة الاشتراكية مغاير كليا . فكلما ازداد تخلف البلد الذي اضطر ، من جراء تمرجات التاريخ ، ان يبدأ الثورة الاشتراكية ، كان أصعب عليه الانتقال من العلاقات الرأسمالية القديمة الى العلاقات الاشتراكية . فهنا تنضاف الى مهمات التدمير مهمات جديدة ، ذات صعوبة لم يسبق لها مثيل : تلك هي مهمات التنظيم .

ف. لينين : « المؤتمر السابع للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٨٥ - ٨٦ .

في الثورات البورجوازية ، كانت المهمة الرئيسية للجماهير الكادحة تستقيم في انجاز عمل سلبي او تدميري ، الا وهو إلغاء النظام القطاعي ، والملكية ، وبقايا العصر الوسيط . واما العمل الإيجابي ، الخلاق ، عمل تنظيم المجتمع الجديد ، فان الاقلية المالكة ، الاقلية البورجوازية من السكان ، هي التي أخذته على عاتقها . ولقد انجزت هذه المهمة على الرغم من مقاومة العمال والفلاحين الفقراء ، بسهولة نسبية ، ولم يكن ذلك لمجرد كون مقاومة الجماهير التي يستثمرها الرأسمال بالغة الضعف بعد بسبب من تبعثرها وجهلها ، بل كذلك لان القوة المنظمة الرئيسية للمجتمع الرأسمالي ببنيتها الفوضوية قد كانت السوق الوطنية والدولية ، التي تمتد تلقائيا عمقا واتساعا .

وعلى العكس من ذلك ، فالمهمة الرئيسية التي يجب على البروليتاريا والفلاحين الفقراء الذين تقودهم ان يتكفلوا بها في كل ثورة اشتراكية ، وبنتيجة ذلك في الثورة الاشتراكية التي باشرناها في روسيا يوم ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، هي عمل ايجابي أو خلاق يستقيم في انشاء نظام بالغ التعقيد والدقة لعلاقات تنظيمية جديدة تشمل الانتاج والتوزيع المنتظمين للمنتجات الضرورية لوجود عشرات الملايين من البشر .

ف. لينين : « المهمات الفورية لسلطة المجالس السوفيتية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس-موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٢٤٦ - ٢٤٩ .

كان مصاب ثورات الماضي أن الحماسة الثورية للجماهير ، هذه الحماسة التي تغذي حالة التوتر عندهم وتمنحهم القوة على الاقتصاص دون هواده من عناصر الانحلال ، مما كانت تستثمر طويلا . ولقد كان السبب الاجتماعي ، يعني السبب الطبقي لهذا التقلل الذي تتسم به الحماسة الثورية للجماهير هو ضعف البروليتاريا ، القادرة وحدها (إذا كانت على قدر كاف من التعداد والوعي والانضباط) ان تجمع حولها غالبية الشغيلة والمستثمرين (غالبية الفقراء إذا أردنا ان نستعمل لغة أبسط وأكثر شعبية وان تحتفظ بالسلطة لفترة كافية من اجل سحق المستثمرين وجميع عناصر الانحلال سحقا نهائيا .

ف. لينين : « المهمات الفورية لسلطة المجالس السوفيتية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس-موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٢٧٤ .

خذوا المجتمع الاقطاعي القديم . لقد كانت الثورات فيه سهلة بصورة تبعث على السخرية ، طالما كان المقصود انتزاع السلطة من زمرة من النبلاء والاقطاعيين بغرض تسليمها الى زمرة أخرى . خذوا المجتمع البورجوازي الذي يتبجح باقتراعه العمومي . اننا نعرف أن هذا الاقتراع العمومي ، هذا الجهاز كله يتحول في حقيقة الامر الى خديعة ، ذلك ان الغالبية العظمى

من الشغيلة مضطهدة ومسحوقة حتى في البلدان الديمقراطية الاكثر تقدما ، والاكثر حضارة ، مسحوقة بفعل السجن الرأسمالي حتى أنها لا تسهم عمليا ولا تستطيع ان تسهم في السياسة . أما اليوم ، وللمرة الاولى في تاريخ الانسانية ، فانه تظهر ثورة تستطيع ان تقود الى نصر الاشتراكية التام ، بشرط وحيد هو أن تأخذ جماهير جديدة غفيرة في حكم ذاتها بذاتها .

ف. لينين : « تقرير الى المؤتمر الثاني لثقبات روسيا ، بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩١٩ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٤٤٠ .

... حتى اذا عدنا عشرة آلاف خطيئة لقاء مائة عمل سليم ، فان ثورتنا ستظل مع ذلك - وهذا ما سوف تكون عليه ايام التاريخ - عظيمة لا تقهر ، ذلك انه للمرة الاولى تمعد الجماهير الحقيقية ، الغالبية الساحقة للشغيلة ، وليس اقلية ضئيلة ، الاغنياء وحدهم ، الشرائح المثقفة وحدها ؛ الى ان تبني بنفسها حياة جديدة والى ان تحسم ، بالاستناد الى تجربتها الخاصة ، القضايا الشائكة جدا للتنظيم الاجتماعي .

ف. لينين : « رسالة الى العمال الاميريين » .
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٦٨ .

كيما تقهر الرأسمالية على العموم يجب بادىء الامر ان تقهر المستثمرين وأن نحافظ على سلطة المستثمرين ، يعني ان نقلب المستثمرين بمساعدة القوى الثورية ؛ وفيما بعد تأتي المهمة البناءة ، التي تستقيم في اقامة علاقات اقتصادية جديدة ، وفي اقامة الاسلوب الذي يتم ذلك به بالقدوة . إن هذين المظهرين للثورة الاشتراكية مترابطان بصورة لا تنفصم ويميزان ثورتنا من جميع الثورات السابقة ، التي كان المظهر التدميري كافيا فيها .

ف. لينين : « وضعنا الخارجي والداخلي ومهمات الحزب » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٤٢٢ .

طبقات المجتمع الرأسمالي ، مكانها ودورها في الثورة الاشتراكية

اصحاب قوة العمل البسيطة ، واصحاب الراسمال والملاكون
المقاريون ، ومصادر دخل كل فئة منهم هي الاجرة ، والربح ، والريع
المقاري ؛ وبنتيجة ذلك فان العمال المأجورين والرأسماليين والملاكين
المقاريين يشكلون الطبقات الكبرى الثلاث للمجتمع الحديث القائم على
نظام الانتاج الرأسمالي .

ل. ماركس : رأس المال ، المنشورات الاجتماعية ،
باريس ، الكتاب الثالث ، المجلد الثالث ، ص: ٢٥٩.

أن العامل الحديث ، البروليتاري ، هو نتاج للثورة الصناعية الكبرى
التي قلبت رأسا على عقب ، وبخاصة في سياق السنوات المائة الاخيرة ،
اسلوب الانتاج في جميع البلدان المتحضرة ، اسلوب انتاج الصناعة اولا ،
ومن بعد الزراعة ؛ ولقد ترتب على ذلك أن طبقتين فقط تسهمان في
الانتاج ، طبقة الرأسماليين التي تملك ادوات العمل والمواد الاولية ووسائط
المعيشة ، وطبقة العمال التي لا تملك لا ادوات العمل ، ولا المواد الاولية ،
ولا وسائط المعيشة ، ويجب عليها ايضا أن تبتاع بثمن عملها هذه الوسائط
الاخيرة من الرأسماليين . وهكذا فان البروليتاري الحديث يواجه بصورة
مباشرة طبقة اجتماعية مناوئة واحدة ، طبقة تعارضه وتستثمره ، الا
وهي طبقة الرأسماليين ، طبقة البورجوازيين . . .

وان الصناعة الكبرى لتنتج ايضا، فيما عدا البورجوازية والبروليتاريا،
شيئا اشبه بطبقة متوسطة ، وتلك هي البورجوازية الصغيرة . ان هذه
البورجوازية الصغيرة تتألف جزئيا من بقايا البورجوازيين نصف
الوسيطيين للايام الماضية ، وجزئيا من عمال توصلوا الى الارتفاع قليلا فوق
المستوي العام . وانها لتسهم في الانتاج اقل من اسهامها في توزيع البضائع ؛
فالتجارة بالمفرق هي حرفتها الرئيسية . وفيما كان البورجوازيون القدامى
يشكلون الطبقة الاكثر استقرارا ، فان البورجوازية الصغيرة الحديثة هي

الطبقة التي تتطور أكثر ؛ ان الافلاس قد اضحى ظاهرة شائعة بالنسبة اليها .
ولما كانت تملك رأسمالا صغيرا ، فان شروطها الحياتية تشاركها مع البورجوازية ،
بيد ان تقلب وجودها يجعلها تشبه البروليتاريا . وان مركزها السياسي
ليضاهي في تناقضه مركزها الاجتماعي ؛ ومع ذلك ، فان « الديمقراطية
الخالصة » هي على العموم تعبيرها الاصح . ان رسالتها السياسية تستقيم
في دفع البورجوازية قدما في النضال ضد بقايا المجتمع القديم ، وعلى الاخص
ضد ضعفها الخاص وفيما وراء جنبها الخاص ، وفي مساعدة هذه
البورجوازية على تحصيل الحريات المختلفة - حرية الصحافة ، والاجتماع ،
وتشكيل الجمعيات ، والاقتراع العام ، والاستقلال الذاتي في تسيير
الشؤون المحلية - التي تستطيع البورجوازية الرعيديّة الاستغناء عنها بالرغم
من طبيعتها البورجوازية ، لكن التي لا يستطيع العمال قط ان يحصلوا على
تحررهم بدونها .

وفي سياق الصراع بين بقايا المجتمع القديم السابق للطوفان
والبورجوازية ، تحين اللحظة عاجلا أو آجلا في كل مكان ، هذه اللحظة حيث
الطرفان المتواجهان يستنجدان بالبروليتاريا التي يسعيان الى كسب تأييدها .
وتوافق هذه اللحظة على العموم مع اللحظة التي تأخذ الطبقة العاملة فيها
تتحرك هي نفسها . ان المثليين الاقطاعيين والبيروقراطيين للمجتمع المتحضر
ينادون العمال ليهاجموا معهم مصاصي الدماء الرأسماليين ، وهم وحدهم
اعداء العامل ، بينما يوضح البورجوازيون للعمال انهم يمثلون سوية العصر
الاجتماعي الجديد ، على الاقل في مواجهة الشكل الاجتماعي القديم المتحضر .
وفي الوقت نفسه تحوز الطبقة العاملة تدريجيا على وعي حقيقة انها طبقة
مخصوصة ، لها مصالحها الخاصة ، ومستقبلها المستقل الخاص ...

ف. انجلز : « المسألة العسكرية في بروسيا
والحزب العمالي الالمانى » ، مؤلفات ماركس وانجلز ،
برلين ، المجلد السادس عشر ، ص : ٦٦ - ٦٨ .

... لسنا نعرف في المجتمع الرأسمالي أو نصف الرأسمالي سوى ثلاث طبقات:

البورجوازية ، والبورجوازية الصغيرة (التي تمثلها طبقة الفلاحين بصورة رئيسية) والبروليتاريا .

ف. لينين : « هل يحتفظ البلاشفة بالسلطة ؟ »
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السادس والعشرون ، ص : ٩١ .

يمكننا أن نقول أن كتاب ماركس رأس المال يتمسك برمته بتبيان هذه الحقيقة ، الا وهي أن قوى المجتمع الرأسمالي الأساسية هي ولا يمكن أن تكون سوى البورجوازية والبروليتاريا : البورجوازية على أنها بانية هذا المجتمع الرأسمالي ، على أنها قائده ، على أنها محركته ؛ والبروليتاريا على أنها خفار قبره ، على أنها القوة الوحيدة القمينة بالمحلول مكانه .

ف. لينين : « المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي البلشفي في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ١٩٩ - ٢٠٠ .

البورجوازية والملاكون العقاريون ، والبروليتاريا ، والبورجوازية الصغيرة والملاكون الصغار ، وعلى الاخص طبقة الفلاحين ، هذه هي القوى الأساسية الثلاث التي تتوزع روسيا فيما بينها ، مثلها كمثل أي بلد رأسمالي . هذه هي « القوى » الثلاث الأساسية التي تم البرهان على وجودها في جميع البلدان الرأسمالية (بما فيها روسيا) لا من قبل التحليل الاقتصادي العلمي فحسب ، بل كذلك من قبل التجربة السياسية للتاريخ الحديث لجميع البلدان ، من قبل تجربة جميع الثورات منذ القرن الثامن عشر في أوروبا ، من قبل تجربة كلا الثورتين الروسيتين لعام ١٩٠٥ وعام ١٩١٧ .

ف. لينين : « هل يحتفظ البلاشفة بالسلطة ؟ »
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السادس والعشرون ، ص : ١٢١ .

يعرف كل ماركسي ، منذ زمن طويل ، هذه الحقيقة ، ألا وهي أن القوى الحاسمة في المجتمع الرأسمالي لا يمكن أن تكون سوى البروليتاريا والبورجوازية ، بينما جميع العناصر الاجتماعية القائمة بين هاتين الطبقتين ، وهي العناصر التي تدخل تحت العنوان الاقتصادي للبورجوازية الصغيرة ، تتردد بصورة محتومة بين هذه القوى الحاسمة . لكن اليون شاسع بين الاعتراف الكتابي بهذه الحقيقة والقدرة على استخلاص النتائج التي تترتب على ذلك في وضع معقد ينبغي فيه التصرف بصورة عملية .

ف. لينين : « الامتيازات الثمينة لبيتريم سوروكين » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ١٩٠ .

الثورة الاشتراكية والبورجوازية

ان ما يميز البورجوازية من جميع الطبقات التي حكمت فيما مضى هو الخاصية التالية ألا وهي ان في تطورها منعطفاً لاتفعل انطلاقاً منه كل زيادة في وسائل قوتها ، وبالتالي في رساميلها بالدرجة الاولى ، سوى الاسهام في عجزها المتعاظم عن السيطرة السياسية . « إن البروليتاريين ينتصبون وراء البورجوازيين الكبار » . فالبورجوازية تنجب البروليتاريا بقدر ما تنمي صناعتها وتجاريتها ووسائل مواصلاتها . وفي لحظة معينة - وليست هذه اللحظة هي نفسها بالضرورة في كل مكان وليس من الواجب بصورة مطلقة ان تبلغ نفس الدرجة من التطور - تأخذ تتبين أن صنوها ، البروليتاريا ، تتجاوزها بخطى جسيمة . وإنما لتفقد انطلاقاً من هذه اللحظة القدرة على الاحتفاظ بسيطرتها السياسية بصورة مائعة ؛ انها تبحث عن حلفاء تتقاسم سلطانها معهم ، وتتنازل لهم عنه كلياً ، وفقاً للظروف .

ف. انجلز : « مقدمة الطبعة الثانية لكتاب حرب الفلاحين في ألمانيا » ، في ف. انجلز : الثورة الديمقراطية البورجوازية في ألمانيا » ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ١٥ .

في حقيقة الامر ان الوظيفة الاقتصادية للطبقة الوسطى الرأسمالية قد كانت في أيامنا الحالية خلق النظام الحديث للمانيفاكتورات والمواصلات التي تستخدم البخار وسحق كل عقبة اقتصادية او سياسية تمنع تطور هذا النظام او توخره . وليس ثمة ريب على الاطلاق في أن الطبقة الرأسمالية كانت ، طوال إنجازها هذه الوظيفة ، في هذه الشروط ، طبقة لا غناء عنها . لكن الا يزال الامر كذلك ؟ أما تبرح تحقق وظيفتها الاساسية في ادارة الانتاج الاجتماعي وتوسيعه لمصلحة المجتمع بأسره ؟ فلنر قليلا .

اذا بدأنا بوسائط المواصلات ، وجدنا البرق بين أيدي الحكومة . وان الخطوط الحديدية وقسما كبيرا من البحرية التجارية هي ملك ليس لرأسماليين فرادى يديرون أعمالهم الخاصة ، بل لشركات ذات رأسمال مشترك يدير شؤونها ، لحساب الرأسماليين ، مستخدمون خاصون ، خدم وضيعتهم هي وضعية الرؤساء ، الافضل أجورا من العمال . أما المدراء والمساهمون فيعلمون انه بقدرما يتضاءل تدخل الاولين في الادارة والآخرين في الرقابة يكون ذلك افضل بالنسبة الى الشركة . وبالفعل فان رقابة ضئيلة وسطحية فقط هي الوظيفة الوحيدة المتروكة لصاحب العمل . وهكذا ترى ان الرأسماليين المالكين لهذه المؤسسات الضخمة لا يملكون في واقع الامر وظيفة أخرى ، فيما يتعلق بهم ، سوى قبض حصصهم من الارباح مرة كل ستة اشهر . ان الوظيفة الاجتماعية للرأسمالية قد نقلت هنا الى خدم يتناولون أجورا ؛ بيد أن الرأسماليين يستمرون في تناول مكافأة هذه الوظيفة ، على صورة أرباح ، بالرغم من توقفهم على املائها .

ف. انجلز . « الطبقات الاجتماعية : ضرورتها وعدم ضرورتها » منشور بالروسية في : ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات الكاملة ، المجلد التاسع عشر ، ص : ٢٩٧ - ٢٩٨ .

كان ماركس وانجلز سباقين الى البرهان على أن الطبقة العاملة ومطالبيها هي نتاج ضروري للنظام الاقتصادي الحالي الذي يخلق وينظم

بصورة لا مفر منها البروليتاريا في الوقت نفسه مع البورجوازية ؛ لقد بينا ان ما سوف يخلص الانسانية من الشرور التي ترهقها اليوم ليست هي المساعي ذات النوايا الطيبة لبعض الرجال الرحماء القلب ، بل النضال الطبقي للبروليتاريا المنظمة .

ف. لينين : « فريديريك انجلز » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ١٢ .

تعتبر البورجوازية هنا طبقة ثورية - بوصفها عامل الصناعة الكبرى - بالقياس الى السادة الاقطاعيين والطبقات المتوسطة الذين يرغبون في الابقاء على سائر المراكز الاجتماعية التي هي وليدة اساليب في الانتاج بليت وعفا الزمان عليها . وهكذا فان الاقطاعيين والطبقات المتوسطة لا يشكلون مع البورجوازية كتلة رجعية واحدة .

وبالمقابل ، فان البروليتاريا ثورية بالقياس الى البورجوازية لانها تجهد ، اذ نشأت هي نفسها على اساس الصناعة الكبرى ، كي تنزع عن الانتاج تلك الصفة الرأسمالية التي تسمى البورجوازية الى تأبيدها .

ك. ماركس : نقد برنامج غوتا ، في ك. ماركس وف. انجلز ، دراسات اقتصادية ، منشورات دار دمشق ، ص : ٢١٦ .

خصائص البورجوازية الصغيرة بوصفها طبقة

كانت الكتلة العظمى من الامة ، التي لا تنتسب لا الى النبالة ولا الى البورجوازية ، تتألف في المدن من البورجوازيين الصغار ومن العمال ، وفي الريف من الملاحين .

ان طبقة الحرفيين الصغار واصحاب الدكاكين فقيرة جدا في المانيا من جراء الموائق القائمة في سبيل تطور طبقة الرأسماليين والصناعيين

الكبار في هذا البلد . وانها لتشكل في المدن الكبرى غالبية السكان على وجه التقريب ، وتسود بصورة مطلقة في المدن الصغرى ، بفضل انعدام المنافسين الاكثر نفوذا او الاعظم ثروة . ان البورجوازية الصغيرة ، التي تملك اعظم الاهمية في كل دولة حديثة وفي جميع الثورات الحديثة ، لذات اهمية مخصوصة في المانيا حيث لعبت بصورة دائمة على وجه التقريب دورا حاسما في سياق الصراعات الجديدة . ان موقعها المتوسط بين طبقة الراسماليين الكبار ، من تجار وصناعيين ، اي البورجوازية بالمعنى الصحيح للكلمة ، والطبقة البروليتارية او الكادحة ، يحدد طابعها المميز . انها تتوق الى مركز البورجوازية ، لكن ادنى حظ عاثر يلقي بأفراد هذه الطبقة بين صفوف البروليتاريا ولما كانت هذه الطبقة تترنح دون انقطاع بين الامل في الارتفاع الى صفوف الطبقة الاغنى والخوف من السقوط في حالة الطبقة البروليتارية ، او حتى المعوزة ، وكانت تتوزع بين الرجاء في دفع مصالحها قدما بفعل الاستيلاء على نصيب في قيادة الشؤون السياسية والهلح من ان تثير بمعارضة في غير وقتها غضب حكومة تتصرف بوجودها بالذات، ما دامت تملك القدرة على أن تنتزع منها أفضل زبائنها ، هي التي تملك ثروة متواضعة يتناسب تعرضها للخطر عكسا مع مقدارها ، فاننا نجد لها متذبذبة حتى الدرجة القصوى في آرائها . انها تميل ، وهي الوضيعة والخاضعة بذل في ظل الحكومة الاقطاعية او الملكية ، الى الليبرالية عندما تكون البورجوازية في صعود ؛ وانه لتنتابها نوبات ديموقراطية عنيفة تؤمن البورجوازية هيمنتها الخاصة ، لكنها تعود فتتهاوى في يأس محزن حالما تحاول الطبقة التي دونها، البروليتاريا ، القيام بحركة مستقلة .

ف. انجلز : « الثورة والثورة المضادة في المانيا »
 في ف. انجلز : الثورة الديموقراطية البورجوازية
 في المانيا ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ،
 ص : ٢٠٧ - ٢٠٨ .

لو كان الامر يتوقف على البورجوازية الصغيرة ، فانها ما كانت تتخلى بملء ارادتها عن الميدان الحقوقي للصراع الشرعي ، السلمى ، الفاضل ،

وتقايض الاسلحة المسماة اسلحة الفكر مقابل البنادق والحجارة . ان تاريخ جميع الحركات السياسية منذ ١٨٣٠ في ألمانيا ، وكذلك في فرنسا وانكلترا ، يظهر لنا دائما هذه الطبقة المتبجحة وهي تعلق على رؤوس الاشهاد نواياها الطيبة ، بل تدفع باللغوي بعض الاماكن حتى التطرف ، طالما انها لا تلحظ أي خطر ؛ بيد انها تصبح مذعورة ، وتحفظات كلها ، ومستعدة لتسوية كل شيء ، حالما يندر ادنى خطر بقرنه ؛ ولا تكاد الحركة التي أطلقتها تمسك طبقات أخرى بزمامها وتحملها محمل الجد حتى تدهش ، وتقلق ، وتردد؛ وانه ليكفي ان ينتهي الامر الى القتال والاسلحة مشرعة حتى تخون الحركة بأسرها حبا بوجودها البورجوازي الصغير - وفي آخر الامر ، فانها تكون دائما ، من جراء ترددها ، موضع الهزاء وسوء المعاملة بصورة خاصة حالما يتحقق النصر للحزب الرجعي .

ف. انجلز : « الحملة من أجل دستور الرابع »
في ف. انجلز : الثورة الديمقراطية البورجوازية
في ألمانيا ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ،
ص : ١١٦ .

منتج صغير ، ينتج في نظام للاقتصاد التجاري ، تانك هما القرينتان اللتان تشكلان مفهوم « البورجوازي الصغير » ، أو Kleinbourger . فهذا التعريف يناسب اذن على حد سواء الفلاح والحرفي الصغير اللذين وضعهما الشعبيون دائما على صعيد واحد ، وبحق ، طالما أن كلاهما منتج يعمل من أجل السوق ولا يتميز الا بالدرجة التي بلغها تطور الاقتصاد التجاري .

ف. لينين : « مضمون الشعبية الاقتصادي ونقده
من قبل السيد ستروفيه في كتابه « المؤلفات
الكاملة » باريس - موسكو ، المجلد الاول ، ص : ٤٢٨ .

ان المنتجين الصغار ، المعادين للرأسمالية ، يمثلون طبقة انتقالية ، متاخمة للبورجوازية ؛ لذا فانهم لا يستطيعون ان يفهموا ان الرأسمالية

الكبرى التي تصدهم ليست بالشيء الطارئ ، بل نتاجا مباشرا لجماع النظام الراهن الاقتصادي (والاجتماعي ، والسياسي ، والحقوقى) ، المشتق من صراع القوى الاجتماعية المتناهضة . ان انكار هذه الحقيقة هو وحده الذي يمكن ان يؤدي الى هذا السخف المطلق الذي هو الاستنجاد «بالدولة» فكان النظام السياسي لا يشتق جذوره من النظام الاقتصادي ، كانه لا يفسر هذا النظام الاخير ولا يخدمه .

ف. لينين : « مضمون التسمية الاقتصادي ونقده من قبل السيد ستروفيه في كتابه » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الاول ، ص : ٢٨٢ - ٢٨٤ .

ان المنتجين الصغار المنزليين ، الفلاحين ، منظمون اقتصاديا وسياسيا اما من قبل البورجوازية (لقد كان الامر كذلك على الدوام في النظام الرأسمالي ، في جميع البلدان ، وفي جميع ثورات الازمنة الحديثة ، ولسوف يكون كذلك دائما في النظام الرأسمالي) واما من قبل البروليتاريا (لقد كان الامر كذلك ، في شكل مضفي ولزمن قصير جدا ، في أوج بعض الثورات الحديثة العظمى ، وكان الامر كذلك في روسيا ، في ١٩١٧ - ١٩٢١ ، في شكل اكثر تطورا) . ان النرجسيين ، المفرورين بأنوسهم ، يستطيعون وحدهم ان يثرثروا ويحلّموا بطريق « ثالث » ، بقوة « ثالثة » .

ف. لينين : « الضريبة عينا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص : ٢٨٤ .

يد ان الصفة الاساسية والمميزة للبورجوازي الصغير هي النصال ضد الروح البورجوازية بوسائط المجتمع البورجوازي نفسه .

ف. لينين : « مضمون التسمية الاقتصادي ونقده من قبل السيد ستروفيه في كتابه » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الاول ، ص : ٣٧٧ .

ليس المنتج الصغير اذن ، الذي رفعه الرومانسيون والشمعيون الى السحب ، سوى بورجوازي صغير في حقيقة الامر ، موضوع في نفس العلاقات المتناقضة كأي عضو آخر في المجتمع الراسمالي ، يخوض مثله ، في سبيل ضمان وجوده ، نضالا ينتج باستمرار ، من جهة واحدة ، اقلية من البورجوازيين الكبار ، ويلقي بالغالبية من جهة أخرى في صفوف البروليتاريا . وفي واقع الامر ، كما يرى ذلك الجميغ ويعرفونه ، ليس تمة منتجون صفار الا وهم موضوعون بين هاتين الطبقتين المتعارضتين . وان هذا الموضوع المتوسط يحدد بالضرورة الطابع النوعي للبورجوازية الصغيرة ، وازدواجيتها ، ونفاقها ، وتعاطفها مع الاقلية التي تخرج ظافرة من الصراع ، وبعدها تجاه « العائرين » ، يعني الغالبية . وبقدار ما يتطور الاقتصاد التجاري تحت هذه الصفات وتتوطد ، ويتضح أكثر فأكثر ان لباس الانتاج الصغير لباس المثالية لا يعبر الا عن وجهة نظر رجعية ، بورجوازية صغيرة .

ف. لينين : « في سبيل وصف الرومانسية الاقتصادية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ٢٢١ .

خصائص طبقة الفلاحين :

يشكل الفلاحون الجزاؤون كتلة هائلة يعيش أفرادها جميعا في الوضع نفسه ، لكن دون ان تربط فيما بينهم علاقات متنوعة . ان اسلوبهم في الانتاج يعزلهم عن بعضهم بعضا بدلا من ان يقودهم الى علاقات متبادلة . وانه ليزيد من سوء هذا الانعزال ايضا الحالة الرديئة لوسائل المواصلات في فرنسا وفقر الفلاحين . ولا يسمح استثمار قطعة الارض بأي تقسيم للعمل ، او بأي استخدام للطرائق العلمية ، ونتيجة ذلك لا يتبع أي تنوع في التطور ، او أي تنوع في الواهب ، أو أي غنى في العلاقات الاجتماعية . ان كل أسرة من الاسر الفلاحية تكفي ذاتها بذاتها بصورة تامة على وجه التقريب ، وتنتج هي نفسها بصورة مباشرة القسم الأكبر مما تستهلكه ، وبذلك تحصل على وسائل معيشتها بالمبادلة مع الطبيعة أكثر مما تحصل عليها بالمبادلة

مع المجتمع ويقدر ما تحيا ملايين الاسر الفلاحية في شروط اقتصادية
تفصلها عن بعضها بعضا وتعارض أسلوبها في الحياة ، ومصالحها ، وثقافتها ،
بأسلوب حياة طبقات المجتمع الاخرى ومصالحها وثقافتها ، فهي تشكل
طبقة . بيد انها لا تشكل طبقة بقدر ما لا يقوم بين الفلاحين المجزأين سوى
رابطة محلية ، ويقدر ما لا يخلق تشابه مصالحهم فيما بينهم أي جماعية ،
أي رابطة قومية ، أو أي تنظيم سياسي . وهذا هو السبب في عجزهم عن
الدفاع عن مصالحهم الطبقية باسمهم الخاص ، سواء عن طريق برلمان ،
أم عن طريق جمعية وطنية . انهم لا يستطيعون أن يمثلوا أنفسهم ، بل
يجب أن يكونوا ممثلين . ويجب أن يتراءى ممثلوهم في نظرهم ، في نفس
الوقت ، على أنهم سادتهم ، على أنهم سلطة عليا ، على أنهم قوة حكومية
مطلقة ، تحميهم ضد الطبقات الاخرى وتوجد عليهم من عل بالطر والطقس
الجيد . وبنتيجة ذلك فان النفوذ السياسي للفلاحين المجزأين يجد تعبيره
الاسمى في خضوع المجتمع للسلطة التنفيذية .

ك. ساركس : ١٨ برومير لويس بونايرت ، في
ك. ساركس وف. انجلز ، المؤلفات المختارة ، في
مجلدين ، مطبوعات التقدم ، موسكو ، المجلد
الاول ، ص : ٢٤٥ - ٢٤٦ .

. ان ما يتبين من تاريخ جميع البلدان الحديثة هو ان
السكان الزراعيين لا يستطيعون قط ان يجربوا حركة مستقلة ظافرة ،
وذلك من جراء تبثرهم على مساحة شاسعة من الارض وصعوبة خلق
تفاهم بين قسم على قدر من الاهمية منهم ؛ انه يلزمهم دفع بدئي من سكان
المدن ، الذين هم اعظم تمركزا ، وأكثر استنارة ، وأسهل على التحرك .

ف. انجلز : « الثورة والثورة المضادة في المانيا » ،
في ف. انجلز : الثورة الديموقراطية البورجوازية
في المانيا ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ،
ص : ٢٦٠ .

اننا نقصد بالفلاح الصغير هنا صاحب او مستأجر - وبالخاصة صاحب

قطعة من الارض لا تزيد على العموم عما يستطيع ان يفلحه مع عائلته بسورة منتظمة ، ولا تصغر عما يكفي من أجل معيشة هذه العائلة . وهكذا فان هذا الفلاح الصغير ، مثله مثل الحرقي اليدوي الصغير ، هو كادح يختلف عن البروليتاري الحديث بأنه لا يبرح يملك وسائل عمله بعد ، وبالتالي فهو من مخلفات الاسلوب الماضي في الانتاج . . .

لقد كانت الاسرة ، والقرية اكثر من ذلك ، تقوم بأودها الخاص ، وتنتج كل ما تحتاج اليه على وجه التقريب . ذلك كان اقتصادا طبيعيا صرفا تقريبا - ولم تكن الحاجة تمس الى أي مال تقريبا . ووضع الانتاج الراسمالي حدا لذلك كله باقتصاده النقدي وصناعته الكبرى . لكن اذا كان الانتفاع بالارض الجماعية احد شروط وجودها الاساسية ، فقد كانت ممارسة صناعة ما بصورة ملحقة شرطا آخر من هذه الشروط ، وهكذا راح الفلاح يتدهور اكثر فأكثر . فالضرائب ، والمواسم السيئة ، وتقسيمات الارث ، والمنازعات القضائية ، تلقي بالفلاحين ، الواحد تلو الآخر ، بين ذراعي المرابي . وتعمم المديونية اكثر فأكثر ، وتزداد مقدارا بالنسبة الى كل فرد ؛ وباختصار ، فان فلاحنا الصغير ، مثله مثل كل باقٍ آخر على قيد الحياة من مخلفات أسلوب ماضٍ في الانتاج ، هالك بصورة لا مفر منها . انه بروليتاري مقبل .

وعلى هذا الاساس ، فلا بد أن يعبر أذنا صاغية الى الدعاية الاشتراكية . لكن ما يمنعه عن ذلك بصورة مؤقتة هو احساسه العميق الجذور بالملكية .

ف. انجلز : المسألة الفلاحية في فرنسا والمانيا ،
في ك. ماركس وف. انجلز ، دراسات اقتصادية ،
منشورات دار دمشق ، ص : ٢٤٦ - ٢٤٧ .

ان طبقة الفلاحين لتظل طبقة ، حيال الاقطاعي ، والسادة الاقطاعيين ، والدولة التي تخدمهم ، وليست هي طبقة من المجتمع الراسمالي ، بل من

المجتمع الاقطاعي ، يعني طبقة - طائفة* . **وطالما** ان هذا التضاد الطبقي بين « الفلاحين » والملاكين العقاريين المنعمين ، الخاص بالنظام الاقطاعي ، قائم في اريافنا ، فان من واجب الحزب العمالي ، من دون ادنى ريب ، أن ينحاز الى جانب « طبقة الفلاحين » ، وان يدعم نضالها ، وان يستحشها **على النضال ضد جميع بقايا الرق .**

اننا نضع كلمتي طبقة الفلاحين بين اقواس صغيرة كيما نسجل وجود تناقض اكيد بصورة مطلقة : فمن الطبيعي ان طبقة الفلاحين ليست بعد الآن طبقة وحيدة في المجتمع الحديث . وان من يستاء لهذا التناقض ينسى انه ليس من تناقضات العرض او المذهب ، بل من تناقضات الحياة نفسها . ليس هو تناقضا مبتكرا ، بل تناقضا جدليا حيا . **وطالما** ان المجتمع القائم على الرق ينحى جانبا في اريافنا من قبل المجتمع «الحديث» (البورجوازي)، فان طبقة الفلاحين تكف عن تكوين طبقة واحدة كي تنقسم الى بروليتاريا ريفية وبورجوازية ريفية (كبيرة ومتوسطة وصغيرة وصغيرة جدا) . **وطالما** ان العلاقات الاقطاعية لا تبرح قائمة ، فان « طبقة الفلاحين » تستمر في كونها طبقة ، يعني - واننا لنكرر ذلك - طبقة من المجتمع البورجوازي، بل الاقطاعي . وان كلمة « طالما » هذه تعبر في حقيقة الامر عن التشابك **البالغ التعقيد للعلاقات البورجوازية في الريف الروسي في الوقت الحاضر .**

ف. لينين : « البرنامج الزراعي للاشتراكية
الديموقراطية الروسية » ، المؤلفات الكاملة ،
الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السادس ، ص: ٩٧ .

* من المعروف ان الفوارق الطبقة ، في المجتمع العبودي والاقطاعي ، كانت تتظاهر كذلك في انقسام السكان الى طوائف ، اذ ان لكل طبقة مكانها الحقوقي المخصوص في الدولة . وهذا هو السبب في ان الطبقات في المجتمع العبودي والاقطاعي (وكذلك في ظل نظام الرق) قد كانت في الوقت نفسه طوائف متميزة . وعلى العكس من ذلك ، فان جميع المواطنين في المجتمع الراسمالي البورجوازي متساوون حقوقيا ، والانقسامات الى طوائف قد اقيمت (مبدئيا على الاقل) ، ولذا كفت الطبقات عن كونها طوائف . ان انقسام المجتمع الى طبقات مشترك بين المجتمع العبودي والمجتمع الاقطاعي والمجتمع البورجوازي ، لكن في المجتمعين الاولين طبقات - طوائف ، اما في المجتمع الاخير فتمت طبقات لا طوائف البتة .

وأما كتلة ... الفلاحين ، فيجب أن نميز فيها ثلاث زمر أساسية :
 الزمرة الدنيا ، ألا وهي الشرائح البروليتارية ونصف البروليتارية من
 السكان ؛ والزمرة الوسطى ، ألا وهي الملاكون الفقراء ؛ والزمرة العليا ، ألا
 وهي الملاكون الميسورون . وأن المشرعات الاقتصادية الرئيسية لهذه الزمر
 على اعتبارها عناصر طبقية متميزة قد كانت موضع تحليل مفصل أعلاه .
 إن الزمرة الدنيا تتشكل من السكان غير المالكين الذين يعيشون بصورة
 رئيسية ، أو بصورة نصفية ، من بيع قوة عملهم . وتتشكل الزمرة الوسطى
 من الملاكين الصغار الفقراء ، لأن الفلاح المتوسط لا يتوصل قط إلى جمع
 الطرفين إلا في السنوات الفضلى ، لكن الواسطة الرئيسية للمعيشة هنا
 هي الاستثمار الصغير « المستقل » (المزعوم مستقلا ، وهذا أمر مفروغ
 منه) . وأخيرا فإن الزمرة العليا تتمثل في الملاكين الصغار الميسورين الذين
 يستثمرون عددا تزيد أهميته أو تنقص من العمال الزراعيين ، من مياومين
 يملكون حصة من الأرض ، وعلى العموم من ماجورين من مختلف الأنواع .

ف. لينين : تطور الرأسمالية في روسيا ، المؤلفات
 الكاملة ، باريس - موسكو ، الطبعة الروسية
 الرابعة ، المجلد الثالث ، ص : ٤٤٠ .

إن الفلاحين مشتتون من وجهة النظر الاقتصادية : هم ملاكون جزئيا
 وعمال جزئيا . وتجتذبهم الملكية نحو الرأسمالية . « بقدر ما أبيع بسعر أعلى
 أجني منفعة أعظم » . « سأبيع بسعر أعلى أيام المجاعة » . لكن الفلاح
 الشغيل يعرف أن الملاك العقاري لا يساوي بالنسبة إليه سوى اضطهاد
 خالصه العامل منه . أن نفسين تتصارعان هنا ، وهذا الصراع يحدده وضع
 الفلاحين الاقتصادي . يجب أن نفرق إذن . ونحن لن ننتصر إلا إذا اتبعنا
 خطا حازما . أن جميع الشغيلة سيكونون بالنسبة إلينا شغيلة على الدوام .
 بيد أن من المفروض فينا أن نحارب الفلاحين الملاكين ...

ف. لينين : « خطاب في المؤتمر الثالث لنقابات
 روسيا بتاريخ ٧ نيسان ١٩٢٠ » ، المؤلفات الكاملة ،
 باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٥٢٤ .

كيف تريدون ان يغير فلاحنا الشغيل هذه العلاقة عندما تكون قدمه الواحدة على هذه الارض بالضبط التي يجب تغييرها ؟ كيف يمكنه ان يفهم ان العزلة والانتاج التجاري لا يساويان شيئا ، عندما يكون هو نفسه في عزلة وينتج للسوق متحملا جميع المخاطر شخصيا ؟ عندما تولد شروط الوجود هذه فيه « افكارا وعواطف » خاصة بأي امرىء منفصل عن الآخرين بالشروط المادية ، وبسعة استثماره وطابعه ، ومن جراء ذلك فان التناقض بينه وبين الراسمال يظل قليل التطور بعد لا يمكنه من ان يفهم ان المقصود هنا هو الراسمال وليس « اللصوص » والخبثاء فقط ؟

ليس من الواضح انه يجب التوجه الى حيث تكون هذه العلاقة الاجتماعية نفسها (ملاحظة استدرابية) متطورة حتى الدرجة القصوى ، حيث يكون الناس الذين تتحقق هذه العلاقة الاجتماعية فيهم ، الذين هم المنتجون المباشرون ، « متفاضلين » و « مطرودين » هم انفسهم بصورة نهائية من النظام البورجوازي ، حيث يكون التناقض قد بلغ في هذه الاثناء تطورا كبيرا حتى انه يقفز الى البصر ، حيث ليس في الامكان بعد الآن طرح المسألة في هذا الشكل الطوباوي والاعرج ؟ وحين يصبح المنتجون المباشرون الذين هم في هذه الشروط « منبوذين مسن حياة » المجتمع البورجوازي ، لا في الوقائع نحسب ، بل في وجدانهم ايضا ، فان طبقة الفلاحين الشغيلة ، الموضوعة في شروط اسوأ ، في شروط متخلفة ، ستري هي الاخرى « كيف التصرف » وتلتحق برفاقها الذين يشتغلون « من اجل الآخرين » .

ف. لينين : « مضمون الشعبية الاقتصادي وتقدمه من قبل السيد ستروفه في كتابه « المؤلفات الكاملة » ، باريس - موسكو ، المجلد الاول ، ص: ٤٠٣ .

خصائص التقنية الفلاحية في روسيا

ان المسألة الفلاحية في روسيا تختلف بصورة ملحوظة عنها في الغرب ، لكن بهذا المعنى فقط ، الا وهو ان المقصود في بلدان الغرب هو بصورة مائة

على وجه التقريب فلاح المجتمع الرأسمالي ، البورجوازي ، بينما المقصود في روسيا هو بصورة رئيسية فلاح يعماني بالقدر نفسه (ان لم يكن اكثر) من المؤسسات والعلاقات قبل الرأسمالية ، يعاني من بقايا الرق . وان طبقة الفلاحين ، بوصفها طبقة تقدم المقاتلين ضد الحكم المطلق وبقايا الرق ، قد لعبت من قبل دورها في الغرب ؛ اما في روسيا ، فانها لم تلعب هذا الدور بعد . ان البروليتاريا الصناعية في الغرب قد انفصلت عن الريف منذ زمن بعيد ، وبصورة واضحة تماما ، وقد تكرر هذا الانفصال سلفا بمؤسسات مناسبة . وفي روسيا « لا تبرح البروليتاريا الصناعية ، بفعل العناصر التي تركبها وبفعل شروط وجودها ، متينة الارتباط بالريف » (ب . اكسيلرود ، الكراس المذكور ، ص : ١٤) . وصحيح ان عملية تفاضل طبقة الفلاحين الى بورجوازية صغيرة وعمال مأجورين تجري لدينا بكل عنفوان ، وبسرعة مذهلة ، لكن هذه العملية لا تبرح بعيدة عن الاكتمال ، والامر الرئيسي هو انها تتواصل بعد في اطار المؤسسات القديمة الموروثة عن الرق ، التي تفيد سائر الفلاحين بالسلسلة الثقيلة للتكافل المتضامن والجماعية الاميرية . وهكذا فان الاشتراكي الديموقراطي الروسي ، حتى اذا عد (مثل كاتب هذه السطور) بين الخصوم الحازمين لحماية او دعم الملكية الصغيرة او الاقتصاد الصغير في المجتمع الرأسمالي ، يعني حتى اذا انضم في المسألة الزراعية (مثل كاتب هذه السطور) الى صفوف الماركسيين الذين يحب البورجوازيون والانتهازيون من مختلف الانواع ان يصفوهم اليوم « بالعقائدين » و « الاورثوذكسيين » ، يستطيع ويجب عليه ، دون ان يخون معتقداته على الاطلاق ، بل على النقيض من ذلك مستوحيا اياها ، ان يطالب بأن يسجل الحزب العمالي على رايته تأييد طبقة الفلاحين (ليس على اعتبارها طبقة من الملاكين الصغار أو أصحاب العمل الصغار في حال من الاحوال) ، بفترة تكون طبقة الفلاحين هذه قادرة على خوض نضال ثوري ضد بقايا الرق على العموم وضد الحكم المطلق على الاخص . ذلك اننا ننادي بأنفسنا جميعا في المحل الاخير ، نحن الاشتراكيين الديموقراطيين ، مستعدين لتأييد حتى البورجوازية الكبيرة ، بقدر ما تكون قادرة على

خوض نضال ثوري ضد الاوضاع المذكورة اعلاه - فكيف يمكننا اذن ان ننكر مثل هذا التأييد على الطبقة العديدة جداً للبورجوازية الصغير التي تلامس البروليتاريا بانتقالات متعاقبة ؟ اذا كان دعم المطالب الليبرالية البورجوازية الكبيرة لا يعني دعم البورجوازية الكبيرة ، فإن دعم المطالب الديمقراطية البورجوازية الصغيرة لا يعني البتة دعم البورجوازية الصغيرة : على النقيض من ذلك ، فان التطور الذي ستضمنه الحرية السياسية لروسيا سيؤدي بصورة لا تقاوم بالاستثمار الصغير الى الهلاك تحت صربات الراسمال . ويبدو لي أن هذه النقطة لا يمكن ان تثير المناقشات بين الاشتراكيين الديمقراطيين ، فالمسألة برمتها هي ان نعرف اذن : ١ - كيف نعد مطالب لا يمكن ان نخدم لدعم ارباب العمل الصغار في المجتمع الراسمالي ؛ ٢ - اذا كانت طبقة الفلاحين عندنا قادرة ، ولو بصورة جزئية ، على خوض نضال ثوري ضد بقايا الرق وضد الحكم المطلق .

ف. لينين : « مشروع برنامج لحزبنا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الرابع ، ص : ٢٤٨ - ٢٤٩ .

لا يستطيع الفلاحون الصغار ان يهزوا تير الراسمال الا بالمشاركة في الحركة العاملة ، وبمساعدها في نضالها من اجل النظام الاشتراكي ، ومن اجل تحويل الارض ، وكذلك تحويل وسائل الانتاج الاخرى (معامل ، ومصانع ، وآلات ، الخ) الى ملكية اجتماعية . ان الرغبة في انقاذ طبقة الفلاحين بالدفاع عن الزراعة الصغرى والملكية الصغيرة ضد هجمة الراسمالية انما يعني تعويق التطور الاجتماعي بصورة لا طائل تحتها ، وتضليل الفلاح بحمله على الاعتقاد بإمكانية الرفاهية في المجتمع الراسمالي ، وتقسيم الطبقات الكادحة بضمان وضع ممتاز للأقلية على حساب الغالبية .

ف. لينين : « الحزب العمالي وطبقة الفلاحين » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الرابع ، ص : ٤٢٢ - ٤٤٠ .

اننا نرهن شرعية « المطالب الفلاحية » في البرنامج الاشتراكي
الديموقراطي بشرط ان تقود اولا الى نبد بقايا النظام الاتطاعي ، وان تسهم
ثانيا في تطور الصراع الطبقي في الريف تطورا حرا .

ف. لينين : « البرنامج الزراعي للاشتراكية
الديموقراطية الروسية » ، المؤلفات الكاملة ،
الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السادس ،
ص : ٩٦ .

يجب على حزب البروليتاريا لا أن يدعم فحسب ، بل أن يدفع كذلك
طبقة الفلاحين قدما في نضالها ضد جميع بقايا الرق ؛ ولا يكفي من اجل
ذلك الاقتصار على التمنيات العامة ، بل يجب اعطاء توجيه ثوري دقيق .
يجب ان نعرف كيف نوفر خطأ موجهها في فوضى العلاقات الزراعية .

ف. لينين : « البرنامج الزراعي للاشتراكية
الديموقراطية الروسية » ، المؤلفات الكاملة ،
الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السادس ،
ص : ٩٨ .

اننا نسعى في الريف الى هدفين مختلفين كيفيا : فاولا نريد أن نضمن
للعلاقات البورجوازية حرية التطور ، وثانيا نريد أن نخوض نضال
البروليتاريا . ان غرضنا ، بالرغم من مستبقات الاشتراكيين الثوريين ،
هو ان نبين للفلاحين أين تبدأ المهمات البروليتارية الثورية للبروليتاريا
الفلاحية .

ف. لينين : « المؤتمر الثاني لحزب العمال
الاشتراكي الديموقراطي الروسي ، الخطاب الثاني
اثناء مناقشة البرنامج الزراعي ، بتاريخ ١ (١٤)
آب » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ،
المجلد السادس ، ص : ٤٥١ - ٤٥٢ .

دور البروليتاريا التاريخي في الثورة الاشتراكية

ان مفهوم التاريخ الذي طورناه لتونا يعطينا بعد أيضا ، في آخر المطاف ،

النتائج التالية : ١ - في تطور القوى الانتاجية ، تأتي مرحلة حيث تولد قوى انتاجية ووسائل تداول لا يمكن الا ان تكون ضارة بالعلاقات القائمة ، فهي ليست بعد الآن قوى انتاجية ، بل قوى مدمرة (الماكينية والمال) ، وتولد أيضا ، وهذه حقيقة مرتبطة بالحقيقة السابقة ، طبقة تتحمل جميع اعباء المجتمع دون أن تستمتع بامتيازاته ، طبقة تطرد من المجتمع وتجد نفسها بصورة الزامية في المعارضة الاكثر علنية مع جميع الطبقات الاخرى ، طبقة تشكل غالبية افراد المجتمع ومنها ينبثق وعي ضرورة ثورة جذرية ، الوعي الذي هو الوعي الشيوعي ، والذي من المفروض منه انه يمكن ان يتشكل لدى الطبقات الاخرى ايضا بفضل مشاهدة وضعية هذه الطبقة . . .

ك. ماركس وف. انجلز : الايديولوجية الالمانية ،
النشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٦٤-٦٥ .

على العموم فهي ، الصناعة الكبرى ، قد خلقت في كل مكان العلاقات نفسها بين طبقات المجتمع ودمرت من جراء ذلك الطابع المخصوص للقوميات المختلفة . وأخيرا ، بينما تحتفظ بورجوازية كل امة بعد بالمصالح القومية المخصوصة ، فان الصناعة الكبرى قد خلقت طبقة مصالحها هي نفسها في جميع الامم ، وقد الفيت القومية سلفا بالنسبة اليها ، طبقة قد تخلصت بصورة فعلية من العالم القديم وهي تعارضه في الوقت نفسه . وهي تجعل العمل نفسه ، لا العلاقات مع الرأسمالي فحسب ، من الامور التي لا تطاق بالنسبة الى الشغيل .

ك. ماركس وف. انجلز : الايديولوجية الالمانية ،
النشورات الاجتماعية ، باريس ، ص ٦٥ .

... بينما كان الاقنان الابقون راغبين في ان يطوروا بكل حرية شروط وجودهم المقررة من قبل وأن يقيموا ، لكنهم ما كانوا يتوصلون في آخر الامر سوى الى العمل الحر ، لانه يجب على البروليتاريين ، من جانبهم ، اذا كانوا راغبين في ان يقيموا أنفسهم على اعتبارهم أشخاصا ، أن يلفوا شرط وجودهم

الخاص حتى الوقت الراهن ، هذا الشرط الذي هو في الوقت نفسه شرط المجتمع بأسره حتى أيامنا الحاضرة ، أعني أن يلغوا العمل . وانهم ليجدون أنفسهم من جراء ذلك في تعارض مباشر مع الشكل الذي عبر فيه أفراد المجتمع عن أنفسهم حتى هذا الحين تمبيراً عاماً ، يعني في تعارض مع الدولة ، ويجب عليهم أن يطيحوا بهذه الدولة كي يحققوا شخصيتهم .

لد. ماركس وفد. انجلز : الأيديولوجية الألمانية
المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٧٢ .

أن البروليتاريا والثروة ضدان ، وبصفتها هذه فهما تشكلان كلا .
أنهما شكلان لعالم الملكية الخاصة . والمقصود هو تعيين المكان الذي تحتله كل منهما في التناقض ، ولا يكفي أن نقول أنهما طرفان لكل واحد .

أن الملكية الخاصة ملزمة ، بوصفها ملكية خاصة أو ثروة ، بالمحافظة على ذاتها ، وبالتالي بالمحافظة على نقيضها ، أي البروليتاريا . ذلك هو الجانب الإيجابي من التناقض ، إذ أن الملكية الخاصة وجدت رضاها في ذاتها .

وعلى العكس من ذلك فإن البروليتاريا ، بوصفها بروليتاريا ، ملزمة بالعمل على الغائها الخاص ، وبالتالي على إلغاء الملكية الخاصة ، يعني الشرط الذي يجعل منها بروليتاريا . وذلك هو الجانب السلبي من التناقض ، إذ أن الملكية الخاصة ينتابها القلق ، وتتفسخ ، وهي في طريق الانحلال . . .

... ففي إطار التناقض ، يشكل الملاكون الخاصون اذن الحزب المحافظ ، والبروليتاريون الحزب المتمر . ان الاولين يعملون على الإبقاء على التناقض ، والآخرين على محقه .

وصحيح أن الملكية الخاصة ، في حركتها الاقتصادية ، تسير من تلقاء نفسها نحو انحلالها ، لكنها لاتفعل ذلك الا بفعل تطور مستقل عنها ، لا شعوري ، يتحقق بالرغم من ارادتها ، وذلك لمجرد أنها تنتج البروليتاريا

بصفتها بروليتاريا ، هذا البؤس الواعي لبؤسه الخلقي والحكمي ، الخبل الواعي لخبلة والذي يحاول لهذا السبب أن يقضي على نفسه بنفسه . ان البروليتاريا تنفذ الحكم الذي لفظته الملكية الخاصة بحق نفسها بفعل انتاج البروليتاريا ، تماما كما تنفذ الحكم الذي يلفظه العمل الأجور بحق نفسه حين ينتج ثروة الغير وبؤسه الخاص . واذا انتصرت البروليتاريا ، فهذا لا يعني ابدا انها باتت النمط المطلق للمجتمع ، ذلك انها لا تكون ظافرة الا بالقضاء على نفسها وعلى نقيضها . وعندئذ تكون البروليتاريا قد تلاشت ، مثلها كمثل النقيض الذي يشرطها ، اي الملكية الخاصة .

واذا كان المؤلفون الاشتراكيون يعزون الى البروليتاريا هذا الدور العالمي ، فليس ذلك على الاطلاق ، كما يدعي النقد بأنه يؤمن بذلك ، لانهم يعتبرون البروليتاريين كإلهة . ان الامر على النقيض من ذلك بالاحرى . ففي البروليتاريا المتطورة نظورا مليئا ، تحذف كل انسانية ، وحتى **مظهر** الانسانية ؛ ان جميع شروط وجود المجتمع الراهن تتكثف ، في شكلها الاكثر لا انسانية ، في شروط وجود البروليتاريا ؛ ان الانسان قد صيغ نفسه ، لكنه لم يحصل في الوقت نفسه على الوعي النظري لهذا الضياع فحسب ، بل لقد الزم بصورة مباشرة ، بفعل **العوز** الذي لا مفر منه بعد الآن ، الذي لا يمكن تغطيته ، الازامي بصورة مطلقة - بفعل التعبير العملي **للضرورة** - بالتمرد ضد هذه اللانسانية : ولهذا الاسباب جميعا تستطيع البروليتاريا ويجب أن تحرر نفسها . لكنها لا تستطيع أن تحرر نفسها دون القضاء على شروط الوجود الخاصة بها ، ولا تستطيع أن تقضي على شروط الوجود الخاصة بها دون القضاء على **مسائر** شروط الوجود اللانسانية الخاصة بالمجتمع الحالي التي تتكثف في وضعيتها الخاصة . وليس من قبيل العبث انها تمر بمدرسة **العمل** القاسية ، لكن المقوية . وليس المقصود ان نعرف ما الذي **يضعه** نصب عينيه بصورة مؤقتة هذا البروليتاري أو ذاك ، أو حتى البروليتاريا بأكملها . ان المقصود هو ان نعرف **ماهية البروليتاريا** وما

يجب ان تصنعه تاريخيا بصورة مطابقة لوجودها . ان هدفها وفعلها التاريخي مرسومان لها بصورة ملموسة لا محيد عنها في وضعها الوجودي الخاص ، وكذلك في كل تنظيم المجتمع البورجوازي الحالي . ويبدو لنا امرا نافلا ان نبرهن هنا ان قسما كبيرا من البروليتاريا الانكليزية والفرنسية قد **حازوا الوعي** في هذه الاثناء لرسالته التاريخية ، وهو لا يني ببذل الجهد كي يعطي هذا الوعي كل الوضوح المطلوب .

كـ . ماركس وفـ . انجلز : **العائلة المقدسة** ،
المؤلفات الفلسفية ، منشورات كوست ، باريس ،
المجلد الثاني ، ص ٦٠ - ٦٣ .

اذا كان لتمرکز السكان حقا فعل محرض وملائم على الطبقة المالكة ، فانه يتقدم بتطور الطبقة الكادحة بمزيد من السرعة ايضا . وياخذ الشغيلة يشعمرون انهم يشكلون طبقة في كليتهم ، ويجتازون الوعي بانهم ، هم الضعفاء بصورة منزلة ، يمثلون في مجموعهم قوة ؛ ويتسارع الانفصال عن البورجوازية ، وأعداد مفاهيم وافكار خاصة بالشغيلة ومناسبة لوضعهم ، ويفرض وعي كونهم مضطهدين نفسه عليهم ، ويكتسب الشغيلة اهمية اجتماعية وسياسية . ان المدن الكبرى هي مراكز الحركة العاملة ؛ فهناك شرع العمال في التفكير في اوضاعهم وفي النضال ؛ وهناك تظاهر بادىء الامر التعارض بين البروليتاريا والبورجوازية ؛ وفيها نشات الرابطات العمالية، والميثاقية ، والاشتراكية . ان المدن الكبرى قد حولت داء العضوية الاجتماعية الذي يتظاهر في الريف في شكل مزمن الى اصابة حادة ، وبذلك فهي قد كشفت بوضوح عن طبيعته الحقيقية ، وفي الوقت نفسه عن الوساطة الحقيقية من اجل شغائه . وما كان العمال يصيرون الى ما صاروا اليه ، بل ما كان ابعدهم عن ذلك ، لولا المدن الكبرى واثرها الملائم في تطور الذكاء العام . وفيما عدا ذلك ، فان المدن الكبرى دمرت الآثار الاخيرة للعلاقات الابوية بين العمال وارباب العمل ، وتد أسهمت للصناعة الكبرى في ذلك ايضا ، اذ ضاعفت من عدد العمال التابعين لبورجوازي واحد . . . ان العلاقة

البطيريركية ، التي كانت تخفي بكل مراعاة عبودية العمال ، قد كانت تعمل على ان يبقى العامل بالضرورة ميتا فكريا ، جاهلا مصالحه الخاصة ، فردا بسيطا . ولم يشرع العامل في فهم مركزه ومصالحه وفي التطور بصورة مستقلة الا عندما اقلت من معلمه واصبح غريبا عنه ، عندما تبين بكل وضوح ان الروابط الوحيدة فيما بينهما قد كانت المصلحة الخاصة ، الربح ، والا عندما تلاشى كليا ذلك التعلق الظاهر الذي لم يصمد لاول اختبار . وعندئذ فقط كف عن كونه ، في مفاهيمه ، وعواطفه ، وارادته ايضا ، عبدا للبورجوازية . وان الصناعة والمدن الكبرى بصورة رئيسية هي التي اسهمت بصورة جازمة في هذا التطور .

ف. انجلز : اوضاع الطبقة الكادحة في انكلترا ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ١٦٩-١٧٠ .

ليس بين جميع الطبقات التي تقف اليوم امام البورجوازية وجهها لوجه الا طبقة واحدة ثورية حقا ، الا وهي البروليتاريا . فالطبقات الاخرى تنحط وتهلك مع نمو الصناعة الكبرى ، اما البروليتاريا فهي - على عكس ذلك - نتاجها الخاص الاساسي .

والطبقات الوسطى المؤلفة من صفار اصحاب العمل ، والباة بالمفرق ، والحرفيين ، والفلاحين ، تحارب البورجوازية كي تنقذ من الفناء وجودها من حيث هي طبقات وسطى . فهي ليست اذن ثورية ، بل محافظة ؛ بل هي اكثر من محافظة ايضا ، اي رجعية ، اذ انها تحاول ان ترجع التاريخ القهقري وتسير بدولاب التطور الى الوراء . واذا صادف ان كانت ثورية فما ذلك الا من وجهة نظر انتقالها الوشيك الى صفوف البروليتاريا . فهي بذلك لا تدافع عن مصالحها الحاضرة ، بل عن مصالحها الآتية . وهي تتخلى عن وجهة نظرها الخاصة لتمتنق وجهة النظر الخاصة بالبروليتاريا .

ك. ماركس وف. انجلز : البيان الشيوعي ، منشورات دار دمشق ، ١٩٦٩ ، ص : ٥٨ .

يباع العبد مرة هي المرة الحاسمة ، اما العامل فلا بد له ان يبيع نفسه كل يوم وحتى كل ساعة . وان العبد المنزول ، الذي هو ملك سيده ، يملك سلفا ، من جراء مصلحة سيده ، وجودا مضمونا، كائنه ما كانت درجة هذا الوجود من البؤس . اما البروليتاري المنزول ، وهو ملك الطبقة البورجوازية بكاملها اذا جاز التعبير ، الذي لا يشتري عمله منه الا حين تمس الحاجة اليه ، فليس له وجود مضمون . ان هذا الوجود غير مضمون الا للطبقة العاملة بأكملها ، من حيث هي طبقة . ان العبد خارج المنافسة ، اما البروليتاري ففي ملء المنافسة ، وهو يتحمل سائر تدبباتها . وان العبد ليعتبر على أنه شيء ، وليس على أنه عضو في المجتمع المدني . اما البروليتاري فيعترف به على أنه شخص ، على أنه عضو في المجتمع المدني . وهكذا يمكن ان يكون للعبد وجود أفضل من البروليتاري ، لكن هذا الاخير ينتسب الى مرحلة أعلى من تطور المجتمع ، ويقع هو نفسه في مستوى أرفع من العبد . وان هذا العبد ليتحرر اذ يقضي على علاقة العبودية فقط من بين سائر علاقات الملكية الخاصة ، وبذلك يصبح هو نفسه بروليتاريا . اما البروليتاري فلا يستطيع ان يتحرر الا بالقضاء على الملكية الخاصة نفسها .

ف. انجلز : مبادئ الشيوعية ، مكتب النشر

والتوزيع والدعاية ، باريس ، ص : ١٤ - ١٥ .

ان للقن ملكية أداة العمل أو قطعة من أرض وحق الانتفاع بهما لقاء تسليم قسم من المنتج أو لقاء عمل معين ، اما البروليتاري فيشتغل بأدوات إنتاج شخص آخر ، لحساب هذا الشخص الآخر ، لقاء تسليم قسم من المنتج . ان القن يعطي ، اما البروليتاري فيأخذ . أن للقن وجودا مضمونا، اما البروليتاري فليس له مثل هذا الوجود . وان القن لموضوع خارج المنافسة ، اما البروليتاري فموضوع في ملء المنافسة . وان القن ليتحرر اما بالاتجاه الى المدن حيث يصبح حرفيا ، واما باعطاء سيده مالا بدلا من العمل والمنتجات ، وبالتحول الى مزارع حر ، واما بطرد سيده الاقطاعي والتحول هو نفسه الى ملاك ، وباختصار بالدخول بطريقة أو بأخرى الى

الطبقة المالكة والى المنافسة . اما البروليتاري فيتححر بالقضاء على المنافسة بالذات ، وعلى الملكية الخاصة . وعلى جميع الفوارق الطبقيّة .

ف. انجز : مبادئ الشيوعية ، مكتب النشر والتوزيع والدعاية ، باريس ، ص : ١٥ .

ان طبقة مضطهدة هي الشرط الحيوي لكسل مجتمع قائم على تضاد الطبقات . فتححر الطبقة المضطهدة يتضمن اذن بالضرورة خلق مجتمع جديد . وكما تستطيع الطبقة المضطهدة ان تتحرر لا بدّ للقدرات الانتاجية المكتسبة من قبل وللعلاقات الاجتماعية القائمة الا تستطيع بعد الآن التواجد . وان اعظم قدرة انتاجية ، من بين جميع ادوات الانتاج ، هي الطبقة الثورية نفسها . وان تنظيم العناصر الثورية كطبقة يفترض وجود جميع القوى المنتجة التي كان يمكنها ان تتوالد في احضان المجتمع القديم .

اييني هذا انه ستقوم سيطرة طبقية جديدة بعد سقوط المجتمع القديم ، تجمل نفسها في سلطة سياسية جديدة ؟ كلا .

ان شرط تححر الطبقة الكادحة هو إلغاء كل طبقة ، كما ان شرط تححر الطبقة الثالثة ، المرتبة البورجوازية ، قد كان إلغاء جميع المراتب .

وان الطبقة الكادحة سوف تستمض في سياق تطورها عن المجتمع المدني برابطة تستبعد الطبقات وتناحرها ، وعندئذ لن تكون ثمة سلطة سياسية بالمعنى الحقيقي للكلمة ، طالما ان السلطة السياسية هي على وجه الدقة الخلاصة الرسمية للتناحر في المجتمع المدني

وفي انتظار ذلك ، فان التضاد بين البروليتاريا والبورجوازية هو نضال طبقة ضد طبقة ، وهو نضال اذا مارفع الى تعبيره الاعلى كان ثورة شاملة . ومهما يكن من شيء ، فهل يجب أن نعجب اذا ما انتهى مجتمع قائم على تعارض الطبقات الى تناقض عنيف ، الى صدام مباشر على أنه

ك. ماركس : بؤس الفلسفة ، المنشورات
الاجتماعية ، باريس ، ص : ١٧٨ - ١٧٩ .

ان الطبقات الشغيلة هي بصورة محتومة اداة بين يدي
البورجوازية مادامت البورجوازية هي نفسها ثورية او
تقدمية . ولهذا كانت الحركة الخاصة بالطبقات الشغيلة
ذات اهمية ثانوية على الدوام في هذه الحالة . لكن بدءا من اليوم الذي
ترقى فيه البورجوازية الى السلطة السياسية الكاملة ، بدءا من اليوم
الذي تسحق فيه جميع الامتيازات الاقطاعية والاستقرائية بفعل سلطة
المال ، بدءا من اليوم الذي تكف فيه البورجوازية عن ان تكون تقدمية وثرورية
وتتوقف - بدءا من هذا اليوم تستلم حركة الطبقة العاملة القيادة وتصبح حركة
ذات مدى قومي .

ف. انجلز : « الوضع في المانيا » ، مؤلفات
ماركس وانجلز ، برلين ، المجلد الثاني ، ص : ٥٨٠ .

اذا قامت سيطرة البورجوازية مرة ، فان العمال ، تدفعهم الشروط
القائمة ، يتوصلون كذلك الى تحقيق تقدم هام بصورة لا متناهية : ليسوا
هم من الآن فصاعدا افرادا ، او على الاكثر مئات او الالوف من العمال الذين
يفعلون ويتمردون ضمن النظام القائم ، بل انهم ينخرطون جميعا ، مثل
طبقة وحيدة ذات مصالح ومبادئ مخصوصة ، في النضال وفقا لخطة
مشتركة وبقوى موحدة ضد عدوهم الاول والاخير ، اي البورجوازية .

وليس ثمة شك يحوم حول خاتمة هذا النضال . ان البورجوازية
يجب ان تقلب وسوف تقلب من قبل البروليتاريا، مثلما تلقت الاستقرائية
والملكية المطلقة الضربة القاضية على يد الطبقة الوسطى .

ولسوف تسقط الملكية الخاصة ايضا مع سقوط البورجوازية، ويضع

انتصار الطبقة العاملة نهاية حاسمة لكل سيطرة طبقية او طائفية .

ف. انجلز : « نظام الحماية او نظام المبادلة
الحرية » ، مؤلفات ماركس وانجلز ، برلين ، المجلد
الرابع ، ص : ٦٠ - ٦١ .

كان ماركس يعتمد ، لتحقيق الانتصار النهائي للاقتراحات الواردة
في البيان ، على تطور الطبقة العاملة الفكري من دون اي شيء آخر ، هذا
التطور الذي كان ينتج بالضرورة عن وحدة النشاط العملي والمناقشة .

ف. انجلز : « مقدمة الطبعة الالمانية الصادرة
عام ١٨٩٠ لبيان الحزب الشيوعي » ، في ل. ماركس
وف. انجلز ، البيان الشيوعي ، منشورات دار
دمشق ، ١٩٦٩ ، ص : ٢٩ .

طالما ان الطبقات المالكة لا تقتصر على عدم الشعور بأي حاجة الى تحرر
الشفيلة ، بل سوف تمارض بكل قواها تحرر الشفيلة بانفسهم ، فان الطبقة
العاملة ستجد نفسها ملزمة بأن تباشر وتحقق وحدها الثورة الاجتماعية .

ف. انجلز : « مقدمة الطبعة الالمانية الصادرة
عام ١٨٨٢ لكتاب اوضاع الطبقة الكادحة في انكلترا » ،
في ف. انجلز : اوضاع الطبقة الكادحة في انكلترا ،
المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٢٩١ .

... حين تطور الراسماليون الصناعة ، فانهم لا يخلقون فضل القيمة
فحسب ، بل يخلقون البروليتاريين ايضا ، ويلحقون الدمار بالشرائح
الوسطى - البورجوازية الصغيرة والفلاحين الصغار - ويدفعون حتى الحد
الاقصى التضاد الطبقي بين البورجوازية والبروليتاريا . وان ذلك الذي
يخلق البروليتاريين يخلق ايضا الاشتراكيين الديموقراطيين .

ف. انجلز : « خطاب التي في اجتماع اشتراكي
ديموقراطي في برلين بتاريخ ٢٢ ايلول ١٨٩٣ » ،
مؤلفات ماركس وانجلز ، برلين ، المجلد الثاني
والعشرون ، ص : ٤١٣ .

كلما كان الراسمال أقوى ، كانت طبقة العمال المأجورين أقوى ،
وبنتيجة ذلك كانت نهاية السيطرة الرأسمالية اقرب .

ف. انجلز : «بنماسة النزعة المادية للسامية»
مؤلفات ماركس وانجلز ، برلين ، المجلد الثاني
والعشرون ، ص : ٥٠ .

... طالما تدفع الاحداث نفسها البروليتاريا الى المستوى الاول ،
فان الاستنكاف يصبح حماقة ملموسة ، وتدخل الطبقة العاملة الفعالم
ضرورة ليطالها الشك .

ف. انجلز : « انصار باكونين في العمل » ، في
ك. ماركس وف. انجلز : ضد الفوضوية ، مكتب
النشورات ، باريس ، ص : ١٨ - ١٩ .

ان تطور شروط الوجود بالنسبة الى طبقة بروليتارية كثيرة العدد ،
قوية ، متمركزة ، وذكية ، يسير جنباً الى جنب مع تطور شروط وجود
طبقة بورجوازية كثيرة العدد ، غنية ، متمركزة وقوية . ليست الحركة
العاملة مستقلة قط ، وهي لا تملك قط طابعا بروليتاريا بصورة مانعة قبل
ان تكون الفئات المختلفة من البورجوازية ، وعلى الاخص الفئة الاكثر
تقدمية منها ، الصناعيين الكبار ، قد استولت على السلطة السياسية
وحولت الدولة بصورة تتطابق مع حاجاتها . عندئذ يصبح النزاع الذي
لا مفر منه بين العمال وأرباب العمل وشيكا ولا يعود في الامكان تأجيله : الا
لاتنجر الطبقة العاملة مع المطامح الوهمية والوعود التي لن تنجز قط : الا
فلتنتقل القضية الكبرى للقرن التاسع عشر ، الا وهي الغاء البروليتاريا ،
الى المرتبة الاولى ، بصورة واضحة ، وفي سيمائها الحقيقية .

ف. انجلز : الثورة والثورة المضادة في المانيا ،
في ف. انجلز : الثورة الديمقراطية البورجوازية
في المانيا ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ص :
٢٠٨ - ٢٠٩ .

ان السكان الفلاحين ، وهم العنصر الاكثر استقرارا والاشد محافظة في المجتمع الحديث ، هم في طريق الزوال ، بينما تجد البروليتاريا الصناعية نفسها ، بالضبط من جراء الاسلوب الجديد في الانتاج ، متمركزة في مراكز كبرى ، حيث تحاط بقوى انتاجية جبارة قد كان تاريخ خلقها حتى الوقت الراهن سجلا بأسماء الشهداء من الشفيلة . ما الذي سوف يمنع العمال اذن من القيام بخطوة اخرى والاستيلاء على القوى التي استولت عليهم حتى هذا اليوم ؟ اين ستكون القوة القادرة على الصمود في وجههم ؟ لن تكون في أي مكان على الاطلاق ! وسوف لن يجدي نفعا عندئذ الاستنجاد بحقوق الملكية .

ك. ماركس : رسائل عن انكلترا . الاغتراب
الاجباري « ، المؤلفات السياسية ، منشورات
كوست ، باريس ، المجلد الثاني ، ص : ١٩٣ .

حين يبين الاشتراكيون الديموقراطيون التضامن الذي يوجد هذه الجماعات المعارضة او تلك مع العمال ، فانهم سيحلون العمال على الدوام في المرتبة الاولى ؛ ولسوف يعنون دائما بايضاح الطابع المؤقت والشرطي لهذا التضامن ؛ ولسوف يؤكدون دائما على أن البروليتاريا هي طبقة على حدة يمكن أن تجد نفسها غدا مناهضة لحلفاء اليوم . ولسوف يقال لنا : « ان هذا الايضاح سيضعف جميع اولئك الذين يقاتلون في هذه الساعة من أجل الحرية السياسية » . ولسوف نجيب ان مثل هذا الايضاح سيقوي جميع اولئك الذين يقاتلون من أجل الحرية السياسية . اولئك وحدهم هم الاقوياء ، المقاتلون الذين يعتمدون على المصالح الواقعية ، المفهومة جيدا من طبقات محددة ، ولن يفعل اي طمس لهذه المصالح الطبقيّة، التي تلعب منذ الوقت الحاضر دورا متفوقا في المجتمع الحديث ، سوى اضعاف المقاتلين . هذه نقطة اولى . وفي المحل الثاني ، فان من واجب الطبقة العاملة ، في النضال ضد الحكم المطلق ، ان تتخذ موقفا على حدة ، اذ هي وحدها العدو الحازم حتى النهاية واللدود للحكم المطلق . وان

المواطنات لمستحيلة بينها وحدها وبين الحكم المطلق ؛ ولن تستطيع النزعة الديمقراطية أن تجد نصيراً لا ينتابه أي تحفظ ، لا يتردد ولا ينظر الى الخلف ، الا في الطبقة العاملة وحدها . وعند جميع الطبقات الاخرى ، عند سائر الجماعات والشرائح الاخرى من السكان ، لا يكون العداء ضد الحكم المطلق لعدواً ، فنزعتها الديمقراطية تنظر الى الوراثة دائماً . ولا يمكن للبورجوازية إلا أن تتبين أن الحكم المطلق يلجم التطور الصناعي والاجتماعي ، بيد أنها تخشى التحويل الديمقراطي التام للنظام السياسي والاجتماعي ، ويمكن على الدوام أن تتحالف مع الحكم المطلق ضد البروليتاريا . وان للبورجوازية الصغيرة طبيعة مزدوجة ؛ فهي اذ تنجذب نحو البروليتاريا والنزعة الديمقراطية ، فانها تنجذب أيضاً نحو الطبقات الرجعية ؛ انها تحاول ان تكبح التاريخ ؛ وانها لقمينة بالانسياق مع تجارب الحكم المطلق وعروضه (« السياسة الشعبية » لالكسندر الثالث على سبيل المثال) ؛ وانها لقمينة بالتحالف مع الطبقات الحاكمة ضد البروليتاريا لكي توطد وضعيتها من حيث هي مالك صغير ، وان الاشخاص المثقفين ، والمفكرين على العموم ، لا يمكن الا أن يثوروا ضد الاضطهاد البوليسي الهنجي الذي يمارسه الحكم المطلق الذي يضطهد الفكر والمعرفة ، لكن المصالح المادية لهؤلاء المثقفين تربطهم الى الحكم المطلق والى البورجوازية ، وتجبرهم على أن يكونوا غير حازمين ، على عقد المواطنات ، على بيع حميتهم الثورية وروح المعارضة لديهم لقاء المرتبات التي تدفعها لهم الدولة او لقاء المساهمة في الارباح وحصص الاسهم . اما العناصر الديمقراطية المنتسبة الى القوميات المضطهدة او المجاهرة بديانة مضطهدة ، فالجميع يرفون ويرون أن التضادات الطبقيّة في قلب هذه المقولات من السكان هي اقوى كثيراً واعمق كثيراً من تضامن جميع الطبقات من هذه المقولة او تلك ضد الحكم المطلق وفي سبيل مؤسسات ديموقراطية . ان البروليتاريا وحدها يمكن ويجب أن تكون - وهي من جراء وضعها الطبقي لا يمكن الا أن تكون - ديموقراطية حتى النهاية ، عدواً حازماً للحكم المطلق دون تنازلات ولا مواطنات . أن البروليتاريا وحدها يمكن أن تكون مقاتلاً طبيعياً في سبيل الحرية السياسية والمؤسسات الديمقراطية ؛

ذلك أن البروليتاريا ، أولا ، هي التي تعاني اشد المعاناة من الاضطهاد السياسي ، لان هذا الاضطهاد السياسي لا يجد اي ملطف في وضعية هذه الطبقة ، التي لا منفذ لها الى السلطة العليا ، ولا حتى الى هيئة الموظفين ، كما لا تملك إمكانية التأثير على الراي العام . ثانيا ، ان البروليتاريا وحدها قادرة على ان تحقق حتى النهاية التحويل الديمقراطي للنظام السياسي والاجتماعي ، ذلك ان مثل هذا التحول الديمقراطي سيضع ذلك النظام بين ايدي العمال . وهذا هو السبب في ان انصار نشاط الطبقة العاملة الديمقراطية مع النزعة الديمقراطية للطبقات الاخرى سيضعف عنفوان الحركة الديمقراطية ، سيضعف النضال السياسي ، ويجعله اقل حزما ، وأوهن عزما ، وأكثر استعدادا للمواطاة . وبالمقابل ، فان تأكيد الطبقة العاملة بصفتها هذه ، من حيث هي مقاتل طبيعي في سبيل المؤسسات الديمقراطية ، سيقوي الحركة الديمقراطية ، ويشهد النضال في سبيل الحرية السياسية ، ذلك ان الطبقة العاملة ستعرض جميع العناصر الديمقراطية الاخرى وعناصر المعارضة السياسية ؛ انها ستدفع الليبراليين نحو الراديكاليين السياسيين ، وتدفع الراديكاليين الى فصم كل علاقة ، بصورة لا رجوع عنها ، مع كل النظام السياسي والاجتماعي للمجتمع الحالي .

ف. لينين : « مهمات الاشتراكيين الديمقراطيين الروس » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ٢٤١ - ٢٤٢ .

كان انجاز سباقا الى المناداة بان البروليتاريا ليست فقط طبقة تتالم ، بل ان الوضع الاقتصادي الدليل الذي تجد نفسها فيه يدفعها بصورة لا تقاوم الى الامام ويجبرها على النضال في سبيل تحريرها النهائي . ان البروليتاريا التي تخوض غمار النضال ستساعد نفسها بنفسها . وان الحركة السياسية للطبقة العاملة ستقود العمال بصورة حتمية لأن يدركوا انه ليس لهم منفذ آخر سوى الاشتراكية . وإن الاشتراكية بدورها لن تصبح قوة الا حين تبين هدف النضال السياسي الذي تخوضه الطبقة العاملة .

ف. لينين : « فريدريك انجلز » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ١٧ .

كان المجتمع القديم مؤسسا على اضطهاد جميع الفلاحين من قبل الملاكين العقاريين والرأسماليين . يجب علينا أن ندمر هذا الوضع ، يجب علينا أن نطرح بهم ، لكن يجب ان نحقق الاتحاد في سبيل ذلك . فليس الله الطيب هو الذي سيفعل ذلك .

ولا يمكن أن يمنحنا هذا الاتحادُ إلا العاملُ والمصانع وحدها ، إلا البروليتاريا المثقفة والمختصة من خمودها الماضي . وبعدما تشكلت هذه الطبقة ، عندئذ فقط بدأت الحركة الجماهيرية التي آلت الى ما نراه اليوم ، الى انتصار الثورة البروليتارية في أحد البلدان الاضعف ، هذا البلد الذي يجابه منذ ثلاث سنوات بورجوازية العالم بأسره . واننا لنشاهد الثورة البروليتارية تصعد في العالم أجمع . ونحن نقول اليوم ، أقوياء بخبرتنا ، ان البروليتاريا وحدها تستطيع أن تخلق هذه القوة المتماسكة التي يتبعها الفلاحون ، المنقسمون والمشتتون ، والتي صمدت ضد سائر هجمات المستثمرين . ان هذه الطبقة وحدها تستطيع ان تساعد الجماهير الشفيلة على الاتحاد ، وعلى رص صفوفها ، وعلى انقاذ المجتمع الشيوعي بصورة نهائية ، وتوطيده بصورة نهائية ، وبنائه بصورة نهائية .

ف. لينين : « مهمات اتحادات الشيبة » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي
والثلاثون ، ص : ٢٠١ .

ان تطور القوى الانتاجية يخلق علاقات اجتماعية تركز على الملكية الخاصة ، لكننا نرى اليوم ان هذا التطور بالذات الذي تجتازه القوى الانتاجية يحرم الغالبية من أي ملكية ويمركز هذه الملكية بين أيدي أقلية ضئيلة . انه يلغي الملكية ، أساس النظام الاجتماعي المعاصر ، ويتجه من تلقاء نفسه الى النهاية التي وضعها الاشتراكيون نصب أعينهم . غير انه ينبغي لهؤلاء الاشتراكيين ان يفهموا ما هي القوة الاجتماعية التي يعينها ، من جراء وضعها في المجتمع الحالي ، تحقيق الاشتراكية ، وان يلقنوا هذه القوة وعي مصالحتها ورسالتها التاريخية . ان هذه القوة هي البروليتاريا .

ف. لينين : « فريدريك انجلز » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني ،
ص : ١٦ .

ان الحركة الشعبية تطلق القوة الثورية من اغلالها ؛ انها تدعو الى الفعل جماهير شعبية تتحلى اولا بالقدرة على هدم هذا البنيان المنخور هدماً حقيقياً ، وتحلى ثانياً بعدم تعلقها ، بفعل أي خاصة من خصائص وضعها ، بهذا البنيان الذي تقلبه بكل طيبة خاطر . وفضلا عن ذلك فان هذه الجماهير قادرة على قلب البنيان ومدفوعة الى قلبه حتى دون أن تدرك أهدافها كل الإدراك ، ذلك أن وضعيتها لا خلاص منها ، وان تيراً أزيلاً يستحثها في الطريق الثورية ، وانه ليس لديها ما تفقده سوى اغلالها . ان هذه القوة الشعبية - البروليتاريا - تبدو في انظار سادة البنيان المنخور مخيفة بصورة مرعبة ، ذلك أن وضعية البروليتاريا تملك ، تعريفاً ، جانباً مخيفاً بالنسبة الى جميع المستثمرين . وهكذا فان اضال حركة تقوم البروليتاريا بها ، مهما تكن متواضعة في بدايتها ، ومهما تكن المناسبة للتأفة التي تقوم في أساسها ، تهدد بصورة محتومة بأن تتجاوز أغراضها الفورية وبأن تصبح المعول الذي لا يعرف الرحمة في هدم النظام القديم بأسره .

ف. لينين : « سفسطات سياسية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن ، ص : ٤٢٨ .

لا يستطيع العامل منذ الآن الا ان يرى ان ما يضطهده هو **الراسمال** ، وانه ينبغي له ان يناضل ضد **الطبقة** البورجوازية . وان هذا النضال الذي يخوضه في سبيل تلبية حاجاته الاقتصادية الفورية ، في سبيل تحسين وضعه المادي ، يتطلب بالضرورة ان يتنظم العمال ، ويستحيل بالضرورة الى حرب ليس ضد افراد ، بل ضد **طبقة** ، تلك الطبقة بالذات التي تثقل على الشغيل وتضطهده لا في العامل والمصانع فحسب ، بل في كل زمان وفي كل مكان . ولذا فليس عامل المصنع شيئاً آخر سوى الممثل المتقدم لجميع السكان المستثمرين . وكما يستطيع أن ينجز هذا الدور في نضال منظم وحازم ، ليس ثمة داعٍ على الاطلاق لاجتذابه بواسطة « منظورات » ما : يكفي في سبيل ذلك ان **توضح له وضعيته** ، البنية السياسية الاقتصادية للنظام الذي يضطهده ، وان يبين له ان تناحر الطبقات هو مع هذا النظام

شيء ضروري ولا مفر منه . ان هذه الوضعية التي يتميز بها عامل المصنع ، في النظام العام للعلاقات الرأسمالية ، تجعل انه الوحيد الذي يناضل في سبيل تحرر الطبقة العاملة ، لان المرحلة العليا لتطور الرأسمالية ، الصناعة الميكانيكية الكبرى ، تخلق وحدها الشروط المادية والقوى الاجتماعية الضرورية من اجل هذا النضال . وفي كل مكان آخر ، حيث اشكال تطور الرأسمالية هي اشكال ادنى ، تفتقد هذه الشروط المادية . وبالفعل ، فان الانتاج مجزأ الى عدد كبير من الاستثمارات الصغيرة (التي لا يمكن ان تكف عن كونها **استثمارات مجزأة** ، حتى في الاشكال الأكثر مساواة **للملكية الارضية المشاعية**) : ان المستثمر يملك بمد ، في معظم الاحيان ، استثمارا هزيبا يربطه الى هذا النظام البورجوازي الذي ينبغي له ان يناضل ضده ، الامر الذي يؤخر تطور القوى الاجتماعية القمينة بقلب الرأسمالية ويزيد من مصاعبه . ان الاستثمار الصغير ، اذ هو مجزأ ، وفردى ، يقيد الشغيلة الى محلتهم ، ويفرق ما بينهم ، ولا يتيح لهم ان يحتازوا وعي تضامنهم الطبقي ، ولا ان يتحدوا بعد ان يفهموا ان سبب الاضطهاد ليس هو هذا الفرد او ذلك ، بل النظام الاقتصادي برمته . وعلى العكس من ذلك ، فان الرأسمالية الكبيرة تحطم بصورة محتومة جميع الروابط التي تقيد العمال الى المجتمع القديم ، الى هذه المحلة والى هذا المستثمر : إنها توحدهم ، وتجبرهم على التفكير ، وتضعهم في شروط تتيح لهم خوض نضال منظم . وان الاشتراكيين الديمقراطيين ليركزون كل انتباههم على الطبقة العاملة ويوجهون نحوها نشاطهم برمته . وعندما يمثل المثلون المتقدمون لهذه الطبقة افكار الاشتراكية العلمية ، وفكرة الدور التاريخي للعامل الروسي ، وعندما تصبح هذه الافكار واسعة الانتشار ، وتؤسس المنظمات المتينة بين العمال ، هذه المنظمات القمينة بأن تحول الحرب الاقتصادية الحالية ، التي يخوضها العمال في نظام مشئت ، الى نضال طبقي واع ، فان **العامل الروسي** ، اذ يتزعم جميع العناصر الديمقراطية ، سيصرع اذن الحكم المطلق ويقود **البروليتاريا الروسية** (الى جانب بروليتاريا **جميع البلدان**) ، من الطريق المباشر للنضال السياسي الحظ ، نحو **انتصار الثورة الشيوعية** .

ف. لينين : ما هم « اصدقاء الشعب » وكيف يناضلون ضد الاشتراكيين الديمقراطيين ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الاول ، ص : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

ان شروط حياة العمال بالذات تجعلهم صالحين للنضال وتستحثهم على القتال .
ان الراسمال يجمع العمال في كتل هامة في المدن الكبرى ؛ انه يجمعهم ،
ويعلمهم ان يتحدثوا في العمل . ويجد العمال انفسهم ، لدى كل خطوة ،
وجها لوجه مع عدوهم الرئيسي ، اي طبقة الراسماليين . وحين يقاتل
العامل هذا العدو ، فانه يصبح اشتراكيا ، ويتوصل لان يفهم ضرورة اعادة
تنظيم المجتمع بأسره بصورة كاملة ، والقضاء قضاء مبرما على كل بؤس
وكل اضطهاد . وحين يصبح العمال اشتراكيين ، فانهم يناضلون بشجاعة
لاتلين ضد كل ما يعترض سبيلهم ، وقبل كل شيء ضد السلطة القيصرية
والملاكين الاقطاعيين .

ف. لينين : « تعاليم الثورة » ، المؤلفات
الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السادس
عشر ، ص : ٢٧٥ .

دور تحالف البروليتاريا والجماهير غير البروليتارية في الثورة الاشتراكية

يبدأ ، في هذا البرنامج ، بقبول عبارة لاسال التالية ، الخاطئة تاريخيا
بالرغم من كونها رنانة : « في مواجهة الطبقة العاملة ، لا تشكل جميع الطبقات
الآخري سوى كتلة رجعية واحدة . » ليست هذه العبارة صحيحة الا في
بعض الحالات الاستثنائية ، مثلا في ثورة للبروليتاريا مثل ثورة الكومونة ،
او في بلد حيث لم تقوالب البورجوازية وحدها الدولة والمجتمع على صورتها ،
بل حيث اكملت البورجوازية الصغيرة الديمقراطية من بعدها هذا التحويل
حتى عواقبه الاخيرة .

ك. ماركس : نقد برنامج غوتا ، في ك. ماركس
وإنجلز ، المؤلفات المختارة ، في مجلدين ،
منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد الثاني ،
ص : ٣٣ .

حين تحين ساعة الثورة الاشتراكية ، فان جميع الاحزاب الاخرى

سوف تشكل بالقياس اليها كتلة رجعية . وانها لمن الممكن ان يكون الامر كذلك اليوم ، وان لا يكون في مقدورها بعد الآن القيام بأدنى عمل تقدمي ، لكن هذا ليس صحيحا بصورة الزامية . ولا تستطيع ، **حاليا** على الاقل ، ان تقول ذلك بنفس اليقين الذي يجعلنا نقرر موضوعات البرنامج الاخرى . وحتى في المانيا يمكن أن تنقلب الامور بحيث **تضطر** احزاب اليسار ، بالرغم من كل هزائها ، لان تلقي في البحر قسما من هذا السقط ضد البورجوازي ، البيروقراطي والاقطاعي ، الذي لا يبرح موجودا لديها بمقادير كبيرة . وعندئذ فانه لن يكون في الامكان ، في هذه الحال ، الحديث عن كتلة رجعية .

وطالما اننا لم نبلغ قدرا كافيا من القوة كي نستولي على السلطة ونضع مبادئنا موضع التنفيذ ، فان مسألة كتلة رجعية **واحدة بالقياس اليها** لا يمكن ان ترد بكل معنى الكلمة . والا فان الامة بأسرها ستكون منقسمة الى غالبية رجعية والى اقلية عاجزة .

... وبكلمة واحدة ، فانه ليس لدينا الحق في أن نعتبر اتجاهها يرتسم شيئا فشيئا على انه واقع مكتمل ، وخاصة ان مثل هذا الاتجاه ، في انكلترا على سبيل المثال ، لن يتحقق **قطر** حتى نهايته . وحين تدق ساعة الثورة ، فان الثورة ستكون دائما على استمداد للننازل عن مختلف الاصلاحات التافهة . ولن تفقد هذه الاصلاحات الزهيدة كل مغزى لها الا حين يتم دمار النظام من جذوره .

ف. انجلز : « رسالة الى ك. كاوتسكي بتاريخ ١٤ تشرين الاول ١٨٩١ » ، في ك. ماركس وف. انجلز ، **المؤلفات الكاملة** ، الطبعة الروسية الاولى ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٣٣٦ - ٣٣٧ .

ان الضعف الفعلي للمقالة الثانية (الذي لاحظته جيدا) ، لكن لم أعلق عليه قدرا كبيرا من الاهمية) هو في الفكرة المحفوفة بالمخاطر القائلة ان الثورة القادمة يجب ان تبعا بانقسام العالم الى عالمين : « ههنا آل غيلف ،

وهناك آل جيبلان « (١٥) ؛ نحن هنا ، وهناك كل « الكتلة الرجعية
الوحيدة » (١٦) . هذا يعني ان الثورة يجب ان تبدأ بالفصل الخامس وليس
بالفصل الاول الذي تعمل فيه جميع احزاب المعارضة بصورة مشتركة ضد
الحكومة وعثراتها وتحقق بذلك النصر الذي تتلف عليه الاحزاب الظافرة
بعضها بعضا ، وتجعل نفسها غير محتملة ، الامر الذي يدفع اخيرا كتلة
الشعب نحونا ، وعندئذ يمكن خوض غمار نضال فولمار النهائي الشهير .

ف. انجلز : « رسالة الى إ . برنشتاين ،
بتاريخ ٢ - ٣ تشرين الثاني ١٨٥٢ » . وسائل
فريدريك انجلز الى ادوار برنشتاين ، برلين ،
ص : ٩٤ .

... اننا نقف بكل حزم الى جانب الفلاح الصغير وسوف نبذل كل
ما هو متاح لنا كي نجعل نصيبه اكثر احتمالا ، وكي نيسر انتقاله الى
التعاونية اذا ما قرر الانتساب اليها ، بل نمكنه من البقاء في ارضه الصغيرة
لفترة اطول من الزمن كي يقلب الامر من وجوهه المختلفة اذا ما كان عاجزا
بعد عن اتخاذ ذلك القرار . ولأسنا نفعل ذلك لمجرد اننا نعتبر الفلاح
الصغير الذي يمشى بعمله الخاص منتسبا اليها بصورة فعلية ، بل في مصلحة
الحزب المباشرة ايضا . فبقدر ما يكبر عدد الفلاحين الذين يمكننا انقاذهم
من التدهور بصورة فعلية الى صفوف البروليتاريا ، الذين نستطيع كسبهم
الى جانبنا وهم فلاحون بعد ، فان التحويل الاجتماعي سيتحقق بمزيد من
السرعة واليسر . ولن يفيدنا شيئا ان ننتظر من اجل هذا التحويل حتى
يتطور الانتاج الرأسمالي في كل مكان حتى عواقبه القسوى ، حتى يقع
آخر حرفي صغير وآخر فلاح صغير ضحيتين للانتاج الرأسمالي الواسع
النطاق . وان التضحية المادية الواجب بذلها لهذا الغرض في مصلحة
الفلاحين ، وهي التضحية التي ستسدد من الاموال العامة ، يمكن ان تعتبر
من وجهة نظر الاقتصاد الرأسمالي كمجرد مال مبدد . لكنها تشكل مع ذلك
توظيفا ممتازا لانها ستؤدي الى توفير ربما انه يساوي قيمتها عشر مرات في
كلفة اعادة التنظيم الاجتماعي على العموم . وبالتالي فانه يمكننا بهذا المعنى
ان نعد الى التعامل بملء الحرية مع الفلاحين . وليس هذا موضع الدخول

في التفاصيل من أجل تقديم مقترحات حسية لتلك الغاية : كل ما نستطيعه هو ان نعالج المبادئ العامة .

ف. انجلز : المسألة الفلاحية في فرنسا والمانيا ،
في ك. ماركس وف. انجلز ، دراسات اقتصادية ،
منشورات دار دمشق ، ص : ٢٦٢ .

لقد اضحى استيلاء الحزب الاشتراكي على السلطة السياسية احدى قضايا المستقبل المتزايد القرب . لكنه لا بد لهذا الحزب قبلا، كيمايستولي على السلطة السياسية ، ان يذهب من المدن الى الارياف ، ان يصير قوة في الارياف . ان هذا الحزب ، الذي يملك ميزة على سائر الاحزاب الاخرى تستقيم في حوزته على نظرة ناقبة واضحة في الترابطات بين الاسباب الاقتصادية والنتائج الاجتماعية ، وقد فضح قبل زمن طويل الذئب اللاس لبوس الحمل الذي هو الملاك العقاري الكبير ، هذا الصديق الجوج للفلاح - يستطيع هذا الحزب ان يترك الفلاح الهالك بين ايدي حماته الكاذبين حتى يتحول من خصم منفعل الى خصم فاعل للعمال الصناعيين ؟ وهؤلاء نحن في قلب المسألة الفلاحية بالضبط .

ف. انجلز : المسألة الفلاحية في فرنسا والمانيا ،
في ك. ماركس وف. انجلز ، دراسات اقتصادية ،
منشورات دار دمشق ، ص : ٢٤٤ - ٢٤٥ .

وناتي الآن الى الفلاحين الاغنى . اننا نجد هنا ، كنتيجة للتقسيمات الناجمة عن الوراثة وعن المديونية على حد سواء ، ولبيعات الارض الاجبارية، سلما منوعا من المراحل المتوسطة ، من المزارع الصغير حتى الفلاح الملاك الكبير الذي احتفظ بميراثه سليما ، بل رسعه ايضا . وحين يحيا الفلاح المتوسط بين الفلاحين أصحاب الملكيات الصغيرة ، فان مصالحه وآراءه لن تختلف كثيراً عن مصالحهم وآرائهم . وانه ليمرف من تجربته الخاصة كم من امثاله انحطوا من قبل الى مستوى الفلاحين الصغار . لكن حيث يتفوق الفلاحون المتوسطون والكبار ، ويتطلب الاستثمار ، على العموم ، العمون

الذي يقدمه الخدم الذكور والاناث ، فان الامور تختلف كلياً . ومن المؤكد ان من واجب الحزب العمالي ان يناضل ، في المحل الاول ، باسم العمال المأجورين ، يعني من اجل فئة الخدم الذكور والاناث ومن اجل العمال المياومين . ولا مجال للشك مطلقاً في انه لا يجوز تقديم اية وعود الى الفلاحين تتضمن استمرار عبودية العمال المأجورة . لكنه ما استمر الفلاحون الكبار والمتوسطون في الوجود بهذه الصفة بالضبط ، فانه لا يمكنهم الاستغناء عن العمال المأجورين ، وبالتالي فانه اذا كان من الجنون المطبق من جانبنا ان نلوح للفلاحين اصحاب الملكيات الصغرى بإمكانية الاستمرار بصورة دائمة في صفتهم هذه ، فانه من باب الخيانة على وجه التقريب ان نتمهد بالشئ نفسه للفلاحين الكبار والمتوسطين .

ف. انجلز : المسألة الفلاحية في فرنسا والمانيا ،
في ك. ماركس وف. انجلز ، دراسات اقتصادية ،
منشورات دار دمشق ، ص : ٣٦٣ - ٣٦٤ .

انهم (الفلاحين) يصادفون . . . حليفهم ومرشدهم الطبيعي في
بروليتاريا المدن ، التي مهمتها هي قلب النظام البورجوازي .

ك. ماركس : ١٨ برومير لويس بونايرت ، في ك.
ماركس وف. انجلز ، المؤلفات المختارة في مجلدين ،
منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد الاول ،
ص : ٣٥٠ .

ان القتال ضد الرجعية الاقطاعية والرجعية البيروقراطية - ذلك ان
كلتاهما غير منفصلتين عندنا اليوم - يتوحد في المانيا مع النضال من اجل
التحرر الفكري والسياسي للبروليتاريا الزراعية . وطالما ان هذه البروليتاريا
الزراعية لم تنجرف في الحركة ، فان بروليتاريا المدن في المانيا لا تستطيع ان
تحصل على ادنى تقدم . ذلك ان الاقتراع العام والمباشر لن يكون بالنسبة

الى البروليتاريا سلاحا ، بل شرما .

ف. انجلز : « المسألة العسكرية في بروسيا
والحزب العمالي الالمانى » ، مؤلفات ماركس وانجلز ،
برلين ، المجلد السادس عشر ، ص : ٧٤ .

لم يكن في مكنة العمال الفرنسيين أن يتقدموا خطوة واحدة ، لم
يكن في مكنتهم أن يمسوا شعرة واحدة من النظام البورجوازي ، حتى يكون
مجرى الثورة قد أهاب بجماهير الامة ، من فلاحين وبورجوازيين صفار ،
الواقفة بين البروليتاريا والبورجوازية ، ضد هذا النظام ، ضد حكم رأس
المال ، واجبرها على الارتباط بالبروليتاريين على أنهم طليعة لها .
ك. ماركس : الصراعات الطبقيّة في فرنسا ،
مشورات دار دمشق ، ١٩٦٤ ، ص : ٤٢ .

ان الثورة الاجتماعية الجذرية ترتبط ببعض الشروط التاريخية
للتطور الاقتصادي ، فهذه الشروط الاخيرة هي شرطها المسبق . فهي
لا تكون ممكنة اذن الا حيث تشغل البروليتاريا الصناعية ، بفضل الانتاج
الراسمالي ، مركزا هاما على الاقل في كتلة الشعب ، وكيفا يكون لها بعض
الحظ في النصر يجب ان تكون على الاقل قادرة على ان تصنع من فورها
للفلاحين - بقيامها بالتغيرات الضرورية* - قدر ما صنمته البورجوازية
الفرنسية في ثورتها للفلاحين الفرنسيين في ذلك الحين .

ك. ماركس : « خلاصة كتاب باكونين الدولة
والفوضوية » ، في ك. ماركس وف. انجلز ، ضد
الفوضوية ، مكتب المشورات ، باريس ١٩٥٥ ،
ص : ٤٢ .

ان كل ظفر حقيقته الطبقة العاملة في باريس قد ارجع هنا في الحال
الى الصفر من جراء الروح الرجعية لدى الفلاحين الصفار الذين يشكلون
الكتلة العظمى من السكان الفرنسيين . لقد كانت طبقة الفلاحين الفرنسية

• Mutatis Mutandis ، باللاتينية في النص الاصلى .

بونابرتية منذ مطلع هذا القرن ، والجمهورية الثانية التي اقامها العمال في باريس في شباط ١٨٤٨ قد ألقيت بفعل اصوات الفلاحين الستة ملايين التي حصل عليها لويس - نابليون في كانون الاول من السنة نفسها . بيد ان الغزو البروسي في ١٨٧٠ قد زعزع ثقة الفلاحين في الامبراطورية ، وثبتت انتخابات تشرين الثاني الاخير ان كتلة السكان الريفيين قد باتت جمهورية . وذلك تغيير يتحلّى بأهمية بالغة ، فهو لا يعني فحسب ان عودة الملكية قد باتت مستحيلة في فرنسا ، بل يعني كذلك اقتراب الائتلاف بين عمال المدن وفلاحي الارياف . . . ان الفلاحين الفرنسيين قد اصبحوا اخيرا على قدر كافٍ من الوعي كي يفتشوا عن الاسباب الحقيقية للبؤس المزمع وعن التدابير العملية الواجب اتخاذها للخروج منه . لكن طالما أنهم شرعوا يفكرون ، فلا بد ان يكتشفوا عاجلاً ان وسيلة الخلاص الوحيدة بالنسبة اليهم هي في التحالف مع الطبقة الوحيدة التي لا تحصل على اي مكسب من شرطهم البائس الحالي ، الا وهي الطبقة العاملة في المدن .

ف. انجلز : « العمال الاوروبيون في ١٨٧٧ » ،
مؤلفات ماركس وانجلز ، برلين ، المجلد التاسع
عشر ، ص : ١٢٢ .

ان الثورة الاشتراكية في اوروبا لا يمكن أن تكون شيئاً آخر سوى انفجار النضال الجماهيري للمضطهدين والناقمين من مختلف الانواع . ومن المحتم ان عناصر من البورجوازية الصغيرة والعمال المتخلفين سوف يسهمون فيها - فبدون هذا الاسهام لا يكون النضال الجماهيري ممكناً ، ولا تكون اي ثورة ممكنة - وسوف يحملون الى الحركة ، بصورة لا تقل حتمية عن ذلك ، مستبقاتهم ، ونزواتهم الرجعية ، وضعفهم ، واخطاءهم . لكنهم ، موضوعياً ، سوف يهاجمون الراسخين ، فيما طليعة الثورة الواعية ، البروليتاريا المتقدمة ، التي ستعبر عن هذه الحقيقة الموضوعية لنضال جماهيري مشتت ، متنافر ، مختلط ، لا وحدة له للوهلة الاولى ، سوف تتمكن من أن توحيه وتوجهه ، وتستولي على السلطة ، وتضع يدها على

المصارف ، وتفتصب التروستات المكروهة من الجميع (وإن تكن هذه الكراهية لأسباب مختلفة !) وتحقق اجراءات دكتاتورية أخرى سيكون لمجموعها النتيجة التالية ، ألا وهي قلب البورجوازية وانتصار الاشتراكية ، التي لن تنقى للوهلة الأولى من الحثالات البورجوازية الصغيرة .

. لينين : « كشف مناقشة عن حق الامم في تقريرالمصر » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والمشرون ، ص : ٢٨٤ .

ان الثورة البروليتارية مستحيلة بدون تعاطف ودعم الغالبية الساحقة من الشغيلة لطليعتهم التي هي البروليتاريا . بيد أن هذا التعاطف وهذا الدعم لا يكسبان من الوهلة الأولى ، ولا يتقرران بالاصوات الانتخابية ؛ **إنهما يؤخذان لقاء نضال طبقي صعب ، قاس ، طويل النفس .**

ف. لينين : « تحية الى الشيوعيين الإيطاليين والفرنسيين والامان » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٥٤ .

في جميع الحالات ، سواء اكان الامر كذلك ام لا ، فان الواجب الاول والرئيسي والاعجل من واجباتنا هو التالي : **توطيد اتحاد البروليتاريين ونصف البروليتاريين في الريف مع آجبروتيتاريين في المدن .** واننا نحتاج الآن ، وعلى الفور ، في سبيل تحقيق هذا الاتحاد ، أن يتمتع ائتمب بحرية سياسية تامة ، وأن يتمتع الفلاح بمساواة تامة في الحقوق ، وأن تلغى العبودية الاقطاعية . وعندما سيتم خلق هذا الاتحاد وتوطيده ، فاننا سنميط اللثام بكل يسر عن المنظورات المضللة التي تلوح بها البورجوازية امام ابصار الفلاح المتوسط ، وسوف ننجز بسهولة وسرعة، ضد البورجوازية بأسرها ، ضد جميع قوى الحكومة ، الخطوة الثانية ، والثالثة ، والاخره ، وسوف نمضي بصورة حتمية نحو النصر ، وسوف نفوز سريعاً بالتححر التام

للشعب العامل بأسره .

ف. لينين : « الى الفلاحين الفقراء » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السادس ، ص : ٢٨٢ .

ان في كل قرية وكل جماعة عددا كبيرا من العمال الزراعيين ، وكثيرا من الفلاحين الذين وقعوا في اليأس ، وان فيهما اغنياء ، عندهم هم انفسهم عمال زراعيون ، وهم يشترون لانفسهم أرضا « الى الابد » . وان هؤلاء الاغنياء هم ايضا اعضاء في الجماعة ، وهم يتصرفون على انهم سادة ، لانهم يشكلون قوة . اتعتقدون اننا في حاجة الى اتحاد يدخل الاغنياء فيه ، يتصرف الاغنياء فيه على انهم سادة ؟ ابدا على الاطلاق .

انه يلزمنا اتحاد من اجل النضال ضد الاغنياء . . . انه يلزمنا رابطة مختلفة كل الاختلاف ، اتحاد طوعي يجمع الشفيلة والفلاحين الفقراء من اجل النضال ضد سائر اولئك الذين يعيشون من عمل الغير .

ف. لينين : « الى الفلاحين الفقراء » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السادس ، ص : ٣٤٤ .

. . . يعلن الاشتراكيون الديموقراطيون . . . أنهم يناضلون بصورة مشتركة مع طبقة الفلاحين بأسرها ضد الملاكين العقاريين والموظفين ، والاكثر من ذلك أنهم يناضلون ، باعتبارهم بروليتاريين من المدن ، . . . ورة مشتركة مع البروليتاريين الريفيين ضد الرأسمال . ان النضال في سبيل الارض والحرية نضال ديموقراطي . وان النضال في سبيل القضاء على سيطرة الرأسمال نضال اشتراكي .

ف. لينين : « البروليتاريا وطبقة الفلاحين . » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد العاشر ، ص : ٢٥ .

في عام ١٨٥٢ ، قال ماركس ان الفلاحين لا يملكون مستبقات فحسب ، بل حصة ايضا . وحسن نبين الآن لطبقة الفلاحين الفقراء أسباب الفقر الذي تعانيه ، فاننا نستطيع أن نعلم على النجاح . اننا نعتقد انه مادامت الاشتراكية الديمقراطية قد انخرطت حاليا في النضال من أجل مصالح الفلاحين ، فاننا نستطيع في المستقبل أن نتبين ان كتلة الفلاحين قد اعتادت على ان ترى في الاشتراكية الديمقراطية منافحاً عن مصالحها .

ف. لينين : « المؤتمر الثاني للحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي في روسيا ، الخطاب الثاني أثناء مناقشة البرنامج الزراعي ، بتاريخ ١ (١٤) ، ج ١ » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السادس ، ص : ٥١ - ٥٢ .

... تاريخياً ، الطبقة التي تنتصر هي الطبقة التي تستطيع أن تجرف

معها كتلة السكان

ف. لينين : « الاجتماع الثامن للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٧٨ .

ليس ثمة خلاص لجماهير الارياف الكادحة الا في تحالفهم مع البروليتاريا الشيوعية ، في الدعم الذي لا تحفظ فيه لنضالها الثوري من أجل قلب نير الملاكين العقاريين الكبار والبورجوازية .

ف. لينين : « المسودة الاولى للموضوعات عن المسألة الزراعية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ١٣٣ .

ان الشرط الضروري لانتصار الثورة الاشتراكية ، التي تضمن وحدتها النجاح الدائم والتطبيق الكامل للقانون عن الارض ، هو التحالف الوثيق بين طبقة الفلاحين الكادحة والمستثمرة والطبقة العاملة ، البروليتاريا ، في جميع

البلدان المتقدمة . وان كل تنظيم الدولة وادارتها في جمهورية روسيا يجب من الآن فصاعدا أن يعتمدا ، من فوق الى تحت ، على مثل هذا التحالف .
وحين يصد هذا التحالف جميع المحاولات المباشرة وغير المباشرة ، الصريحة والخفية ، المبذولة من اجل العودة الى سياسة التفاهم مع البورجوازية ومع رؤوس السياسة البورجوازية التي ادانتها الحياة ، فانه يستطيع وحده ان يضمن انتصار الاشتراكية في العالم اجمع .

ف. لينين : « المؤتمر فوق العادي للمجالس
السوفيتية للمندوبين الفلاحين في روسيا » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
السادس والعشرون ، ص : ٣٤٠ .

حسبما تنجح بروليتاريا المدن في أن تجرف خلفها البروليتاريا الريفية وفي أن تضم اليها كتلة انصاف البروليتاريين في الارياف ، أو تتبع هذه الكتلة البورجوازية الفلاحية الميالة الى التحالف مع غوتشكوف ، وميليكوف ، والراسماليين والملاكين المقاريين الكبار ، وبصورة عامة مع الثورة المضادة ، فان مصير الثورة الروسية وخاتمها سيتقرران في هذا الاتجاه او ذلك ، وذلك بقدر ما لن تمارس الثورة البروليتارية التي بدأت في اوروبا تأثيرها الجبار على بلادنا بصورة مباشرة .

ف. لينين : « الاجتماع السابع (في نيسان)
لعزب العمال الاشتراكي الديمقراطي (البلشفي)
في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الرابع والعشرون ، ص : ٢٩٣ .

يجب ان نبذل سائر الجهود لكي يقوى اتحاد البروليتاريا الاشتراكية وطبقة الفلاحين الثورية ويتطور نظراً للحل القريب والحتمي للازمة السياسية الراهنة . ففي هذا الاتحاد ، وفي هذا الاتحاد وحده ، يقوم نجاح حل القضية المتعلقة « بتسليم جميع الاراضي » للفلاحين ، وكل الحرية وكل

ف. لينين : « مسألة الأرض في مجلس الدوما » ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد
العاشر ، ص : ٢٨٤ .

إذا كان فيمكنة الثورة أن تنتصر ، فذلك فقط بفضل تحالف البروليتاريا
مع الفلاحين الثوريين حقا وغير الانتهازيين .

ف. لينين : « الروح البورجوازية الصغيرة في
الايواسط الثورية » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة
الروسية الرابعة ، المجلد الحادي عشر ،
ص : ٢٢٦ .

حيثما قام النضال بين الاغنياء والفقراء ، بين الملاكين والعمال ، وجد
الفلاح المتوسط نفسه بين الفريقين ولم يعرف اين يذهب . فالاغنياء
يسمون ان يجروه من طرفهم ، ويقولون له : اسمع ، انت الآخر مستثمر ،
ملاك ، ولا شأن لك مع هؤلاء العمال المملكين . اما العمال فيقولون : ان
الاغنياء سوف يخدعونك ، وسوف يهبونك ، ولا سبيل آخر لك للخلاص
سوى مساعدتنا في النضال ضد الاغنياء . ان هذا النزاع على الفلاح المتوسط
يحدث في كل مكان ، في جميع البلدان حيث يناضل العمال الاشتراكيون
الديموقراطيون في سبيل تحرر الشعب العامل . وفي روسيا تبدأ هذه
المعركة في هذا الحين بالضبط . ولذا يجب علينا ان ندرس هذه المسألة
بطريقة معمقة بصورة مخصوصة ونفهم بكل وضوح باية احاييل يسمى
الاغنياء لاجتذاب الفلاح المتوسط ، وكيف نستطيع ان نساعد الفلاح
المتوسط على ان يجد اصداقاه الحقيقيين . واذا ما انخرط العمال
الاشتراكيون الديموقراطيون الروس في الطريق الصالحة في الحال ، فاننا
سننجح أسرع بكثير من رفاقنا العمال الالمان في انشاء تحالف وطيد بين
السكان العاملين في الريف وعمال المدن ، وفي الحصول عاجلا على النصر

ف. لينين : « الى الفلاحين الغراء » ، المؤلف
الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلس
السادس ، ص : ٢٥٢ .

ان الحرب التي لا هوادة فيها بين البورجوازية الريفية والكولاك قد دفعت الى المرتبة الاولى بمهمات تنظيم البروليتاريا ونصف البروليتاريا في الارياف ، بيد ان الخطوة التالية التي يجب ان يخطوها حزب تواق الى خلق القواعد المتينة للمجتمع الشيوعي هي حل قضية موقفنا من الفلاح المتوسط حلاً صحيحاً . ان هذه المهمة هي من مرتبة ارفع . ولا يمكننا ان نطرحها في كل سعتها طالما ان ذات اسس وجود جمهورية المجالس السوفيتية لم تضمن بعد . وان هذه المهمة لاصعب ، فهي تتطلب ان نحدد موقفنا حيال شريحة من السكان كثيرة العدد وقوية . ولا يمكن تحديد هذا الموقف بهذا الرد البسيط : الصراع او التأييد . فاذا كان هدفنا يمرر عنه حيال البورجوازية بكلمتي « الصراع » و « القمع » ، واذا كان يمرر عنه حيال البروليتاريين وانصاف البروليتاريين في الارياف بكلمة « تأييدنا » ، فمن المؤكد ان القضية تصبح اشد خطورة في هذه النقطة . كان بعض الاشتراكيين ، افضل ممثلي الاشتراكية فيما مضى - حين كانوا يؤمنون بعد بالثورة ويخدمونها على الصعيد النظري والايديولوجي - يتكلمون عن **تجميد الفلاحين** ، يعني ان يصنموا من طبقة الفلاحين المتوسطين شريحة اجتماعية اذا هي لم تحمل مساعدة فعالة الى الثورة البروليتارية ، فانها على الاقل لا تموقها ، وتظل محايدة ، ولا تنضم الى صفوف أعدائنا . ان هذا الجانب التجريدي ، النظري ، من المسألة واضح لنا كل الوضوح . لكنه ناقص . فقد دخلنا مرحلة من البناء الاشتراكي حيث ينبغي لنا ، مستلهمين تجربة العمل في الارياف ، ان نعد بصورة حسية ، وبكل تفصيل ، القواعد والتوجيهات الاساسية التي يجب علينا اتباعها كي نعقد مع الفلاح المتوسط تحالفاً وطيداً ، كي نستبعد امكانية الانحرافات والاطغاء العديدة التي ابعدته عنا ، بينما

نحن نستطيع في حقيقة الامر ، بوصفنا حزباً شيوعياً قائداً كان أول من ساعد الفلاح الروسي على خلع نير الملاكين العقارين بصورة حاسمة وعلى تأسيس ديموقراطية حقيقية لنفسه ، أن نعتد تماماً على ثقته الكلية . ليست هذه المهمة من المهمات التي تتطلب هجوماً وقمعاً سريعين لا رحمة فيهما . ومن المؤكد أنها أصعب ، لكنني أسمح لنفسي بأن أعبر عن اليقين بأننا سوف ننفذها بعد سنة واحدة من العمل التمهيدي .

ف. لينين : « المؤتمر السابع للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ١٤٠ - ١٤١ .

تخالف وئيق جداً وانصهار تام مع الفقراء في الأرياف ، وتنازلات للفلاح المتوسط وتفاهم معه ، وقمع لا يرحم للكولاك ، هؤلاء المصاصين للدماء ، هؤلاء الأفاعي ، هؤلاء النهايين للشعب ، هؤلاء المضارين الذين يبرون من المجاعة : ذلك هو برنامج العامل الواعي . تلك هي سياسة الطبقة العاملة .

ف. لينين : « أيها الرفاق العمال ! فلنسر الى المعركة الحاسمة الاخيرة ! » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٥٢ .

ليس الفلاح المتوسط عدواً لنا . لقد تردد ، وهو يتردد ، وسوف تردد : ان قضية الفعل الواجب ممارسته على المترددين ليست متماثلة مع قضية قلب المستثمر والانتصار على العدو الفاعل . ان نعزف كيف نوصل الى التفاهم مع الفلاح المتوسط - دون التخلي لحظة واحدة عن نضال ضد الكولاك وبالاعتماد بصورة وطيدة على طبقة الفلاحين الفقراء وحدها - ك هي مهمة الساعة ، ذلك ان الانعطاف في مصلحتنا عند الفلاح المتوسط ر محتوم في هذا الحين بالضبط ، وذلك للأسباب المعروضة أعلاه .

ويجب أن نتصرفه بالطريقة نفسها حيال الحربي ، رجل المهنة، واولئك العمال الذين اصبحوا في اوضاع بورجوازية صغيرة ، أو الذين احتفظوا بآراء بورجوازية صغيرة ، وحيال الموظفين الكثري العدد ، والضباط ، وبالخاصة المثقفين على العموم . وليس من المشكوك فيه اننا نلاحظ غالبا في حزبنا عجزا عن الانتفاع بالانعطاف الذي يحدث عندهم ، لكن هذا العجز يجب ويمكن التغلب عليه .

ان لدينا منذ الآن دعما قويا لدى الغالبية العظمى من البروليتاريين المنتسبين الى نقابات ، ويجب أن نعرف كيف نجتذب اليها ، ونضم في منظمة مشتركة، وان نخضع للانضباط البروليتاري العام، الشرائح الاقل بروليتارية والاكثر بورجوازية صغيرة من **الشفيلة** الذين يلتفتون صوبنا . وفي هذه الحال ، فان شعار الساعة ليس هو النضال ضدهم ، بل هو اجتذابهم ، هو ان نركز فعلنا عليهم ، ونقنع المترددين ، ونستخدم الحيايين ، ونثقف - في جو النفوذ البروليتاري الجماهيري - اولئك المتخلفين أو اولئك الذين بداوا ، منذ وقت قصير جدا ، يتخلصون من اوهام «الجمعية التأسيسية» أو الاوهام « الوطنية الديموقراطية » .

ف. لينين : « الاعترافات الثمينة لبيترين سوروكين » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ١٩٦ .

ان التمييز الاساسي الذي يحدد موقفنا حيال البورجوازية وطبقا الفلاحين المتوسطين هو الاغتصاب التام للبورجوازية والتحالف مع طبقا الفلاحين المتوسطين الذين لا يستثمرون الفير ؛ أن هذا الخط الاساسي معترف به نظريا من الجميع .

ف. لينين : « المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٢٠٦ .

أن الخلط بين الفلاحين المتوسطين والكولاك ، وإخضاع الأولين ، في أي مقياس كان ، للإجراءات التي تستهدف الكولاك ، هذا يعني خرقا بالغ الفظاظة ليس لجميع مراسيم المجالس السوفيتية وكامل سياستها فحسب ، بل كذلك لجميع المبادئ الأساسية للشيوعية ، الموصية بتفاهم البروليتاريا مع طبقة الفلاحين المتوسطين في مرحلة النضال الحاسم الذي تخوضه البروليتاريا في سبيل قلب البورجوازية ، على اعتبار أن هذا التفاهم هو أحد الشروط من أجل السير دون ألم نحو الغاء كل استثمار .

ف. لينين : « المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٢١٨ .

... يجب علينا أن نعرف ، والأنا نسى ، وأن نضع موضع التطبيق هذا المبدأ الذي ينص على أن العمال الشيوعيين القادمين إلى الريف مطلوب منهم أن يسعوا وأن يقيموا علاقات الرفقة مع الفلاح المتوسط .. مطلوب منهم أن يتذكروا أن الشغيل الذي لا يستغل عمل الغير هو رفيق العامل ، وأنه يمكن ويجب الحصول على تحالفه الذي يرضى به بملء حريته ، وبكل إخلاص ، وبملء الثقة . ويجب ألا يترى في جميع التدابير المقترحة من قبل السلطة الشيوعية سوى نصيحة ، سوى توجيه للفلاح المتوسط ، سوى اقتراح بأن يجعل من النظام الجديد نظاما له .

وإن تحالف العمال والفلاحين لا يمكن أن يضمن إلا بواسطة عمل مشترك يضع هذه التدابير على محك الممارسة ، ويكشف الأخطاء ، ويحذف الغلطات الممكنة ، ويحقق الاتفاق مع الفلاح المتوسط . إن القوة الأساسية لسلطة المجالس السوفيتية ودعمها يقومان في هذا التحالف ، الذي هو الضمانة بأن عمل التحويل الاجتماعي ، والانتصار على الراسمال ، والقضاء على كل استثمار ، سوف يوصل إلى نهاية حسنة .

ف. لينين : « أحاديث مسجلة على استعراشات » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٢٤٩ .

من المؤكد أن النظام الاجتماعي في جمهوريتنا السوفيتية قائم على تعاون طبقتين ، العمال والفلاحين ، وهو تعاون يقبل فيه أيضا في الوقت الحاضر ، ضمن بعض الشروط، «رجال السياسة الاقتصادية الجديدة» (١٧) ، يعني البورجوازية . وإذا قامت خلافاً خطيرة بين هذه الطبقات ، فإن الانفصال سيكون أمراً لا مفر منه . بيد أن نظامنا الاجتماعي لا ينطوي الزامياً ، بالضرورة ، على بذور مثل هذا الانفصال . وأن المهمة الرئيسية للجنة المركزية واللجنة المركزية للرقابة ، وللمجموع الحزب أيضاً ، هي أن تراقب بكل انتباه العوامل التي يمكن أن تؤدي إلى الانفصال ، وأن تستبقها ، لأن مصير جمهوريتنا رهن في نهاية المطاف بما يلي : هل ستمشي الكتلة الفلاحية ، مخلصاً لتحالفها مع الطبقة العاملة ، مع هذه الطبقة العاملة ، أم أنها ستسمع « لرجال السياسة الاقتصادية الجديدة » ، يعني البورجوازية الجديدة ، بأن يفرقوها ، بأن يفصلوها عن العمال ؟ كلما تبذرت لنا هذه المتناوبة بوضوح أعظم ، وكلما أدركنا عمالنا وفلاحونا بمزيد من الوضوح ، كان حفظنا أكبر في اجتناب الانفصال الذي ستكون عاقبته وخيمة بالنسبة إلى الجمهورية السوفيتية .

ف. لينين : « كيف نعيد تنظيم التفتيش العمالي والفلاحي ؟ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والثلاثون ، ص : ٤٩٩ - ٥٠٠ .

إن العمل الذي نجزه في الساعة آراهنة ، لوحدنا حالياً ، بصورة مؤقتة ، يبدو أنه روسي خالص ، لكنه سي طرح على جميع الاشتراكيين في حقيقة الأمر . إن الرأسمالية تحضر ؛ وأنه لفي مقدورها ، وهي في النزاع الأخير ، أن تسبب بعد لعشرات ومئات الملايين من الكائنات البشرية عذابات لا تصدق . لكنه ليس في العالم قوة يمكن أن تمنعها من الانهيار . إن المجتمع الجديد الذي سيؤسس على تحالف العمال والفلاحين محتم . أنه سيأتي عاجلاً أو آجلاً ، قبل عشرين سنة أو بعد عشرين سنة ، وحين نضع موضع العمل سياستنا الاقتصادية الجديدة ، فإننا نساعد على أعداد أشكال تحالف العمال والفلاحين من أجل هذا المجتمع الجديد . ولسوف ننجز

هذه الرسالة ، وسوف نخلق تحالفا للعمال والفلاحين وطيدا جدا بحيث لا تستطيع اي قوة في العالم ان تحطمه .

ف. لينين : « المؤتمر التاسع للمجالس السوفيتية في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والثلاثون ، ص : ١٧٨ .

اشكال النضال الطبقي والتنظيم الطبقي للبروليتاريا في مرحلة تهيئة الثورة الاشتراكية وتحقيقها

مولد نضال البروليتاريا الطبقي وتطوره

كانت الجريمة الشكل الاول ، الاشد قسوة والاكثر عمقا،الذي ارتدته هذه الثورة . فقد كان العامل يعيش في البؤس والعوز ، وكان يرى ان آخرين يستمتعون بمصير افضل . ولم يكن عقله يتوصل لان يفهم السبب في انه ، هو بالضبط ، يجب ان يعاني في هذه الشروط ، بينما هو يصنع من اجل المجتمع اكثر مما يصنعه الفني العاقل . وفيما عدا ذلك ، فان الحاجة قد تغلبت على احترام الملكية الفطري - فجعل يسرق . ولقد رأينا ان عدد الجنح قد تزايد مع اتساع الصناعة ، وان عدد الاعتقالات السنوي يتناسب ظردا مع عدد حالات القطن المباعة في السوق .

لكن سرعان ماتبين العمال عدم جدوى هذه الطريقة . فما كان في مقدور الجانحين ، بسرقاتهم ، ان يحتجوا على المجتمع الا بصورة منزلة ، إمراديا ، وكانت كل قوة المجتمع تنفض على كل فرد وتسحقه بتفوقها الهائل . وفضلا عن ذلك ، فقد كانت السرعة الشكل الاقل تطورا والادنى وعيا للاحتجاج ، ولهذا السبب البسيط فانها لم تكن قط التعبير العام عسن الراي العام للعمال ، وان كانوا يوافقون عليها ضمنا . ولم تشرع الطبقة العاملة في معارضة البورجوازية الا حين قاومت بصورة عنيفة ادخال الآلات ، كما كانت الحال في اوائل الحركة الصناعية تماما . ان المخترعين الاولين ،

أمرًا ريت ، الخ ، قد اضطهدوا بادئ الأمر بهذه الطريقة وحطمت الآلات
أربا . وقد وقعت فيما بعد عصيانات عديدة ضد الآلات ، وجرت بالضبط
تقريباً على نمط فتن مطابع بوهيميا في حزيران من عام ١٨٤٤ ، فقد هدمت
المعامل ، وحطمت الآلات أربا .

ولم يكن هذا الشكل للمعارضة ، هو الآخر ، سوى شكل منعزل ،
مقصود على بعض المحلات ، وما كان يستهدف سوى مظهر واحد من
مظاهر النظام الحالي . وحين كان يتم بلوغ الهدف الآني ، فقد كانت قوة
المجتمع تنقض بكل عنفها على الجانحين الذين لا حول لهم وتقتص منهم على
هواها ، بينما كانت الآلات تدخل بالرغم من كل شيء . وكان لا بد من إيجاد
شكل جديد للمعارضة .

هنا كان قانون اقترع عليه البرلمان الثوري القديم ، الأوليغارشي ،
قبل إصلاحه ، ذا فائدة كبرى ؛ وفيما بعد ، حين كرست المعارضة بين
البورجوازية والبروليتاريا بصورة مشروعة بفعل لائحة الإصلاح ، وبذلك
رفعت البورجوازية إلى مرتبة الطبقة السائدة ، فإن مثل هذا القانون
ما كان يمكن أن يمر أبداً في مجلس العموم . فقد اقترع على هذا القانون
في عام ١٨٢٤ ، ملفياً جميع النصوص التشريعية التي حرمت على العمال
حتى ذلك الحين التشارك من أجل الدفاع عن مصالحهم . وهكذا حصلوا
على حق لم يكن يملكه حتى ذلك الحين سوى الأرستقراطية والبورجوازية :
حق التجمع الحر . ومن المؤكد أن رابطات سرية قد وجدت على الدوام فيما
بينهم ، لكنها لم تتوصل قط إلى نتائج كبيرة . ولقد كان في اسكتلندا ،
فيما كان ، منذ عام ١٨١٢ - كما يروي ذلك سايمونس (**الحرف والحرفيون** ،
ص : ١٣٧ وما يليها) توقف عام عن العمل ، نظمته رابطة سرية . ولقد
حدث هذا التوقف من جديد عام ١٨٢٢ ، وفي هذه المناسبة ، فإن عاملين
رفضوا الانضمام إلى طبقتهم قد قذفا بالزجاج من قبل العمال المنضمين إلى
الرابطة وفقدوا البصر من جراء ذلك . وكذلك كانت رابطة عمال المناجم في
اسكتلندا على قدر كافٍ من القوة ، عام ١٨١٨ ، لتفرض توقفاً عاماً عن

العمل . وكانت هذه الرابطة تطلب من أعضائها أن يحلفوا قسماً بالاخلاص والكتمان ، وتنظم لوائح ، وخزينة ، وحسابات ، كما كانت لها فروع محلية . بيد أن المسرية التي كانت تحوط أفعالها قد كانت تشمل تطورها . وبالمقابل ، فان هذه الاتحادات قد امتدت سريعا بحيث شملت انكثرا بأسرها وأصبحت قوية جدا حين حصل العمال عام ١٨٢٤ على حق التجمع الحر ، وقد تشكلت اتحادات مماثلة (فريد - يونيون) في جميع فروع الصناعة ، ونيتها الواضحة هي حماية العامل المنزل ضد طغيان البورجوازية واهمالها . وكانت اهدافها هي تثبيت الاجرة ، والتفاوض «كثليا» * ، بوصفها قوة ، مع ارباب العمل ، وتنظيم الاجرة وفقا لارباح رب العمل ، والحصول على زيادة هذه الاجرة حين يكون الوقت ملائما ، والحفاظ عليها في المستوى نفسه في كل مكان بالنسبة الى هيئة كل حرفة ؛ ولهذا السبب جعلت هذه الاتحادات تتفاوض مع الرأسماليين من اجل انشاء سلم للاجور يطبق في كل مكان ، وترفض العمل لحساب رب عمل يرفض هذا السلم . وفيما عدا ذلك ، فقد كان هدفها المحافظة باستمرار على فعالية الطلب على العمال ، وذلك بتحديد تشغيل التمهين ، الامر الذي كان يمنع انقاص الاجور ، والنضال قدر المستطاع ضد تخفيضات الاجور المداحية التي كان الصناعيون يحاولونها عن طريق ادخال آلات جديدة او أدوات جديدة ، الخ . . . ، واخيرا مساعدة العمال المعاطلين عن العمل باعانات مالية . وكان هذا الامر يتم اما بصورة مباشرة على حساب صندوق الرابطة ، واما بواسطة بطاقة سجلت عليها جميع مؤشرات الهوية الضرورية ، وكان العامل يمضي من محلة الى اخرى بواسطة ابرازها ، فيساعده رفاقه في العمل ويقدمون اليه المعلومات الضرورية عن الفرصة الفضلى من اجل الحصول على عمل . وكان العمال يسمون هذا الارتحال التنسكج The tramp وكان القائل به يسمى المتسكج The tramp وكان الاتحاد ينتخب ، في سبيل تحقيق هذه الاهداف ، رئيسا وامينا عاما يعطيان مرتبا - ذلك انه يجب أن يتوقع ان أي صناعي لن يرغب في استخدام مثل هؤلاء الاشخاص - وكذلك لجنة تجمع الاشتراكات الاسبوعية وتسهر

• En masse بالفرنسية في النسخ الاصلية .

على استخدام الاموال لاهداف الرابطة ، وحين يكون الامر ممكنا ومفيدا ، كان رفاق المهنة في مختلف النواحي يتحدون في اتحاد عام وينظمون اجتماعات للمندوبين في تواريخ ثابتة . ولقد جرب في بعض الحالات توحيد اعضاء الرابطة لمجموع هيئة حرفة ما على نطاق انكثرا بكاملها في رابطة كبيرة واحدة ، وفي مناسبات متعددة - كانت المناسبة الاولى عام ١٨٣٠ - تأسيس رابطة عامة للعمال على نطاق المملكة بأسرها ، تتضمن تنظيمها مخصوصاً لكل حرفة على حدة . ومهما يكن من امر ، فان هذه الرابطة لم تستمر طويلا قط ولم تتوصل الى التكون الا فيما ندر ، ذلك ان تحريضا عموميا استثنائيا يستطيع وحده ان يجعل مثل هذه الرابطة ممكنة وفعالة .

وان الوسائل التي اعتادت هذه الاتحادات استخدامها من اجل اهدافها هي التالية : اذا رفض احد ارباب العمل (او عدد من ارباب العمل) دفع الاجرة المحددة من قبل الرابطة ، ارسل اليه وفد او سلم عريضة (نرى ان العمال يعرفون كيف يترفون بالسلطة المطلقة لسيد المصنع في دولته الصغيرة) ؛ واذا لم يكن هذا كافيا ، فان الرابطة تصدر امرها بالتوقف عن العمل ، فيمود جميع العمال الى بيوتهم . وان هذا التوقف عن العمل Turn - out أو Strike اما ان يكون جزئيا ، حين يرفض رب عمل واحد او عدد من ارباب العمل دفع الاجرة المقترحة من الرابطة ، واما ان يكون عاما ، حين يكون المقصود جميع ارباب العمل في الفرع موضوع العلاقة . تلك هي الوسائل الشرعية التي كانت الرابطة تستخدمها في حال حدوث التوقف عن العمل بعد اذار ، وهو ما لم يكن يحدث دائما . بيد ان هذه الوسائل الشرعية تظل على وجه الدقة ضعيفة جدا ما بقي عمال لا ينتسبون الى الرابطة ، او ينفصلون عنها بملء ارادتهم بفعل مميزات عابرة يمرضها البورجوازي عليهم . وان الصناعي يستطيع ، بالخاصة في حالات التوقفات الجزئية عن العمل ، ان يجند ما يكفي من الرجال من بين هذه النماذج الجزئية (المسماة Knobsticks) ويحبط بذلك جهود العمال الاعضاء في الرابطة . وكان هؤلاء Knobsticks عرضة للتهديدات عادة ، والاهانات ، والكلمات او

المعاملات الرديئة الاخرى من جانب اعضاء الرابطة ، وباختصار تدابير جزرية من مختلف الانواع ؛ وانهم ليشتكون اذن ، ولما كانت البورجوازية المولعة جدا بالشرعية تملك سلطانا بعمد ، فان قوة الرابطة تحطم بصورة دائمة على وجه التقريب بفعل اول عمل يخرق القانون ، بفعل اول شكوى تقدم الى القضاء ضد اعضائها .

ان تاريخ هذه الرابطات سلسلة من الهزائم العمالية ، تتخللها بعض الانتصارات النادرة . ومن الطبيعي الا تتمكن هذه الجهود جميعا من تغيير قوانين الاقتصاد ، وان تكون الاجرة منظمة بالعلاقة بين المرض والطلب في سوق العمل . وهذا هو السبب في ان هذه الرابطات لا تستطيع شيئا ضد الاسباب الكبرى التي تؤثر في هذه العلاقة ؛ ففي حالة الازمة الاقتصادية ، تضطر الرابطة ان تخفض الاجرة هي نفسها ، او تحل نفسها كليا ؛ وفي حالة ارتفاع هام في الطلب في سوق العمل ، فانها لا تستطيع ان تحدد الاجرة في مستوى اعلى من المستوى الذي ستحدده المنافسة بين الراسماليين من تلقاء ذاتها . ومهما يكن من شيء ، فانها تستطيع الشيء الكثير فيما يتعلق بالاسباب الاقل أهمية من ذلك التي لا يكون فعلها معمما . فاذا كان الصناعي لا يتوقع معارضة مركزة وكتلية من جانب عماله ، فانه سيخفض شيئا فشيئا الاجور اكثر فاكثر كي يزيد ارباحه : ان النضال الذي لا بد له ان يخوضه ضد منافسيه ، الصناعيين الاخرين ، سيجبره على ذلك ، وسرعان ما تهبط الاجرة الى مستواها الادنى . بيد ان منافسة الصناعيين هذه فيما بينهم تكبح ، في الشروط العادية المتوسطة ، بفعل معارضة العمال . فكل صناعي يعرف على خير وجه ان تخفيضا للاجور لا تبرره الظروف التي يخضع لها منافسوه ايضا ستكون عاقبتها اضرابا يلحق به ضررا اكيدا ، لان راسماله سيكون عاطلا خلال هذا الاضراب ، وسوف تصدأ آلاته ؛ بينما ليس هو في مثل هذه الحال على يقين البتة من انه يستطيع ان يفرض تخفيضا للاجور الذي يبغيه ، في حين انه من المؤكد بالمقابل - اذا هو نجح - انه سيرى منافسيه يقتدون به في الحال ويخفضون سعر المنتج المصنع ، الامر الذي سيحرمه اذن من كل الربح الذي سيجنيه من عملياته . وفيما عدا

ذلك ، فان الرباطات تفرض في كثير من الاحيان ، في أعقاب أزمة ، زيادة في الاجور فعلية ، وذلك بأسرع مما كانت هذه الزيادة ستحدث بدون تدخلها ؛ ذلك أن من مصلحة الصناعي الا يزيد الاجرة قبل ان تضطره الى ذلك منافسة الصناعيين الآخرين ، فيما العمال انفسهم هم الذين يطالبون الان بأجرة أعلى عندما تتحسن السوق ، وهم يستطيعون في هذه الشروط ان يجبروا الصناعي على زيادة الاجور بواسطة توقف في العمل من جراء امكانيات الاختيار المتقلصة المتروكة له في سوق تشغيل اليد العاملة . بيد ان عمل الرباطات يظل ، كما قلنا ، دون مفعول ضد اسباب أعظم شأننا تفعل تغييرا في سوق العمل . ففي هذه الحالات ، يدفع الجوع العمال شيئا فشيئا الى استئناف العمل بأي شرط كان ؛ وحالما يستأنف البعض منهم هذا العمل ، فقد انتهى امر قوة الرابطة ، لان هؤلاء Knobsticks ، بالإضافة الى المخزون من البضائع الباقية في السوق بعد ، يمكنون البورجوازية من اتقاء أخطر عواقب الاضطراب المسبب عن الاضراب . وسرعان ما تستنفد اموال الرابطة من جراء العدد الكبير لاولئك الذين تنبغي مساعدتهم ؛ ومع الوقت ، يرفض التجار القروض التي كانوا يمنحونها لقاء فوائد مرتفعة ، فتضطر الحاجة العمال للعودة تحتنير البورجوازية . لكن بما ان الصناعيين يجب ان يتفادوا في مصلحتهم الخاصة - التي من الصحيح انها لم تصبح مصلحتهم الا من جراء معارضة العمال - كل تخفيض للأجور لا يكون تخفيضا لا غنى عنه ، بينما يكابد العمال كل تخفيض للأجرة مسبب عن الشروط الاقتصادية على انه تفاقم لأوضاعهم يجب اتقاؤه في حدود المستطاع ، فان معظم الاضطرابات تنتهي في غير مصلحة العمال . ورب من يتساءل عن السبب الذي يحمل العمال على الانقطاع عن العمل في مثل هذه الحال ، طالما من الواضح الجلي انه لاجدوى من هذا الاجراء ؟ ذلك بكل بساطة لانهم ملتزمون بالاحتجاج ضد تخفيض الاجور ، وحتى ضد ضرورة هذا التخفيض ، لانه يجب أن يوضحوا انهم ، على اعتبارهم بشرا ، ليسوا ملزمين بالانحناء امام الظروف ، بل الامر على النقيض من ذلك تماما ، فالظروف هي التي يجب أن تنحني لهم ، هم الكائنات البشرية ؛ لان سكوتهم يضاهاي القبول

بشروط الحياة هذه ، القبول بحق البورجوازية في استثمارهم في الفترات الاقتصادية الملائمة ، وفي تركهم يموتون جوعا في الفترات الرديئة . ان العمال ملتزمون بالاحتجاج هنا طالما انهم لم يفقدوا كل شعور انساني ، واذا هم احتجوا بهذه الطريقة وليس بأي طريقة اخرى ، فذلك لانهم انكليز ، يعني اناسا عمليين يدعمون احتجاجهم بعمل ولا يتصرفون مطلقا على غرار المنظرين الالمان الذين يأوون الى فراشهم بكل هدوء حالما يكون احتجاجهم قد سجل حسب الاصول واودع في الوثائق ، كي ينام هو الآخر نفس النوم الهادئ الذي ينامه المحتجون . وبالمقابل ، فان احتجاج الانكليز الحسي يترك اثرا ، فهو يحفظ جشع البورجوازية ضمن حدود معينة ويجعل معارضة العمال يقظة على الدوام ضد الهيمنة الاجتماعية والسياسية للطبقة المالكة ، وصحيح انه يحملهم على القبول في الوقت نفسه بان رابطات العمال والاضرابات لا تكفي من اجل تحطيم سيطرة البورجوازية . بيد ان ما يمنح هذه الرابطات والاضرابات التي تنظمها اهميتها الحقيقية هو انها المحاولة الاولى التي يبذلها العمال في سبيل إلغاء المنافسة . انها تفترض هذه الفكرة الصائبة تماما ، الا وهي ان سيطرة البورجوازية لا تقوم الا على تنافس العمال فيما بينهم ، يعني على انقسام البروليتاريا غير المتناهي ، على امكانية التناهُض بين مقولات العمال المختلفة . ولما كانت تهاجم - وان يكن بصورة وحيدة الجانب ومحدودة - المنافسة ، هذا العصب الحيوي للنظام الاجتماعي الراهن ، فانها تشكل لهذا السبب على وجه الدقة خطرا كبيرا على هذا النظام الاجتماعي . ولن يجد العامل قط نقطة ضعيفة افضل يضرب البورجوازية فيها ،، ويضرب معها جماع النظام الاجتماعي القائم . فليقض على المنافسة بين العمال ، وليعقد العمال جميعا العزم بصورة حازمة على الا يسمحوا للبورجوازية باستغلالهم بعد الآن ، وبذلك ينتهي حكم الملكية ، وليس صحيحا ان الاجرة رهن بالملاقة بين العرض والطلب وبالوضع القائم في سوق العمل الا لان العمال قد سمحوا حتى الآن بأن يعاملوا كما لو كانوا شيئا يباع ويشترى . فليقرر العمال الا يتهاونوا بعد الآن في امر بيعهم وشراهم ، وليؤكدوا انفسهم ، في مجال تحديد ما هو

الذي يشكل حقاً وفعلاً قيمة العمل ، على أنهم كائنات بشرية تملك ارادة فضلا عن إمتلاكها قوة العمل ، وبذلك يقضى على كل الاقتصاد السياسي انراهن ، وعلى القوانين المتحكمة في الاجور . ومن المؤكد أن قوانين تتحكم في الاجور سوف تفرض نفسها مع الزمن من جديد اذا ما اقتصر العمال على إلغاء المنافسة فيما بينهم ؛ بيد أنهم لا يستطيعون ذلك بدون التخلي عما كان يشكل حركتهم حتى تلك اللحظة ، بدون أن يولدوا من جديد تلك المنافسة المتبادلة بين العمال ، الامر الذي يعني ان ذلك مستحيل بالنسبة اليهم استحالة كلية . ان الضرورة تلزمهم بالألغوا قسما من المنافسة فقط ، بل المنافسة على العموم ، وهذا ماسوف يصنعونه . فالعمال يرون منذ الآن بصورة تزداد وضوحا يوما بعد يوم ما تعود عليهم المنافسة به ؛ وانهم ليفهمون بصورة أفضل من البورجوازيين أن المنافسة بين المالكين ، اذ تثير الازمات الاقتصادية ، تثقل هي الأخرى بشدة على العامل ، وانه يجب إلغاء هذه المنافسة أيضا . ولسوف يرون عاجلا ، بكل وضوح ، كيف يجب ان يصنعوا ذلك .

ف. انجلز : اوضاع الطبقة الكادحة في انكلترا ،
المشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٢٦٨-٢٧٥ .

تمر البروليتاريا في تطورها بمراحل مختلفة ، ويبدأ نضالها ضد
البورجوازية منذ نشأتها .

ويقوم بالنضال بادئ ذي بدء كادحون فرادى منعزلون ، ثم يتكاتف
عمال معمل واحد ، ثم يعم النضال جميع عمال المهنة الواحدة ضد
البورجوازي الذي يستثمرهم بصورة مباشرة . وانهم ليوجهون هجماتهم
لا ضد الاسلوب البورجوازي في الانتاج ، بل ضد أدوات الانتاج نفسها ،
فيتلفون البضائع الاجنبية التي تراحم عملهم ، ويحطمون الآلات ، ويحرقون
المصانع ، ويسعون الى استعادة الوضع المضاع الذي كان يتمتع به الصانع
الحرفي في القرون الوسطى .

وفي هذه المرحلة لا يؤلف الكادحون بعد سوى جمهور غير متماسك ، مبصر في طول البلاد وعرضها ، تفتته المزاحمة . وإذا اتفق أن اتحد العمال ليؤلفوا كتلا أكثر تكاتفا وتراسا ، فلا يكون ذلك ، في هذا الدور ، نتيجة وحدثهم الفعالة الخاصة ، بل نتيجة وحدة البورجوازية التي تضطر طبقتها في سبيل بلوغ مراميها السياسية ، الى تحريك البروليتاريا بأسرها ، وهي ما تزال تملك القدرة على ذلك لبعض الوقت . وفي هذا الدور لا يحارب البروليتاريون أعداءهم الحقيقيين ، بل أعداء أعدائهم ، أي بقايا الحكم الملكي المطلق من كبار أصحاب الاراضي والبورجوازيين غير الصناعيين وصغار البورجوازيين . وهكذا تكون كل الحركة التاريخية متمركزة في أيدي البورجوازية ، وكل انتصار في هذه الظروف ، مهما كانت طبيعته ، يكون انتصارا بورجوازيا .

ولكن البروليتاريا لا يزداد عددها فحسب مع تطور الصناعة ، بل هي تتركز ايضا في جماهيرٍ اوسع وأعظم ، فتنمو قوتها ، وتحس هي هذه القوة بصورة افضل . . . ويبدأ العمال في تأليف الاتحادات ضد البورجوازيين ويتكاتفون في سبيل الدفاع عن أجورهم ، ويؤسسون جمعيات دائمة استعدادا لما يمكن حدوثه من حركات التمرد والعصيان ؛ وينفجر النضال هنا وهناك على صورة فتن .

وقد ينتصر العمال أحيانا ، لكن انتصارهم يكون قصير الامد . وليست الثمرة الحقيقية لنضالاتهم هي النتائج الفورية ، بل هذا الاتحاد المتعاضم أبدا بين جميع الشفيلة . ويساعد على هذا الاتحاد وتقويته تحسين وسائل المواصلات التي تخلقها الصناعة الحديثة والتي تجعل العمال في مختلف الجهات والمناطق على احتكاك بعضهم البعض .

ولقد كانت الحاجة تمس الى هذا الاحتكاك بالضبط من اجل مركزة النضالات المحلية العديدة ، وجميعها ذات صبغة واحدة ، في نضال قومي ،

في نضال طبقي . بيد أن كل نضال طبقي هو نضال سياسي ...

ك. ماركس وف. انجلز : البيان الشيوعي ،
منشورات دار دمشق ، ١٩٦٩ ، ص : ٥٤ - ٥٦ .

إذا اقتصر هدف المقاومة الاول على المحافظة على الاجور ، فقد كانت الاتحادات ، المنعزلة بادية الامر ، تتشكل في تجمعات بقدر ما كان الراسماليون يتحدون بدورهم تحدوهم فكرة الزجر ، وكان الحفاظ على الرابطة يصبح بالنسبة اليهم ، في مواجهة الراسمال المتحد ابدا ، أكثر ضرورة من الحفاظ على الاجرة . وأن هذا لصحيح جدا بحيثان الاقصاديين الانكليز يذهلون أيما ذهول لدى مشاهدة العمال يضحون بقسم كبير من أجرهم في مصلحة رابطاتهم التي لم تنشأ ، في رأي هؤلاء الاقصاديين ، الا في مصلحة الاجور . وفي هذا الصراع - وهو حرب اهلية حقيقية - تتجمع وتنمو جميع العناصر الضرورية من اجل معركة آتية . واما تبلغ الرابطة هذه النقطة ، فانها ترتدي طابعا سياسيا .

ك. ماركس : بؤس الفلسفة ، المنشورات الاجتماعية ،
باريس ، ص : ١٣٧ .

... يحتد صراع الطبقات مع تراكم الراسمال و... يكتسب الشغيل شعورا بالذات أشد حيوية .

ك. ماركس : رأس المال ، منشورات دار اليقظة
العربية ، دمشق ، الكتاب الاول ، المجلد
الثالث ، ص : ٥٦ .

... ان الطابع المستقل الذي يطبع به الانتاج الراسمالي على العموم شروط العمل ونتاجه في مواجهة العامل يتطور ... مع الآلة حتى التضاد الاشد بروزاً ... وهذا هو السبب في انها السبابة الى اثار التمرد الشرس لدى العامل ضد وسيلة العمل .

ك. ماركس : رأس المال ، منشورات دار اليقظة
العربية ، دمشق ، الكتاب الاول ، المجلد
الثاني ، ص : ١١٣ .

ان الثورة الصناعية قد أنجبت طبقة من الصناعيين الرأسماليين الاقوياء ، لكنها انجبت في الوقت نفسه طبقة من عمال الصناعة أكثر عددا حتى درجة كبيرة . ولقد كبرت هذه الطبقة بقدر ما كانت الثورة الصناعية تستولي فرعا بعد فرع على الإنتاج برمته ، وكانت قوتها تنمو بصورة مطردة مع ذلك . وقد اتضحت هذه القوة منذ عام ١٨٢٤ ، حين اجبرت برلمانا عنيدا على الغاء القوانين التي تحظر الاتحادات العمالية . ولقد شكل العمال ، إبان التحريض في مصلحة القانون الاصلاحى ، الجناح الراديكالي من حزب الاصلاح ؛ وأما انكر عليهم القانون الاصلاحى لعام ١٨٣٢ حق الاقتراع ، فقد صاغوا مطالبهم في ميثاق الشعب ، وانتظموا في معارضة الحزب البورجوازي الكبير في حزب مستقل ، الحزب الميثاقى ، وهو اول حزب عمالي في العصور الحديثة .

عندئذ اندلعت الثورات القارية في شباط - آذار ١٨٤٨ ، التي لعب الشعب العامل فيها دورا متفوقا وصاغ ، في باريس على الاقل ، مطالب من المؤكد أنها لم تكن مقبولة من وجهة نظر المجتمع الرأسمالي .

ف. انجلز : « مقدمة الطبعة الانكليزية لكتاب الاشتراكية الطوبوية والاشتراكية العلمية ، في ند. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات المختارة في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ١١٣ - ١١٤ .

لقد بينا ... ان العامل المنعزل عاجز اعزل في مواجهة الرأسمالي الذي يستخدم الآلات . ويجب على العامل ان يفتش مهما كلف الامر عن واسطة الرد على الرأسمالي دفاعا عن حقه في الوجود . وانه ليجد هذه الوسيلة في الاتحاد . ان العامل ، العاجز حين يكون منعزلا ، يصبح قوة عندما يتحد برفاقه : وانه ليكون قادرا عندئذ على النضال ضد الرأسمالي وعلى الصمود في وجهه .

ويصبح الاتحاد ضرورة من أجل العامل الذي ينتصب الآونة ضده الرأسمالي الكبير . لكن كيف السبيل الى توحيد كتلة من البشر الذين جمعتهم المصادفة والذين هم غرباء عن بعضهم بعضا ، حتى اذا اشتغلوا في مصنع واحد ؟ ان البرنامج يشير الى الشروط التي تهيم العمال من اجل الاتحاد ، منمية فيهم القدرة على الاتحاد . وهذه الشروط هي التالية :

١ - حين يستخدم المصنع الكبير آلات تتطلب عملا دائما طوال العام ، فانه يدمر جميع الروابط التي تربط العامل بالأرض وبالاقتصاد الفردي ، ويجعل منه بروليتاريا كاملا . والحال ان استثمار قطعه الشخصية من الأرض كان يفصل العامل عن جاره ، ويولد عند كل امرىء مصلحة خاصة ، متميزة من مصالح رفاقه ، وبذلك يقف حجر عثرة في طريق اتحادهم . واما ينتزع العامل من الأرض ، فان هذه العقبة تحذف اذن . ٢ - ثم ان العمل المشترك للمئات والوف العمال يعودهم على ان يناقشوا سوية حاجاتهم وعلى ان يعملوا بصورة مشتركة ، ذلك انه يبين بكل وضوح الواقع التالي ، الا وهو ان جميع العمال موضوعون في الوضعية نفسها . ٣ - واخيرا فان انتقال العمال المتصل من مصنع الى مصنع يقودهم الى اجراء المقارنة بين الشروط والنظام الساري المفعول في مختلف المشاريع ، ومقابلتها ببعضها بعضا ، والاعتناع بأن الاستثمار هو نفسه فيها جميعا ، واستعارة التجربة التي اكتسبها العمال الآخرون في نزاعاتهم مع الرأسمالي ، موطين بذلك تماسكهم وتضامنهم . ان هذه الشروط ، مأخوذة معا ، قد جعلت ان ظهور المصانع والمعامل الكبيرة قد استدعى اتحاد العمال . ويتظاهر هذا الاتحاد على الاغلب وفي عنفوانه الاشد ، عند العمال الروس ، في صورة الاضرابات (سوف نرى ادناه السبب في أن عمالنا لا يستطيعون الاتحاد من اجل تشكيل رابطات او صناديق للمعونة المتبادلة) . وبقدرا تتطور المعامل والمصانع الكبيرة تصبح الاضرابات أكثر تواترا ، وعنفوانا ، وعنادا ، بحيث انه كلما اشتد نير الرأسمالية أصبحت مقاومة العمال المشتركة أكثر ضرورة . ان الاضرابات والانتفاضات المنعزلة التي يقوم بها العمال تشكل في الوقت الراهن ، كم يقول البرنامج ، الظاهرة الأكثر انتشارا في المصانع الروسية . لكن بقدر

ما تتطور الرأسمالية وتتكاثر الاضرابات ، فان هذه الاضطرابات تصبح غير كافية . ويتخذ الصاعيون تدابير عامة ضدها ، فيعقدون التحالفات فيما بينهم ، ويجيئون بالعمال من اماكن اخرى، ويطلبون مساعدة السلطات التي تعاونهم على سحق مقاومة العمال . ان العمال لا يواجهون بعد الآن صناعيا منعزلا ، بل كل طبقة الراسماليين التي تؤيدها الحكومة. ان طبقة الراسماليين بأكملها تنخرط في النضال ضد طبقة العمال بأكملها ، ساعة الى اتخاذ تدابير عامة ضد الاضرابات ، مطالبة الحكومة بقوانين ضد العمال، ناقلة العامل والمصانع الى مناطق أبعد ، موزعة العمل في المنازل ، ولاجئة الى الف وسيلة وحيلة أخرى ضد العمال . ان اتحاد عمال معمل واحد ، بل صناعة واحدة ، لا يكفي من اجل الرد على طبقة الراسماليين بأكملها ، وبذلك يصبح الفعل المشترك لطبقة العمال بأكملها امرا ضروريا . وهكذا فان انتفاضات العمال المنعزلة تفسح المجال لنضال الطبقة العاملة بأسرها . ان نضال العمال ضد طبقة الصناعيين يصبح نضالا طبقيًا . ان مصلحة واحدة توحد بين جميع الصناعيين ، الا وهي الاحتفاظ بالعمال في حالة تبعية لهم ودفع الاجرة الأدنى لهم . ان الصناعيين يدركون هم ايضا انهم لا يستطيعون الدفاع عن قضيتهم الا بالفعل المشترك لطبقتهم بأكملها ، الا بممارسة نفوذهم على سلطة الدولة . وكذلك فان العمال مرتبطون فيما بينهم بمصلحة مشتركة : الا يسمحوا للرأسمال بأن يسحقهم ، وأن يدافعوا عن حقهم في الوجود وفي حياة انسانية حقا . وانهم ليقتنعون ، هم ايضا ، بضرورة الاتحاد ، والفعل سوية على اعتبارهم طبقة - على اعتبارهم طبقة عاملة - وممارسة التأثير على سلطة الدولة لهذه الغاية .

... لقد أوضحنا كيف ولماذا يصبح نضال عمال المصانع ضد الصناعيين نضالا طبقيًا ، نضال الطبقة العاملة ، نضال البروليتاريين ، ضد طبقة الراسماليين ، ضد البورجوازية .

ف. لينين : « عرض وتعليق على مشروع برنامج الحزب الاشتراكي الديمقراطي » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ٩٠ - ١٠١ .

تنوع أشكال نضال البروليتاريا الطبقي .

ماهي المتطلبات الاساسية التي ينبغي للماركسي ان يقدمها في دراسة مسألة اشكال النضال ؟ اولا : تختلف الماركسية عن سائر الاشكال البدائية للاشتراكية في انها لا تربط الحركة بشكل ما ، وحيد ومعين ، من اشكال الكفاح ، بل هي تقبل بطرائق النضال الاكثر تنوعا ، وهي لا « تبتكرها » ، بل تقتصر على تعميم ، وتنظيم ، وايضاح اشكال نضال الطبقات الثورية ، هذه الاشكال التي تنبثق تلقائيا في سياق الحركة بالذات . ان الماركسية ، وهي معادية بصورة مطلقة لجميع الصيغ المجردة ، لجميع وصفات التعصبين المذهبيين ، تدعو لان يؤخذ بين الاعتبار بكل انتباه النضال **الجماهيري** الجاري ، هذا النضال الذي يولد دون انقطاع ، مع تطور الحركة ، وتقدم الوعي الجماهيري ، وتفاقم الازمات الاقتصادية والسياسية ، طرائق جديدة ، متزايدة التنوع ابدا ، للدفاع والهجوم . ولهذا السبب فان الماركسية لا تنكر بصورة مطلقة أي شكل من اشكال النضال . انها لا تنوي في أي حال من الاحوال ان تقتصر على اشكال النضال الممكنة والقائمة في لحظة معينة ؛ فهي تعترف بأن تغييرا في الظروف الاجتماعية القائمة سيؤدي بصورة حتمية الى ظهور اشكال جديدة للنضال لا تبرح مجهولة من مناضلي الفترة المعينة . ومن وجهة النظر هذه ، فان الماركسية تتخفف ، اذا جاز التعبير ، في مدرسة الجماهير العملية ؛ انها ابعد ما تكون عن ادعاء **وعظ** الجماهير بأن تقترح عليها اشكالا نضالية متخيلة من قبل « صنعة الانظمة » في مكتب عملهم . ولقد كان كاوتسكي يقول على سبيل المثال ، وهو يدرس اشكال الثورة الاجتماعية : نحن نعرف ان الازمة الوشيكة ستحمل الينا اشكالا نضالية جديدة لا يمكننا في الوقت الحاضر ان نتنبأ بها .

ثانيا ، تتطلب الماركسية بصورة مطلقة ان تؤخذ مسألة الاشكال النضالية بعين الاعتبار في مظهرها **التاريخي** . ان طرح هذه المسألة بصورة خارجة عن الظروف التاريخية ، الحسية ، معناه الجهل بالفاء المادية الجدلية . ففي لحظات متميزة من التطور التاريخي ، تبعا للشرائط المختلفة في الوضع السياسي ، وفي الثقافات القومية ، وفي الشروط الحياتية ،

الخ ، ترتفع أشكال نضالية مختلفة الى المستوى الاول ، وتصبح الاشكال الرئيسية ، وبنتيجة ذلك فان الاشكال الثانوية ، الملحقه ، تتعدل بدورها . ان محاولة الاجابة بنعم او لا ، حين تطرح مسألة تقدير وسيلة معينة للنضال ، دون اي دراسة تفصيلية للظروف الحسية الخاصة بالحركة في درجة التطور التي بلقتها ، تعني التخلي كلياً عن الميدان الماركسي .

ذلك هما المبدآن النظريان الاساسيان اللذان يجب ان يرشداًنا .

ف. لينين : « حرب الانصار » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد الحادي عشر ، ص : ١٨٦ - ١٨٧ .

ان أشكال النضال ضد الراسمال تتغير ، فهي تتخذ تارة طابعا امميا بصورة بينة ، وتارة تتمركز في بلد واحد . انها تتغير . وسواء اكان المقصود هي الحرب ، أم الوضع الاقتصادي ، أم أي عامل آخر من عوامل الحياة الاجتماعية ، فان النضال يستمر والقانون الاساسي لنضال الطبقات يثبت من قبل ثورتنا . وبقدر ما يتعاطم تماسك البروليتاريا حين تقلب الطبقات البورجوازية ، فانها تتعلم المزيد . ان الثورة تتطور في سياق النضال بالذات .

ف. لينين : « خطاب في المؤتمر الثالث لنقابات روسيا ، بتاريخ ٧ نيسان ١٩٢٠ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٥١٨ .

خصائص نشاط البروليتاريا المطلي

ان الحركة العاملة الانكليزية تدور في مكانها ، منذ سنوات عديدة ، في الحلقة الضيقة للاضرابات المستهدفة زيادة الاجور وتخفيض ساعات العمل ، دون ان تؤخذ هذه الاضرابات بعين الاعتبار على أنها السبيل الوحيد الباقي او على أنها وسيلة للدعاية والتنظيم ، بل على اعتبارها الهدف

الآخِر . وان التريديونيون تنبذ حتى في مبدئها وفي انظمتها كل نشاط سياسي ، وبالتالي تنبذ أسهام الطبقة العاملة بوصفها طبقة في النشاط العام بأسره . ان العمال ينقسمون سياسيا الى محافظين والى ليبراليين - راديكاليين ، الى انصهار لوزارة دزرائيلي (بيكو نسفيلدا) ووزارة غلادستون . ومندئذ فاننا لا نستطيع ان نتحدث عن الحركة العاملة في انكلترا الا في حدود قيام اضرابات في هذا البلد لا تتقدم بالحركة خطوة واحدة الى الامام ، سواء اكانت ظافرة ام لا . وان هذه الاضرابات التي كثيرا ما اثرت ، في هذه السنوات من الاعمال السيئة ، من قبل الرأسماليين أنفسهم الذين يحثون عن ذريعة لاغلاق معاملهم ، - ان هذه الاضرابات التي تراوح الطبقة العاملة فيها في مكانها ، حين تضخم حتى نسب النضالات ذات المغزى العمومي ، كما في الصحيفة المحلية **فرايهيت** على سبيل المثال ، فلا يمكن لهذا الامر ، في اعتقادي ، الا ان يكون ذا ضرر بالغ . ولا يمكننا ان نسكت عن الحقيقة التالية ، الا وهي انه لا وجود هنا ، في الوقت الراهن ، لحركة عاملة حقيقية ، كما هي متصورة في القارة . ولذا فاني اعتقد انك لا تخسر الشيء الكثير اذا لم تتلق في هذا الحين تقارير عن نشاط التريديونيون هنا .

ف. انجلز : « رسالة الى إ. برنشتاين ، بتاريخ ١٧ حزيران ١٨٧٩ » ، في ماركس وانجلز : رسائل الى أ. بيبيل و. و. ليينكخت و. ك. كاوتسكي وآخرين ، موسكو - ليننغراد ، المجلد الاول ، ١٨٧٠ - ١٨٨٦ ، ص : ١٧٩ - ١٨٠ .

... يجب عليهم (العمال) ... الا يستفرقوا كليا في هذه المناوشات الحتمية التي تولدها دون انقطاع تعديات الرأسماليين المتواصلة أو تحولات السوق * . يجب ان يفهموا ان النظام الحالي ، بكل العذابات التي يرهقهم بها ، ينبج في الوقت نفسه **الشروط المادية والاشكال الاجتماعية** الضرورية من اجل تحول المجتمع الاقتصادي . فبدلا من **الشعار المحافظ** : « اجرة عادلة من أجل يوم عمل عادل » يجب ان يسجلوا على رايتهم **الشعار الثوري** :

* المقصود هو نضال العمال من أجل زيادة الاجور (ملاحظة من الناشر) .

« إنفاء العمل المجور » .

... ان النقابات تفعل بصورة نافعة على اعتبارها مراكز مقاومة ضد تعديت الرأسمال. وانها لتخطيء هدفها جزئيا حالما تستخدم قوتها بصورة قليلة الحصافة .

ك. ماركس : الاجور والسمر والربح ، في ك.
ماركس وف. انجلز ، دراسات اقتصادية ، منشورات
دار دمشق ، ص : ١٤٣ .

هناك فئة من محبي الخير ، وحتى من الاشتراكيين ، تسرى ان الاضرابات تلحق اذى كبيرا بمصالح « العمال انفسهم » وتعتبر ان رسالتها الاساسية هي البحث عن طريقة من اجل تأمين معدل وسطي للاجرة الثابتة. واذا تركنا جانبا حقيقة ان الدورات الصناعية بأطوارها المختلفة تجعل هذا المعدل الوسطي للاجرة مستحيلا ، فإني مقتنع على العكس من ذلك بأن الارتفاعات والانخفاضات المتناوبة في الاجور وما يترتب عليها باستمرار من نزاعات بين أرباب العمل والعمال هي ، في التنظيم الحالي للانتاج ، وسائل لا غنى عنها من اجل تغذية روح العمال الكفاحية ، وجمعهم في اتحاد واحد كبير ضد اعتداءات الطبقة التي تملك السلطة ، ومنعمهم من التحول الى ادوات انتاج بائسة ، مخبولة ، مشبعة جيدا بصورة تزيد او تنقص . واذا شئنا ، في نظام اجتماعي قائم على تناحر الطبقات ، ان نمنع العبودية ليس بالكلمات فحسب ، بل بصورة فعلية ايضا ، فان من واجبنا ان نقبل المعركة. وكما تقدر الاضرابات والانحادات حق قدرها ، لا يمكننا ان ننخدع بالتفاهة الظاهرة لنتائجها الاقتصادية ، بل يجب علينا ان نأخذ بعين الاعتبار قبل كل شيء تأثيراتها المعنوية والسياسية .

ك. ماركس : « السياسة الروسية حيال تركيا -
الحركة العاملة في انكلترا » ، مؤلفات ماركس
وانجلز ، برلين ، المجلد التاسع ، ص : ١٧٠-١٧١ .

ان النضال الطبقي هو احد التظاهرات الدائمة ، الضرورية دائما في

النظام الرأسمالي ، الإلزامية في كل الاوقات ، لجماع الحركة العاملة .

ف. لينين : « رسالة الى س. غوسيف بتاريخ
١٢-١٠-١٩٠٥ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد الرابع والثلاثون ، ص : ٢٨٩ .

ان النضال الاقتصادي ، بالنسبة الى الاشتراكي ، يفيد كقاعدة من
اجل تنظيم العمال في حزب ثوري ، ومن اجل تطور نضالهم الطبقي الموحد
ضد النظام الرأسمالي بمجموعه . لكن اذا اعتبرنا ان النضال الاقتصادي
لا يكفي بحد ذاته ، فإنه لاينطوي اذن على أي شيء اشتراكي ، وتجربة
جميع البلدان الاوروبية توفر لنا عددا كبيرا من الامثلة لا عن نقابات اشتراكية
فحسب ، بل عن نقابات مناهضة للاشتراكية أيضا .

ف. لينين : « بمناسبة جهر بالمعقيدة » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الرابع ، ص : ٢٠٤ .

... تطرح القضية على هذا الفرار فقط : ايدولوجية بورجوازية ام
ايدولوجية اشتراكية . وليس ثمة وسط (لان الانسانية لم تعد ايدولوجية
« ثالثة » ؛ ومن بعد ، على أي حال ، فانه لا يمكن ، في مجتمع تمزقه
التناحرات الطبقية ، ان تكون ثمة ايدولوجية خارج الطبقات او فوقها) .
ولذا فان كل تصفير للايدولوجية الاشتراكية ، كل ابتعاد حيال هذه
الايدولوجية ، يتضمن تقوية للايدولوجية البورجوازية . ويجري الحديث
عن التلقائية . لكن تطور الحركة العاملة المعنوي ينتهي على وجه الدقة
الى اخضاعها للايدولوجية البورجوازية ، وهو يتم بالاضبط وفق برنامج
(دستور الايمان) (١٨) ، ذلك ان الحركة العاملة التلقائية هي
التريدونية ، هي Nur - gewerks - schaftlerei ؛ والحال ان
التريدونية هي بالاضبط استعباد العمال الايدولوجي من قبل البورجوازية .
ولهذا السبب فان مهمتنا ، مهمة الاشتراكية الديمقراطية ، هي مكافحة
التلقائية ، وعطف الحركة العاملة عن هذا الاتجاه المفوي الذي يدفع

بالتريديونونية الى الالتجاء تحت جناح البورجوازية ، واجتذابها تحت جناح الاشتراكية الديمقراطية الثورية .

ف. لينين : ما العمل ، المؤلفات الكاملة ، باريس
- موسكو ، المجلد الخامس ، ص : ٣٩١ - ٣٩٢ .

نضال البروليتاريا السياسي في تهيئة الثورة الاشتراكية وتحقيقها

... ان الحركة السياسية* للطبقة العاملة تستهدف طبعا الاستيلاء على السلطة السياسية* لنفسها ، ومن الطبيعي انه لا بد في سبيل ذلك من تنظيم سابق* للطبقة العاملة* ، وهو تنظيم بلغ نقطة معينة من تطوره واشتق بصورة مباشرة من نضالاتها الاقتصادية .

لكن من جهة اخرى ، فان كل حركة تعارض الطبقة العاملة فيها الطبقات السائدة على اعتبارها طبقة وتسعى الى اجبارها بواسطة الضغط من الخارج* ، هي حركة سياسية* . مثال ذلك ان محاولة اجبار الرأسماليين ، بواسطة الاضرابات ، الخ . ، في هذا الفرع او ذاك من الصناعة ، على تخفيض زمن العمل ، هي محاولة اقتصادية خالصة : وعلى العكس من ذلك ، فان الحركة التي تستهدف استصدار قانون الساعات الثماني ، الخ ، هي حركة سياسية . وبهذه الطريقة فان الحركات الاقتصادية المنعزلة التي يقوم بها العمال تولد حركة سياسية ، يعني حركة تقوم بها الطبقة من اجل تحقيق مصالحها في شكل عام ، شكل يملك قوة عامة إلزامية اجتماعيا . واذا كانت هذه الحركات تفترض تنظيما سابقا* معنا ،

، بالانكليزية في النص الاصلي .	Political Movment	*
، بالانكليزية في النص الاصلي .	Political Power	*
، بالانكليزية في النص الاصلي .	Previous Organisation	*
، بالانكليزية في النص الاصلي .	Working Class	*
، بالانكليزية في النص الاصلي .	Pressure from without	*
، بالانكليزية في النص الاصلي .	Political Movement	*
، بالانكليزية في النص الاصلي .	Previous	*

فانها على اي حال ، بدورها ، وسائل من اجل تطوير هذا التنظيم .

وهناك حيث لم تتقدم الطبقة العاملة بعد تقدما كافيا في تنظيمها كي نباشر حملة حاسمة ضد **القوة الجماعية** ، يعني القوة السياسية للطبقات السائدة . فانه من الواجب في كل الاحوال تثقيفها بهذا الهدف بواسطة تحريض متصل ضد الموقف المعادي حيالنا الذي تقفه في السياسة الطبقات السائدة . وفي الحالة المعاكسة ، فانها تظل في ايدي هذه الطبقات كرة تلعب بها ، كما بينت ذلك ثورة ايلول في فرنسا وكما تبينه حتى درجة ما للعبة التي نجح فيها السادة غلادستون وشركاه حتى الوقت الحاضر في انكلترا .

ك. ماركس : « رسالة الى ف. بولت بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني ١٨٧٧ » ، في ك. ماركس وف. انجلز ، **المؤلفات المختارة** في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ٣١٢ - ٣١٣ .

ان الجماهير العاملة تعي بصورة متزايدة حقيقة ان خلاصها يستقيم في انتزاع اجور أعلى ويوم عمل أقصر من ارباب عمل منعزلين بالنضال العنيف ، أقل مما يستقيم في انتزاع الحقوق السياسية بصورة خاصة من البرلمان من قبل الطبقة العاملة المنظمة في حزب مستقل .

ف. انجلز : « الى العمال الالمان من اجل اول ايار ١٨٩٣ » ، **مؤلفات ماركس وانجلز** ، برلين ، المجلد الثاني والعشرون ، ص : ٤٤٠ .

ان التجربة ستعلم الطبقة العاملة ان **أحدنا لن يقدم لها اية ميزة دائمة** ، بل يجب عليها ان تحصل عليها هي نفسها ، وذلك قبل كل شيء بالاستيلاء على السلطة السياسية .

ف. انجلز : « مسألة يوم العمل من عشر ساعات » ، **مؤلفات ماركس وانجلز** ، برلين ، المجلد السابع ، ص : ٢٣٠ .

... ان النضال بين طبقتين كبيرتين في المجتمع يصبح بالضرورة نضالا سياسيا . تلك كانت حلل المعركة الطويلة بين البورجوازية او الطبقة الرأسمالية والارستقراطية المقاربية ؛ وكذلك سوف تكون حلل المعركة بين الطبقة العاملة وهؤلاء الرأسماليين أنفسهم . واز الهدف الذي يسمى الكفاح اليه ، في نضال طبقة ضد طبقة ، هي السلطة السياسية . فالطبقة الحاكمة تدافع عن سيادتها السياسية ، يعني غالبيتها المضمونة في التشريع ؛ اما الطبقة الدنيا فتكافح من اجل حصة في هذه السلطة بادىء الامر ، ومن بعد من اجل جماع هذه السلطة ، وذلك كي يكون في مقدورها تغيير القوانين القائمة بصورة تتفق مع مصالحها الخاصة وامانها ...

... وفي النضال السياسي الذي نخوضه طبقة ضد طبقة ، يكون التنظيم السلاح الاهم .

ف. انجلز : « النقابات » ، نشر بالروسية في
ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات الكاملة ، المجلد
التاسع عشر ، ص : ٢٨٦ (مطابق للنص المنشور في
« المجلة الاشتراكية » ، العدد ٨٥ ، آذار ١٨٥٥ ،
ص : ٢٠٠ - ٢٠١) .

لقد بات الاستيلاء على السلطة السياسية اذن واجب الطبقة العاملة الاولى . ويبدو انها فهمت ذلك ، لاننا شاهدنا ولادة هذه المطامح المشتركة ، في وقت واحد ، في انكلترا والمانيا وايطاليا وفرنسا ، كما بذلت جهود في الوقت نفسه ايضا من اجل اعادة تنظيم الشغيلة سياسيا .

وثمة عنصر نجاح يملكه هذا الحزب ، الا وهو ان العدد بجانبه . بيد ان العدد لا يكون له وزن الا اذا كان الاتحاد له دعامة وكانت المعرفة له مرشدا . ولقد علمتنا تجربة الماضي كيف ان نسيان هذه الروابط الاخوية التي يجب ان تقوم بين شغيلة مختلف البلدان وان تستحثهم على تأييد بعضهم بعضا في جميع نضالاتهم من اجل التحرر ستكون عقوبته الهزيمة

المشركة لسلويمهم المنقسمة .

ك. ماركس : « النداء الافتتاحي لرابطة الشقيلة
الاممية » ، في ك. ماركس وف. انجلز ، **البروليتاريات
المختارة** في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ،
المجلد الاول ، ص : ٤٠١ .

وإذا لم يوفر الاقتراع العام لنا اية حسنة سوى السماح لنا باحصاء
اعدادنا مرة كل ثلاث سنوات ، وبرفع ثقة العمال بالنصر وزيادة دعر
اعدائهم ، بحيث يصبح افضل وسيلة لنا من اجل الدعاية ، وذلك بفضل
الزيادة السريمة غير المتوقعة ، والمحقة بصورة دورية ، في عدد اصواتنا ،
وسوى اعلامنا بصورة مضبوطة عن قوتنا الخاصة وعن قوة سائر الاحزاب
المعادية لنا ، بحيث يزودنا بمقياس لا مثيل له من اجل تقدير اعمالنا ،
فيحفظنا من الوجل الذي في غير محله ومن التهور الذي في غير محله على
حد سواء - اذا كانت تلك هي الحسنة الوحيدة التي كسبناها من
الاقتراع ، فانها تظل مع ذلك اكثر من مجرد حسنة كافية . لكن الاقتراع
فادانا اكثر من ذلك بما لا يقاس ، اذ زودنا في حملة الدعاية من اجل الانتخابات
بوسيلة لا مثيل لها من اجل الاتصال بجماهير الشعب حيث لا تبرح هذه
الجماهير تقف في معزل عنا ، ومن اجل اجبار سائر الاحزاب على الدفاع
عن آرائها وافعالها ضد هجماتنا امام الشعب بأسره ، كما زود بالاضافة
الى ذلك ممثلينا في الريخستاغ بمنبر يمكنهم أن يتحدثوا منه الى معارضهم
في المجلس النيابي ، والى الجماهير خارج هذا المجلس ، وذلك بسلطة وحرية
تختلفان كل الاختلاف عما يتوافر سواء في الصحافة او في الاجتماعات
العامة . فما هو النفع الذي عاد به على الحكومة والبورجوازية قانونهما
المناهض للأشترابية حين كانت حملة الانتخابات والخطابات الاشترابية في
الريخستاغ تخرقه دون انقطاع ؟

ومهما يكن من أمر ، فان اسلوبا جديدا تماما للنضال البروليتاري قد
نشأ مع هذا الاستخلام الناجح للاقتراع العام ، وسرعان ما تطور هذا

الاسلوب اكثر فاكثر . لقد اتضح ان مؤسسات الدولة ، هذه المؤسسات التي هي شكل تنظيم حكم البورجوازية ، توفر للطبقة العاملة مزيدا من الفرص من اجل محاربة هذه المؤسسات الخاصة بالدولة نفسها .

ف. انجلز : « مقدمة كتاب ماركس الصراعات الطبقيّة في فرنسا » ، في ك . ماركس ، الصراعات الطبقيّة في فرنسا ، منشورات دار دمشق ، ص : ١٧ - ١٨ .

ان الاستنكاف المطلق في مادة السياسة امر محال ؛ وهكذا فان جميع الصحف الاستنكافية تشتغل بالسياسة . كل ما في الامر هو كيف تشتغل بالسياسة ، وما هي السياسة التي تشتغل بها . وفيما عدا ذلك ، فان الاستنكاف امر محال بالنسبة لينا . فالحزب العمالي موجود منذ الان علي انه حزب سياسي في معظم البلدان ، وليس من شأننا نحن ان ندمره بالتبشير بالاستنكاف . ان تجربة الحياة الحالية ، الاضطهاد السياسي الذي تفرضه الحكومات القائمة على العمال ، سواء لاغراض سياسية ام اجتماعية ، يجبرهم على الاهتمام بالسياسة ارادوا ذلك ام عافوه . وان تبشيرهم بالاستنكاف يعني القاءهم في اذرع السياسة البورجوازية . وان الاستنكاف لمستحيل كليا بصورة خاصة غداة كومونة باريس ، التي وضعت نشاط البروليتاريا السياسي في جدول الاعمال .

اننا نبغي الغاء الطبقات . ماهي الوسيلة من اجل تحقيق ذلك ؟ سيادة البروليتاريا السياسية ، وحين تتم الموافقة على ذلك من جميع الجهات ، يطلب منا الا نتدخل في السياسة . ان جميع الاستنكافيين يزعمون انفسهم ثوريين ، بل الثوريين القدوة . لكن الثورة هي فعل السياسة الاعلى ؛ ومن يبغيها لابد ان يبغي الواسطة التي هي العمل السياسي الذي يهيؤها ، والذي يعطي العمال التربية اللازمة من اجل الثورة ، والذي سيكون العمال بدونه ، غداة الثورة ، ضحايا خداع امثال فافر وبيات على الدوام . غير ان السياسة التي يجب صنعها هي السياسة العمالية ؛ يجب ان يتشكل الحزب العمالي ليس بوصفه ذبلا لبعض الاحزاب البورجوازية ،

جل على انه حزب مستقل له اهدافه ، وله سياسته الخاصة .

الحريات السياسية ، وحق الاجتماع وتشكيل الجمعيات وحرية الصحافة ، تلك هي اسلحتنا ، ويراد منا أن نقف مكتوفي الايدي وأن نستنكف اذا اريد أنتزاعها منا ؛ يقال ان كل فعل سياسي يتضمن الاعتراف بالوضع القائمة. لكن حين تمنحنا الاوضاع القائمة وسائل من اجل الاحتجاج ضدها ، فان استخدام هذه الوسائل لا يعني الاعتراف بالوضع القائم .

ف.انجلز : « خطاب عن النشاط السياسي للطبقة العاملة ، التي في اجتماع لندن ، بتاريخ ٢١- ايلول ١٨٧١ » ، نشر بالروسية في ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات الكاملة ، المجلد السابع عشر ، ص : ٤٢١ - ٤٢٢ .

يوافق الجميع على انه من واجبنا ان ننظم نضال البروليتاريا الطبقي . لكن ما هو النضال الطبقي ؟ حين يواجه عمال مصنع أو مهنة رب عملهم او ارباب عملهم ، ايكون ذلك هو النضال الطبقي ؟ كلا ، فليس ذلك بعد سوى مضفة هزيلة له . ان نضال العمال لا يصبح نضالا طبقيًا الا حين يعي ممثلو الطليعة لجماع الطبقة العاملة في البلد بكامله أنهم يشكلون طبقة عاملة واحدة ويباشرون العمل ليس ضد رب العمل هذا أو ذاك ، بل ضد طبقة الرأسماليين بأسرها وضد الحكومة التي تدعمها . وحين يعي كل عامل انه فرد من الطبقة العاملة بمجموعها ، وحين يعتبر انه حين يناضل يوميا من اجل مطالب جزئية ضد هؤلاء أو أولئك من ارباب العمل والموظفين انما يقاتل ضد كل البورجوازية وكل الحكومة ، عندئذ فقط يصبح نشاطه نضالا طبقيًا . « ان كل نضال طبقي هو نضال سياسي . » (١٩) ونخطيء اذا فهمنا كلمات ماركس الشهيرة هذه بمعنى ان كل نشاط يقوم به العمال ضد ارباب العمل هو دائما نضال سياسي . يجب ان نفهم هذه الكلمات كما يلي : ان نضال العمال ضد الرأسماليين يصبح بالضرورة نشاطا سياسيا بقدر ما يصبح نضالا طبقيًا . وان الاشتراكية الديمقراطية تستهدف على وجه الدقة ، حين تنظم العمال ، أن تحول بالدعاية والتحريض نضالهم التلقائي

ضد المضطهدين الى نضال للطبقة مجموعها ، الى نضال حزب سياسي محيد
من اجل مثل عليا سياسية واشتراكية محددة . وان مثل هذه المهمة لا يمكن
ان تتحقق بالعمل المحلي وحده .

ف. لينين : « مهمتنا الثورية » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الرابع ، ص :
٢٢١ - ٢٢٢ .

كثيرا ما يقال ويكتب ان الشيء الاساسي في عقيدة ماركس هو صراع
الطبقات . لكن هذا غير صحيح . ويترتب على هذا الخطأ عادة تشويبات
انتهازية وتحريفات للماركسية بطريقة تجعلها مقبولة من البورجوازية .
ذلك ان عقيدة صراع الطبقات ليس ماركس هو الذي ابتكرها ، بل البورجوازية
قبل ماركس ، وهي بصورة عامة مقبولة من البورجوازية . ان من يعترف
بصراع الطبقات وحده ليس بماركسي بعد ، وقد يحدث انه لم يخرج بعد من
إطار الفكر البورجوازي والسياسة البورجوازية . ان قصر الماركسية على
عقيدة صراع الطبقات اجتنابا وتشويه لها ، وارجاعها الى ما هو مقبول من
البورجوازية . ليس بماركسي سوى ذلك الذي يبسط الاعتراف بصراع
الطبقات حتى يشمل الاعتراف بدكتاتورية البروليتاريا . وهنا ما يميز
بصورة جنسية الماركسي من البورجوازي العادي الصغير (والكبير ايضا) .
وهذا هو المحك الذي يجب ان يمتحن عليه فهم الماركسية الفطلي والاعتراف
الفطلي بها .

ف. لينين : العولة والثورة ، منشورات دار
دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ٤٢ - ٤٣ .

ان قضية صراع الطبقات هي احدى القضايا الاساسية في الماركسية .
فمن الجدير اذن تجليل مفهوم هذا الصراع عن نكث .

ان كل صراع طبقي هو صراع سياسي . ومن المعروف ان الانتهازيين ،
وهم أسري أفكار الليبرالية ، كانوا يفسرون كلمات ماركس العميقة هذه

بمكس معناها ويعملون على افساد مضمونها . وكان بين الانتهازيين بصورة خاصة « الاقتصاديون » ، هؤلاء الاخوة الإبكار لأنصار التصفي (٢٠) . وكان « الاقتصاديون » يحسبون أن أي نزاع بين الطبقات هو سلفا صراع سياسي . وهكذا فقد كانوا ينعنون « بالصراع الطبقي » الفعل الهادف الى انتزاع خمسة كويكات بالروبل الواحد ويرفضون أن يقبلوا بصراع طبقات اعلى واكثر تطورا ، صراع الطبقات القومي من اجل سياسة . وكان « الاقتصاديون » يقبلون هكذا بصراع طبقات مضفي ، من دون الشكل المتطور لهذا الصراع . وبكلام آخر ، فقد كان « الاقتصاديون » لا يقبلون ، في صراع الطبقات ، بسوى العناصر الاكثر قبولا من وجهة نظر البورجوازية الليبرالية ، رافضين المضي الى ابعد من الليبراليين والاعتراف بصراع طبقات اعلى ، غير مقبول من الليبراليين . وبذلك كان « الاقتصاديون » يتحولون الى سياسيين عماليين ليبراليين ويتخلون عن المفهوم الماركسي والثوري عن صراع الطبقات .

ولنتابع . لا يكفي ان نقول ان صراع الطبقات لا يصبح فعليا ، حازما ، متطورا ، الا حين يمتد الى ميدان السياسة . ففي السياسة أيضا يمكن التوقف عند مسائل مخصوصة صغيرة ويمكن المضي الى عمق الاشياء ، حتى وبما فيها الاشياء الجوهرية . وكيفا تعترف الماركسية بأن صراع الطبقات قد بلغ مداه الكلي ، قد اصبح « وطنيا » ، فانه ينبغي الا يشمل السياسة فحسب ، بل يستهدف ما هو جوهرى في السياسة ، الا وهو تنظيم سلطة الدولة .

وان الليبرالية ، من جهتها ، لا تجسر ان تنفي الصراع الطبقي عندما تكون الحزكة العاملة قد توطدت نوعا ما ، لكنها تسعى لان تضيق مفهوم الصراع الطبقي وتبتره وتفرغه من كل مضمون . بل أن الليبرالية على استعداد للقبول بالصراع الطبقي في مادة السياسة ، لكن بشرط وحيد ، الا وهو الا يتعلق بتنظيم سلطة الدولة . واننا تفهم بلا عناء ما هي مصالح البورجوازية الطبقيية التي تحدد هذا التشويه الليبرالي لمفهوم صراع الطبقات .

ف. لينين : « في المفهوم الليبرالي والمفهوم الماركسي لصراع الطبقات » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد التاسع عشر ، ص : ٩٧ - ٩٨ .

... ان كل صراع بين الطبقات هو صراع سياسي ... والحركة
العاملة لا تتجاوز المرحلة المضنية ومرحلة الطفولة ، لا تصبح حركة طبقية،
الا حين تنتهي الى النضال السياسي .

ف. لينين : « بمناسبة جهر بالمقيدة » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الرابع ،
ص : ٢٩٥ .

ان هذا الصراع الطبقي العمالي ضد طبقة الرأسماليين هو صراع ضد
جميع الطبقات التي تعيش من عمل الغير وضد كل استثمار ولا يمكن ان
ينتهي هذا الصراع الا بانتقال السلطة السياسية الى الطبقة العاملة ، بتسليم
كل الارض ، وادوات العمل ، والمصانع ، والآلات ، والمناجم ، الى المجتمع
بأسره ، هذا المجتمع الذي سينظم الانتاج الاشتراكي الذي سيعود بفضل
كل ما سوف ينتجه العمال وجميع التحسينات المدخلة الى الانتاج بالفائدة
على العمال وحدهم .

ف. لينين : « عرض وتعليق على مشروع برنامج
الحزب الاشتراكي الديموقراطي » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ٩٢ .

اما ان المصالح الاقتصادية تلعب الدور الحاسم ، فانه لا يترتب على
ذلك في حال من الاحوال ان النضال الاقتصادي (= المهني) ذو أهمية
اولية ، ذلك ان مصالح الطبقات الاكثر جوهرية ، المصالح « الحاسمة » ،
لا يمكن ان تلبى ، على العموم ، الا بتحويلات سياسية جذرية ؛ وعلى
الاخص ، فان مصلحة البروليتاريا الاقتصادية الرئيسية لا يمكن ان تلبى الا
بفعل ثورة سياسية تستعيز عن دكتاتورية البورجوازية بدكتاتورية
البروليتاريا .

ف. لينين : ما العمل ؟ ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الخامس ، ص : ٢٩٨ .

ان الاشتراكية الديموقراطية ، الناطق الواعي بلسان الحركة العاملة-

تضع نصب اعينها التحرر التام لجميع الشغيلة من كل نير ومن كل استثمار .
وان تحقيق هذا الهدف ، إلغاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وخلق مجتمع
اشتراكي ، يتطلبان تطور القوى المنتجة للرأسمالية حتى مستوى أعلى ،
والتنظيم الأشد عنفوانا للطبقة العاملة . وفي المجتمع البورجوازي المعاصر
لا يمكننا ان نتصور بدون حرية سياسية لا الانطلاق التام للقوى الانتاجية
ولا الصراع الطبقي الحر ، الصريح ، الواسع ، ولا التربية السياسية
للجماهير البروليتارية ، وثقيفها ، وتماسكها . وهذا هو السبب في أن
البروليتاريا الواعية تواصل دائما نضالا حازما في سبيل الحرية السياسية
التامة ، في سبيل الثورة الديمقراطية .

ف. لينين : « الاهداف الديمقراطية للبروليتاريا
الثورية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الثامن ، ص : ٥١٨ .

الثقبات ودورها في صراع البروليتاريا الطبقي ضد البورجوازية

... لقد اكتشف العمال ان السبيل الوحيد من اجل اية مقاومة ضد
الضغط المفرط الذي يزاوله الراسمال هو بالنسبة اليهم رص الصفوف .
ك. ماركس : « مسألة الحرب - الشؤون المالية -
الاضرابات » ، مؤلفات ماركس وانجلز ، برلين ،
المجلد التاسع ، ص : ٤٢٥ .

ان الاتحادات ، مع بديلها الطبيعي الذي هو التريديونيون ، ليست
ذات اهمية عظمى فحسب بوصفها وسيلة من اجل تنظيم الطبقة العاملة في
النضال ضد البورجوازية - هذه الاهمية تبرز ، في جملة أشياء عديدة ،
في أن عمال الولايات المتحدة لا يستطيعون بالرغم من حق الاقتراع والجمهورية
ان يستغنوا عن حق الاتحاد ...

ك. ماركس : « رسالة الى ف. انجلز ، بتاريخ
١٨ شباط ١٨٦٥ » ، في ك. ماركس وف. انجلز ،
المراسلات ، باريس ، منشورات كوست ، المجلد
الثامن ، ص : ١٦٤ .

إذا كانت النقابات ضرورية من أجل حرب الغوار بين الراسمال والعمل ، فإنها أهم من ذلك أيضا بوصفها قوة منظمة من أجل تدمير نظام العمل المأجور بالذات وسلطة الراسمال ...

... وان من واجبها ، بصورة مستقلة عن اهدافها البدائية ، ان تتعلم الآن كيف تفعل بصورة واعية على اعتبارها مراكز منظمة للطبقة العاملة ، في المصلحة العليا لتحريرها التام . وان من واجبها ان تدعم كسل حركة اجتماعية وسياسية تذهب في هذا الاتجاه . وإذا كانت تعتبر نفسها الذائدة عن الطبقة العاملة بأسرها والمثلة لها وتتصرف بموجب ذلك ، فان من واجبها ان تجتذب العمال غير المنظمين . ان من واجبها ان تعنى بصورة مخصوصة جدا بمصالح الحرف ذات الاجور الاكثر ضالة... ان من واجب النقابات ان تجلب العالم اجمع الى الائتناع بان جهودها ، هذه الجهود البعيدة عن كونها ضيقة وانانية ، تستهدف تحرر الملايين من المضطهدين .

ك. ماركس : « تعليمات الى مندوبي المجلس المركزي المؤقت من مسائل مختلفة » ، في ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية ، المجلد السادس عشر ، ص : ٢٠٠ - ٢٠١ .

... بل ان مسألة تنظيم الطبقة العاملة ، على اعتبارها طبقة ، بواسطة النقابات لا تثار البتة . وهذه نقطة اساسية تماما ، ذلك ان المقصود ، بالمعنى الحقيقي للكلمة ، هو تنظيم طبقة البروليتاريا ، هذا التنظيم الذي تخوض البروليتاريا في ملئه نضالاتها اليومية ضد الراسمال وتتعلم الانضباط ، وهو تنظيم لا يمكن اليوم تدميره ابدا ، حتى في قلب الرجعية الاشد قسوة (كما هي الحال في هذه البرهة في باريس) . ونظرا للاهمية التي اتخذها هذا التنظيم في المانيا أيضا ، فاننا نعتقد انه سيكون من الضرورة بمكان مطلق ان نأخذة بعين الاعتبار في البرنامج وان نعطيه اذا امكن مكانا في تنظيم الحزب .

ك. ماركس : نقد برنامج غوتا ، في ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات المختارة في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ٣٦ .

الدور القيادي لحزب البروليتاريا السياسي فسي التحضير للثورة الاشتراكية وتحقيقها

... انطلاقا من اللحظة التي يتشكل فيها حزب عمالي مستقل، تصبح البروليتاريا قوة ، ولا بدّ من أن يحسب حساب لهذه القوة .

ف. انجلز : « المسألة العسكرية في بروسيا
والحزب العمالي الالمانى » ، مؤلفات ماركس وانجلز،
برلين ، المجلد السادس عشر ، ص : ٦٨-٦٩ .

لقد اثبتت التجربة في كل مكان ان افضل وسيلة لتحرير العمال من هذه السيطرة للاحزاب القديمة قد كانت تأسيس حزب بروليتاري في كل بلد له سياسته الخاصة ، وهي سياسة تتميز جيدا من سياسة الاحزاب الاخرى ، مادامت يجب أن تعبر عن شروط تحرر الطبقة العاملة . ويمكن لتفاصيل هذه السياسة ان تتفاوت وفقا للظروف الخاصة بكل بلد ؛ لكن لما كانت صلات العمل الاساسية بالراسمال هي نفسها في كل مكان ، وكانت حقيقة السيطرة السياسية للطبقات المالكة على الطبقات المستثمرة قائمة في كل مكان ، فان مبادئ السياسة البروليتارية وهدفها ستكون متماثلة ، على الاقل في جميع البلدان القريبة .

ف. انجلز : « الى المجلس الاتحادي الاسباني
لرابطة الشغيلة الاممية ، بتاريخ ١٣ شباط
١٨٧١ » ، نشر بالروسية في ك. ماركس وف.
انجلز ، المؤلفات الكاملة ، المجلد السابع عشر ،
ص : ٢٩١ .

ان تحالف القوى العاملة ، الذي تم الحصول عليه سلفا بفضل النضال الاقتصادي ، يجب ان يخدم ايضا كرافعة في أيدي هذه الطبقة في نضالها ضد سلطة مستثمريها السياسية .

ولما كان سادة الارض والراسمال يستخدمون دائما امتيازاتهم

السياسية كي يدافعوا عن احتكاراتهم الاقتصادية ويؤبدوها ويستعبدوا العمل ، فان الاستيلاء على السلطة السياسية يصبح واجب البروليتاريا الاكبر .

ك. ماركس وف. انجلز : « قرارات المؤتمر العام المنعقد في لاهاي من ٢ الى ٧ ايلول ١٨٧٢ » ، نشر بالروسية في ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات الكاملة ، المجلد الثامن عشر ، ص : ١٤٢ .

لا تستطيع البروليتاريا ان تنشط على اعتبارها طبقة ، ضد السلطة الجماعية للطبقات المالكة ، الا اذا تشكلت في حزب سياسي متميز مناهض لجميع الاحزاب القديمة التي شكلتها الطبقات المالكة .

ان تشكل البروليتاريا هذا في حزب سياسي امر لا غنى عنه من اجل ضمان ظفر الثورة الاجتماعية وهدفها الاسمي : إلغاء الطبقات ...

ك. ماركس : « الانظمة العامة لرابطة الشفيلة الاممية » ، في ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات المختارة في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد الاول ، ص : ٤٠٥ - ٤٠٦ .

ان وجود حزب اشتراكي ديموقراطي مجري يوفر مرة اخرى البرهان على ان الصناعة الكبرى الحديثة لا يمكن أن تمد جذورها في أي بلد دون ان تثور المجتمع القديم قبل الرأسمالي ودون ان تنتج لا طبقة رأسمالية فحسب ، بل بروليتاريا أيضا ، ومعها الصراع الطبقي بين كليهما وحزبا عماليا يعمل على قلب النظام الرأسمالي البورجوازي العالمي .

ف. انجلز : « الى هيتي تحرير صحيفتي ارييتر - ووخن - كرونيكس ونيينرادا » ، مؤلفات ماركس وانجلز ، برلين ، المجلد الثاني والمشرون ، ص : ٨٨٠ .

... لا يمكن لأي حزب سياسي أن يوجد دون تنظيم ؛ واذا كانت

البورجوازية الليبرالية واصحاب الحوانيت الديموقراطيون يستطيعون ، بفضل وضعهم الاجتماعي ، ووضعهم الاقتصادي الملائم ، والعلاقات اليومية المنشأة منذ زمن طويل فيما بينهم ، أن يعوضوا حتى درجة ما عن انعدام هذا التنظيم ، فان الطبقة البروليتارية التي كان يعوزها مثل هذا المركز الاجتماعي وامثال هذه الوسائط المالية قد كانت مضطرة بالضرورة الى البحث عن هذا التنظيم في الرابطة البرية . ومن جراء ذلك ، فقد انبثقت في فرنسا والمانيا جمعيات سرية عديدة قد اكتشفها البوليس جميعا ، الواحدة تلو الاخرى ، منذ عام ١٨٤٩ ، وطاردها على اعتبارها جمعيات تأمرية ؛ لكن اذا كان عدد منها جمعيات تأمرية حقا وفعلا ، نظمت وهدفتها الصريح هو قلب الحكومة القائمة - وانه لجبان ذلك الذي لا يستخدم طرائق تأمرية في بعض الظروف ، كما انه سيكون أحق ذلك الذي يتشبث بها في ظروف أخرى - فقد كان ثمة جمعيات أخرى تشكلت بهدف اوسع واسمى . ولقد كانت الجمعيات تعرف ان قلب حكومة قائمة لن يكون سوى مرحلة عابرة في الصراع العظيم الوشيك ، وقد كان في نيتها ان تنظم وتهيء الحزب الذي تشكل نواته من اجل المعركة الاخيرة الحاسمة التي يجب ذات يوم ان تحطم الى الابد سيطرة لا «الطغاة» ، و «المتعسفين» ، و «المتفصبين» فحسب ، بل سيطرة سلطان اشد بأسا بما لا يقاس وأعظم رهبة بما لا يقاس من سلطانهم ، الا وهو سلطان الراسمال على العمل .

ذلك كان تنظيم الحزب الشيوعي الذي كان في الخط الاول في المانيا . ان هذا الحزب لم يتصور قط ، وذلك بصورة متفقة مع مبادئ البيان (المنشور في ١٨٤٨) والمبادئ المعروضة في سلسلة من المقالات عن الثورة والثورة المضادة في المانيا نشرت في نيويورك ديلي تريبيون ، انه سيكون في مقدوره ان يثير على هواه ، في أي لحظة ، هذه الثورة التي يجب ان تحقق افكاره . لقد كان يدرس الاسباب التي انتجت الحركات الثورية عام ١٨٤٨ والاسباب التي ادت الى اخفاقها . واما تبين ان التضاد الاجتماعي بين الطبقات قد كان في اصل جميع هذه الصراعات السياسية ، فقد انصرف الى دراسة الشروط التي تستطيع فيها طبقة من المجتمع ويجب ان تدمى الى

تفصيل جماع مصالح الامة وتتوصل الى حكمها سياسياً .

ف. انجلز : الثورة والثورة المضادة في ألمانيا ،
في ك. ماركس وف. انجلز ، الثورة الديمقراطية
البورجوازية في ألمانيا ، المنشورات الاجتماعية ،
باريس ، ص : ٣٠٢ - ٣٠٣ .

... اذا بدأ الحزب الثوري ، في عمل ثوري ، بأن يسمح بمرور
لحظات حاسمة دون ان يقول كلمته ، او اذا تدخل دون أن يؤوب بمدئذ
بالنصر ، فانه يمكن بقدر كافٍ من اليقين اعتباره مهزوماً لبعض الوقت .
ولا يلزمنا لذلك ادلة اخرى سوى المصيانات بعد ترميدور وبعد ١٨٣٠ * .

ف. انجلز : « رسالة الى ك. ماركس بتاريخ ١١
كانون الاول ١٨٥١ » ، في ك. ماركس وف. انجلز ،
المراسلات ، منشورات كوست ، باريس ، المجلد
الثاني ، ص : ٢٦٨ - ٢٧٤ .

لا يتميز الشيوعيون من الاحزاب العمالية الاخرى الا في نقطتين :
١ - انهم يضعون في المقدمة وبيروزون ، في النضالات الوطنية المختلفة التي
يخوضها البروليتاريون ، المصالح المستقلة عن الجنسية والمشاركة بين
البروليتاريا برمتها . ٢ - انهم يمثلون دائماً ، في مختلف المراحل التي
يجتازها النضال بين البروليتاريين والبورجوازيين ، مصالح الحركة
بمجموعها .

فالشيوعيون هم اذن ، من الناحية العملية ، الفريق الاحزم والاكثر
تقدماً من احزاب الطبقة العاملة في جميع البلدان ، الفريق الذي يدفع
الى الامام سائر الفرق الاخرى . وهم من الوجهة النظرية يمتازون على بقية
البروليتاريين بادراك واضح لخطط سير الحركة البروليتارية وظروفها

* المقصود هي مصيانات الجماهير العاملة التي جرت في باريس في الاول من نيسان
(١٢ جرمينال) ١٧٩٥ وفي ٢٠ - ٢٣ ايار (١ - ٤ بريريال) من السنة نفسها ضد نظام
الرجعية الترميدورية ، المقام عام ١٧٩٤ ، وكذلك المصيانات البروليتارية في ليون في ١٨٣١
و١٨٣٤ ، التي اندلعت بعد ثورة تموز (ملاحظة من الناشر) .

اما هدف الشيوعيين المباشر فهو الهدف نفسه الذي ترمي اليه جميع احزاب العمال الاخرى ، أي تنظيم البروليتاريين في طبقة ، وقلب سيادة البورجوازية ، واستيلاء البروليتاريا على السلطة السياسية .

ك. ماركس وف. انجلز : البيان الشيوعي ، منشورات دار دمشق ، ١٩٦٥ ، ص : ٤٩ - ٥٠ .

ان هدف عصابة الشيوعيين هو أن تحقق بمختلف وسائل الدعاية والنضال السياسي دمار المجتمع القديم - قلب البورجوازية - وتحرر البروليتاريا الفكري والسياسي والاقتصادي ، والثورة الشيوعية . وان العصابة لتمثل دائما ، في مختلف مراحل التطور التي يجب أن يمر بها نضال البروليتاريا ، مصلحة مجموع الحركة كما أنها تسعى دائما لأن توحد وتنظم في احضانها جميع القوى الثورية للبروليتاريا : انها منظمة سرية لا يمكن ان تحل طالما أن الثورة البروليتارية لم تبلغ هدفها الاخير .

ك. ماركس وف. انجلز : «انظمة عصابة الشيوعيين» ، مؤلفات ماركس وانجلز ، برلين ، المجلد السابع ، ص : ٥٥ .

لا يمكن ان يضمن الانتصار النهائي للطبقات العاملة الا تفاهمها الاممي . وان هذه الحاجة قد اعطت مولدا لرابطة الشفيلة الاممية ، وليست هي بنت شيعة ولا بنت نظرية ، بل هي النتاج التلقائي للحركة البروليتارية ، المولودة هي نفسها من اتجاهات المجتمع الحديث الطبقي والجموحي .

ك. ماركس : « تقرير المجلس العام لرابطة الشفيلة الدولية » ، نشر بالروسية في ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات الكاملة ، المجلد السادس عشر ، ص : ٢٢٦ .

لما كانت درجات تطور مختلف القطاعات العمالية في بلد واحد والطبقة

العاملة في بلدان مختلفة متفاوتة جدا بصورة محتمة ، فان الحركة الفعلية
تتبدى بصورة لا تقل حتمية عن ذلك في اشكال نظرية شديدة التفاوت .

ان وحدة العمل التي تدفع اليها رابطة الشغيلة الاممية ، وتبادل
الافكار بواسطة مختلف اجهزة الفروع في جميع البلدان ، واخيرا المناقشة
المباشرة في المؤتمرات العامة ، سوف تؤدي ايضا الى اعداد برنامج
نظري عام لمجموع الحركة العاملة .

ك. ماركس : « رسالة الى ف. انجلز بتاريخ
٥ آذار ١٨٦٩ » ، في المراسلات المختارة لكارل ماركس
وفريدريك انجلز ، من ١٨٤٤ حتى ١٨٨٠ :
ستوتغارت ، ص : ١٤٤ .

يجب على البروليتاريا ان تعمل جاهدة على خلق احزاب عاملة
سياسية مستقلة يجب ان يكون هدفها الاساسي الاستيلاء على السلطة
السياسية من قبل البروليتاريا في سبيل تنظيم المجتمع الاشتراكي .

ف. لينين : « احتجاج الاشتراكيين الديمقراطيين
في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الرابع ، ص : ١٨٢ .

لا تملك البروليتاريا في نضالها من اجل السلطة سلاحا سوى التنظيم .
ان البروليتاريا المنقسمة بفعل المنافسة الفوضوية السائدة في العالم
البورجوازي ، والمهققة تحت وطأة الكد العبودي لحساب الراسمال ،
والملقاة ابدا « في حضيض » البؤس الاسود ، والجهالة المتوحشة والانحلال ،
تستطيع ان تصبح - وسوف تصبح حتما - قوة لا تقهر لهذا السبب
الوحيد ، الا وهو ان اتحادها الايديولوجي القائم على مبادئ الماركسية
تدعمه الوحدة المادية للتنظيم الذي يضم ملايين الشغيلة في جيش للطبقة
العاملة . ولن يستطيع ان يقف في وجه هذا الجيش لا السلطة المتهاوية
الروسية - ولا السلطة السائرة في طريق الانهيار للرأسمال الدولي . وسوف
يرص هذا الجيش صفوفه أكثر فأكثر ، بالرغم من جميع التعرجات .

والخطوات الى الخلف ، وبالرغم من اللغو الانتهازي للجيرونديين في الاشتراكية الديموقراطية الحالية ، وبالرغم من المدائح المزهوة لروح الحلقة المتخلفة ، وبالرغم من البريق الخادع والدعاية الصاخبة للفوضوية الخاصة بالفئة المثقفة .

ف. لينين : خطوة الى الامام ، خطوتان الى الخلف ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السابع ، ص : ٣٨٢ .

ان الدرس الذي تعطينا اياه ثورتنا هو ان الاحزاب التي تستند الى طبقات معينة هي وحدها الاحزاب الثورية ، وهي وحدها التي تستمر في البقاء بالرغم من جميع تقلبات الوضع الممكنة . ان النضال السياسي الصريح يجبر جميع الاحزاب على الارتباط بالجماهير بمزيد من الوثوق ، ذلك ان الاحزاب لا شيء بدون هذا الارتباط .

ف. لينين : « كيف يقوم الاشتراكيون الثوريون بجرد الثورة وكيف تقوم الثورة بجرد الاشتراكيين الثوريين » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد الخامس عشر ، ص : ٣١٢-٣١٣ .

بدون حزب حديدي انصهر في النضال ، بدون حزب يتمتع بثقة كل ما هو شريف في الطبقة ذات العلاقة ، بدون حزب يعرف كيف يلاحظ حالة الجماهير الذهنية وكيف يؤثر فيها ، يستحيل الاستمرار في هذا النضال بنجاح .

ف. لينين : مرض الشيوعية الطفولي (« اليسارية ») ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٢٩ .

لما كانت الاشتراكية الديموقراطية الاممية تستهدف جعل البروليتاريا قادرة على انجاز مهمتها التاريخية العظمى ، فانها تنظمها في حزب سياسي مستقل معارض لجميع الاحزاب البورجوازية ، وتقود جميع تظاهرات نضالها الطبقي ، وتكشف لها عن التضاد الحتمي بين مصالح المستثمرين

والمستثمرين ، وتشرح لها المفزى التاريخي والشروط الضرورية للثورة الاجتماعية الوشيكة . وانها لتبين كذلك لجميع الشرائح الكادحة والمستثمرة الاخرى ان وضعها لا امل فيه في المجتمع الراسمالي ، وان الثورة الاجتماعية تستجيب كذلك لمصالحها الخاصة ، ذلك انها سوف تحررها من نير الراسمال . ان الاشتراكية الديمقراطية ، حزب الطبقة العاملة، تدعو الى صفوفها جميع شرائح السكان الكادحين والمستثمرين ، وذلك بقدر ماتقسام هذه الشرائح البروليتاريا وجهة نظرها .

ف. لينين : « نصوص من أجل مراجعة برنامج الحزب » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الرابع والمشرون ، ص : ٤٨١ - ٤٨٢ .

ان تعرف كيف تجد ، وتستشعر ، وتحدد على وجه الدقة الطريق الحسية للاحداث او سياقها الخاص ، الذي سيقود الجماهير نحو النضال الثوري الكبير الحقيقي ، الحاسم والنهائي : ذلك هو الهدف الرئيسي للشيوعية الحالية في أوروبا الغربية وأميركا .

ف. لينين : مرض الشيوعية الطفولي (« اليسارية ») ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٩٣ .

كلما اتحد العمال بأعداد كبيرة في حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي كانت قوتهم اعظم ، وكان نجاحهم أسرع في تحرير الطبقة العاملة تحريرا تاما من كل اضطراد ، ومن كل عمل مأجور ، ومن كل عمل مسن اجل البورجوازية .

ف. لينين : « الى الفلاحين الفقراء » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السادس ، ص : ٣٦٩ .

بقدر ما تتسع الحركة الشعبية ، تتبين الطبيعة الحقيقية لمختلف الطبقات بمزيد من الوضوح ، وتصبح اشد الحاحا المهمة الواقعة على عاتق الحزب

من أجل قيادة النضال وتنظيمه ، بدلا من الانجرار في ذيل الاحداث . وبقدر ما تتطور من جميع الاطراف المبادرات الثورية الاشد تنوعا وتتضح اكثر فاكثر تفاهة وميوعة عبارات **رابوتشي دييلو** (٢١) ، المستأنفة بكل طبيعة خاطر من قبل **ايسكرا الجديدة** ، عن المبادرة بصورة عامة ؛ وبقدر ما تبرز اهمية المبادرة **الاشتراكية الديمقراطية** ، فان الواجبات التي تفرضها الاحداث على **مبادرتنا الثورية** تزداد صرامة . وبقدر ما تتسع التيارات ، المتجددة ابدا ، للحركة الاشتراكية الديمقراطية ، تتعظم اهمية منظمة اشتراكية ديموقراطية وطيدة تعرف كيف تتدبر لها مجاري جديدة . وبقدر ما نستفيد من الدعاية والتحريف الديموقراطيين اللذين لا يتوقفان علينا ، تتعظم اهمية القيادة المنظمة للاشتراكية الديمقراطية بفرض الحفاظ على استقلال الطبقة العاملة في مواجهة الديموقراطية البورجوازية .

ف. لينين « اهداف جديدة وقوى جديدة » ،

المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد

الثامن ، ص : ٢١٤ - ٢١٥ .

ان الاشتراكية الديمقراطية هي انصار الحركة العاملة والاشتراكية. وليس دورها هو خدمة الحركة العاملة بصورة منفصلة عند كل مرحلة من مراحلها بل تمثيل مصالح جماع الحركة ، وارشادها الى هدفها النهائي واغراضها السياسية ، والحفاظ على استقلالها السياسي والايديولوجي . ان الحركة العاملة تتفسخ وتبرز بصورة حتمية اذا ما انفصلت عن الاشتراكية الديمقراطية ؛ واذا ما انزوت الطبقة العاملة في النضال الاقتصادي ، فانها تفقد استقلالها السياسي ، وتتجرر في ذيل الاحزاب الاخرى ، وتخون الشعار العظيم : **ان تحرر الطبقة العاملة يجب ان يكون من صنع الشفيلة انفسهم** .

ف. لينين : « الاهداف الثورية لحركتنا » ،

المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد

الرابع ، ص : ٢٨٢ .

ان الطابع الطبقي للحركة الاشتراكية الديمقراطية يجب ان يتظاهر
ليس في الهبوط باهدافنا الى مستوى الحاجات المباشرة والفورية لحركة
« عاملة خالصة » ، بل في تسلم قيادة جميع مظاهر وسائر تظاهرات
الصراع التحريري العظيم الذي تخوضه البروليتاريا ، وهي الطبقة الثورية
الوحيدة في المجتمع الحالي . ان من واجب الاشتراكية الديمقراطية ،
دائما وبلا كلل ، ان توسع فعل الحركة العاملة بحيث يشمل جميع مجالات
حياة المجتمع الحديث الاجتماعية والسياسية . وان من واجبا ان تقود
لا نضال العمال الاقتصادي فحسب ، بل نضال البروليتاريا السياسي
ايضا ، ولا يجوز لها ان يغيب عن بصرها لحظة واحدة هدفنا الاخير ، الا
وهو ان ننشر باستمرار ، ونحفظ مسن كل تشويه ، ونواصل احكام
الايديولوجية البروليتارية ، عقيدة الاشتراكية العلمية ، يعني الماركسية .
ان من واجبا ان نكافح دون هوادة كل ايديولوجية بورجوازية ، مهما تكن
البهاج المتألقة والشائعة الزري التي تتزين بها .

ف. لينين : « التحريض السياسي ووجهة
النظر الطبقة » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد الخامس ، ص : ٢٤٨ .

يجب ان يساعد نشاط الحزب نضال العمال الطبقي . فليست
مهمة الحزب ان يتخيل بصورة مختلفة وسائل لم يسبق لها مثيل من اجل
تقديم المعونة الى العمال ، بل ان يشترك في حركتهم ، ويحمل اليها النور ،
ويساعد العمال في النضال الذي انخرطوا فيه من قبل . ان مهمة الحزب
هي الدفاع عن مصالح العمال وتمثيل مصالح جماع الحركة العاملة .

ف. لينين : « عرض وتعليق على برنامج الحزب
الاشتراكي الديمقراطي » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ١٠٩ .

ان من واجب الاشتراكية الديمقراطية ، وقد وضعت نصب اعينها
كهدف اخير انتصار الاشتراكية ، واقتنعت بضرورة الحرية السياسية من

اجل بلوغ هذا الهدف وتبينت استحالة تحقيق هذه الحرية في الوقت .
الراهن بصورة سليمة ، بدون نشاطات الجماهير العامة ، ان من واجب
الاشتراكية الديمقراطية ، اليوم والامس على السواء ، ان تضع في جدول
الاعمال الفوري المهمات الديمقراطية والثورية ، دون ان تتخلى من جراء
ذلك لحظة واحدة - وهذا امر مفروغ منه - عن الدعاية من اجل الاشتراكية
او عن الدفاع عن المصالح الطبقيّة البروليتارية بالمعنى الضيق للكلمة . ولما
كانت الاشتراكية الديمقراطية ممثلة الطبقة الأكثر تقدما والأكثر ثورية في
المجتمع المعاصر - البروليتاريا التي اثبتت بصورة فعلية ، في الثورة الروسية ،
قدرتها على تزعم نضالات الجماهير - فان من واجبها ان تسهم بشئى
الوسائل في أن يظل هذا الدور دور البروليتاريا في المرحلة التي يبلفها حاليا
النضال الثوري والتي تتميز بتفوق الوعي على التلقائية تفوقا أبرز منه
فيما مضى . ولهذا الغاية ، فان واجب الاشتراكية الديمقراطية ان تبذل
قصاراها كي تضمن الهيمنة على الجماهير الديمقراطية وكي تطور الطاقة
الثورية في هذه الجماهير .

ف. لينين : « الدوما الثالثة » ، المؤلفات
الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد الثالث
عشر ، ص : ١١٠ - ١١١ .

ان من واجب الاشتراكية الديمقراطية ، في عصر تفاقم النضال
الطبقي فيه حتى الحرب الاهلية ، أن تضع نصب اعينها لا أن تساهم في
هذه الحرب الاهلية فحسب ، بل أن تلعب فيها الدور القيادي . ان من
واجب الاشتراكية الديمقراطية أن تثقف منظماتها وتهيئها كيما تتدخل
بصورة فعالة على اعتبارها فريقا محارباً ، دون أن تفلت فرصة واحدة من
اجل الحاق الخسائر بالعدو .

ومن المفروغ منه أن تلك مهمة عسيرة ، ولا يمكن حلها من الوهلة
الاولى . وكما ان الشعب بأسره يصنع ثقافته من جديد ويتعلم في النضال ،
في سياق الحرب الاهلية ، كذلك يجب على منظماتنا ان تثقف وان تعدل على

اسس معطيات التجربة ، كيما تكون في مستوى هذه المهمة .

ف. لينين : « حرب الانصار » ، المؤلفات
الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد العادي
عشر ، ص : ١٩٥ .

موقف حزب البروليتاريا حيال الاحزاب السياسية الاخرى

ليس بيننا خلافات بشأن مسألة ان البروليتاريا لا تستطيع ان تستولي على السلطة - وهو السبيل الوحيد من اجل بلوغ المجتمع الجديد - بدون الثورة . وكيما تكون البروليتاريا ، في الايام الحازمة ، على قدر كاف من القوة كي تنتصر ، فانه من الضرورة بمكان - وقد شددنا ، ماركس وانا ، على هذه النقطة منذ عام ١٨٤٧ - ان تشكل حزبا طبقيا متميزا ، حزبا طبقيا واعيا ، ينفصل من جميع الاحزاب الاخرى ويعارضها .

غير ان هذا لا يعني البتة ان هذا الحزب لا يستطيع ان يستخدم لاغراضه الاحزاب الاخرى في بعض الاحيان . وهذا لا يعني على الاخص انه لا يستطيع ان يدعم بصورة مؤقتة الاحزاب الاخرى حين تنفذ اجراءات تعود بنفع مباشر على البروليتاريا او تمثل خطوة الى الامام في اتجاه التطور الاقتصادي او الحرية السياسية . اني سأؤيد كل من يناضل في المانيا بصورة فعالة من اجل الغاء الاقطاعيات المورثة للابكار وغيرها من البقايا الاقطاعية، و ضد البيروقراطية ، و ضد حقوق الحماية الجمركية، و ضد القوانين المناهضة للاشتراكية ، و ضد تحديد حق الاجتماع والحقوق النقابية . و اذا كان حزبنا الالماني التقدمي او حزبكم «ونستره» Wenstre الدانمركي حزينين راديكاليين حقا ، وليس ثرثارين بانسين ، يتحولان الى ارناب لدى اول تهديد من بسمارك او من استروب ، فلن اكون في حال من الاحوال معارضا بصورة مطلقة لعمل مشترك قصير الامل معهم في سبيل بلوغ هدف معين . وحين يصوت مندوبونا الى جانب اقتراح صاغه حزب آخر - ولا بد لهم ان

يفعلوا ذلك في غالب الاحيان - فذلك فعل مشترك اذن . لكني لست من انصار ذلك الا اذا كان الخير الذي يترتب عليه مباشرة لصالحنا او لصالح التطور التاريخي للبلد الذي في سبيل الثورة الاقتصادية والسياسية هو خير مؤكد بصورة لا جدال فيها ويبرر هذه الطريق . وهذا كله بشرط الا يكون طابع الحزب البروليتاري والطبقي عرضة للخطر . ذلك هو الحد المطلق بالنسبة الي . وانك لتجد عرضا لهذه السياسة منذ عام ١٨٤٧ ، في **البيان الشيوعي** ، وقد طبقناها عام ١٨٤٨ ، في الاممية ، في كل مكان .

ف. انجلو : « رسالة الى هرسون برير بتاريخ ١٨ كانون الاول ١٨٨٠ » . نشرت في « دفاتر البلشفية » ، العدد الثاني ، في ١٥ كانون الثاني ١٩٢٣ ، ص : ١٠٤ - ١٠٥ .

ان انتصار الحركة الثورية التي تنهياً حالياً لا يمكن ان يتم اذن دون ان يجعلنا اشد بأساً ودون ان يضعنا في « جو » انسب . فنحن نرتكب اذن أفذح الاخطاء اذا أردنا ان نستنكف ، اذا شئنا في موقفنا حيال الاحزاب « القريبة » ان تقتصر على النقد السلبي الخالص . وقد تحين اللحظة التي ينبغي لنا فيها ان نتعاون معها بطريقة ايجابية . الى متى هذه اللحظة ؟

ومن المؤكد انه ليس من شأننا ان نهىء بصورة مباشرة حركة ليست هي على وجه الدقة حركة الطبقة التي نمثلها . واذا كان الراديكاليون والجمهوريون يعتقدون ان الاوان حان من اجل النزول الى الشارع ، فليطلقوا العنان لتهورهم اذن ! لكننا قد خدعنا كثيراً جداً بوعود هؤلاء السادة كي تقع في الشرك من جديد . فلا يجوز لنداءاتهم ولا لمؤامراتهم ان تؤثر فينا ادنى تأثير . واذا كان من المفروض فينا ان ندعم كل حركة شعبية فعلية ، فانه من المفروض فينا كذلك الا نضحى دون جدوى بنواة حزبنا البروليتاري التي تشكلت بكل جهد والا نعرض البروليتاريا للانفناء في فتن محلية عقيمة .

وإذا كانت الحركة ، على النقيض من ذلك ، وطنية حقا ، فان رجالنا سيكونون في قلبها قبل ان يكون في الامكان اصدار شعار لهم ، وستكون مساهمتنا امرا مفروغا منه . لكن يجب أن يكون مفهوما اذن ، وهذا ما يجب ان نعلمه بصوت مرتفع ، اننا نسهم على اعتبارا حزبا مستقلا ، متحالفا مؤقتا مع الراديكاليين والجمهوريين ، لكنه متميز منهم تماما ؛ واننا لا تراودنا الاوهام بشأن نتيجة الصراع ، في حالة النصر ؛ وان هذه النتيجة ، التي هي ابعد ما يكون عن ارضائنا ، لن تكون بالنسبة اليها سوى مرحلة اخرى مكتسبة ، قاعدة جديدة للعمليات في سبيل انتصارات لاحقة ؛ وان سبلنا سوف تنفصل في يوم النصر بالذات ؛ واننا سوف نشكل منذ هذا اليوم ، في حبال الحكومة الجديدة ، المعارضة الجديدة ، وهي ليست بالمعارضة الرجعية ، بل معارضة تقدمية ، معارضة اليسار الاقصى التي ستعرض على انتصارات جديدة فيما وراء الارض المكتسبة .

ف. انجلز : « الثورة الإيطالية المقبلة والحزب الاشتراكي » . رسالة الى توراني بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٨٩٤ . نشرت بالروسية في ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات الكاملة ، المجلد الثاني والعشرون ، ص : ٤٥٩ - ٤٦٠ .

اني انكر بصورة قاطعة ان يكون حزب العمال الاشتراكي في اي بلد مكلفا بمهمة احتضان الفلاحين المتوسطين والكبار ايضا ، وربما مستأجري الملكيات الكبرى ، ومربي المواشي ، والرأسماليين الآخرين المستثمرين للتربة الوطنية ، وذلك فضلا من البروليتاريين الريفيين والفلاحين الصغار . واني لاعترف بانهم جميعا يعتبرون الاقطاعية العقارية الكبرى عدوهم المشترك ، وأنه يمكننا ان نتفق معهم على بعض المسائل ، واننا نستطيع ان نحارب وياهم جنبا الى جنب لبعض الوقت من اجل اغراض محدودة . اننا نستطيع ان نقبل في حزبنا افرادا من مختلف طبقات المجتمع ، لكننا لانستطيع ان نتحمل مطلقا أية جماعات تمثل المصالح الرأسمالية أو البورجوازية

المتوسطة او الفلاحية المتوسطة .

ف. انجلز : المسألة الفلاحية في فرنسا ومانيا ،
في ك. ماركس وف. انجلز ، دراسات اقتصادية ،
مشورات دار دمشق ، ص : ٣٥٥ .

... ان الحزب العمالي لن يعمل على انه ذيل بسيط للبورجوازية ،
بل على انه حزب مستقل و متميز عنها بصورة مطلقة . ولسوف يذكر
البورجوازية في كل لحظة بأن مصالح العمال الطبقيّة متعارضة على طول
الخط مع مصالح الرأسماليين ، وبأن العمال يدركون ذلك. ولسوف يحافظ
على تنظيمه الخاص ويطوره في مواجهة تنظيم حزب البورجوازية و يقتصر
على أن يفاوض هذه البورجوازية على اعتباره قوة تتفاوض مع قوة أخرى .
ولسوف يضمن بذلك لنفسه موقعا يفرض الاحترام ، ويهدي بعض العمال
لى مصالحهم الطبقيّة ، ويكون مستعدا للعمل عندالعاصفة الثورية القادمة –
هذه العواصف تعرف في الوقت الحاضر تكرارات تضاهي في انتظامها
لازمات التجارية واعصارات فترات الاعتدال الخريفي .

ف. انجلز : « المسألة العسكرية في بروسييا
والحزب العمالي الالمانى » ، مؤلفات ماركس وانجلز ،
برلين ، المجلد السادس عشر ، ص : ٧٧ .

ان النتيجة واضحة : رفض المواطات « مبدئيا » ، وانكار شرعية
المواطات على العموم ، مهما تكن ، تلك صبيانية يصعب حتى حملها محمل
الجد . ان الرجل السياسي ، الراغب في ان يكون نافعا للبروليتاريا الثورية ،
يجب ان يعرف كيف يميز الحالات الحسبية حيث المواطات غير مقبولة ،
حيث تعبر المواطات عن الانتهازية و **التخيانة** ، ويوجه ضد هذه المواطات
الحسبية سلاح نقده الماضي ، ويفضحها بلا هوادة ، ويعلن عليها حربا لاتعرف
الحمة ، دون ان يتيح لمخكي اشتراكية « الاعمال » ، ولا لليسوعيين
البرلمانيين ، ان يتهربوا ، ان يفتلوا بواسطة محاضرات عن « المواطات عامة »
من المسؤولية التي تقع على عاتقهم . وان السادة « الزعماء » الانكليز

للتريديونيون ، أو الجمعية الفابية أو الحزب العمالي « المستقل » (٢٢) ليشتهروا بهذه الطريقة بالذات من المسؤولية التي تُبذل عليهم ، مسؤولية **الخيانة التي ارتكبوها** لأنهم اقترفوا مؤامرة بحيث تضاهي في حقيقة الامر الانتهازية ، تضاهي ردة وخيانة من اسوأ الانواع .

ثمة مواطاة ومواطاة . يجب أن نعرف كيف نحلل الوضع والشروط الحسية لكل مواطاة او كل نوع من المواطاة . يجب ان نتعلم كيف نميز بين الرجل الذي قدم الى اللصوص مالا واسلحة كي يقتصر من الشر الذي يسببه هؤلاء اللصوص ويسهل القبض عليهم وتنفيذ حكم الإعدام بهم ، والرجل الذي يقدم الى اللصوص مالا واسلحة كي يشارك في اقتسام غنائمهم . وفي السياسة ، ما أبعد ان يكون الامر على هذا القدر من السهولة دائما كما هو في هذا المثال ذي البساطة الصبغانية الذي قدمته . بيد أن ذلك الذي يمن له ان يتخيل للعمال وصفة تقدم سلفا حلولا جاهزة من اجل جميع ظروف الحياة ، أو يؤكد انه لن تصادف قط مصاعب او اوضاع معقدة في سياسة البروليتاريا الثورية ، لن يكون سوى دجال .

ف. لينين : **مرض الشيوعية الطفولي**
(« اليسارية ») ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٣٢ .

من المؤكد أن الاشتراكية الديمقراطية ، بوصفها حزب البروليتاريا الاممية ، الحزب الذي يضع نصب اعينه أهدافا اشتراكية عمومية ، لا يمكن ان تنصهر مع أي مرحلة لأي ثورة بوجوازية ، لا يمكن ان تربط مصيرها بهذه الخاتمة او تلك لهذه الثورة البوجوازية او تلك . وكائنة ما كانت الخاتمة ، فانه يجب علينا أن نظل حزبا مستقلا ، بروليتاريا خالصا ، يقود بحزم الجماهير الكادحة نحو هدفها الاشتراكي الكبير . فنحن لا نستطيع اذن ان نأخذ على عاتقنا اية ضمانات من أجل متانة الانتصارات التي تحققها الثورة البوجوازية ، كائنة ما كانت هذه الانتصارات ، ذلك أن فقدان المتانة ، طابع التناقض الباطن لجميع هذه الانتصارات لاصق بكل ثورة بوجوازية

ف. لينين : « البرنامج الزراعي للاشتراكية
الديموقراطية في الثورة الروسية الاولى في ١٩٠٥ -
١٩٠٧ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الثالث عشر ، ص : ٣٩٠ - ٣٩١ .

عن امكانية انتصار الثورة الاشتراكية في بلد واحد

ان تطور الرأسمالية يتم بصورة متفاوتة حتى الدرجة القصوى في
مختلف البلدان . ولا يمكن ان يكون الامر خلاف ذلك على أي حال في نظام
الانتاج التجاري . ومن هنا كانت هذه النتيجة الحتمية : لا يمكن للاشتراكية
أن تنتصر في وقت واحد في جميع البلدان . لسوف تنتصر بادئ الامر في
بلد واحد او عدة بلدان ، بينما تظل البلدان الاخرى لبعض الوقت بلدانا
بورجوازية او قبل بورجوازية .

ف. لينين : « البرنامج العسكري للثورة
البروليتارية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الثالث والعشرون ، ص : ٨٦ .

ان الولايات المتحدة العالمية (لا الاوروبية) هي الشكل السياسي
لوحدة وحرية الامم التي سوف تربطها بالاشتراكية في انتظار ان تؤدي
الشيوعية الى الزوال التام لاي دولة ، بما في ذلك الدولة الديموقراطية .
ومهما يكن من امر ، فان شعار الولايات المتحدة العالمية ، بوصفه شعارا
مستقلا ، لا يمكن ان يكون صحيحا قط ، اولا لانه يختلط بالاشتراكية ،
وثانيا لانه يمكن ان يؤدي الى استنتاجات مغلوطة عن استحالة انتصار
الاشتراكية في بلد واحد وعن موقف البلد صاحب العلاقة حيال البلدان
الاخرى .

ان تفاوت التطور الاقتصادي والسياسي هو قانون مطلق للرأسمالية .
ويتربط على ذلك ان انتصار الاشتراكية يمكن بادئ الامر في عدد صغير من

البلدان الرأسمالية ، وحتى في بلد رأسمالي واحد مأخوذ على حدة .

ف. لينين : « بمناسبة شعار الولايات المتحدة
الاروبية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الحادي والعشرون ، ص : ٣٥٤-٣٥٥

تحول الثورة الديمقراطية البورجوازية الى ثورة اشتراكية

وعندنا أيضا (في ألمانيا - ملاحظة من الناشر) لا يمكن ان تكون
النتيجة الفورية الاولى للثورة ولا يجب ان تكون ، فيما يتعلق بالشكل ،
شيئا آخر سوى الجمهورية البورجوازية . لكن تلك لن تكون سوى مرحلة
انتقالية وجيزة ، ذلك انه ليس لدينا لحسن الحظ اي حزب بورجوازي
جمهوري حقيقي . وان الجمهورية البورجوازية ، التي ربما يتزعمها الحزب
التقدمي ، سوف نخدمنا قبل كل شيء في كسب الجماهير الفقيرة من الشفيلة
الى جانب الاشتراكية الثورية ؛ وسوف يتطلب هذا فترة سنة واحدة او
سنتين ويؤدي الى التفتت والاضمحلال التامين لجميع الاحزاب المتوسطة
التي يمكن ان تكون قائمة بعد باستثناء حزبنا . وعندئذ فقط سوف نجح
في استلام السلطة .

ان خطيئة الامان الفظة تستقيم في الاعتقاد بان الثورة يمكن ان تتم في
يوم واحد . والحال ان تلك في واقع الامر عملية تطور جديد للجماهير تغطي
سنوات عديدة وتفترض شروطا تسهم في التعجيل بها . وان كل ثورة
حدثت في يوم واحد اما حدثت رجعية كان محكوما عليها سلفا بالزوال
(١٨٣٠) ، واما كانت لها نتائج مضادة بصورة مباشرة للهدف المرغوب فيه
(١٨٤٨ في فرنسا) .

ف. انجلز : « رسالة الى ا. برنشتاين بتاريخ
٢٧ آب ١٨٨٣ » ، في ك. ماركس وف. انجلز ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية ، المجلد
السادس والثلاثون ، ص : ٤٨ - ٤٩ .

ان موقف الحزب العمالي الثوري حيال الديمقراطية البورجوازية الصغيرة هو الموقف التالي : انه يسير معها ضد الفئة التي يستهدف اسقاطها ، ويكافحها على جميع النقاط التي تريد استخدامها لتوطيد مواقعها في مصلحتها الخاصة .

ان البورجوازيين الصغار الديمقراطيين ، وهم أبعد ما يكونون عن الرغبة في قلب المجتمع كله لمصلحة البروليتاريين الثوريين ، يسعون الى تعديل النظام الاجتماعي بحيث يصبح المجتمع القائم محتملا قدر الامكان ومناسبا قدر الامكان بالنسبة اليهم ...

... ومهما يكن من امر ، فان هذه المطالب لا يمكن في حال من الاحوال ان تكفي حزب البروليتاريا . فبينما يسعى البورجوازيون الصغار الديمقراطيون الى انتهاء الثورة بأسرع وقت ممكن وبعد ان يحققوا على الاكثر المطالب المذكورة اعلاه ، فانه من مصلحتنا ومن واجبنا أن نجعل الثورة دائمة ، حتى تتم منحية جميع الطبقات المالكة بصورة تزيد او تنقص عن السلطة ، وتكون البروليتاريا قد استولت على السلطة ، وتكون رابطة البروليتاريين قد حققت قدرا كافيا من التقدم ، ليس في بلد واحد بل في جميع البلدان السائدة في العالم ، كيما تضع حدا في هذه البلدان للمنافسة بين البروليتاريين وتمركز في أيديهم القوى الانتاجية الحاسمة على اقل تعديل . ولا يمكن ان يكون المقصود بالنسبة اليها تحويل الملكية الخاصة ، بل القضاء عليها فحسب ؛ ولا تلطيف التضادات الطبقية ، بل الغاء الطبقات ؛ ولا تحسين المجتمع القائم ، بل تأسيس مجتمع جديد ...

... ومن البديهي ان العمال بصورة رئيسية هم الذين يجب ان يحققوا النصر بشجاعتهم وحزمهم وروح التضحية التي يتحلون بها ، وذلك في النزاعات الدامية الوشيكة كما في جميع الحالات الاخرى . ولسوف يبدي البورجوازيون الصغار في كتلتهم التردد والحيرة والعطالة في هذا الصراع ، كما هو شأنهم في الماضي ، وذلك لأطول مدة ممكنة . لكن ان يكاد النصر يتحقق

حتى يستأثروا به ، ويحضوا العمال على الهدوء ، والعودة الى بيوتهم ،
واستئناف عملهم : وسوف يتجنبون الافراطات المزعومة ويسرقون من
البروليتاريا ثمار نصرها . وليس في مقدور العمال أن يمنعوا الديمقراطيين
البورجوازيين الصغار من التصرف على هذا الفرار ؛ لكن في مقدورهم أن
يجعلوا من الامور المسيرة تحقيق التفوق لهم في وجه البروليتاريا المسلحة ،
وان يملوا عليهم شروطا بحيث تنطوي سيطرة الديمقراطيين البورجوازيين ،
منذ قيامها ، على بادرة سقوطها ، وبحيث يسهل بصورة مخصوصة نبذها
اللاحق من قبل سيطرة البروليتاريا . ومن المهم بصورة خاصة ان يرتكس
العمال ابان النزاع وفي أعقاب المعركة مباشرة بقدر ما يستطيعون ضد التهدة
التي يوصي بها البورجوازيون ويجبروا الديمقراطيين على أن يضعوا موضع
التنفيذ عباراتهم الازهابية الحالية . ويجب ان تنصب جهودهم على الا
يتعرض الجيشان الثوري المباشر للقمع مرة أخرى بعد النصر فورا ، بل يجب
على العكس من ذلك أن يحافظوا عليه اطول وقت ممكن . فبدلا من معارضة
الافراطات المزعومة ، وأمثلة الثار الشعبي ضد أفراد مكروهين او ائبسة
عامة ترتبط بها ذكريات بغيضة ، يجب لا التسامح حيال هذه الامثلة فحسب ،
بل قيادتها ايضا . ويجب على العمال ، أثناء الصراع وبعده ، أن يصوغوا
مطالبهم الخاصة الى جانب مطالب الديمقراطيين البورجوازيين . يجب
أن يطالبوا بضمانات للعمال حالما يتهاى البورجوازيون الديمقراطيون لاستلام
زمام الحكم . ويجب عند الضرورة ان يحصلوا على هذه الضمانات بالقوة
ويتدبروا الامر على العموم كي يجبروا الحكام الجدد على جميع التنازلات
والوعود الممكنة ؛ تلك هي اضمن الوسائل من اجل اخراج موقفهم . يجب
ان يبذلوا قصاراهم ، بكل الوسائل وقدر المستطاع ، ليكبحوا الفبطة الناشئة
عن الاوضاع الجديدة وحالة النشوة التي هي نتيجة كل انتصار يتحقق في
معركة من معارك الشوارع ، مصدرين الحكم على الوضع بهدوء وبرود
ومظهرين حيال الحكومة الجديدة ريبة غير مقنعة . ويجب ان ينشئوا في
الحال ، الى جانب الحكومات الرسمية الجديدة ، حكوماتهم الخاصة العمالية
الثورية ، اما بشكل ادارات محلية مستقلة ذاتيا او مجالس بلدية ، واما

بشكل أندية او لجان عمالية ، بحيث لا تفقد الحكومات الديموقراطية البورجوازية في الحال تأييد العمال فحسب ، بل تكون منذ البداية تحت رقابة وتهديد سلطات تقف خلفها كتلة العمال بأسرها . وباختصار ، فحالما يتم الحصول على النصر ، فان ريبة البروليتاريا لا يجوز ان تتوجه بعد الآن نحو الحزب الرجعي المغلوب ، بل ضد حلفائها القدماء ، ضد الحزب الذي ينبغي ان يستثمر لوحده النصر المشترك .

... لكنه ينبغي ، كي يكون في الامكان مجابهة هذا الحزب بطريقة قوية ومتعددة ، وهو الحزب الذي ستبدا خيائته نحو العمال منذ ساعة النصر الاولى ، ان يكون العمال مسلحين ومنظمين جيدا . فمن المهم ان يصنع في الحال كل ما هو لازم كي تزود البروليتاريا بأسرها بالبنادق ، والغدرات ، والمدافع ، والذخيرة ، ويجب معارضة اعادة انشاء الحرس الوطني القديم الموجه ضد العمال . وحيث لا يمكن منع اعادة إنشائه ، يجب على العمال ان يجربوا تنظيم أنفسهم في حرس بروليتاري ، مع قادة منتخبين من قبلهم ، وقيادة عامة من اختيارهم ، وتحت اوامر لا السلطات العامة ، بل المجالس البلدية الثورية المشكلة من العمال . وحيث يشتغل العمال لحساب الدولة ، يجب ان يحرصوا على ان يكونوا مسلحين ومنظمين في فيلق خاص مع قادة منتخبين او في فصيلة تابعة للحرس البروليتاري . . ولا يجوز ، بأية حجة كانت ، التخلي عن الاسلحة والذخيرة، ويجب صد كل محاولة من اجل نزع السلاح ، وبالقوة اذا اقتضى الامر . القضاء على نفوذ الديموقراطيين البورجوازيين على العمال ، والمباشرة حالا في تنظيم خاص للعمال وفي تسليحهم ومعارضة سيطرة الديموقراطية البورجوازية، المحتومة في اللحظة الراهنة ، بالشروط الاشد قسوة والأعظم احراجا : تلك هي النقاط الرئيسية التي ينبغي للبروليتاريا ، وبالتالي العبيبة ، الا تفتيح عن ابصارهما ابان العصيان العتيد وبعده ...

... ان قلب الحكومات القائمة ستكون عاقبته الفورية انتخاب هيئة تمثيلية وطنية . وهنا يجب ان تسهر البروليتاريا :

١ - على الا تنحى اية جماعات من العمال عن الاقتراع ، بأية حجة كانت او من جراء اي نوع من مؤامرات السلطات المحلية او مفوضي الحكومة .

٢ - على أن يرشح في كل مكان ، الى جانب المرشحين الديمقراطيين البورجوازيين ، مرشحون عمال ، منتقون قدر الامكان من بين اعضاء العصبة ، ويجب استخدام جميع الوسائل الممكنة من اجل انتخابهم . ويجب على العمال ان يقدموا مرشحيهم الخاصين حتى حيث لا يتوفر ادنى حظ للنجاح ، وذلك كيما يحافظوا على استقلالهم ، ويحصوا قواهم ، ويعرفوا علنا بموقفهم الثوري وبوجهات نظر حزبهم . ويجب ألا ينخدعوا ، في هذا المجال ، بلغو الديمقراطيين الذين يزعمون ، على سبيل المثال ، اننا نخاطر بهذه الطريقة بشطر الحزب الديمقراطي وتوفير امكانية النصر للرجعية . ان جميع هذه العبارات انما تستهدف في آخر الامر غرضا واحدا ، الا وهو تضليل البروليتاريا . وان التقدم الذي لا بد ان يحققه حزب البروليتاريا يمثل هذا الموقف المستقل لاهم بما لا يقاس من الضرر الذي يمكن ان يتسبب عن وجود بعض الرجعيين في الهيئة التمثيلية الشعبية . واذا اتخذت الديمقراطية منذ البدء موقفا حازما وارهابيا حيال الرجعية ، فان نفوذ هذه الرجعية ، في الانتخابات سيقضى عليه بصورة مسبقة قضاء مبرما . .

... لقد رأينا كيف سيتسنى الديمقراطيون السلطة مع الحركة المقبلة وكيف سيكونون ملزمين باقتراح تدابير اشتراكية بصورة تزيد او تنقص . والمسألة هي ان نعرف ما هي الاجراءات التي سيتخذها العمال في معارضة ذلك . ومن البدهي أن العمال لا يستطيعون بعد ، في أوائل الحركة ، ان يقترحوا اجراءات شيوعية بصورة مباشرة . غير انهم يستطيعون :

١ - ان يجبروا الديمقراطيين على أن يتدخلوا ، في أكبر عدد ممكن من النقاط ، في التنظيم الاجتماعي القائم ، وان يمكروا مسيرته النظامية ، وأن يتورطوا هم أنفسهم ، وان يركزوا بين يدي الدولة اكبر قدر ممكن من القوى الانتاجية ، ووسائل النقل ، والمصانع ، والخطوط الحديدية ، الخ .

٢ - يجب أن يدفعوا حتى مداها الأقصى بمقترحات الديموقراطيين الذين لن يتصرفوا على أنهم ثوريون على أي حال ، بل على أنهم اصلاحيون فحسب ، ويحولوا هذه المقترحات الى هجمات مباشرة ضد الملكية الخاصة . فاذا اقترح البورجوازيون الصغار على سبيل المثال شراء الخطوط الحديدية والمصانع ، فمن واجب العمال ان يطالبوا بأن تصادر هذه الخطوط الحديدية وهذه المصانع بكل بساطة من قبل الدولة دون تعويض على اعتبارها ملكية للرجعيين . واذا اقترح الديموقراطيون الضريبة النسبية ، فان العمال يطالبون بالضريبة التصاعدية . واذا اقترح الديموقراطيون بأنفسهم ضريبة تصاعدية معتدلة ، فان العمال يطالبون بضريبة ترتفع معدلاتها بسرعة كافية بحيث يصيب الدمار الرأسمال الضخم من جراء ذلك . واذا طالب الديموقراطيون بتسوية الدين العام ، فان العمال يطالبون بافلاس الدولة . وهكذا فان مطالب العمال يجب ان تنظم في كل مكان وفقا لتنازلات الديموقراطيين وتدابيرهم .

واذا كان العمال الالمان لا يستطيعون ان يستولوا على السلطة ، ان يحققوا مصالحهم الخاصة دون ان يجتازوا بصورة كاملة تطورا ثوريا طويلا جدا ، فانهم على يقين هذه المرة على الاقل بأن الفصل الاول من هذه المأساة الثورية العتيدة يتطابق مع النصر المباشر الذي حققته طبقتهم الخاصة في فرنسا ، وهو يتسارع من جراء ذلك .

غير انهم سيسهمون هم انفسهم في انتصارهم النهائي بقدر اعظم اذا هم اجتازوا وعي مصالحهم الطبقيّة ، ووقفوا حالما يكون ذلك ممكنا في حزب مستقل ولم يتهاونوا لحظة واحدة في الانحراف - بتأثير العبارات المرائية للبورجوازيين الصغار الديموقراطيين - عن التنظيم المستقل لحزب البروليتاريا . ان صيحتهم الحربية يجب ان تكون : « الثورة بصورة دائمة ! »

ك. ماركس وف. انجلز : « نداء اللجنة المركزية لعصبة الشيوعيين » ، المؤلفات المختارة في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد الاول ، ص : ١٠٥ - ١١٣ .

ان روسيا بلد فلاحى ، أحد أكثر بلدان أوروبا تخلفا . ولا يمكن للاشتراكية ان تنتصر فيها حالا وتلقائيا . غير ان الطابع الفلاحى للبلد يستطيع على اساس تجربة عام ١٩٠٥ ، ونظرا للمساحة الهائلة للاراضى الباقية بين ايدي الارستقراطية العقارية ، ان يعطي اتساعا جبارا للثورة الديموقراطية البورجوازية في روسيا ويجعل من ثورتنا فاتحة الثورة الاشتراكية العالمية ، مرحلة نحو هذه الثورة .

ف. لينين : « رسالة الوداع الى العمال
السويديين » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد الثالث والمشرون ، ص : ٤٠٠ .

كيف يجب ان يكون موقف العامل الواعى ، الاشتراكي ، حيال الحركة الفلاحية المعاصرة ؟ يجب عليه ان يؤيد هذه الحركة ، ويساعد الفلاحين بكل قواه ، يساعدهم حتى النهاية على اسقاط سلطة الموظفين وسلطة الملاكين العقاريين الكبار اسقاطا تاما . لكن يجب عليه في الوقت نفسه ان يوضح للفلاحين انه لا تكفيهم الاطاحة بسلطة الموظفين والملاكين العقاريين الكبار . انه لينبغي لهم ، اذ يطيحوا بهذه السلطة ، ان يتهاؤا في الوقت نفسه للقضاء على سلطة الراسمال ، على سلطة البورجوازية ؛ ولا بد في سبيل ذلك من اشاعة عقيدة اشتراكية كليا ، وبكلام آخر ماركسية ، على النطاق الشعبى دون تأخير ، وتوحيد البروليتاريين الريفيين وصهرهم وتنظيمهم من اجل الصراع ضد البورجوازية الفلاحية وضد كل البورجوازية الروسية . يستطيع العامل الواعى ان ينسى النضال الاشتراكي من اجل النضال الديموقراطى ؟ كلا ، فالعامل الواعى يسمي نفسه اشتراكيا ديموقراطيا بالضبط لانه فهم العلاقة بين هذين النضالين . انه يعرف انه ليس ثمة طريق نحو الاشتراكية باستثناء طريق الديموقراطية والحرية السياسية . ولهذا السبب فانه يتوق الى تحقيق الديموقراطية تحقيقا كاملا وحازما كما يبلغ الهدف الاخير ، الا وهو الاشتراكية . وما هو السبب في ان شروط النضال الديموقراطى والنضال الاشتراكي ليست واحدة ؟ ذلك انه

من المؤكد أنه سيكون للعمال حلفاء مختلفون في كل من النضالين . فالعمال يخوضون النضال الديمقراطي بصورة مشتركة مع قسم من البورجوازية ، وعلى الاخص البورجوازية الصغيرة ، بينما هم يخوضون النضال الاشتراكي ضد البورجوازية بأسرها . انه يمكن ويجب النضال ضد الموظف والملاك العقاري الكبير بصورة مشتركة مع جميع الفلاحين ، حتى الفلاحين الاغنياء والمتوسطين ، في حين لا يمكن النضال بصورة أكيدة ضد البورجوازية ، وبالتالي ضد الفلاحين الاغنياء ، الا بصورة مشتركة مع البروليتاريا الريفية .

ف. لينين : الاشتراكية البورجوازية الصغيرة
والاشتراكية البروليتارية ، المؤلفات الكاملة ،
الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد التاسع ، ص :
٤١١ - ٤١٢ .

لكن طالما ان المقصود هي ثورة ديموقراطية ، فاننا نواجه قوتين اذن :
الايوتوقراطية والشعب الثوري ، يعني البروليتاريا ، القوة المقاتلة الرئيسية ،
وطبقة الفلاحين ، وعناصر بورجوازية صغيرة متنوعة . ولا تتطابق مصالح
البروليتاريا مع مصالح طبقة الفلاحين والبورجوازية الصغيرة . ولقد
اكّد الاشتراكيون الديموقراطيون دائما على أن هذا التباعد في المصالح
الطبقية في قلب الشعب الثوري أمر لا مفر منه . ان غرض النضال يمكن ،
اذا كان النضال حاميا ، ان ينتقل من يد الى يد . وان الشعب الثوري
ليطمح الى السيادة الثورية ، بينما تدافع جميع العناصر الرجعية عن
الايوتوقراطية القسرية . وهكذا لا يمكن لاية ثورة ناجحة الا ان تكون دكتاتورية
ديموقراطية للبروليتاريا وطبقة الفلاحين اللتين تتطابق مصالحهما
المتناحضة مع الايوتوقراطية القسرية . . . لكن اذا قضي حقا على الحكومة
الايوتوقراطية ، فيجب الاستعاضة عنها بحكومة اخرى لا يمكن ان تكون
سوى حكومة ثورية مؤقتة . ولا تستطيع هذه الحكومة الاخيرة ان تستند
الا على الشعب الثوري ، يعني على البروليتاريا وطبقة الفلاحين .

ف. لينين : « المؤتمر الثالث للحزب العمالي
الاشتراكي الديموقراطي في روسيا » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن ، ص :
٢٨٦ - ٢٨٧ .

... ان القوة القادرة على تحقيق « نصر حاسم على القيصرية » لا يمكن ان تكون الا الشعب ، يعني البروليتاريا وطبقة الفلاحين ، هذا اذا اخذنا القوى الكبرى الاساسية ووزعنا بينها البورجوازية الصغيرة الريفية والحضرية (التي تشكل هي الاخرى قسما من « الشعب ») . ان « نصر الثورة الحاسم على القيصرية » هو الدكتاتورية الديمقراطية الثورية للبروليتاريا وطبقة الفلاحين . ولن يفلت ايضا انصار الايسكرا الجديدة (٢٢) من هذه النتيجة التي اشارت اليها فيبريود (٢٤) منذ زمن طويل . ليس ثمة شخص آخر كي يحقق نصرا حاسما على القيصرية .

ولسوف يكون هذا النصر دكتاتورية على وجه الدقة ، يعني انه يجب بالضرورة الكلية ان يستند الى القوة المسلحة ، الى تسليح الجماهير ، الى العصيان ، وليس الى هذه او تلك من المؤسسات المؤلفة «شرعيا» بالطريق السلمي» . لا يمكن ان يكون هذا سوى دكتاتورية ، لان التحولات الضرورية بصورة مطلقة وقوية للبروليتاريا وطبقة الفلاحين سوف تثير من جانب الملاكين العقاريين والبورجوازيين الكبار والقيصرية مقاومة يائسة . ولسوف يكون من المحال ، دون دكتاتورية ، تحطيم هذه المقاومة وافشال محاولات الثورة المضادة . ومهما يكن من أمر ، فمن المؤكد ان هذا لن يكون دكتاتورية اشتراكية بل دكتاتورية ديموقراطية . فهي لا تستطيع ان تمس (قبل ان تجتاز الثورة عدة مراحل متوسطة) اسس الرأسمالية . انها تستطيع في احسن الاحوال ان تعتمد الى اعادة توزيع الملكية العقارية توزيعا جذريا في مصلحة طبقة الفلاحين ، وان تدخل الديمقراطية بصورة كلية وحازمة ، حتى وبما فيه اعلان الجمهورية ، وان تنتزع بقايا الاستبداد الآسيوي لا من حياة الأرياف فحسب ، بل من حياة المصانع ايضا ، وان تباشر في تحسين شروط العمال بصورة جدية وفي رفع مستواهم الحياتي... ان هذا النصر لن يصنع بعد ، في حال من الاحوال ، من ثورتنا البورجوازية ثورة اشتراكية ؛ ان الثورة الديمقراطية لن تخرج بصورة مباشرة من اطار العلاقات الاجتماعية والاقتصادية البورجوازية ؛ بيد ان هذا النصر سيكون له مع

ذلك مدى جبار من أجل التطور اللاحق لروسيا والعالم أجمع . ليس ثمه شيء يمكن ان يحرض بصورة أشد الطاقة الثورية للبروليتاريا العالمية ، وليس نعمة شيء يمكن ان يختصر بصورة أعظم طريق البروليتاريا نحو النصر التام ، هذا النصر الحاسم الذي احرزته الثورة التي بدت في روسيا .

ف. لينين : خطتان للاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد التاسع ، ص : ٤٠-٤١ .

ان البروليتاريا وحدها تستطيع ان تكافح بحزم في سبيل الديمقراطية . غير انها لا تستطيع ان تنتصر في هذا الكفاح الا اذا انضمت الكتلة الفلاحية الى نضالها الثوري . واذا اعوزت القوة البروليتاريا من أجل تحقيق ذلك ، فان البورجوازية ستتزعج الثورة الديمقراطية وتدمفها بطابع متذبذب واناسي . وليس ثمة ما يمكن ان يعوق هذه الخاتمة الا الدكتاتورية الديمقراطية الثورية للبروليتاريا وطبقة الفلاحين .

ف. لينين : خطتان للاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد التاسع ، ص : ٤٤ .

اذا كنا لانستطيع ان نعتمد على طبقة الفلاحين في نفس الوقت الذي نعتمد فيه على البروليتاريا في النضال من أجل الجمهورية والديموقراطية ، فان « الاحتفاظ بالسلطة » سيكون مشروعاً ميؤوساً منه . لكن اذا لم يكن الامر كذلك ، اذا كان « نصر الثورة الحاسم على القيصرية » يوفر لنا هذه الامكانية ، فيجب علينا ان نشير الى ذلك ؛ يجب ان نأخذ على عاتقنا ، بكل فعالية ، ان نجعل من هذا النصر حقيقة واقعة ؛ يجب ان نصدر شعارات عملية ليس فحسب من أجل الحالة التي سيتم فيها امتداد الثورة الى أوروبا ، بل من أجل مد الثورة الى أوروبا ايضا . ان حجة « الاطار التاريخي المحدود للثورة الروسية » لا تفعل سوى ان تغطي عند ذليلي الاشتراكية الديمقراطية

تصورا محدودا لمهام هذه الثورة الديمقراطية ودور البروليتاريا الطبيعي
في هذه الثورة !

ان أحد الاعتراضات على شعار « الدكتاتورية الديمقراطية الثورية
للبروليتاريا وطبقة الفلاحين » هو ان الدكتاتورية تفترض « وحدة الإرادة »
(ايسكرا ، رقم ٩٥) بينما لا يمكن ان تقوم وحدة الإرادة بين البروليتاريا
والبورجوازية الصغيرة . ان هذا الاعتراض عديم القيمة ، ذلك انه يرتكز
على تصور تجريدي ، « ميتافيزيائي » ، « لوحدة الإرادة » ان الإرادة يمكن
ان تكون واحدة في هذه العلاقة والا تكون واحدة في تلك العلاقة . ان الافتقار
الى الوحدة في مسائل الاشتراكية وفي النضال من اجل الاشتراكية لا ينفي
وحدة الإرادة في قضايا الديمقراطية وفي النضال من اجل الجمهورية .
وان نسيان ذلك يعني نسيان الفارق المنطقي والتاريخي بين الثورة
الديموقراطية والثورة الاشتراكية . ان نسيان ذلك يعني نسيان الطابع
الشعبي للثورة الديمقراطية : والطابع « الشعبي » **يعني ضمنا** « وحدة
الإرادة » بالضبط بقدر ما تلبى الثورة الديمقراطية حاجات ومتطلبات
الشعب بأسره . ولا يمكن ان تثار مسألة وحدة الإرادة بين البروليتاريا
والبورجوازية الفلاحية فيما وراء حدود الديمقراطية . فالصراع الطبقي
محتم فيما بينهما ، لكن على ارض الجمهورية الديمقراطية ، فسوف
يكون ذلك النضال الشعبي الاوسع والاعمق في سبيل **الاشتراكية** . ان
الدكتاتورية الديمقراطية الثورية للبروليتاريا وطبقة الفلاحين تملك ماضيا
ومستقبلا ، مثلها في ذلك مثل كل ما هو موجود في هذا العالم . وان ماضيها
هو الاوتوقراطية ، والعبودية ، والملكية ، والامتيازات . وفي النضال ضد
هذا الماضي ، في الحرب على الثورة المضادة ، فان « ارادة الوحدة » بين
البروليتاريا وطبقة الفلاحين ممكنة ، لان بينهما وحدة في المصالح ...

... أما مستقبلها فهو النضال ضد الملكية الخاصة ، نضال العامل
لمأجور ضد رب العمل ، النضال في سبيل الاشتراكية . ان وحده الإرادة

مستحيلة هنا . فنحن لسنا هنا بعد الآن على الطريق المؤدية من الاوتوقراطية الى الجمهورية ، بل على الطريق المؤدية من الجمهورية الديمقراطية البورجوازية الصغيرة الى الاشتراكية .

ومن المؤكد ان عناصر تنتسب الى الماضي والى الحاضر تتصالب في كل وضع تاريخي حسي : ان الدربين يختلطان . وان العمل المأجور ، بنضاله ضد الملكية الخاصة ، موجود في ظل الاوتوقراطية ايضا ، بل لقد ولد في ظل العبودية . غير ان هذا لا يمنعنا في حال من الاحوال من ان نميز ، من وجهة النظر المنطقية والتاريخية ، مراحل عظمى للتطور . أفلسنا نجاهه جميعا الثورة البورجوازية بالثورة الاشتراكية ؟ أفلسنا نشدد جميعا ، بلا تحفظ ، على ضرورة التمييز الحازم فيما بينهما ؟ ولكن هل نستطيع ان ننكر ان عناصر جزئية من هذه الثورة وتلك تتصالب في التاريخ ؟ الم تعرف اوربا ، في عصر الثورات الديمقراطية ، حركات ومحاولات اشتراكية متنوعة ؟ وهل لن يكون امام الثورة الاشتراكية المقبلة في اوربا الشيء الكثير ، الكثير جدا ، الذي يجب بعد ان تصنعه في منحى الديمقراطية ؟

ابدا ، في اي لحظة ، لا يجوز للاشتراكية الديمقراطية ان تنسى صراع البروليتاريا الطبقي المحتم في سبيل الاشتراكية ضد البورجوازية والبورجوازية الصغيرة ، مهما كانتا ديموقراطيتين ، ومهما كانتا جمهوريتين . هذا امر لا جدال فيه . ومن هنا كانت الضرورة المطلقة لحزب اشتراكي ديموقراطي متميز ومستقل ، متشرب بكل حزم بالروح الطبقيية . ومن هنا كان الطابع المؤقت لموضوعتنا القائل « فلنضرب سوية » مسع البورجوازية ، والالزام بمراقبة دقيقة « للحليف كما لو كان عدوا » ، الخ . وهذا كله لا يمكن كذلك ان يثير ادنى شك على الاطلاق . بيد انه سيكون من قبيل السخف والرجعية ان نستنتج من ذلك انه يجب علينا ان ننسى ، ان ننكر بمحض ارادتنا او نحترق المهمات العاجلة للعصر الحالي ، حتى اذا كانت عابرة ومؤقتة . ان النضال ضد الاوتوقراطية هو بالنسبة الى

الاشتراكيين مهمة مؤقتة وعابرة ، لكن الرغبة في انكارها او احتقارها هي خيانة للاشتراكية وخدمة للرجعية . ان الدكتاتورية الديمقراطية الثورية للبروليتاريا وطبقة الفلاحين ليست بكل تأكيد بالنسبة الى الاشتراكيين الا مهمة عابرة ومؤقتة ، لكنه سيكون من قبيل الرجعية بكل بساطة ان نبغي انكار هذه المهمة في عصر الثورة الديمقراطية ...

... سيأتي يوم ينتهي فيه النضال ضد الاوتوقراطية الروسية ويختتم فيه عصر الثورة الديمقراطية بالنسبة الى روسيا ، ومنذئذ ، فانه سيكون حتى من السخف الحديث عن « وحدة الارادة » بين البروليتاريا وطبقة الفلاحين ، وعن الدكتاتورية الديمقراطية ، الخ . عندئذ سوف نتطلع بصورة مباشرة الى الدكتاتورية الاشتراكية للبروليتاريا ، وسوف نتحدث عنها مفصلاً . لكن حزب الطبقة الطليعية لا يستطيع اليوم الا ان يسمى بأعظم الطاقة الى النصر الحاسم للثورة الديمقراطية على القيصرية . وليس هذا النصر الحاسم شيئاً سوى الدكتاتورية الديمقراطية الثورية للبروليتاريا وطبقة الفلاحين .

ف. لينين : خطتان للاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد التاسع ، ص : ٦٥-٦٨ .

ان انتصار الثورة البورجوازية على أنها انتصار البورجوازية مستحيل في روسيا . ويبدو هذا امراً داعياً الى المفارقة ، لكنه حقيقة واقعة . ان تفوق السكان الفلاحين ، وانسحاقهم بالملكية المقاربية الضخمة التي لا تبرح اقطاعية (نصفياً) ، وقوة ووعي البروليتاريا المنظمة سلفاً في حزب اشتراكي - ان جميع هذه الظروف تدمغ ثورتنا البورجوازية بطابع مخصوص . ولا تنفي هذه الخاصية طابع الثورة البورجوازي ... ان هذه الخاصية تحدد بكل بساطة الطابع المضاد للثورة الذي تتميز به البورجوازية الروسية وضرورة دكتاتورية البروليتاريا وطبقة الفلاحين من اجل تحقيق النصر في

مثل هذه الثورة . ذلك أن « تحالف البروليتاريا وطبقة الفلاحين » الذي يحرز النصر في ثورة بورجوازية ليس شيئا آخر ، على وجه الدقة ، سوى الدكتاتورية الديمقراطية الثورية للبروليتاريا وطبقة الفلاحين .

ف. لينين : « اسهام في تقدير الثورة الروسية » ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية ، الرابعة ، المجلد
الخامس عشر ، ص : ٤١ .

ان درجة تطور روسيا الاقتصادي (شرط موضوعي) ودرجة وعي وتنظيم الجماهير الغفيرة من البروليتاريا (شرط ذاتي مرتبط بالشرط الموضوعي بصورة لا تنفصم) يجعلان من المحال تحرر الطبقة العاملة تحررا فوريا وتاما . ان الناس الاشد جهالة ليستطيعون وحدهم ان ينكروا الطابع البورجوازي للثورة الديمقراطية الجارية حاليا ؛ وان المتفائلين الاشد سداجة يستطيعون وحدهم ان ينسوا ان جمهرة العمال لا تعرف بعد الا الشيء القليل جدا عن اغراض الاشتراكية ووسائل تحقيقها . والحال اننا مقتنعون جميعا بان تحرر العمال لا يمكن ان يكون من صنع العمال انفسهم ؛ فبدون وعي الجماهير وتنظيمها ، وبدون تهيئة هذه الجماهير وتثقيفها بفعل النضال الطبقي الصريح ضد البورجوازية بأسرها ، لا يمكن ان يطرح موضوع الثورة الاشتراكية . وكما نرد على الاعتراضات الفوضوية التي تزعم اننا نؤجل الثورة الاشتراكية نقول : اننا لا نؤجلها ، بل نحن نقوم بالخطوة الاولى نحوها بالوسيلة الوحيدة الممكنة وبالطريق الوحيدة الامينة ، الا وهي طريق الجمهورية الديمقراطية . ومن يريد ان يسير الى الاشتراكية بطريق اخرى غير طريق الديمقراطية السياسية ينتهي بصورة لا مناص منها الى استنتاجات سخيفة ورجعية ، سواء بالمعنى الاقتصادي ام بالمعنى السياسي . واذا جاءنا عمال يسألوننا ، عندما يحين الاوان ، ما اذا كنا نستطيع ان نطبق البرنامج الاقصى ، فاننا سنذكرهم بان الجماهير الشعبية ، ذات الروح الديمقراطية ، لا تبرح بعد مغلقة جدا على الاشتراكية ، وبأن التناحرات الطبقيّة لا تبرح بعد قليلة النمو جدا ، وبأن البروليتاريين

لا يبرحون بعد قليلي التنظيم جدا . نظموا اذن عشرات الالوف من العمال في روسيا بأسرها ، واجمعوا عواطف ملايين الشفيلة حول برنامجكم : حاولوا أن تفعلوا ذلك دون أن تكتفوا بالعبارات الفوضوية ، الطنانة ، لكن الفارغة ، وسوف ترون عاجلا ان نجاح هذا العمل التنظيمي ، وأن تعميم هذه التربية الاشتراكية ، يتوقفان على تنفيذ التحولات الديمقراطية تنفيذا كاملا قدر الامكان .

ف. لينين : خطتان للاشتراكية الديمقراطية في الثورة الديمقراطية ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد التاسع ، ص : ١٥١٤ .

... اذا ما تمت الثورة الديمقراطية ، فاننا سنخرب في الحال في حدود قوانا بالضبط ، قوى البروليتاريا الواعية والمنظمة ، في طريق الثورة الاشتراكية . اننا الى جانب الثورة المتواصلة ، ولن نتوقف في منتصف الطريق . واذا كنا لا نطلق وعودا « بالتشريك » الفوري ، في هذه اللحظة بالذات ، فذلك لاننا نعرف شروط القضية الحقيقية ، ولاننا ابعد مانكون عن اخفائها ، بل نظهر الصراع الطبقي الجديد الذي ينضج في أعماق طبقة الفلاحين .

اننا نبدأ بأن نؤيد حتى النهاية ، بجميع الوسائل ، بما في ذلك المصادرة ، الفلاح على العموم ضد الملاك العقاري ؛ واننا لنؤيد بعدئذ (او بالاحرى في الوقت نفسه) البروليتاريا ضد الفلاح على العموم . وان تقدير نسبة القوى في قلب طبقة الفلاحين منذ الآن ، « غداة » الثورة (الديمقراطية) ، لهو وهم خالص . وبدون ان ننساق مع روح المغامرة ، وبدون ان نخون وجداننا العلمي ، وبدون ان نركض وراء شعبية سهلة ، لا نستطيع ان نقول ولا نقول الا شيئا واحدا : اننا سنساعد طبقة الفلاحين بكل قوانا لتقوم بالثورة الديمقراطية كيما يكون من الاسهل علينا ، نحن حزب البروليتاريا ، الانتقال باسرع وقت ممكن الى مهمة جديدة واعلى ، الى الثورة الاشتراكية .

اننا لا نعد باي انسجام ، وبأية تسوية ، وبأي « تشريك » في اعقاب انتصار العصيان الفلاحي **الراهن** ؛ بل الامر على النقيض من ذلك ، اذ نحن « نعد » بصراع جديد ، بتفاوت جديد، بثورة جديدة، تسعى اليها جهودنا على أي حال. ان عقيدتنا « معسولة » بصورة اقل من الاقاصيص الزرق للاشتراكيين الثوريين (٢٥) ؛ لكن المرء الذي يريد الا تقدم اليه سوى الاشياء المعسولة يفعل حسنا اذا قصد الاشتراكيين الثوريين . واننا لنقول لهؤلاء الناس : سهل الله أموركم .

ف. لينين : « موقف الاشتراكية الديمقراطية
خيال الحركة الفلاحية » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة
الروسية الرابعة ، المجلد التاسع ، ص : ٢١٣-٢١٤ .

يجب على البروليتاريا ان تتوجه الى الثورة الى النهاية ،
بان تضم الى صفوفها الطبقة الفلاحية التي تتألف من
الاورثوقراطية وتشمل طبقات البروليتاريا
بالثورة الاشتراكية . بان تضم الى صفوفها
من السكان ، كي يتطام بالقوة مع الثورة البروجوازية وتشمل طبقة
الفلاحين والبروجوازية الصغيرة .

ف. لينين : خطان للاشتراكية الديمقراطية في
الثورة الديمقراطية ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة
الروسية الرابعة ، المجلد التاسع ، ص : ٨١ .

ان تحالف البروليتاريا مع طبقة الفلاحين **بمجموعها** هو الذي يدمج
طابع الثورة البروجوازي ، ذلك ان طبقة الفلاحين بمجموعها تتألف من
منتجين صفار موضوعين على ارض الانتاج التجاري . وكان البلاشفة
انفسهم يضيفون اذن : وبعدئذ فان البروليتاريا تضم الى صفوفها **كل**
نصف البروليتاريا (جميع الشغيلة والمستثمرين) ، وتجمد طبقة الفلاحين
المتوسطة وتصرع البروجوازية : لهذا ما يميز الثورة الاشتراكية من الثورة

ف. لينين : الثورة البروليتارية والمرتدكاوتسكي ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن
والعشرون ، ص : ٣٠٥ .

لقد جرت الامور جميعا كما قلنا ، وقد اكد سياق الثورة صحة
محاكمتنا . **اولا** ، مع « كل » طبقة الفلاحين ضد الملكية ، وضد الملاكين
العقاريين الكبار ، وضد الاقطاعية (وبذلك تظل الثورة بورجوازية ،
ديموقراطية بورجوازية) . **ومن بعد** ، مع طبقة الفلاحين الفقراء ، مع نصف
البروليتاريا ، مع جميع المستثمرين ، **ضد الرأسمالية** ، بما في ذلك
الفلاحون الاغنياء ، والكولاك ، والمضاربون ؛ وبذلك تصبح الثورة **اشتراكية** .
اما أن نريد أن نرفع بصورة مصطنعة سورا صينيا بين هذه الثورة وتلك ،
وان نفضلهما **بغير** درجة استعداد البروليتاريا ودرجة اتحادها مع الفلاحين
الفقراء ، فهذا تشويه فظيع للماركسية ، واذلال لها ، والاستعاضة عنها
بالليبرالية . ان ذلك يعود الى الرغبة في النهوض ، بصورة ماكرة ، بالدفاع
الرجعي عن البورجوازية ضد البروليتاريا الاشتراكية بفعل الاسنادات
شبه العلمية الى طابع البورجوازية التقدمي بالقياس الى الاقطاعية .

ف. لينين : الثورة البروليتارية والمرتدكاوتسكي ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن
والعشرون ، ص : ٢١٠ .

لقد حللنا قضايا الثورة الديموقراطية البورجوازية بصورة عابرة ، في
سياق الطريق ، على انها « منتج ملحق » لفعالنا الثوري . **البروليتاري** ،
الاشتراكي ، الرئيسي والحقيقي . ولقد قلنا على الدوام ان الاصلاحات هي
منتج ملحق لصراع الطبقات الثوري . ان الاصلاحات الديموقراطية
البورجوازية - لقد قلنا ذلك واثبتناه بأفعالنا - هي منتج ملحق للثورة
البروليتارية ، يعني الاشتراكية .

ان النظام السوفيتي هو على وجه الدقة احد التأكيدات او التظاهرات اللامعة لهذا التحول من ثورة الى اخرى . ان النظام السوفيتي هو الحد الاقصى من النزعة الديمقراطية من أجل العمال والفلاحين ؛ وانه ليتضمن في الوقت نفسه الانفصال عن النزعة الديمقراطية البورجوازية وظهور نمط جديد من الديمقراطية في التاريخ العالمي، الا وهي النزعة الديمقراطية البروليتارية او دكتاتورية البروليتاريا .

ف. لينين : « من أجل العيد الرابع لثورة اكتوبر » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٤٦ - ٤٧ .

في القوانين العامة المتحكمة في تطور الثورة الاشتراكية وفي تظاهراتها النوعية في مختلف البلدان

... ليست الشيوعية مضادة للطبيعة الانسانية، ولذكاء الانسان وقلبه، كما انها ليست نظرية منفصلة عن الواقع ومن نتائج المخيلة وحدها .

ويسأل كيف سيجري تطبيق هذه النظرية ، وما هي التدابير التي نقتربها من أجل تهيئة تطبيقها . ان طرقا متنوعة تؤدي الى هذا الهدف . فالارجح ان الانكليز سيبدأون بتأسيس مستعمرات ، ويتركون لكل امرئ ان يقرر ما اذا كان يريد ان ينضم اليها ام لا ؛ اما الفرنسيون ، بالمقابل ، فان في مقدورهم تماما ان يهيئوا الشيوعية ويحققوها على الصعيد القومي . ومن الصعب أن نجزم بأي شيء سيبدأ الالمان ، بسبب حداثة الحركة الاجتماعية في المانيا .

ف. انجلز : « خطاب البرفيلد » ، مؤلفات ماركس وانجلز ، برلين ، المجلد الثاني ، ص : ٥٤٦ - ٥٤٧ .

إذا طرحنا هذا السؤال على أي إنسان ماركسي لا على التعيين ، وحتى على أي امرئ مطلع على العلم الحديث : « هل الانتقال المنتظم والمنسجم والتناسب لمختلف البلدان الرأسمالية الى دكتاتورية البروليتاريا ممكن ؟ » ، فمما لا ريب فيه انه سيرد عليه بالنفي . ان الانتظام والانسجام والتناسب لم توجد قط ولا يمكن ان توجد في العالم الرأسمالي . فكل بلد قد تطور وهو يبرز هذا المظهر او ذلك ، او هذه الصفة او تلك ، او هذه المجموعة الخصائص او تلك ، من مظاهر وصفات وخصائص الرأسمالية والحركة العاملة . ان عملية التطور قد كانت متفاوتة .

ف. لينين : « الاممية الثالثة ومكانها في التاريخ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٣١١ .

تتبع الثورة في كل بلد طريقها الخاصة ، وهذه الطرق مختلفة جدا بحيث يمكن ان تتأخر الثورة سنة ، بل سنتين . ان الثورة العالمية لا تسير بخطا متساوية بما فيه الكفاية بحيث يمكن في كل مكان ، في سائر البلدان ، سلوك نفس الدرب ، والا كنا انتصرنا منذ زمن طويل .

ف. لينين : « تقرير مقدم في الجلسة المشتركة للجنة التنفيذية المركزية في روسيا ، والمجلس السوفيتي في موسكو ، ولجان العامل والمصانع والنقابات ، بتاريخ ٢٢ تشرين الاول ١٩١٨ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ١٢٣ .

يجب ان نعترف لكل امة بحق تقرير المصير ، الامر الذي سيسهم في تحرر الشفيلة . وفي فنلندا ، تجري عملية انفصال البروليتاريا عن البورجوازية بطريقة واضحة وقوية ومعقدة بصورة مرموقة . ومهما يكن من امر ، فان الامور ستسير هناك بصورة مغايرة عنها عندنا . واذا قلنا اننا لانعترف مطلقا بالامة الفنلندية ، بل بالجماهير الكادحة فقط ، فانا نقول شيئا ليس اسخف

منه . انه لمن المستحيل ألا نعترف بما هو كائن : فالواقع يفرض نفسه من تلقاء نفسه . ان تفاضل البروليتاريا والبورجوازية يتبع في بلدان عديدة طرقا هي خاصة بها . ويجب علينا ، في هذا المجال ، أن نتصرف بأكثر حرص ممكن . وبصورة خاصة حيال الامم المختلفة ، لانه ليس هناك ما هو أسوأ من الريبة لدى الامة .

ف. لينين : « المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ١٧٢ - ١٧٣ .

... ان انتظام التطور العام في التاريخ العمومي لا ينبغي ، بل على العكس يتضمن بعض المراحل التي تظهر بعض الخصوصيات سواء في شكل التطور ام في نسقه .

ف. لينين : « عن نورتنا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والثلاثون ، ص : ٤٩٠ .

ان جميع الامم ستأتي الى الاشتراكية ، هذا امر محتم ، لكنها لن تأتي اليها جميعا بطريقة متماثلة بصورة مطلقة ، بل ستجلب كل امة منها اصالتها الخاصة في هذا الشكل من الديمقراطية او ذلك ، وفي هذا النوع من دكتاتورية البروليتاريا او ذلك ، وفي هذا النسق او ذلك من التحولات الاشتراكية لمختلف مظاهر الحياة الاجتماعية . وليس ثمة ما هو أفقر من وجهة النظر النظرية وما هو أسخف من وجهة النظر العملية من ان يتصور المرء في هذا المجال ، « باسم المادية التاريخية » ، مستقبلا وحيد اللون ، بلون الرماد : سوف يكون خريشة عديمة الشكل ، لا شيء أكثر من ذلك .

ف. لينين : « كاريكاتور للماركسية وبمناسبة النزعة الاقتصادية الامبريالية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والعشرون ، ص : ٧٥ - ٧٦ .

... من الجلي أن المهمة هنا ، كما هي دائما ، هي في معرفة تطبيق مبادئ الشيوعية العامة الأساسية على خصائص العلاقات بين الطبقات والاحزاب ، على خصائص التطور الموضوعي نحو الشيوعية ، الخاصة بكل بلد ، وهي الخصائص التي يجب ان نعرف كيف ندرسها ، ونكتشفها ، ونخمنها .

ف. لينين : مرض الشيوعية الطفولي
(« اليسارية ») ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد العادي والثلاثون ، ص : ٨٥ .

انا نعرف ان معونتم ، ايها الرفاق العمال الاميريكيون ، قد تتأخر بعد طويلا ، ذلك ان مسيرة الثورة في مختلف البلدان تتصل في اشكال مختلفة ، وينسق مختلف (ولا يمكن ان يكون الامر خلاف ذلك) .

ف. لينين : « رسالة الى العمال الاميركيين » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٧٠ .

طلما ان الفوارق القومية والسياسية قائمة بين الشعوب والبلدان ، وهي فوارق تستمر طويلا ، طويلا جدا ، حتى بعد اقامة دكتاتورية البروليتاريا على النطاق العالمي ، فان وحدة التكتيك الاممي للحركة العاملة الشيوعية في جميع البلدان تتطلب لا امحاء كل تنوع ، ولا القضاء على الفوارق القومية (ذلك حلم مجنون في الوقت الحاضر) ، بل تطبيق المبادئ ، الاساسية للشيوعية (سلطة المجالس السوفيتية ودكتاتورية البروليتاريا) تطبيقا يعادل بصورة صحيحة هذه المبادئ في مسائل تفصيلية ، ويكيفها ويحكمها كما يتفق مع الخصائص القومية والسياسية . فالبحث عما هو قومي بصورة مخصوصة ، عما هو قومي بصورة نوعية ، في الطريقة الحسية التي يتصدى بها كل بلد لحل القضية الاممية التي هي نفسها بالنسبة الى الجميع ، ودراسته واكتشافه وتخمينه وادراكه ، وقهر الانتهازية والجمود

العقائدي اليساري في قلب الحركة العاملة ، والاحاطة بالبورجوازية، واقامة المجالس السوفييتية ودكتاتورية البروليتاريا ، تلك هي ، في البرهة التاريخية التي نجتازها ، المهمة الرئيسية المعينة لجميع البلدان المتقدمة (وليس المتقدمة فحسب) . وان الاشياء الاساسية - ليس جميع الاشياء الاساسية بالتأكيد ، فما ابعدا عن ذلك ، لكن الاشياء الاساسية على أي حال - قد تحققت حتى الآن من اجل اجتذاب طليعة الطبقة العاملة وكسبها الى جانب السلطة السوفييتية ضد البرلمانية ، الى جانب دكتاتورية البروليتاريا ضد الديموقراطية البورجوازية . ويجب ان نركز الآن كل القوى وكل الانتباه على المرحلة **الثانية** التي يبدو انها ، وهي كذلك بالفعل من وجهة نظر معينة ، اساسية بصورة اقل ، لكن اقرب مع ذلك الى حل القضية العملي ، الا وهي البحث عن اشكال **للانتقال** الى الثورة البروليتارية او **التصدي** لها .

ف. لينين : **مرض الشيوعية الطفولي**
(« اليسارية ») ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٨٨

كان اسهل علينا ان نبدا الثورة ، لكنه من الصعب بصورة غير عادية مواصلتها وقيادتها الى نهايتها . ان الثورة يصعب تفجيرها بصورة رهيبية في بلد على قدر المانيا من التطور ، ذي بورجوازية على هذا القدر من التنظيم ، لكنه سيكون من الاسهل اتمام الثورة الاشتراكية بصورة ظافرة اذا ما اندلعت مرة واضطرت في البلدان الاوروبية الرأسمالية المتقدمة .

ف. لينين : « تقرير الى اجتماع لجان العامل
في اقليم موسكو ، بتاريخ ٢٣ تموز ١٩١٨ » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
السابع والعشرون ، ص : ٥٨٢ .

ليس من شك في ان الشريحة الاجتماعية الرئيسية التي تتوفر للديموقراطية البورجوازية الصغيرة قاعدتها الاقتصادية هي ، في روسيا ، شريحة الفلاحين المتوسطين . وليس من شك في ان الثورة الاشتراكية والانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية يجب ان يتخذا بصورة حتمية.

أشكالا مخصوصة في بلد يبلغ فيه تعداد السكان الريفيين رقما هائلا .

ف. لينين : « اجتماع مناضلي الحزب في موسكو بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٨ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

ليس في العالم اشتراكي واحد أنكر أن بناء الشيوعية سيتبع طرقا مختلفة في البلدان ذات الزراعة الضخمة وفي البلدان ذات الزراعة الصغرى . تلك حقيقة بدائية جدا ، حقيقة أولية .

ف. لينين : « المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٢٠٨ .

.. أن الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية معقول في أشكال مختلفة حسبما يتعلق الأمر ببلد تتفوق فيه الرأسمالية الضخمة او الاقتصاد الصغير .

ف. لينين : « المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص : ٢٤٤ .

بخصوص الطرق السلمية وغير السلمية للثورة

.. أنا ، بصفتي ثوريا ، أقبل كل وسيلة تؤدي نحو الغاية ، سواء بالوسيلة الأشد عنفا أم بالوسيلة التي تبدو على أكبر قدر من المسالمة .

ف. انجلز : « رسالة إلي هرسن ترير بتاريخ ١٨ كانون الاول ١٨٨٩ » ، نشرت في دفاتر البلشفية ، العدد الثاني ، كانون الثاني ١٩٣٣ ، ص : ١٠٥ .

... ا يكون القضاء على الملكية الخاصة ممكنا بالطريق السلمية ؟

... انا نتمنى أن يكون ذلك ممكنا ، ومن المؤكد أن الشيوعيين سيكونون آخر من يأسف لذلك . ان الشيوعيين يعرفون على خير وجه أن جميع الأوامرات السرية ليست عديمة المنفعة فحسب ، بل ضارة أيضا . أنهم يعرفون على خير وجه ان الثورات لا تتم نتيجة لاصدار امر بها ، بل هي في كل مكان وفي كل زمان العاقبة الضرورية لظروف مستقلة استقلاليا مطلقا عن ارادة الأحزاب وقيادتها ، وحتى عن الطبقات . غير أنهم يرون كذلك ان تطور البروليتاريا يصطدم في جميع البلدان المتحضرة على وجه التقريب بعمليات قمع وحشية ، وان جميع خصوم الشيوعية يعملون هكذا بكل ما في وسعهم من قوى من أجل الثورة ، فاذا كانت البروليتاريا المضطهدة مدفوعة على هذا القرار الى الثورة ، فاننا سندافع ، نحن الشيوعيين ، عن قضية البروليتاريين بالعمل ، كما ندافع عنها بالكلام في الوقت الحاضر .

ف. انجلز : مبادئ الشيوعية ، مكتب النشر

والدعاية والتوزيع ، باريس ، ص : ٢٢ - ٢٣ .

يمكن ان نتصور ان المجتمع القديم قد يتطور بصورة سلمية نحو المجتمع الجديد ، في البلدان حيث يركز التمثيل الشعبي كسل السلطة بين يديه ، حيث يمكن وفقا للدستور ان يصنع المرء ما يشاء طالما ان غالبية الامة تقف وراءه . في الجمهوريات الديموقراطية مثل فرنسا واميركا ، وفي أنظمة ملكية مثل انكلترا ، حيث التصفية الوشيكية للسلالة المالكة هي موضع الجدل يوميا في الصحف ، وحيث تقف هذه السلالة المالكة عاجزة امام ارادة الشعب . أما في المانيا ، حيث تملك الحكومة قوة جبارة على وجه التقريب ، وحيث الريخستاغ والهيئات التمثيلية الاخرى لا تملك سلطة فعلية ، فالمناداة بمثل هذه الامور في المانيا ، ودونما ضرورة ايضا ،

انما يعني انتزاع ورقة التين عن الحكم المطلق وتغطية عريه بجسدنا الخاص .

ف. انجلز : « نقد مشروع البرنامج الاشتراكي
الديموقراطي لعام ١٨٩١ » ، في ك. ماركس وف.
انجلز : « نقد برنامجي غونا واربفورت » ،
المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٨٦ .

... ان انكلترا - في أوروبا على الاقل - هي البلد الوحيد الذي
يمكن أن تتحقق فيه الثورة الاجتماعية المحتومة بوسائل سلمية ومشروعة .
ومن المؤكد أنه (ماركس) لم ينس قط أن يضيف انه لا ينتظر البتة من
الطبقات السائدة في انكلترا أن تستسلم لهذه الثورة السلمية . والمشروعة
دون ان تقوم « بعضيان مؤيد للعبودية » * .

ف. انجلز : « مقدمة الطبعة الانكليزية للكتاب
الاول من رأس المال لماركس » ، في ك. ماركس ،
راس المال ، منشورات دار اليقظة العربية ، دمشق ،
الكتاب الاول ، المجلد الاول ، ص : ٣٩ .

يجب ان تكون اهدافنا على قدر كبير من الاتساع بحيث تشمل جميع
اشكال نشاط الطبقة العاملة . اما تخصيصها فمعناه تكييفها مع حاجات
فريق مخصوص من العمال ، او حاجات عمال امة مخصوصة . لكن كيف
يمكن ان ندعو جميع البشر الى الاتحاد في مصلحة بعض الافراد ؟ اذا ما
غامرت رابطتنا بالسير في هذه الطريق ، فسوف تفقد الحق في تسمية نفسها
بالاممية . ان رابطتنا لا تفرض شكلا معيناً على الحركات السياسية ، بل
تتطلب بكل بساطة ان تكون هذه الحركات موجهة نحو هدف واحد . انها
تتألف من شبكة من الرابطات المتحددة تمتد على عالم العمل كله . وفي كل
نقطة من العالم يرتدي هدفنا هذا المظهر المعين أو ذاك ، ويعمل عمال ذلك
المكان على تحقيقه بالطريق التي هي خاصة بهم . ان منظمات العمال لا يمكن

Pro-sloveny - rebell - iom ، بالانكليزية في النص الاصلى .

ان تكون متماثلة بصورة مطلقة في جميع تفاصيلها في نيوكاسل وفي برشلونه، وفي لندرا وفي برلين . ففي انكلترا على سبيل المثال ، تملك الطبقة العاملة الميدان حرا من اجل اظهار قوتها السياسية . ولسوف يكون العصيان جنونا حيث يمكن للتحريض السلمي ان يؤدي الى الهدف نفسه بطريق اسرع واضمن . وفي فرنسا ، فان تعدد القوانين الزجرية والتضاد المميت بين الطبقات يجعلان فيما يبدو امرا لا مفر منه ان تنتهي الحرب الاجتماعية نهاية عنيفة . لكن الطبقة العاملة في هذا البلد تملك وحدها الحق في اختيار الوسيلة التي تخلص بها الى الخاتمة . وان الاممية لتحرض من املاء أي شيء كان في هذا المجال ، بل انه ليكون مما يبعث على الدهشة ان تخاطر باعطاء النصائح . غير انها تظهر تعاطفها مع كل حركة وتمنح معونتها ضمن الحدود التي تعينها فوائدها الخاصة .

النص الاختزالي لحديث ك. ماركس مع مراسل
صحيفة « العالم » ، في ك. ماركس وف. انجلز ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية ، المجلد السابع
عشر ، ص : ٦٣٥ .

يجب على العامل ان يمسك ذات يوم بزمام السيادة السياسية كي
رسي التنظيم الجديد للعمل ؛ يجب عليه ان يطيح بالسياسة القديمة المؤيدة
لمؤسسات القديمة ، والا اصابه ما اصاب المسيحيين القدامى الذين
هملوا وازدروها ، فلم يشاهدوا قط مملكتهم التي من هذا العالم .

لكننا لم نزعم قط ان الوسائل هي متماثلة من اجل بلوغ هذه الغاية .

انا نعرف النصيب الذي يجب ان نعطيه للمؤسسات والعادات
والتقاليد الخاصة بالمناطق المختلفة ؛ ونحن لا ننكر ان هناك بلادا مثل اميركا
وانكلترا ، ولو كنت اعرف مؤسساتكم بصورة افضل لاضفت هولندا ،
حيث يستطيع الشفيلة ان يبلغوا غايتهم بوسائل سلمية . واذا كان هذا
صحيحا ، فيجب ان نعترف ايضا بأن القوة ، في معظم بلدان القارة ، هي

التي يجب أن تكون رافعة ثوراتنا ؛ ان القوة هي ما يجب ان نستنجد به .
لبعض الوقت كيما نقيم مملكة العمل .

ك. ماركس : « مؤتمر لاهاي » ، نشر بالروسية
في ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات الكاملة ،
المجلد الثامن عشر ، ص : ١٥٤ .

ان هولندا هي ، فيما عدا انكلترا وسويسرا ، البلد الوحيد في أوروبا
الغربية الذي لم يكن ملكية مطلقة في القرنين السادس عشر والسابع عشر ،
والذي يملك من جراء ذلك بعض الميزات ، وعلى الاخص بقايا استقلال ذاتي
اداري محلي واقليمي دون بيروقراطية حقيقية بالروح الفرنسية او البروسية .
وتلك ميزة كبرى من اجل تطور الطابع القومي ، وكذلك من اجل التطور
اللاحق ؛ وان في مكنة الشعب العامل ، بعدما يقوم بقدر قليل من التغييرات
نسبيا ، ان يقيم هنا ادارة ذاتية حرة يجب ان تكون افضل أداة لنا من
اجل تحويل أسلوب الانتاج . ولا يوجد شيء من هذا القبيل على الاطلاق لا
في المانيا ولا في فرنسا : لا بد من خلقه بعد .

ف. انجلز : « رسالة الى ف. داميلو -
نيونيهيس ، بتاريخ ٤ شباط ١٨٨٦ » ، مؤلفات
ماركس وانجلز ، برلين ، المجلد الثاني ، ص : ٥٥٦ .

والآن فلنرَ الميثاقيين ، الفئة الناشطة ، من وجهة النظر السياسية ،
من الطبقة العاملة البريطانية . ان النقاط الست من الميثاق الذي يسعون
اليه لا تتضمن شيئا آخر سوى المطالبة بالاقتراع العام وبشروط يصبح هذا
الاقتراع بدونها وهما بالنسبة الى الطبقة العاملة ، كالاقتراع السري مثلا ،
والمجالس التشريعية لأعضاء البرلمان ، والانتخابات العامة السنوية . لكن
الاقتراع العام والسلطة السياسية مترادفان بالنسبة الى الطبقة العاملة
الانكليزية . وبالفعل ، فان البروليتاريين يشكلون الغالبية العظمى من
السكان : ولقد اكتسبوا بفعل حروب اهلية مديدة ، سرية أحيانا ، الوعي

الواضح لوضعهم الطبقي ؛ وأن النواحي الريفية نفسها لاتضم فلاحين بعد الآن ، بل ملاكين عقاريين ، ورأسماليين منتجين (مزارعين) وعمالا مأجورين . وهكذا فان الحصول على الاقتراع العام في أنكلترا سوف يكون نصرا ينطوي على قدر من الروح الاشتراكية أعظم مما في أي اجراء آخر شرف بهذا الاسم في القارة .

ولسوف تكون عاقبته المحتومة السيادة السياسية للطبقة العاملة .

ك. ماركس : « المينافيون » ، المؤلفات السياسية ، منشورات كوست ، باريس ١٩٢٩ ، المجلد الثاني ، ص : ١٨ - ١٩ .

... اذا كانت الثورة الاجتماعية والشيوعية العملية النتيجتين الضروريتين لعلاقتنا الحالية ، فان علينا قبل كل شيء أن نغنى بالتدابير التي نستطيع بواسطتها ان نتقي الاطاحة بالوضع الاجتماعي بصورة عنيفة ودائمة . والحال ان ليس ثمة سوى وسيلة واحدة من اجل ذلك ، ألا وهي اقامة الشيوعية ، أو على الاقل التهيئة السلمية لها. وهكذا فاذا كنا لا نريد حلا دائما للقضية الاجتماعية ، اذا كنا لا نريد أن يبلغ التناقض المتعاضم يوما بعد يوم بين المستوى الذهني والشرط المادي لبروليتارينا نقطة يحل عندها ، وفقا لتجربتنا عن الطبيعة البشرية ، بالقوة الكاسرة واليأس والتعطش الى الانتقام ، اذن ... يجب ان ننحني على القضية الاجتماعية بجد وحياد ؛ يجب ان تقدم مجلوبنا الى تأنيس شروط حياة الرقيق العصري .

ف. انجلز : « خطاب البرفيلد » ، مؤلفات ماركس وانجلز ، برلين ، المجلد الثاني ، ص : ٥٥٦ .

لابد بصورة الزامية ان تأتي الثورة ، وقد فات الاوان حاليا من اجل ايجاد حل سلمي للنزاع ؛ لكنه صحيح أن الثورة يمكن أن تكون أقل عنفا مما تنبأنا به أعلاه . ولسوف يتوقف هذا ، على أي حال ، على تطور

البروليتاريا اكثر مما يتوقف على تطور البورجوازية . وبالفعل ، فبقدر
ما تمتص البروليتاريا عناصر اشتراكية وشيوعية ، فان نسبة الدم المهرق
واعمال الثأر والتوحش في الثورة سوف تتدنى .

ان الشيوعية ، في مبدئها ، تقف فوق الهوة الواقعة بين البورجوازية
والبروليتاريا ؛ وهي تعترف فقط بمفزاها التاريخي في الوقت الحاضر ،
وليس بتبريرها في المستقبل ؛ وانها لتريد على وجه الدقة ان تمد جسرا
فوق هذه الهوة ، ان تقضي على جميع التضادات الطبقيية . وبنتيجة ذلك ،
فمن المؤكد انها تعترف بفضب البروليتاريا ضد مضطهديها على انه ضروري
ما قام ذلك الصراع ، وهي ترى فيه الرافعة الاشد بأسا للحركة العاملة
في **اوائلها** ؛ بيد انها تتجاوز هذا الغضب، لان الشيوعية تمثل قضية الانسانية
بأسرها وليس قضية العمال فقط .

ف. انجلز : **اوضاع الطبقة الكادحة في انكلترا** ،
المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٢٥٩ .

من ١٨ آذار حتى دخول جيوش فرساي الى باريس ، ظلت الثورة
البروليتارية خالصة جدا من اعمال العنف التي تكثر في الثورات ، واكثر
من ذلك في الثورات المضادة « للطبقات العليا » ، بحيث لا يجد خصومها
اي حجة لاطلاق العنان لاستيائهم ...

ك. ماركس : **الحرب الاهلية في فرنسا** ، في ك.
ماركس وف. انجلز ، **المؤلفات المختارة** في مجلدين ،
منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد الاول ،
ص : ٥٤٢ .

كم مرة دعانا البورجوازيون الى التخلي الى الابد عن استخدام
الوسائل الثورية ، والبقاء في حدود الشرعية ، الآن وقد سقط التشريع
الاستثنائي(٢٦) وأعيد القانون المشترك للجميع ، بما فيهم الاشتراكيون !

ومن سوء الحظ أننا لسنا في وضع يسمح لنا بادخال هذا السرور الى قلوب السادة البورجوازيين ، الامر الذي لا يمنع اننا لسنا نحن الذين تقتلنا الشرعية في هذا الوقت . انها تعمل من اجلنا على خير وجه ، بحيث نكون مجانيين اذا خرجنا منها مادامت قائمة . ويبقى ان نعرف ما اذا لن يكون البورجوازيون وحكومتهم هم الذين سيخرجون منها اولا كي يسحقونا نالعرف . وهذا ما نتوقه . اطلقوا النار اولا ، ايها السادة البورجوازيون !

ف. انجلز : « الاشتراكية في المانيا » ، نشر بالروسية في ل.ه. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات الكاملة ، المجلد الثاني والعشرون ، ص : ٢٥٣-٢٥٤ .

ان النضال ضد المستثمرين قد استخرجناه من تجربتنا بالضبط . واذا كان اللوم قد وجه الينا في بعض الاحيان ، فان في مقدورنا ان نقول : « ايها السادة الراسماليون ، انتم المذنبون . لو انكم لم تبدوا مقاومة على هذا القدر من الشراسة ، والجنون ، والسفاهة ، واليأس ، ولو انكم لم تتحالفوا مع بورجوازية العالم اجمع ، فان الثورة كانت ترتدي اشكالا اكثر مسالمة » . واليوم ، وقد حددنا الهجوم الحائق الذي شن علينا من كل حدب وصوب ، فاننا نستطيع ان نتخذ طرائق اخرى ، لاننا لا نعمل على اعتبارنا حلقة ضيقة ، بل على اعتبارنا حزبا يقود ملايين البشر .

ف. لينين : « المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٢١٢ - ٢١٣ .

ان القاعدة هي ان المستثمرين ، الذين احتفظوا طوال سنوات بامتيازات فعلية ضخمة على المستثمرين ، يبدون في كل ثورة مقاومة طويلة ، وعنيدة ، ويائسة . ابدأ - الا في المخيلة المسؤولة لللاحق المعسول كاوتسكي - فن يخضع المستثمرين لارادة غالبية المستثمرين دون ان يستفلوا - في معركة

أخيرة ، يائسة ، في سلسلة من المارك - ما يملكونه من امتيازات .

ف. لينين : الثورة البروليتارية والمرتدكاوتسكي ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن
والعشرون ، ص : ٢٦٢ - ٢٦٣ .

لعل مؤلفينا (٢٧) يتخيلون أن مصالح الثورة الاممية تتطلب تحريضها ،
وان الحرب وحدها يمكن أن تكون هذا المحرض ، بينما السلام على
العكس من ذلك يترك عند الجماهير الانطباع « باقرار شرعية » الامبريالية
حتى درجة ما ؟ إن مثل هذه « النظرية » ستكون في تناقض صارخ مع
الماركسية ، التي أتكرت على الدوام امكانية « تحريض » الثورات ، هذه
الثورات التي تتطور بصورة مطردة مع تفاقم التناقضات الطبقية التي
تولدها . ان تأييد مثل هذه النظرية يضاهاي التأكيد بأن العصيان المسلح
هو شكل نضالي إجباري دائما وفي سائر الظروف . والواقع أن مصالح
الثورة الاممية تتطلب ان تمد السلطة السوفييتية ، وقد أطاحت بالبورجوازية
في بلد معين ، يد المعونة الى هذه الثورة ، لكن باختيارها شكلا للمساعدة
يتناسب مع قواها .

ف. لينين : « امر غريب ومسيخ » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع
والعشرون ، ص : ٦٧ .

ان تطور الثورة السلمي ، كائنة ما كانت هذه الثورة ، هو على العموم
شيء نادر وصعب ، اذ أن الثورة هي التفاقم الاقصى للتناقضات الطبقية
الاشد خطورة ؛ لكن في بلد زراعي ، حيث يمكن لتحالف البروليتاريا وطبقة
الفلاحين ان يعطي السلام للجماهير التي انهكتها الحرب الاشد ظلما والاشد
احراجا ، وان يعطي الارض كلها الى الفلاحين ، في مثل هذا البلد ، في لحظة
تاريخية استثنائية بهذا القدر ، يكون تطور الثورة السلمي ممكنا ومحتملا اذا

ما نقلت السلطة بأسرها إلى المجالس السوفيتية .

ف. لينين : « الثورة الروسية والحزب
الإهلي » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو .
المجلد السادس والعشرون ، ص : ٢٠ .

من المؤكد أن الطبقة العاملة تفضل أن تستلم السلطة بوسائل سلمية
(لقد سبق لنا أن قلنا أعلاه أن هذا الاستلام للسلطة لا يمكن أن يتحقق إلا
من قبل طبقة عاملة منظمة تكون قد اجتازت فترة تعلم الصراع الطبقي) ،
غير أن **التخلي** عن استلام السلطة بالطريق الثورية سيكون **جنونا** من جانب
الطبقة العاملة من وجهة النظر السياسية والعملية ، ويشكل تنازلا
مخجلا للبورجوازية وجميع الطبقات المالكة ، لا أكثر ولا أقل . وأنه لمن
المرجح جدا - وتلك هي الفرضية الأكثر رجحانا - أن البورجوازية لن
ترغب في الإمحاء بصورة سلمية أمام البروليتاريا ، بل هي ستستخدم
العنف ، في اللحظة الحاسمة ، من أجل الدفاع عن امتيازاتها . وعندئذ لن
يبقى أمام الطبقة العاملة ، كي تبلغ غايتها ، وسيلة أخرى سوى الثورة .
وهذا هو السبب في أن برنامج « الاشتراكية العمالية » يتحدث عن الاستيلاء
على السلطة السياسية بعبارة عامة ، دون تحديد الوسيلة من أجل تحقيق
هذا الاستيلاء ، ذلك أن انتقاء هذه الوسيلة رهن بمستقبل من المحال علينا
أن نعيّنه بكل دقة . لكن قصر نشاط البروليتاريا ، مهما تكن الأحوال ،
على « التحويل الديمقراطي » السلمي وحده ، فإن هذا يعني ، ولنكر ذلك ،
تضييق وإذلال فكرة الاشتراكية العمالية بصورة اعتباطية تماما .

ف. لينين : « حركة متفجرة في الاشتراكية
الديموقراطية الروسية » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الرابع ، ص : ٢٨٤ .

امام الديموقراطية الروسية ، وامام المجالس السوفيتية ، وامام
الحزبين الاشتراكي الثوري والمنشعي ، تنفتح اليوم الامكانية النادرة حتى

الدرجة القصوى في تاريخ الثورات ، امكانية تأمين دعوة الجمعية التأسيسية في تاريخ محدد دون معاطلات جديدة ، وامكانية حماية البلاد من كارثة عسكرية واقتصادية ، امكانية تأمين تطور الثورة السلمي .

اذا اخذت المجالس السوفيتية اليوم السلطة في ايديها، بصورة تامة ومانعة، كما تطبق البرنامج المشار اليه اعلاه ، فإن المجالس السوفيتية لا تتضمن اذن فحسب تأييد تسعة اعشار سكان روسيا ، تأييد الطبقة العاملة والغالبية الساحقة من طبقة الفلاحين ؛ بل انها لتضمن ايضا الحماسة الثورية الهائلة للجيش وغالبية السكان ، هذه الحماسة التي يصبح النصر على المجاعة وعلى الحرب مستحيلا بدونها .

لا يمكن اليوم ان تطرح مسألة أية معارضة للمجالس السوفيتية اذا لم تبد ترددات من جانبها . فليس ثمة طبقة تجسر على النهوض ضد المجالس السوفيتية ؛ ان الملاكين العقاريين والرأسماليين ، وقد تعلموا من تجربة كورنيولوف (٢٨) ، سوف يتخلون بصورة رسمية عن السلطة أمام انذار المجالس السوفيتية . وكما تغلب على مقاومة الرأسماليين لبرنامج المجالس السوفيتية يكفي ان تفرض الرقابة على المستثمرين من قبل العمال والفلاحين وأن نعاقب العاصين باجراءات من نمط مصادرة املاكهم ، بالاضافة الى توقيف قصير الامد .

واذا ما اصبحت السلطة بين ايدي المجالس السوفيتية ، فان هذه المجالس تستطيع في الوقت الحاضر - والأرجح أن تلك هي فرصتها الاخيرة - ان تضمن تطور الثورة السلمي ، والانتخاب السلمي لمندوبي الشعب ، ووضع برنامج الاحزاب المختلفة موضع الاختبار في الممارسة ، وانتقال السلطة السلمي من حزب الى آخر .

اذا افلتنا هذه الامكانية ، فان كل مجرى تطور الثورة ، منذ حركة العشرين من نيسان حتى مغامرة كورنيولوف ، يشير الى ان الحرب الاهلية

الاشد ضراوة محتومة بين البورجوازية والبروليتاريا . وان الكارثة التي لا مفر منها سوف تقرّب هذه الحرب . واذا حكمنا بالاستناد الى جميع المعطيات والاعتبارات التي في متناول الفكر الانساني ، فان هذه الحرب ستؤول الى نصر الطبقة العاملة التام ، بفعل التأييد الذي ستقدمه اليها طبقة الفلاحين الفقراء كيما تحقق البرنامج المعروض . لكن هذه الحرب يمكن ان تكون حربا قاسية ، دموية ، ويمكن ان تكلف حياة عشرات الالوف من الملاكين العقاريين ، والراسماليين ، والضباط الذين يقترنون بقضيتهم . ان البروليتاريا لن تتراجع امام اية تضحية كي تنقذ الثورة ، الامر المحال بصورة خارجة عن البرنامج المعروض اعلاه . لكن البروليتاريا ستدعم دونما تحفظ المجالس السوفييتية اذا ما جربت هذه المجالس الفرصة الاخيرة من اجل ضمان تطور الثورة السلمي .

ف. لينين : « مهمات الثورة » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السادس
والعشرون ، ص : ٦١ - ٦٢ .

... ان الوضع السياسي الراهن في روسيا ، بعد الرابع من تموز ، يختلف بصورة جذرية عن الوضع الذي عرفناه من ٢٧ شباط حتى ٤ تموز (٢٩) .

ففي هذه المرحلة ، في سياق هذه المرحلة التي تم تجاوزها من الثورة ، كان يسود في البلاد ما سمي « ثنائية السلطات » ، وهو تعبير مادي وصوري في الوقت نفسه عن الوضع الغامض والانتقالي الذي كانت سلطة الدولة واقعة فيه . ولا ننسى ان مسألة السلطة هي المسألة الاساسية لكل ثورة

كانت السلطة اذن في توازن مقلقل . وكانت الحكومة المؤقتة والمجالس السوفييتية تتقاسمها بفعل اتفاق تم قبوله بكل حرية . وكانت المجالس السوفييتية مؤلفة من مندوبي كتلة العمال والجنود الاحرار ، يعني غير الخاضعين لاي الزام خارجي ، والمسلحين . فالسلاح في ايدي الشعب ،

وانعدام أي الزام خارجي يثقل على الشعب . ذلك كان جوهر الامور . وهذا ما كان يتيح ويضمن التطور السلمي لأي ثورة . وكان شعار : « كل السلطة للمجالس السوفيتية » هو شعار المرحلة التالية ، شعار اول خطوة ينبغي تحقيقها في هذه الطريق السلمية للتطور . كان ذلك هو شعار تطور الثورة السلمية، الممكن ، والمرغوب فيه بصورة طبيعية، من ١٧ شباط الى تموز ، وقد بات الآونة مستحيلا بصورة مطلقة .

ف. لينين : « بخصوص الشعارات » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الخامس والعشرون ، ص : ١٩٨ - ١٩٩ .

ان هذا الرجل الشجاع العزيز ، والارجح انه افضل ارباب العائلات ، وأخلص المواطنين، وأصدق قارئ وكاتب للمؤلفات العاملة ، قد غابت عن باله هذه الترهة تماما : لقد نسي أن مثل هذا الانتقال الى الاشتراكية ، « المحكم » و « المنتظم » (ومن المؤكد انه الانتقال الافضل بالنسبة الى « الشعب » ، اذا شئنا أن نتحدث بعبارة مجردة) يفترض الاستقرار المطلق لانتصار البروليتاريا ، ومن جانب الرأسماليين وضعا يائسا بصورة مطلقة ، ضرورة الخضوع بصورة مطلقة بالنسبة اليهم ، والرغبة في الخضوع بصورة دقيقة جدا .

يمكن لمثل هذا الاتفاق في الظروف ان يكون ممكنا ؟

نظريا ، يعني في هذه المناسبة بصورة مجردة تماما ، يجب ان نجيب بالايجاب : من المؤكد أن نعم . فلنقبل على سبيل المثال انه حدث في تسعة بلاد ، بما فيها الدول الكبرى ، أن أمثال ويلسون ، ولويدجورج، وميلوران ، وغيرهم من ابطال الرأسماليين ، هم في مثل الاوضاع التي انتهى اليها ايودينيتش وكولتشاك ودينيكين ووزراؤهم عندنا . ولنقبل انه حدث بعد ذلك ، في البلد الصغير العاشر ، أن الرأسماليين عرضوا على العمال الاقتراح

التالي : حسنا ، سوف نساعدكم بكل إخلاص ، بخضوعنا لقراراتكم ، في تحقيق اغتصاب «المفتصبين» «اغتصابا منتظما» وسلميا (دون تدميرات!) : سوف نسلم في السنة الاولى ٥ / ٩ مداخيلنا القديمة ، وفي السنة الثانية الاتساع الاربعة الاخرى .

اننا نتصور جيدا أن رأسماليي الدولة العاشرة ، وهي من أصغر الدول وأكثرها «مسألة» ، سوف يقدمون هذا الاقتراح في هذه الظروف ، وأنه لن يعود على العمال أي ضرر إذا هم درسوه عمليا وقبلوه (ليس دون بعض المساومة : فالتاجر لا يمكن أن يتوانى عن الاشتطاط بالسعر) .

ف. لينين : « ملاحظات ناشر » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٢٧٢ .

فكروا فيما قاله ماركس .

كان المقصود انكثرا في السبعينات ، في أوج الرأسمالية قبل الاحتكارية ، البلد الذي كان وقتذاك أقل البلاد عسكرية وأقلها بيروقراطية ، البلد الذي كان يوفر في ذلك العصر اكبر الامكانيات فيما يتعلق بانتصار الاشتراكية « السلمي » على شكل « تصفية » البورجوازية من قبل العمال . وكان ماركس يقول أن العمال ، في ظروف معينة ، لن يمتنعوا مطلقا عن اتخالص مع البورجوازية . لم يكن ماركس يقيد يديه ولم يكن يضع العثرات مطلقا في طريق الصناع الاتين للثورة الاشتراكية بشأن الاشكال والعمليات والطرائق الخاصة بالثورة ، مدركا على خير وجه ان قضايا جديدة وعديدة سوف تنبثق في هذه المرحلة ، وان الوضع سوف يتغير تغيرا تاما في سياق الثورة ، وأنه سيواصل التغير غالبا وحتى درجة كبيرة بصورة مطردة مع تقدم الثورة .

لكن ليس من الجلي اننا نشاهد ، في روسيا المجالس السوفيتية ،

بعد استلام السلطة من قبل البروليتاريا ، وبعد قمع مقاومة المستثمرين المسلحة واعمالهم التخريبية ، أنه تتحقق بعض الشروط من تلك الشروط التي كان يمكن ان تتحقق قبل نصف قرن في انكلترا لو ان هذا البلد أخذ يتطور بصورة سلمية نحو الاشتراكية .

ف. لينين : « عن » طفولية « اليسار والافكار
البرجوازية الصغيرة » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ،
ص : ٣٥٩ .

خصائص الثورة الاشتراكية في روسيا

اننا نقامر ، اذا جاز لنا مثل هذا التعبير ، على الثورة الاممية ، وقد تأكد هذا كل التأكيد اذا أخذنا الامور بعين الاعتبار في مجموعها . بيد أننا عرفنا ، فيما يتعلّق بسرعة تطور هذه الثورة ، مرحلة عسيرة بصورة مخصوصة ، وقد تعلمنا نحن انفسنا من التجربة أن تطور الثورة في البلدان الاكثر تقدما قد كان ابطأ بكثير ، وأصعب بكثير ، وأعقد بكثير . ولا يمكن لهذا الامر ان يدهشنا لانه كان من الاسهل جدا - وهذا امر طبيعي - على بلد مثل روسيا ان تباشر الثورة الاشتراكية منه على البلدان الاكثر تقدما . لكن مهما يكن من أمر ، فان هذا التطور الاكثر تمهلا ، والاشد تعرجا ، والاعظم تعقيدا ، للثورة الاشتراكية في أوروبا الغربية قد فرض علينا مصاعب لا تصدق مطلقا .

ف. لينين : « المؤتمر السابع للمجالس السوفيتية
في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الثلاثون ، ص ٢١٠ .

ان كل خطورة الثورة الروسية تنشأ من ان مباشرتها كانت أسهل على الطبقة العاملة الثورية في روسيا منها على الطبقات العاملة في البلدان

الغربية ، لكن من الاصعب علينا جدا مواصلتها . فمباشرة الثورة هناك ،
في بلدان اوروبا الغربية امر أشق ، لأن تقدم الحضارة يقف ضد البروليتاريا
الثورية ولأن الطبقة العاملة خاضعة لعبودية ثقافية .

ف. لينين : « الاجتماع الرابع لتقابات ولجان
المامل والمصانع في موسكو » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ،
ص : ٤٩٤ .

أكانت البروليتاريا عندنا تملك القوة الاخلاقية الضرورية لولا عطف
عمال البلدان المتقدمة ، الذين كانوا يؤيدوننا بالرغم من الاكاذيب التي كان
الامبرياليون ينشرونها بملايين النسخ عن سلطة المجالس السوفييتية ،
وبالرغم من جهود « الزعماء العماليين » المناشقة والاشتراكيين الثوريين
الذين كان يجب ان يخربوا وكانوا يخربون نضال العمال في مصلحتنا ؟ ان
البروليتاريا عندنا ، الضعيفة لانها قليلة العدد ، والمنهكة بفعل الادواء ،
والحرمانات ، قد انتصرت ، قوية بذلك التأيد ، بفضل قوتها الاخلاقية .

ف. لينين : « خطاب في مؤتمر عمال النقل في
روسيا ، بتاريخ ٢٧ آذار ١٩٢١ » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني
والثلاثون ، ص : ٢٩٢ .

اولاً - كانت الثورة مرتبطة بالحرب الامبريالية العالمية الاولى . وكان
لابد في مثل هذه الثورة ان تتظاهر سمات جديدة ، او على الاقل سمات
معدلة من جراء هذه الحرب بالضبط ، لأنه لم تقع من قبل قط ، في العالم ،
مثل هذه الحرب في شروط مماثلة . واليوم ايضا ، بعد هذه الحرب ،
لا تستطيع بورجوازية البلدان الاغنى ان تعيد العلاقات البورجوازية
« الطبيعية » . ولكن اصلاحيينا ، هؤلاء البورجوازيين الصغار الذين كانوا
يزعمون انفسهم ثوريين - قد كانوا يقدرون ولا يزالون يقدرون ان العلاقات

البورجوازية الطبيعية تشكل حدا (لا يمكن تجاوزه) ، وهم يتصورون هذه « القاعدة » بمعنى مبتدل وضيق حتى الدرجة القصوى .

ثانياً - انهم يجهلون جهلاً مطلقاً ان انتظام التطور العام في التاريخ العمومي لا بعد ما يكون عن ان ينفي ، بل هو على العكس من ذلك يتضمن بعض المراحل التي تبدي بعض الخصائص سواء في شكل هذا التطور ام في ترتيبه . بل انه لا يخطر على بالهم ، على سبيل المثال ، ان روسيا ، الواقعة بين بلدان متحضرة وبلدان قادتها هذه الحرب ، للمرة الاولى ، الى الحضارة بصورة نهائية ، يعني الشرق بأسره ، البلدان خارج الاوروبية ، ان روسيا تستطيع ويجب عليها بنتيجة ذلك ان تبرز بعض السمات المخصوصة ، المخطوطة بكل تأكيد في الاطار العام للتطور العالمي ، لكن الميزة لثورتها هي من جميع الثورات السابقة في أوروبا الغربية ، والآتية ببعض التجديدات الجزئية حالما يتعلق الامر بالبلدان الشرقية .

وهكذا فانهم يستنجدون بحجة مبتذلة حتى الدرجة القصوى حفظوها عن ظهر قلب في سياق تطور الاشتراكية الديموقراطية الغربية ، وهي تستقيم في القول باننا لما نضع من اجل الاشتراكية ، وباننا لا نملك ، حسب تعبير البعض من بين شخصياتهم « العليمة » ، المقدمات الاقتصادية الموضوعية من اجل الاشتراكية . ولا يخطر في ذهن اي منهم ان يتساءل : الا يمكن لشعب موضوعي اوضاع ثورية، كذلك الاوضاع التي مثلت ابان الحرب الامبريالية الاولى . ان يرمي بنفسه ، في مواجهة وضع لا منفذ له ، في صراع يفتح له ولو بعض الفرص من اجل الفوز بشروط ليست بمألوفة كل اللفة من اجل تقدم الحضارة ؟

« ان روسيا لم تبلغ درجة تطور القوى الانتاجية الضرورية لإقامة الاشتراكية » . ان هذه الموضوعية يلوح بها جهاراً جميع فرسان الاممية الثانية ، بما فيهم سوخانوف طبعاً . وانهم ليكررون بمختلف النغمات هذه

الموضوعة التي لا جدال فيها ويعتقدون انها جازمة بالنسبة الى تقدير ثورتنا .

اجل ، لكن اذا كان اتفاق فريد في الظروف قد جرف روسيا باديء الامر في الحرب الامبريالية العالمية حيث انخرطت جميع البلدان الاوروبية التي تملك بعض النفوذ ؛ واذا كان قد وضع تطورها عند تخوم الثورات الوليدة والثورات التي بدئت من قبل بصورة جزئية في الشرق ، في شروط تتيح لنا ان نحقق على وجه الدقة هذا الاتحاد بين « الحرب الفلاحية » والحركة العاملة ، الذي كان « ماركسي » مثل ماركس يعتبره عام ١٨٥٦ على انه احد المنظورات الممكنة بالنسبة الى بروسيا ؟

واذا كان الوضع الذي لا منفذ له على الاطلاق ، اذ ضاعف عشر مرات قوى العمال والفلاحين ، قد قدم لنا امكانية التصدي لخلق المقدمات الاساسية للحضارة بصورة مغايرة لما فعلته جميع دول أوروبا الغربية الاخرى ؟ هل تعدل الخط العام لتطور التاريخ العمومي من جراء هذه الواقعة ؟ هل تعدلت العلاقات الاساسية للطبقات الرئيسية في كل من الدول المنجرفة او التي انخرفت في الحركة العامة للتاريخ العمومي من جراء هذه الواقعة ؟

اذا كان لا بد ، في سبيل خلق الاشتراكية ، من بلوغ مستوى معين من الحضارة (بالرغم من أن احداً لا يستطيع ان يقول على وجه الدقة ما هو هذا « المستوى المعين من الحضارة » ، ذلك انه يختلف في كل دولة من الدول الغربية) ، فلماذا لا نبدأ أولاً بأن نستولي ثورياً على الشروط المسبقة لهذا المستوى المعين كما نباشر التحرك فيما بعد ، ونحن اقوياء بسلطة عمالية وفلاحية وبالنظام السوفييتي ، نحرك ونلتحق بالشعوب الاخرى ؟

ف. لينين : « عن ثورتنا » ، المؤلفات الكاملة ،

باريس - موسكو ، المجلد الثالث والثلاثون ؛

ص : ٤٩٠ - ٤٩٢ .

... يجب أن نعمل على تفادي نوعين من الاخطاء المناطة ، كلا على طريقتها الخاصة ، بالروح البورجوازية الصغيرة ... فنحن نرتكب من جهة واحدة خطيئة لا تصح باعلاننا انه لما كان عدم التناسب بين « قوانا » الاقتصادية وقوتنا السياسية حقيقة مقررة ، فانه « يترتب على » ذلك انه ما كان ينبغي لنا ان نستلم السلطة . تلك محاكمة جديرة « بممسوسين يعيشون في القطن » ، ينسون انه لن يكون ثمة « تناسب » قط ، انه لا يمكن ان يكون تناسب لا في تطور الطبيعة ولا في تطور المجتمع ، وان الاشتراكية المكتملة لا يمكن ان تنتج التعاون الثوري بين بروليتاريي جميع البلدان ، وفي اعقاب محاولات عديدة ستكون كل محاولة منها وحيدة الجانب اذا ما اخذت بعين الاعتبار بصورة منعزلة وتعماني من بعض عدم التناسب . ومن جهة اخرى ، فانه سيكون من الخطأ العميق ان نترك المجععين والمتحذلقين على هواهم ، هؤلاء الذين يعتبرون بالمواقف الثورية « الجميلة » ، لكنهم عاجزون عن عمل ثوري صبور ، رزين ، موزون بصورة ناضجة ، يأخذ بعين الاعتبار الانتقالات الاشد عسراً .

ف. لينين : « من طفولية « اليسار » والانكار البورجوازية الصغيرة » ، المؤلفات الكاملة ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٣٦١ .

× كل من يستدير عن الثورة الاشتراكية الجارية في روسيا ، متذرعاً بتباين القوى الظاهر ، لهو أشبه بمومياء ، أشبه برجل متحجر لا يرى أبعد من ارنبة أنفه ، وقد نسي أن اعطافاً تاريخياً يتحلى ببعض الاهمية لا يحدث دون تذبذبات في نسبة القوى . أن القوى تكبر في سياق النضال بالذات ، بقدر ما تتطور الثورة . وحين يدخل بلد في طريق التحولات العظيمة ، فان فضل هذا البلد وحزب الطبقة العاملة التي انتصرت فيه هو عملياً أنسأ تصدينا للمهمات التي كانت حتى ذلك الحين تطرح بطريقة تجريدية ونظرية . ولن تنسى هذه التجربة . ان هذه التجربة التي حصل عليها

العمال الذين تجمعوا حاليا في النقابات والمنظمات المحلية والذين تصدوا لأن ينظموا عمليا جماع الانتاج على النطاق الوطني ، هذه التجربة .. يمكن ان تمحي ، مهما تكن أليمة تقلبات الثورة الروسية والثورة الاشتراكية الاممية . لقد دخلت التاريخ على انها فوز للاشتراكية ، وان الثورة الاممية المقبلة ستشيد بناءها الاشتراكي على هذه التجربة بالدات .

ف. لينين : « خطاب القى في المؤتمر الاول للمجالس الاقتصادية الوطني بتاريخ ٢٦ ايار ١٩١٨ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع .
العشرون ، ص : ٤٣٨ - ٤٣٩ .

x مما لا يطاله الشك انه لا يمكن تحقيق الثورة الاشتراكية في بلد نتألف فيه الغالبية العظمى من السكان من منتجين زراعيين صغار الا بواسطة سلسلة من الاجراءات الانتقالية الخاصة ، العديمة الجدوى كليا في البلدان الرأسمالية المتطورة حيث العمال المأجورون الصناعيون والزراعيون يشكلون الاغلبية الساحقة . فقد تشكلت في هذه البلدان ، في سياق عشرات السنين ، طبقة من العمال المأجورين الزراعيين . وان هذه الطبقة وحدها تستطيع ان تأتي بتأييد اجتماعي واقتصادي وسياسي في الانتقال المباشر الى الاشتراكية . ولا يكون الانتقال المباشر من الرأسمالية الى الاشتراكية دون اجراءات انتقالية خاصة على نطاق الدولة ممكناً الا في البلدان حيث تطورت هذه الطبقة بصورة كافية . ولقد اكدنا في كثير من المؤلفات ، وفي جميع مداخلتنا ، وفي الصحافة بأسرها ، أن الوضع مختلف في روسيا : فالعمال الصناعيون اقلية ، والمزارعون الصغار هم الاغلبية الساحقة . ولا يمكن للثورة الاشتراكية ان تنتصر بصورة حاسمة في هذا البلد الا بشرطين . اولاً اذا دعمت في الوقت المناسب بثورة اشتراكية في بلد واحد او عدة بلدان متقدمة . وكما تعرفون ، فقد عملنا أكثر جداً من ذي قبل كي نضمن هذا الشرط ، لكن قليلاً جداً كما يصبح حقيقة واقعة .

والشرط الثاني هو التفاهم بين البروليتاريا التي تمارس دكتاتوريتها
باحفاظها بسلطة الدولة ، وغالبية السكان الفلاحين . وان التفاهم فكرة
عريضة جدا تتضمن عددا من القياسات والتدرجات ...

... انا نعرف أن التفاهم مع طبقة الفلاحين يستطيع وحده أن
ينقذ الثورة الاشتراكية في روسيا ، طالما أن الثورة لم تندلع في البلدان
الأخرى .

ف. لينين : المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي
(البلشفي) في روسيا « ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص :
٢٢٢ - ٢٢٥ .

خلال الأشهر الأولى التي أعقبت الاستيلاء على السلطة السياسية من
قبل البروليتاريا في روسيا (٢٥ تشرين الأول - ٧ تشرين الثاني ١٩١٧) ، كان
يمكن أن يتراءى أن الفوارق البارزة جدا بين هذا البلد المتخلف والبلدان
المتقدمة في أوروبا الغربية يمكن أن يجعل ثورة البروليتاريا فيه مختلفة
جدا عن ثورتنا . وانه لفي جمعتنا اليوم تجربة أممية لا يستهان بها تثبت
بكل يقين أن بعض سمات ثورتنا الأساسية لا تتحلّى بمدى محلي ، ولا
قومي بصورة مخصوصة ، ولا روسي فقط ، بل أممي تماما . ولا اتحدث
هنا عن المدى الأممي بمعنى الكلمة الواسع : فليس المقصود بعض السمات ،
بل أن جميع السمات الأساسية ، وكذلك سمات ثانوية عديدة من ثورتنا ، تملك
مدى أممي بمعنى أنها تمارس فعلا على جميع البلدان . لا ، بل بمعنى
الكلمة الأضيق ، يعني أننا نقصد من المدى الأممي القيمة الأممية أو التكرار
التاريخي الحتمي ، على النطاق العالمي ، لما جرى عندنا ، فبهذا المعنى تملك
بعض سمات ثورتنا الأساسية ذلك المدى .

ومن المؤكد أننا نرتكب خطأ فادحا إذا بالغنا في هذه الحقيقة ، إذا
قصدناها فيما وراء بعض سمات ثورتنا الأساسية . وانا لنرتكب خطأ

كذلك اذا غاب عن نظرنا انه سيحدث ، حسب كل الاحتمالات ، تغيير مفاجيء بعد انتصار الثورة البروليتارية ، حتى اذا لم تحدث الا في بلد واحد من البلدان المتقدمة ، الا وهو ان روسيا سوف تعود من جديد ، بعد ذلك الانتصار بوقت قصير ، لا بلداً مثاليا ، بل بلداً متأخراً (من وجهة النظر « السوفييتية » والاشتراكية) . . .

. . . ان المثال الروسي يبين لجميع البلدان شيئاً أساسياً كلياً من مستقبلهم الحتمي والقريب . ولقد فهم العمال المتقدمون لجميع البلدان هذا الشيء منذ زمن طويل ، لكنهم في أغلب الاحيان لم يفهموه بقدر ما استثمروه بغريزتهم الطبقيّة الثورية . ومن هنا كان « المدى » الاممي (بمعنى الكلمة الضيق) لسلطة المجالس السوفييتية ، وكذلك لمبادئ النظرية والتكتيك البلشفيين .

ف. لينين : مرض الشيوعية الطفولي
(« اليسارية ») ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ١٥-١٦ .

عن امكانية انتصار الثورة الاشتراكية في البلدان المتخلفة

. . . انه لمن المحال تاريخياً ان يكون على مجتمع يقف في ادنى درجة من التطور الاقتصادي ان يحل المهمات والنزاعات التي انبثقت وما كان يمكن ان تنبثق الا في مجتمع بلغ درجة عليا من التطور . ان جميع أشكال المشاعية البدائية التي ظهرت قبل الانتاج التجاري والمبادلات الخاصة تشارك مع المجتمع الاشتراكي المقبل في هذا الامر فقط ، الا وهو ان بعض الاشياء ، وسائل الانتاج ، هي ملكية وانتفاع جماعيان لبعض الجماعات . ومهما يكن من شيء ، فإن هذه الملكية المشاعية لا تكفي لوحدها كي تجعل الشكل الاجتماعي الادنى قميئاً بانجاب المجتمع الاجتماعي المقبل الذي هو المنتج الاخير للمجتمع الرأسمالي ، المولود منه . ان كل تشكيل اجتماعي واقتصادي معين يجب

ان يحل مهامه الخاصة ، تلك المهام التي تطرح في اطاره ؛ اما التصدي لحل مهام تطرح على تشكيل آخر ، مختلف كليا ، فذلك عبث خالص ...

وبالمقابل ، فانه ليس ممكنا فحسب ، بل لا مجال للشك مطلقا في أن البلدان التي لم تنجح الا حديثا في الانخراط في طريق الانتاج الراسمالي والتي تقوم فيها بعد المؤسسات العشائرية او بقايا من هذه المؤسسات تستطيع ، بعد انتصار البروليتاريا وتسليم وسائل الانتاج للملكية الجماعية لشعوب أوروبا الغربية ، أن تستخدم تلك البقايا للملكية الجماعية ، وكذلك العادات الشعبية المقابلة لها ، على أنها أدوات قوية تتيح لها ان تختصر حتى درجة كبيرة عملية تطورها نحو المجتمع الاشتراكي وان تتفادى القسم الاكبر من العذابات ومن الصراعات التي كان لابد لاوروبا الغربية ان تجتازها . غير ان الشرط الذي لا غنى عنه يظل القدوة والدعم الفعال من جانب الغرب الذي لا يبرح رأسماليا بعد حتى اليوم . وحين يتم القضاء على الاقتصاد الراسمالي في وطنكم الخاص وكذلك في البلاد حيث بلغ اوجهه، وحين تشاهد البلدان المتخلفة ، بقوة هذه القدوة ، « كيف يتم ذلك » ، كيف تضع ، بصفة الملكية الجماعية ، القوى الانتاجية للصناعة الحديثة في خدمة المجتمع بأسره ، عندئذ فقط تستطيع هذه البلدان المتخلفة ان تنخرط في طريق مثل هذه العملية المختصرة للتطور . لكن النجاح ، بالمقابل ، مضمون لها بصورة مسبقة .

ف. انجلز : « خاتمة ومؤلف في المسألة الاجتماعية في روسيا » ، في ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية ، المجلد الثالث والعشرون ، ص : ٤٤٥ - ٤٤٦ .

اذا كان حل التناقضات بمساعدة تنظيم جديد للمجتمع يفترض كشرط لا غنى عنه ، في الغرب ، اقامة ملكية المجتمع بأسره على جميع وسائل الانتاج ، وبالتالي على الارض ، فما هي العلاقة التي تقوم اذن بين الملكية

الجماعية الموجودة سلفا ، او بصورة ادق القائمة بعد في روسيا ، وهذه الملكية المشاعية التي لا يزال من الواجب بعد خلقها بأكملها في الغرب ؟ أفلا يمكن ان تخدم كنقطة انطلاق لحركة شعبية تحول ، وقد قفزت من فوق المرحلة الرأسمالية بأسرها ، الشيوعية الفلاحية الروسية الى ملكية جماعية اشتراكية حديثة لجميع وسائل الانتاج ، وهي تغنيها في الوقت نفسه بجميع الانتصارات التقنية للعصر الرأسمالي ؟

... أما أننا نستطيع أن نطرح على العموم مسألة معرفة ما اذا كان مصير آخر ، مصير أفضل ينتظر الجماعة الروسية ، فهذا ما يجب الانبحث عن سببه في هذه الجماعة بالذات ، بل في الحقيقة التالية ، الا وهي انها احتفظت حتى الآن ، في بلد اوروبي ، بدينامية نسبية، بينما نجد في أوروبا الغربية انه لا الانتاج التجاري على العموم فقط ، بل شكله الاعلى والاخير ايضا - الانتاج الرأسمالي - قد دخل في تناقض مع القوى الانتاجية التي خلقها هو نفسه ، والتي يتبين انه عاجز عن التحكم فيها بعد الآن ، وهو يفنى من جراء هذه التناقضات الباطنة والنزاعات الطبقيّة التي تستتبعها . وان هذا وحده ليبين لنا أن مبادرة مثل هذا التحويل للجماعة الروسية لا يمكن بصورة مائة أن تصدر الا عن البروليتاريا في الغرب وليس عن الجماعة نفسها . ان انتصار البروليتاريا في الغرب على البورجوازية وما يترتب على ذلك من الاستعاضة عن الانتاج الرأسمالي بانتاج مسير بصورة جماعية ، هذا هو الشرط الاولي الذي لا غنى عنه كي تبلغ الجماعة الروسية مثل هذه الدرجة من التطور .

ف. انجلز : « خاتمة مؤلف في المسألة الاجتماعية في روسيا » ، في ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية ، المجلد الثماني والعشرون ، ص : ٤٤٣ - ٤٤٤ .

مما لا ريب فيه ان الجماعة ، والتعاونية حتى درجة ما ، تتضمنان بدورا كان يمكن ، في ظروف معينة ، تطويرها بحيث توفر عن روسيا ضرورة المرور بعدابات النظام الرأسمالي . اني اوافق كليا على رسالة مؤلفنا* بشأن جوكوفسكي . . . كان مؤلفنا يعلن ما يلي ، في مقدمة ما الى بيان قديم ما** ، في كانون الثاني ١٨٨٢ ، جوابا على مسألة معرفة ما اذا كانت الجماعة الروسية تستطيع ان تكون نقطة الانطلاق من اجل الانتقال الى مستوى اجتماعي أعلى : اذا كان تحويل النظام الاقتصادي في روسيا يتطابق مع تحويل يجري في الغرب ، بحيث يتكاملان ، فان النظام الروسي الحالي لحيازة الارض يمكن ان يصبح نقطة الانطلاق لتطور اجتماعي جديد .

ف. انجلز : « رسالة الى ن. دانيلسن ، بتاريخ ٢٤ شباط ١٨٩٣ » . رسائل كارل ماركس وفريدريك انجلز الى دانيلسن (نيكولاي) . لايبزغ ، ص : ١٧٠ .

ان الإرتيل شركة تعاونية نشأت بصورة عفوية ، وهي نتيجة ذلك قليلة التطور جدا بعد ، وبهذه الصفة فهي ليست روسية بصورة مانعة ، او حتى سلافية . ان شركات مماثلة تتشكل في كل مكان تنشأ فيه الحاجة اليها : في سويسرا في الصناعة اللبنية ، وفي انكلترا في الصيد ، حيث هي شديدة التنوع ايضا . ان الردامين في سيليزيا (الالمان لا البولونيين) الذين بنوا بعد ١٨٤٠ الكثير من خطوط السكك الحديدية الالمانية ، قد كانوا منظمين في ارتيلات حقيقية . وان تفوق هذا الشكل في روسيا يبرهن ، من دون ريب ، على وجود ارادة كبيرة في التشارك عند الشعب الروسي ، لكن لا يبرهن مطلقا على أن هذا الشعب قادر ، بفضل هذه الارادة ، على القفز مباشرة من الارتيل الى المجتمع الاشتراكي . ان مثل هذا الانتقال يتطلب بالضرورة ، بادئ ذي بدء ، أن يصبح الارتيل نفسه قادرا على التطور ، وأن يتجرد عن شكله العفوي الذي يخدم فيه - كما رأينا - العمال أقل

* كارل ماركس (ملاحظة من الناشر) .

** بيان الحزب الشيوعي (ملاحظة من الناشر) .

مما يخدم الرأسمال ، ويرتفع ولو الى مستوى الشركات التعاونية في أوروبا الغربية .

ف. انجلز : « نصوص الاغتراب » ، مؤلفات
ماركس وانجلز ، برلين ، المجلد الثامن عشر ، ص :
٥٦١ - ٥٦٢ .

... ان الملكية الجماعية في روسيا قد اجتازت منذ زمن طويل مرحلتها الانطلاقية وهي تتجه ، كما تشير سائر الظواهر بيقين ، نحو انحلالها . وانه لتتوفر على اي حال امكانية لا جدال فيها لتحول هذا الشكل الاجتماعي الى شكل اعلى اذا ما ظلت قائمة حتى تصبح الشروط ناضجة من اجل ذلك ، واذا اثبتت انها قادرة على التطور بحيث لا يزرع الفلاحون الارض بعد الان بصورة منفردة ، بل بصورة مشتركة ... ولن يضطر الفلاحون الروس ، في سبيل بلوغ هذا الشكل الاعلى ، الى المرور بالمرحلة المتوسطة للانتاج الجزا البورجوازي . لكن هذا لا يمكن ان يحدث الا اذا انتصرت ثورة بروليتارية في أوروبا الغربية حتى قبل التفتت التام للملكية الجماعية ، وهي ثورة ستزود الفلاح الروسي بالشروط التي لا غنى عنها من اجل ذلك التحول ، وعلى الاخص الشروط المادية كي يستطيع هذا الفلاح ان يحقق اعادة الصهر الذي سيترتب على ذلك بالضرورة في جماع نظامه الزراعي .

ف. انجلز : « نصوص الاغتراب » مؤلفات
ماركس وانجلز ، برلين ، المجلد الثامن عشر ،
ص : ٥٦٥ .

ان الاشتراكية الصينية يمكن ان تكون بالمقارنة مع الاشتراكية الاوروبية كما هي الفلسفة الصينية بالمقارنة مع الفلسفة الهغلية . ومع ذلك فان من الحقائق الباعثة على الرضا ان رزم الاقمشة التي أرسلتها البورجوازية الانكليزية قادت ، خلال ثماني سنوات ، اقدم واثبت امبراطورية

على سطح الارض حتى عتبة الانقلاب الاجتماعي ، هذا الانقلاب الذي ستكون له على اية حال عواقب بعيدة المدى بالنسبة الى الحضارة . وحين يصل رجبونا الاوروبيون، في اندفاعهم القريب عبر آسيا ، الى جدار الصين في آخر المطاف ، ويقفون عند البوابات التي تؤدي الى افضل معاقل الرجعية ونزعة المحافظة ، فلعلهم يصادفون هناك هذه العبارة :

الجمهورية الصينية

حرية ، مساواة ، إخاء .

ك. ماركس وف. انجلز : « الاستعراض الاممي الاول » ، في ك. ماركس وف. انجلز : في الاستثمار، منشورات دار دمشق ، ص : ١٦

ان معظم شعوب الشرق هي في وضع اسوأ من وضع روسيا ، البلد الاكثر تخلفا في أوروبا ؛ غير اننا نجحنا في تجميع الفلاحين والعمال الروس في النضال ضد بقايا الاقطاعية والراسمالية ، واذا كان نضالنا على هذا القدر من السهولة ، فلأن الفلاحين والعمال قد اتحدوا ضد الراسمال والاقطاعية . ان الارتباط مع شعوب الشرق ذو أهمية خاصة هنا ، ذلك ان معظم هذه الشعوب هي المثلة النموذجية للطبقات الكادحة ، ليس للعمال الذين مروا بمدرسة المعامل والمصانع الراسمالية ، بسل المثلة النموذجية لكتلة عاملة ومستثمرة من الفلاحين الراحين تحت نير وسيطي، ولقد بينت الثورة الروسية أن البروليتاريين المتحدين مع الملايين من الفلاحين الشفيلة المبعثرين ، بعدما هزموا الراسمالية ، قد ثاروا ضد هذا الاضطهاد الوسيطي وانتصروا . ويجب على جمهوريتنا السوفيتية ان تجمع الآن حوايلها جميع شعوب الشرق التي هي في سبيلها الى اليقظة ، كيما تخوض معها النضال ضد الامبريالية الدولية .

وهنا تترتب عليكم مهمة لم تترتب بعد على شيوعيين العالم اجمع :

ينبغي لكم ، على اساس النظرية والممارسة العامتين للشيوعية ، وبالتكليف مع الشروط النوعية غير المتوفرة في البلدان الاوروبية ، ان تتعلموا ان تطبقوا هذه النظرية وهذه الممارسة هناك حيث تشكل طبقة الفلاحين الكتلة الرئيسية ، وحيث المقصود هو النضال لا ضد الراسمال ، بل ضد بقايا العصر الوسيط . وتلك مهمة صعبة واصيلة ، لكنها خصبة بصورة مخصوصة ، ذلك ان كتلة لم تسهم في النضال بعد تنجرف فيها . ومن جهة اخرى فان لديكم الامكانية ، بفضل تنظيم خلايا شيوعية في الشرق ، لاقامة اتصالات وثيقة جدا مع الاممية الثالثة . ويجب عليكم ان تجلوا الاشكال المناسبة لهذا التحالف بين البروليتاريين المتقدمين في العالم اجمع والجماهير الشغيلة والمستثمرة في الشرق ، التي تحيا في اغلب الاحيان في شروط وسيطية . ولقد حققنا في بلدنا ، على نطاق ضيق ، ما سوف تفعلونه على نطاق عريض ، في بلدان كبيرة . واني لامل ان تنجزوا هذه المهمة الثانية بنجاح . وبفضل المنظمات الشيوعية في الشرق التي تمثلونها هنا ، فانكم على اتصال بالبروليتاريا الثورية الطبيعية ، والمهمة التي تقع على عاتقكم هي ان تسهروا ، دونما انقطاع ، على ان تجري الدعاية الشيوعية في كل بلد في لغة هي في متناول الشعب .

ومن البدهي ان بروليتاريا جميع البلدان المتقدمة تستطيع وحدها ان تحقق النصر النهائي ؛ ونحن الروس سوف نتصدى لعمل ستكمله البروليتاريا الانكليزية والفرنسية او الالمانية ؛ غير اننا نرى انها لن تستطيع ان تظفر دون مساعدة الجماهير الشغيلة لجميع الشعوب المستعمرة المضطهدة ، وشعوب الشرق في المحل الاول . يجب ان ندرك ان الطليعة لن تستطيع لوحدها ان تحقق الانتقال الى الشيوعية . فالمقصود هو ايقاظ الفعالية الثورية للجماهير الكادحة ، مهما يكن مستواها ، كي تقودها الى اثبات قدرتها على المبادرة والى تنظيم نفسها ، وترجمة العقيدة الشيوعية الحقيقية ، المعينة لشيوعيي بلدان اكثر تقدما ، الى لغة كل شعب من الشعوب ، وتحقيق المهمات العملية التي يجب ان تنجز دونما تأخير ،

والتحالف في النضال المشترك مع بروليتاريي البلدان الاخرى .

تلك هي القضايا التي لن تجدوا لها حلاً في أي كتاب شيوعي ، لكن تجدونه فقط في النضال المشترك الذي باشرته روسيا . يجب عليكم ان تطرحوا هذه القضايا وان تحلوها بمساعدة تجربتكم الخاصة . ولسوف تستمدون العون ، من جهة واحدة ، من تحالفكم الوثيق مع طليعة سائر الشغيلة في البلدان الاخرى ، ومن جهة ثانية من قدرتكم على الاتصال بشعوب الشرق التي تمثلونها هنا . وسوف يكون عليكم ان تعتمدوا على القومية البورجوازية التي تستيقظ عندهم ، ولا يمكن الا ان تستيقظ ، وهي قومية لها ما يبررها تاريخيا . ويجب عليكم بصورة موازية ان تجدوا طريق الجماهير الشغيلة والمستثمرة في كل بلد ، وأن تقولوا لها بلغة تفهمها ان أملها الوحيد في التحرر هو انتصار الثورة العالمية ، وان البروليتاريا الاممية هي الحليف الوحيد لمئات الملايين من الشغيلة والمستثمرين في الشرق .

تلك هي المهمة ذات السعة الاستثنائية الملقاة على كاهلكم ؛ وبفضل هذا العصر الثوري وانطلاقة الحركة الثورية التي لا يمكن ان يحوم حولها ادنى شك ، فان الجهود المشتركة للمنظمات الشيوعية في الشرق سوف تنجزها على خير وجه وتؤول الى الانتصار التام على الامبريالية الدولية .

ف. لينين : « تقرير مقدم الى المؤتمر الثاني في روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق ، بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٩ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ١٥٩ - ١٦١ .

ذلك هو البرهان الاكيد على ان الحرب الثورية ، حين تجرف بصورة فعلية الجماهير الكادحة المضطهدة وتستقطب اهتمامها ، حين تبعث فيها الوعي من اجل النضال ضد المستثمرين ، على أن مثل هذه الحرب الثورية

تثير الطاقة والقدرة على تحقيق المعجزات ،

ان ما صنعه الجيش الاحمر ، نضاله وقصة انتصاره ، سيكون له مدى هائل في اعتقادي ، مدى عمومي بالنسبة الى جميع شعوب الشرق . فليسوف يبين لها ان الحرب الثورية للشعوب المضطهدة ، بالرغم من كل ضعف هذه الشعوب ، وبالرغم من الجبروت الظاهري للمضطهدين الاوروبيين الذين يطبقون سائر عجائب التقنية والفن العسكري ، ان هذه الحرب تميظ اللثام ، طالما انها قادرة حقا حتى درجة ما على اخراج ملايين الشفيلة المستثمرين من حالة الخمود التي تعانيها ، عن قدر كبير من الامكانات ، عن قدر كبير من المعجزات بحيث ان تحرر شعوب الشرق هو اليوم قابل للتحقيق تماما ، ليس من وجهة نظر منظورات الثورة الاممية فحسب ، بل كذلك من وجهة نظر التجربة المكتسبة بصورة مباشرة في حرب آسيا ، وسيبيريا ، من قبل جمهورية المجالس السوفيتية ، في وجه الغزو العسكري لجميع الدول الامبريالية العظمى .

ف. لينين : « تقرير مقدم الى المؤتمر الثاني في روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق ، بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٩ » ، المؤلفات الكاملة ، بازيس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ١٥١ - ١٥٢ .

يستمررون في اعتبار الحركة في البلدان المستعمرة على انها حركة وطنية تافهة وسلمية كليا . وليس الامر كذلك البتة . فمنذ اوائل القرن العشرين حدثت تغيرات عميقة ، والملايين ومئات الملايين من البشر ، في واقع الامر الغالبية العظمى من سكان الكرة الارضية ، يتعرفون في الوقت الحاضر على انهم عوامل ثورية فعالة ومستقلة . وانه لمن الجلي تماما ان حركة غالبية سكان الارض ، هذه الحركة الموجهة في نقطة الانطلاق نحو التحرر الوطني ، سوف تستدير ابان المارك الحاسمة الوشيكة للثورة

العالية ضد الرأسمالية والإمبريالية ، وربما تلعب دوراً ثورياً هاماً
كثيراً مما نحسب .

ف. لينين : « المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني
والثلاثون ، ص : ٥١٣ .

لا يمكن للثورة الاجتماعية ان تحدث بطريقة مختلفة الا في شكل عصر
يجمع بين الحرب الاهلية للبروليتاريا ضد البورجوازية في البلدان المتقدمة
وبين سلسلة كاملة من الحركات الديمقراطية والثورية ، بما في ذلك حركات
التحرر الوطني في الامم غير النامية . المتخلفة والمضطهدة .

لماذا ؟ لأن الرأسمالية تتطور بصورة متفاوتة ، ولأن الواقع الموضوعي
يظهر لنا ، الى جانب الامم الرأسمالية العالية التطور ، مجموعة كاملة
من الامم المتطورة بصورة ضعيفة او غير المتطورة على الاطلاق من وجهة
النظر الاقتصادية .

ف. لينين : « كاريكاتور للماركسية وبخصوص
النزعة الاقتصادية الإمبريالية » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثالث والعشرون ،
ص : ٦٤ .

ان العمل العملي للشيوعيين الروس في المستعمرات التي كانت تخص
روسيا القيصرية ، في بلدان متخلفة مثل تركستان وغيرها ، قد أثار السؤال
التالي : كيف نطبق التكتيك والسياسة الشيوعية في شروط قبل رأسمالية ،
باعتبار ان الصفة المميزة الاساسية لهذه البلدان هي أن العلاقات قبيل
الرأسمالية تسود فيها بعد ، وأنه لا يمكن من جراء ذلك ان تقوم فيها حركة
بروليتارية خالصة ، ان البروليتاريا الصناعية لا وجود لها على
وجه التقريب في هذه البلدان . وبالرغم من ذلك ، فاننا أخذنا على عاتقنا
هنا أيضاً ، ومن واجبنا ان نأخذ على عاتقنا دور القادة . ولقد برهن لنا

عملنا على أنه يجب التغلب في هذه البلدان على مصاعب هائلة ، لكن النتائج العملية بينت أيضا أنه في الامكان ، بالرغم من هذه المصاعب ، ايقاظ الطموح عند الجماهير الى الفكر السياسي والفعالية السياسية المستقلين ، حتى حيث تكون البروليتاريا غير موجودة على وجه التقريب . ولقد كان هذا العمل اصعب علينا منه على رفاق بلدان اوروبا الغربية ، اذ كانت بروليتاريا روسيا مثقلة بالاعمال المتعلقة بالدولة.واننا لنذكر ودنما صعوبة ان الفلاحين الذين هم في تبعية نصف اقطاعية يستطيعون تماما ان يتمثلوا فكرة التنظيم السوفييتي وأن ينقلوها الى الواقع . وانه لمن الجلي كذلك ان الجماهير المستثمرة والمضطهدة ليس من قبل الراسمالية التجارية فحسب ، لكن من قبل الاقطاعيين والدولة المبنية على أسس اقطاعية أيضا ، يستطيعون ان يستخدموا هذا السلاح ، هذا الشكل التنظيمي ، حتى في الوضع الذي هو خاص بهم . ان فكرة التنظيم السوفييتي بسيطة، ويمكن تطبيقها ليس في اطار العلاقات البروليتارية فحسب ، بل كذلك في اطار العلاقات الفلاحية ذات الطابع الاقطاعي او نصف الاقطاعي

واننا لنرى هنا انه يفتح لنا ميدان للعمل العملي مثير للاهتمام جدا وبالغ الاهمية . وحتى الوقت الراهن ، ليست تجربتنا المشتركة في هذا المجال بالتجربة الكبيرة ، لكننا نجتمع شيئا فشيئا وثائق تزداد غزارة اكثر فاكثر. ولا مجال للمناقشة على الاطلاق في أن بروليتاريا البلدان المتقدمة تستطيع ويجب عليها ان تساعد الجماهير الشغيلة المتخلفة ؛ وان البلدان المتخلفة تستطيع ان تخرج من طورها الحالي من التطور عندما تمد البروليتاريا الظافرة للجمهوريات السوفييتية يدها الى هذه الجماهير ويكون في وسعها ان تمنحها تأييدها

. . . . يمكننا أن نعتبر صحيحا التأكيد بأن المرحلة الراسمالية لتطور الاقتصاد محتمة بالنسبة الى الشعوب المتخلفة ، التي هي في الوقت الحاضر في طريق التحرر ، والتي نشاهد بينها منذ الحرب حركة نحو التقدم ؟ لقد اجبنا على ذلك بالنفي. اذا قامت البروليتاريا الثورية الظافرة بدعاية منهجية

فيما بينهم ، واذا ساعدهم الحكام السوفييتيون بكل الوسائل التي تحت تصرفهم ، فاننا نخطيء اذا اعتقدنا ان مرحلة التطور الرأسمالي حتمية بالنسبة الى الشعوب المتخلفة : ففي جميع المستعمرات وفي جميع البلدان المتخلفة ، يجب الا نشكل فحسب ملاكات مستقلة من المناضلين ، ومن المنظمات الحزبية ، ولا ان نواصل فحسب منذ الآن الدعاية في مصلحة تنظيم مجالس الفلاحين السوفييتية ، عاملين على تكييفها مع الشروط قبل الرأسمالية التي هي شروطها الخاصة ، بل يجب كذلك على الاممية الشيوعية ان تقيم وتبرر على المستوى النظري هذا المبدأ ، الا وهو ان البلدان المتخلفة تستطيع ، بمساعدة بروليتاريا البلدان المتقدمة ، ان تتوصل الى النظام السوفييتي ، والى الشيوعية ، بمرورها ببعض مراحل التطور ، متفادية المرحلة الرأسمالية .

ف. لينين : «المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية» ،

المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٢٥١ - ٢٥٢ .

لقد كنا دائما ، ولا نزال ، وسوف نظل دائما الى جانب التقارب الاوثق والانصهار بين العمال الواعين في البلاد المتقدمة والعمال والفلاحين **والصبيد** في جميع البلدان المضطهدة . ولقد نصحنا دائما ونصح دائما جميع الطبقات المضطهدة في جميع البلدان المضطهدة ، بما فيها المستعمرات ، **بالا** تنفصل عنا ، بل تقترب منا بهدف الانصهار الوثيق قدر الامكان

ولسوف نبذل كل جهودنا كي نتقارب مع المفوليين ، والايرائيين ، والهنود ، والمصريين ، وننصرهم ؛ اننا نعتبر انه من واجبنا ومن **مصلحتنا** ان نفعل ذلك ، والا كانت الاشتراكية هشة في اوروبا . ولسوف تبذل ما في وسعنا كي نمح « مساعدة ثقافية متجردة » ، حسب التعبير الجميل للاشتراكيين الديموقراطيين البولونيين ، الى هذه الشعوب التي هي اعظم تخلفا واكثر عرضة للاضطهاد منا ، يعني اننا سنساعدنا لتتعلم استخدام

الآلات ، وتلطف عملها ، وتنتقل الى الديمقراطية ، الى الاشتراكية .

ف. لينين : « كاريكاتور للماركسية وبخصوص
النزعة الاقتصادية الامبريالية » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثالث والعشرون ،
ص : ٧٢ - ٧٣ .

... ان بلدا متخلفا يستطيع أن يبدأ بسهولة لأن خصمه متفسخ ،
ولأن بورجوازيته ليست منظمة بعد ، لكن يلزمه كي يستمر ، مقدارا اكبر
الف مرة من الحصافة ، والحيطة ، والثبات .

ف. لينين : « جلسة اللجنة التنفيذية المركزية
لروسيا ، بتاريخ ٢٩ نيسان ١٩١٨ » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع
والعشرون ، ص : ٣٠٢ .

بخصوص شروط انتصار الثورة الاشتراكية

... ان العصيان فن مثله مثل الحرب أو أي فن آخر ؛ وانه ليخضع
لبعض القواعد العملية التي يستتبع اهمالها دمار الحزب الذي يسقطها .
وان هذه القواعد ، المستمدة منطقيا من طبيعة الاحزاب والظروف التي
يجب ان يحسب حسابها في مثل هذه الحال ، لهي واضحة وبسيطة جدا
بحيث ان التجربة القصيرة لعام ١٨٤٨ قد لقت الالمان اياها جيدا . أولا ،
الا تلعبوا قط مع العصيان اذا لم تكونوا عازمين عزمًا أكيداً على مجابهة
جميع عواقب لعبكم . ان العصيان حساب بمقادير نصيبها من عدم التحديد
كبير جدا وقيمتها يمكن أن تتفاوت يوميا ؛ ان قوى الخصم تملك جميع
محسنات التنظيم ، والانضباط ، وعادة السلطان ؛ واذا لم يكن في مقدوركم
ان تجابهوها بقوى أعظم جدا ، فان الهزيمة من نصيبكم اذن ، والضياع
ايضا . ثانيا ، اذا ما دخلتم في المسلك العصياني مرة ، فيجب عليكم ان
تعلموا بأقصى الحزم وبالطريقة الهجومية . ان الدفاع هو موت كل انتفاضة

مسلحة ، فهي تخسر حتى قبل أن تنازل أعداءها . هاجموا خصومكم على حين غرة ، بينما قواهم مبعثرة ، وهيئوا نجاحات جديدة ، مهما تكن صغيرة ، لكن يومية ، وحافظوا على السيطرة المعنوية التي منحتمك إياها الانتفاضة الظاهرة الأولى ، وضمووا بهذه الطريقة الى صفوفكم العناصر المتذبذبة التي تتبع على الدوام الاندفاع الاقوى وتسعى دائما لأن تلحق بالطرف الاضمن ، واجبروا أعداءكم على التفهق قبل ان يتمكنوا من تجميع قواهم ضدكم ، قائلين مع دانتون ، وهو اكبر معلم في السياسة الثورية عرف حتى اليوم : « الجراة ، والجراة ، والجراة ايضا » * .

ف. انجلز : الثورة والثورة المضادة في ألمانيا ،
في ف. انجلز : الثورة الديمقراطية البورجوازية
في ألمانيا ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص :
٢٨٩ - ٢٩٠

مما لا ريب فيه ، بالنسبة الى الماركسي ، ان الثورة مستحيلة دون وضع ثوري ، لكن كل وضع ثوري لا يؤدي الى الثورة . ما هي ، على العموم ، مشعرات الوضع الثوري ؟ اننا على يقين من اننا لا نخطئ اذا أشرنا الى المشعرات الرئيسية الثلاثة التالية : ١ - عدم تمكن الطبقات السائدة من المحافظة على سيادتها في شكل غير متبدل ؛ ازمة « القمة » ، ازمة سياسية الطبقة السائدة ، وهي ازمة تخلق شقا يشق استياء الطبقات المضطهدة وغضبها طريقا لهما منه . وكما تنفجر الثورة ، فانه لا يكتفي عادة أن « القاعدة لا تريد بعد الآن » ان تحيا كما في السابق ، لكن من المهم ايضا « ألا تستطيع القمة ذلك بعد الآن » . ٢ - تفاقم بؤس الطبقات المضطهدة وعوزها أكثر من المعتاد . ٣ - الاحتداد الملحوظ ، للأسباب المشار اليها أعلاه ، لنشاط الجماهير التي تسكت عن نهبها في الفترات « السلمية » ، لكن تدفعها في المرحلة العاصفة ، سواء الازمة في مجموعها أم « القمة » بالذات ، في اتجاه عمل تاريخي مستقل .

* De l'audace, de l'audace, encore de l'audace. ، بالفرنسية في النص الاصل .

بدون هذه التغيرات الموضوعية ، المستقلة ليس عن ارادة هذه الجماعات والاحزاب او تلك فحسب ، بل عن ارادة هذه الطبقات او تلك ايضا ، تكون الثورة مستحيلة على العموم . ان مجموع هذه التغيرات الموضوعية هو الذي يشكل وضعا ثوريا . وقد عرف هذا الوضع في روسيا عام ١٩٠٥ وفي جميع فترات الثورات في الغرب ؛ لكنه قام كذلك في الستينات من القرن الماضي في المانيا ، وكذلك في روسيا في ١٨٥٩ و ١٨٦١ و ١٨٧٩ و ١٨٨٠ ، بالرغم من انه لم تحدث ثورات في هذه الاوقات . لماذا ؟ لان الثورة لا تنبثق من اي وضع ثوري ، لكن فقط في تلك الحال حيث ينضاف الى جميع التغيرات الموضوعية الممدودة اعلاه ، تغير ذاتي هو التالي : قدرة الطبقة الثورية على خوض نشاطات ثورية جماهيرية على قدر كاف من **العنفوان** بحيث تحطم كليا (او جزئيا) الحكومة القديمة التي لن «تسقط» قط ، حتى في فترة الازمات ، اذا لم « تسقط » بالقوة .

ذلك هو المفهوم الماركسي عن الثورة ، وهو المفهوم الذي ما اكثر ماجرى تطويره والاعتراف به من قبل جميع الماركسيين على انه غير قابل للمناقشة ، والذي أثبتته تجربة ١٩٠٥ ببروز مخصوص بالنسبة الينا ، نحن الروس .

ف. لينين : افلاس الاممية الثانية ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والعشرون ، ص : ٢١٦ - ٢١٧ .

ان قانون الثورة الاساسي ، الذي أثبتته جميع الثورات ، وبالخاصة الثورات الروسية الثلاث في القرن العشرين ، هو التالي : كيما تندلع الثورة لا يكفي ان تعي الجماهير المستثمرة والمضطهدة استحالة الاستمرار في العيش كما في السابق وتطالب بالتغييرات . كي تندلع الثورة ، يجب الا يستطيع المضطهدون ان يعيشوا ويحكموا كما في السابق . وحين لا يريد بعد الآن «اولئك الذين تحت» ولا يستطيع بعد الآن « اولئك الذين فوق » ان يستمروا في العيش بالطريقة القديمة ، عندئذ فقط تستطيع الثورة ان

تنصر . ويمكن التعبير عن هذه الحقيقة بطريقة مختلفة في العبارات التالية:
ان الثورة مستحيلة بدون أزمة قومية (تناول المستثمرين والمستثمرين). وهكذا
يجب اذن في سبيل قيام الثورة : اولا ، الحصول على ان يكون غالبية العمال
(او على أي حال غالبية العمال الواعين ، المتبصرين ، الناشطين سياسيا)
قد أدركوا كل الادراك ضرورة الثورة وهم مستعدون للموت من أجلها ؛
ويجب بعدئذ ان تجتاز الطبقات الحاكمة أزمة حكومية تجرف في الحياة
السياسية حتى الجماهير الأشد تخلفا (ان مؤشر كل ثورة حقيقية هو
الارتفاع السريع عشر مرات ، او حتى مائة مرة ، لعدد الرجال الصالحين
للنضال السياسي بين الكتلة الكادحة والمضطهدة ، البليدة حتى ذلك
الحين) وهي أزمة تضعف الحكومة ، وتتيح للثوريين الاطاحة
العاجلة بها .

ف. لينين : مرض الشيوعية الطفولي
(« اليسارية ») ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٨٠-٨١ .

لا تحدث الثورات بناء على توصية ، ولا يمكن تكييفها مع هذه اللحظة
او تلك ، بل هي تنضج في سياق التطور التاريخي ، وتنفجر في لحظة
مشروطة بمجموعة كاملة من الاسباب الداخلية والخارجية .

ف. لينين : « تقرير الى اجتماع لجان العامل
في اقليم موسكو ، بتاريخ ٢٣ تموز ١٩١٨ » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
السابع والعشرون ، ص : ٥٨٢ .

من المؤكد ان هناك اناسا يعتقدون ان الثورة في بلد أجنبي يمكن ان
تولد بناء على توصية ، بفعل اتفاق . وهؤلاء الناس إما مجانين ، واما
عملاء محرضون . ولقد عشنا خلال السنوات الاثنتي عشرة الاخيرة
ثورتين ، ونحن نعرف ان الثورات لا يمكن ان تصنع لابناء على توصية ولا
بفعل اتفاق ، بل هي تنبثق عندما يدرك ملايين البشر انه لم يعد في الامكان

الاستمرار في العيش كما في الماضي .

ف. لينين : « الاجتماع الرابع لل نقابات ولجان
العمال والمصانع في موسكو » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد السابع والمشرون ،
ص : ٥١١ .

ان كل ثورة تسجل انعطافا مفاجئا في حياة جماهير شعبية ضخمة .
وطالما ان الانعطاف لم يبلغ النضوج بعد ، فلا يمكن ان تحدث اي ثورة
حقيقية . وكما ان كل انعطاف في حياة الانسان يفص بالتعاليم بالنسبة اليه
ويجعله يعيش ويحس قدرا كبيرا من الاشياء ، كذلك تعطي الثورات
الشعب بأسره ، في وقت قصير ، الدروس الاكثر جوهرية والاغلى ثمنا .

ف. لينين : « تعاليم الثورة » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الخامس
والمشرون ، ص : ٢٤٧ .

يخطئ من يعتقد ان الطبقات الثورية تملك على الدوام ما يكفي من
القوة كي تصنع ثورة اذا ما بلغت هذه الثورة النضوج بفعل شروط التطور
الاقتصادي والاجتماعي . لا ، فالمجتمع الانساني لم يعد بطريقتة على هذا
القدر من العقلانية وهذا القدر من « الملاءمة » بالنسبة الى العناصر
المتقدمة . ان الثورة يمكن ان تكون ناضجة دون ان تكون القوى المدعوة الى
انجازها كافية ؛ وعندئذ يتفسخ المجتمع ويدوم تفسخه احيانا عشرات
السنين . اما ان الثورة الديمقراطية ناضجة في روسيا، فهذا امر لا مجال
للريبة فيه . لكن هل تملك الطبقات الثورية الآن القدرة على القيام بها ؟
لا احد يعرف شيئا عن ذلك . ان الصراع الذي تقترب لحظته الحرجة
بسرعة هائلة هو الذي سيقدر ذلك . هذا اذا كانت مؤشرات متنوعة مباشرة
وغير مباشرة لاتخذنا . ان التفوق المعنوي لا ينكر ، والقوة المعنوية ساحقة
سند الآن ؛ ومن المفروغ منه انه لا يمكن الحديث بدونها عن اي ثورة البتة .

أيا شرط ضروري ، لكنه غير كاف بعد . وأما معرفة ما اذا كانت ستتحوّل إلى قوة مادية قادرة على تحطيم المقاومة البائسة الخطورة التي تملكها الديمقراطية (لا جدوى من إغماض العينين عن هذا الأمر) ، فهذا ماسيتبينه نتيجة الصراع . أن شعار العصيان يوكل القرار إلى القوة المادية ؛ والحال أن القوة المادية ، في الحضارة الإوزوبية الراهنة ، لا تتشكل إلا من قوة السلاح . ولا يجوز صياغة هذا الشعار طالما أن شروط الثورة العامة لما تنضج ، طالما أن غليان الجماهير واستعدادها للعمل لم يتظاهراً بعد بصورة واضحة ، طالما أن الظروف الخارجية لم تؤوّل إلى أزمة صارخة . لكن طالما يطلق هذا الشعار ، فإنه سيكون من العار بكل بساطة التراجع أمامه للانتهاء إلى القوة المعنوية ، إلى أحد شروط صعود العصيان ، إلى « الانتقالات الممكنة » ، الخ الخ . لا ، فحالمًا يقضي الأمر يجب التوقف عن المواربة ، ويجب أن توضح للجماهير بصورة مباشرة وصريحة ما هي الشروط العملية لنجاح الثورة .

ف. لينين : « الكلمة الأخيرة لتكتيك «الإيسكرا»
 أو مهزلة الانتخابات على أنها محرض آخر على
 العصيان » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية
 الرابعة ، المجلد التاسع ، ص : ٢٢٨-٢٢٩ .

أن الطليعة البروليتارية مكتسبة أيديولوجيا ، وهذا هو الشيء الرئيسي . والا فإنه سيكون من المحال القيام بخطوة واحدة نحو النصر . لكن المسافة لا تزال بعيدة من هنا حتى النصر . فلا يمكن الانتصار بالطليعة وحدها . أن لقاء الطليعة وحدها في المعركة الحاسمة ، طالما أن الطبقة بكاملها ، طالما أن الجماهير الكبرى لم تتخذ أما موقف التأييد المباشر للطليعة وأما على الأقل موقف الحياد المشوب بالمطف الذي يجعلها غير قادرة على الإطلاق على دعم خصم الطليعة ، فتلك حماقة اذن ، بله جريمة . والحال أنه كي تنتهي الطبقة بكاملها حقا ، كي تنتهي حقا الجماهير الكبيرة من الشفيلة ومضطهدي الرأسمال إلى مثل هذا الموقف ، فإن الدعاية

وحدها والتحرير وحده لا يكفيان . فلا بد في سبيل ذلك من أن تصنع هذه الجماهير تجربتها السياسية الخاصة . ذلك هو القانون الأساسي لجميع الثورات الكبرى ، وهو القانون الذي أثبتته الآن بقوة وبروز دامقين لا روسيا وحدها ، بل ألمانيا أيضا .

ف. لينين : **مرض الشيوعية الطفولي**
(« اليسارية ») ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٨٩ .

ان تحقيق تفوق عددي ساحق في اللحظة الحاسمة وفي المكان الحاسم ، ذلك هو « قانون » النجاح العسكري ؛ وانه لينطبق كذلك على النجاح السياسي ، وعلى الاخص في هذه الحرب الطبقيّة الطاحنة والمحمومة التي تسمى الثورة .

ف. لينين : « انتخابات الجمعية التأسيسية
ودكتاتورية البروليتاريا » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٢٦٥ .

في مفهوم معين للكلمة ، فان ثورة على النطاق الوطني تستطيع وحدها ان تنتصر . وذلك بمعنى أن انتصار الثورة يتطلب بالضرورة اتحاد الغالبية العظمى من السكان في الصراع من اجل متطلبات هذه الثورة . وان هذه الغالبية العظمى يجب ان تشكل إما بكاملها من طبقة واحدة ، واما من طبقات مختلفة لها بعض الاهداف المتماثلة . وفيما يتعلق بالثورة الروسية الحالية ، فانه من الصحيح أيضا ، وهذا امر مفروغ منه ، أنها لا يمكن ان تنتصر الا على اعتبارها ثورة وطنية ~~بمعنى~~ ان انتصارها يتطلب بالضرورة اسهام الغالبية العظمى من السكان اسهاما واعيا في النضال .

لكن الصحة الاتفاقيه للتعبير الشائع : الثورة « على النطاق الوطني » تتوقف عند هذا الحد . ولا يمكن أن نستنتج من هذه الفكرة شيئا آخر سوى البديهية التي كانت موضع البحث لتوها (الغالبية الساحقة

تستطيع وحدها أن تغلب أقلية سائدة منظمة) . ولذا كان من قبيل الخطأ التام والمعارضة العميقة للماركسية أن نطبق هذا المفهوم على أنه صيغة عامة ، على أنه مخطط ، على أنه مقياس للتكتيك . أن مفهوم « الثورة على النطاق الوطني » يجب أن يبين للماركسي ضرورة القيام بتحليل مضبوط للمصالح المتنوعة للطبقات المختلفة التي تتفق على بعض المهام المشتركة ، المعينة والمحددة جيدا . ولا يمكن أن يخدم هذا المفهوم في أي ظرف كان من أجل طمس ، من أجل تغطية دراسة الصراع الطبقي في سياق هذه الثورة أو تلك . أن مثل هذا الاستخدام لمفهوم « الثورة على النطاق الوطني » هو التخلي الخالص والبسيط عن الماركسية والرجوع الى العبارات المتبدلة التي يستخدمها الديمقراطيون البورجوازيون الصغار أو الاشتراكيون البورجوازيون الصغار .

ف. لينين : « في قضية الثورة على النطاق الوطني » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد الثاني عشر ، ص : ٣٦٣-٣٦٤ .

ان الفوج نفسه يشكل فصائل من الجيش الثوري .

ويجب على هذه الفصائل أن تعلن العصيان ، وان تزود الجماهير بالقيادة العسكرية التي لا غنى عنها من أجل الحرب الأهلية ومن أجل أي حرب أخرى على السواء ، وان تخلق نقاط ارتكاز لنشاط الشعب العلني ، وان تنشر الثورة الى المحلات المجاورة ، وأن تكفل - ولو اقتصر ذلك بادئ الامر على قسم صغير من اراضي الدولة - حرية سياسية تامة ، وان تبشر التحويل الثوري لنظام اوتوقراطي متفسخ كليا ، وان تنشر في كل مداها المبادرة الثورية للطبقة الدنيا من الشعب ، هذه المبادرة التي لا تتظاهر الا بصورة ضعيفة في زمن السلم ، لكنها عامل من المرتبة الاولى في اوقات الثورة .

ف. لينين : « الجيش الثوري والحكومة الثورية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن ، ص : ٥٧٠ - ٥٧١ .

لن يصفح التاريخ عن التأجيل الذي يقوم به الثوريون الذين يستطيعون ان ينتصروا اليوم (والذين سينتصرون اليوم بكل تأكيد) ؛ انهم يخاطرون بفقدان كل شيء .

اذ نستلم السلطة اليوم ، فاننا لا نستلمها ضد المجالس السوفييتية ، بل من اجلها .

ان استلام السلطة هو مهمة العصيان ؛ وسوف يتضح هدفه السياسي فيما بعد .

اما انتظار اقتراع الخامس والعشرين من تشرين الاول فيعني الضياع بالنسبة الينا ، ولن يكون اكثر من تمسك بالشكليات ؛ ان الشعب يملك الحق ، ويجب عليه ، في ان يحسم مثل هذه المسائل لا بالاقتراعات ، بل بالقوة ؛ ان الشعب يملك الحق ، ويجب عليه ، في اللحظات الحرجة من الثورة ، في ان يرشد ممثليه ، حتى افضلهم ، بدلا من ان ينتظرهم .

وهذا ما اثبته تاريخ جميع الثورات ، ويرتكب الثوريون أفدح جريمة اذا هم تركوا اللحظة تفلت منهم ، وهم عارفون ان خلاص الثورة ، واقتراح السلم ، وخلصا بتروغراد ، والخلصا من المجاعة ، وتسليم الارض للفلاحين ، تتوقف جميعا عليهم .

ان الحكومة تتردد ، فيجب الاجهاز عليها باي ثمن !
اما الانتظار ، فمعناه الموت .

ف. لينين : « رسالة الى أعضاء اللجنة المركزية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السادس والعشرون ، ص : ٢٤١ .

الثورة الاشتراكية ودمار آلة الدولة البورجوازية

هذه السلطة التنفيذية ، بمنظمتها البيروقراطية والعسكرية الهائلة ،

وباليتها الدولية المعقدة والاصطناعية ، وبجيشها من الموظفين الذين يعدون نصف مليون رجل وجيشها الآخر المؤلف من نصف مليون جندي ، هذا الجسد الطفيلي الرهيب ، الذي يلف كما في شبكة جسد المجتمع الفرنسي ويسد جميع مسامه ، قد تشكلت في زمن الملكية المطلقة ، مع انحطاط النظام الاقطاعي الذي ساعدت على الاطاحه به . ان الامتيازات السيدية الخاصة بالملاكين العقارين الكبار وبالمدن قد تحولت الى قدر مساوٍ من خاصيات سلطة الدولة ، والاعيان الاقطاعيين قد تحولوا الى موظفين أصحاب مرتبات ، كما ان البطاقة البرقشة للحقوق السيادية الوسيطة المتناقضة قد أصبحت المخطط الحسن التنظيم لسلطة دولة ، عملها مقسم ومركز كما في مصنع . ان الثورة الفرنسية الاولى ، التي وضعت نصب أعينها مهمة تحطيم جميع السلطات المستقلة ، والمحلية ، والاقليمية ، والبلدية ، كي تخلق الوحدة المدنية للامة ، لم يكن لها بدء بالضرورة من تطوير العمل الذي باشرته الملكية المطلقة : المركزية ، لكن في الوقت نفسه اتساع السلطة الحكومية وخاصيتها وجهازها أيضا . ولقد اكمل نابليون احكام هذه الآلية الدولية ولم تضاف اليها الملكية الشرعية وملكية تموز سوى تقسيم عمل أكبر ، يتعاطم بقدر ما كان تقسيم العمل داخل المجتمع البروجوازي يخلق زمرا جديدة من المصالح ، ونتيجة ذلك مادة جديدة من أجل ادارة الدولة . ولقد فضلت كل مصححة مشتركة في الحال عن المجتمع ، وجوبت به بوصفها مصلحة عليا ، عاجلة ، منزوعة من مبادرة أعضاء المجتمع ، ومحولة الى موضوع للفعالية الحكومية ، من الجسر ودار المدرسة ، والملكية المشاعية لاصفر دسكرة حتى الخطوط الحديدية ، والاملاك الوطنية ، والجامعات . ووجدت الجمهورية البرلمانية نفسها ملزمة اخيرا ، في نضالها ضد الثورة ، لان توطد بتدابير القمع التي اتخذتها وسائط العمل الخاصة بالسلطة الحكومية ومركزيتها . ولم تفعل جميع الثورات السياسية سوى احكام هذه الآلة بدلا من تحطيمها . وان الاحزاب التي ناضلت ، كل بدوره ، في سبيل السلطة قد اعتبرت الاستيلاء على هذا البناء الهائل الخاص بالدولة على انه فريسة الظافر الرئيسية .

ك. ماركس : ١٨ برومير لويس بوناپرت ، في
ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات المختارة في
مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد
الاول ، ص : ٢٤٤ - ٢٤٥ .

إذا نظرت في الفصل الاخير من كتابي ١٨ برومير وجدتني اعلن ان المحاولة القادمة للثورة في فرنسا يجب ان تستقيم بعد الآن لا في نقل الآلة البيروقراطية العسكرية الى ايد اخرى ، كما كانت الحال حتى الوقت الراهن ، بل في **تدميرها** . ذلك هو الشرط الاول لكل ثورة شعبية حقا في القارة .

ك. ماركس : « رسالة الى ل. كوجلان بتاريخ ١٢ نيسان ١٨٧١ » ، في ك. ماركس وف. انگلز ، **المؤلفات المختارة** في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ٥٠٨ .

ان ما كان يجب على العمال ان يحطموه لم يكن شكلا ناقصا بصورة تزيد أو تنقص للسلطة الحكومية الخاصة بالمجتمع القديم ، بل كان هذه السلطة بالذات ، في شكلها الاسمي والنهائي ، **الامبراطورية** . لقد كانت **الكومونة النقيض المباشر للامبراطورية** .

وكانت الكومونة تعني بكل بساطة الدمار الاول للجهاز الحكومي القديم في مقرانه المرئية ، باريس ومدن فرنسا الكبرى الاخرى ، والاستعاضة عنه بحكومة مستقلة حقيقية تكون ، في باريس والمدن الكبرى ، التي هي الحصون الاجتماعية للطبقة العاملة ، حكومة الطبقة العاملة .

ك. ماركس : **الحرب الاهلية في فرنسا** ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٢٦٠ .

... لا تستطيع البروليتاريا ، كما فعلت الطبقات السائدة وفرقتها المتنازعة المختلفة ، في مراحل انتصارها المتعاقبة ، ان تكتفي بأخذ جهاز الدولة القائم وتشغيل هذه الاداة كما هي لحسابها الخاص . ان الشرط الاول من اجل الاحتفاظ بالسلطة السياسية هو تحويل الجهاز القائم وتدمير هذه الاداة الخاصة بالسيطرة الطبقة .

ك. ماركس : **الحرب الاهلية في فرنسا** ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٢٥٧ .

تستقيم الثورة فيما يلي : أن البروليتاريا تدمر « الجهاز الإداري
وجهاز الدولة بكامله لتستعيز عنه بجهاز جديد مؤلف من العمال المسلحين .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار
دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ١٤١ .

لقد سبق فأشرنا آنفا ، وسوف نبين ذلك فيما بعد بصورة مفصلة ،
الى ان عقيدة ماركس وانجلز عن حتمية الثورة العنيفة تتعلق بالدولة
البورجوازية . ان هذه الدولة لا يمكن ان تستبدل بالدولة البروليتارية
(دكتاتورية البروليتاريا) بطريق « الفناء » ، بل كقاعدة عامة بثورة عنيفة
فقط . . . ان ضرورة تثقيف الجماهير بصورة منهجية بهذه الفكرة - وبهذه
الفكرة على وجه الدقة - عن الثورة العنيفة هي في أساس عقيدة ماركس
وانجلز كلها . وان خيانة عقيدتهما من قبل الاتجاهات الاشتراكية الشوفينية
والكاوتسكية السائدة اليوم تظهر ببروز خاص في نيسان انصار هذه الاتجاهات
وتلك على السواء لهذه الدعاية وهذا التحريض .

ان الاستعاضة عن الدولة البورجوازية بالدولة البروليتارية مستحيل
دون ثورة عنيفة . وان القضاء على الدولة البروليتارية ، يعني القضاء على
كل دولة ، غير ممكن الا عن طريق « الفناء » .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار
دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ٢٨ .

. . . اذا كانت البروليتاريا تحتاج الى الدولة بصفتها تنظيما خاصا
للعنف ضد البورجوازية ، فان السؤال التالي يطرح اذن بالضرورة :
ايكون مثل هذا التنظيم معقولا قبل ان تدمر سلفا وتسحق آلة الدولة التي خلفتها
البورجوازية من أجل نفسها ؟ ان البيان الشيوعي يقودنا الى هذا السؤال ،
ويتحدث ماركس عنه حين يلخص تجربة ثورة ١٨٤٨ - ١٨٥١ . . .

. . . ان الاستنتاج دقيق ومحدد بصورة عظيمة ، ومحسوس عمليا :

من سائر الثورات السابقة قد احكمت آلة الدولة ، والحال أنه يجب تحطيمها وسحقها .

ان هذا الاستنتاج هو الشيء الرئيسي والجوهري في العقيدة الماركسية عن الدولة .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ٢٣ - ٢٦ .

ان فكرة ماركس هي ان الطبقة العاملة يجب ان تحطم ، أن تسحق « آلة الدولة الجاهزة » والا تقتصر على الاستيلاء عليها .

لقد كتب ماركس الى كوغلمان يقول ، في ١٢ نيسان ١٨٧١ ، اي ثناء الكومونة بالضبط :

« اذا نظرت في الفصل الاخير من كتابي ١٨ برومير وجدت اني اعلن ان المحاولة القادمة للثورة في فرنسا يجب ان تستقيم بعد الآن لا في نقل الآلة البيروقراطية العسكرية الى ايد أخرى ، كما كانت الحال حتى الوقت الراهن ، بل في تمهيرها . (التشديد من ماركس . في الاصل الكلمة هي Zerbrachen) . ذلك هو الشرط الاول لكل ثورة شعبية حقا في القارة . وهذا ما حاوله ايضا رفاقنا الابطال في باريس ... »

« سحق الآلة البيروقراطية العسكرية » : هذه الكلمات القليلة تعبر بايجاز عن درس الماركسية الرئيسي بشأن مهمات البروليتاريا حيال الدولة في سياق الثورة . وان هذا الدرس بالضبط هو الذي لم ينس تماما فحسب ، بل شوهه بكل صراحة من قبل « التفسير » السائد للماركسية ، الذي وضعه كاوتسكي !

واما المقطع من ١٨ برومير الذي يشير ماركس اليه ، فقد اوردناه بجملته اعلاه .

ولا بد من التشديد بصورة خاصة على تقطتين في هذا المقطع لماركس .
اولا ، يقصر ماركس استنتاجه على القارة ، الامر الذي كان يمكن ادراكه
عام ١٨٧١ ، حين كانت انكلترا بعد نموذج البلد الرأسمالي الخالص ، لكن
دون نزعة عسكرية ، ودون بيروقراطية حتى درجة بعيدة . وهكذا كان
ماركس يستثني انكلترا ، حيث كانت الثورة ، وحتى الثورة الشعبية ،
تتراءى ممكنة ، وكانت ممكنة حقا دون تدمير مسبق «آلة الدولة الجاهزة» .

واليوم ، في ١٩١٧ ، في عصر الحرب الامبريالية العالمية الكبرى الاولى ،
فلم يعد هذا التحديد الذي قال به ماركس ساري المفعول . ان انكلترا
واميركا على السواء ، وهما الممثلان الاعظمان والاخيران « للحرية »
الانكلوسكسونية في العالم اجمع (انعدام العسكرية والبيروقراطية) ، قد
انزلقتا تماما في المستنقع الاوروبي ، الموحد والدامي ، للمؤسسات العسكرية
والبيروقراطية التي تسيطر على كل شيء وتسحق كل شيء بثقلها . ان
« الشرط الاول لكل ثورة شعبية حقا » هو اليوم ، في انكلترا كما في اميركا ،
سحق ودمار « آلة الدولة الجاهزة » (المرفوعة في هذين البلدين ، من
١٩١٤ الى ١٩١٧ ، حتى درجة من الكمال « الاوروبي » المشترك من الآن
فصاعدا بين جميع الدول الامبريالية) .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار
دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ٤٧ - ٤٨ .

الشيء الاساسي هو معرفة ما اذا كانت آلة الدولة القديمة (المرتبطة
بالبورجوازية بالف رباط والمشرية.كلية بالروتين وروح المحافظة) سيحافظ
عليها أم انها ستتدهور ويستعاض عنها بآلة جديدة . لا يجوز ان تؤول الثورة
الى ان تأمر الطبقة الجديدة وتحكم بمساعدة آلة الدولة القديمة ، بل ان
تؤول الى مايلي : انها تأمر وتحكم ، بعد ان تحطم تلك الآلة ، بواسطة آلة
جديدة . . .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار
دمشق ، ١٩٥٨ ، ص :

... اذا كانت الدولة نتاج التناقضات الطبقية ، المستعصية
اذا كانت سلطة موضوعة فوق المجتمع وهي تصبح غريبة بصورة متزايدة
عنه ، فمن الواضح اذن ان تحرر الطبقة المضطهدة مستحيل لا دون ثورة
عنيفة فحسب ، بل أيضا دون القضاء على جهاز سلطة الدولة الذي خلقته
الطبقة السائدة والذي يتجسد فيه هذا الطابع «الغريب». ان هذه النتيجة،
الواضحة نظريا من تلقاء ذاتها ، قد استخلصها ماركس بدقة تامة ، كما
سنرى فيما بعد ، من التحليل التاريخي الحسي لمهمات الثورة .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار

دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ١٢ .

... ان الاستعمار - وهو عصر الرأسمال المصري ، عصر الاحتكارات
الرأسمالية العملاقة ، العصر الذي تتحول فيه الرأسمالية الاحتكارية
بفعل نموها الى رأسمالية الدولة الاحتكارية - يبين التوطيد الخارق
« لآلة الدولة » ، والامتداد الذي لا مثيل له لجهازها البيروقراطي
والعسكري بصورة مرتبطة بتشديد التدابير الزجرية ضد البروليتاريا ،
سواء في البلاد الملكية او في الجمهوريات الاكثر حرية .

واليوم يقود التاريخ العمومي من دون ادنى ريب ، على نطاق اوسع
بما لا يقاس منه عام ١٨٥٢ ، الى «مركزة سائرة قوى» الثورة البروليتارية
بهدف « تدمير » آلة الدولة .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار

دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ٤١ .

ان الدولة ... مفهوم طبقي . ان الدولة اداة او آلة لاضطهاد طبقة
من قبل طبقة اخرى . وطالما انها الآلة التي تخدم البورجوازية في اضطهاد
البروليتاريا ، فان شعار البروليتاريا لا يمكن ان يكون الا دمار هذه الدولة .
وحين تصبح الدولة بروليتارية ، حين تصبح اداة لاضطهاد البورجوازية

من قبل البروليتاريا ، فعندئذ سنكون انصارا لسلطة قوية والمركزية .

ف. لينين : هل يحتفظ البلاشفة بالسلطة ؟ ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
السادس والعشرون ، ص : ١١٢ .

« ينبغي لنا أن لا نفكر ابدا في تدمير آلة الدولة القديمة : كيف يمكننا ان نستغني عن الوزارات والموظفين ؟ » هكذا يفكر الانتهازي المشرب بالمرأاة والابعد مايكون ، في أعماقه ، عن الايمان بالثورة وبقوتها الخلاقة ، فهو يخاف منها خوفا قاتلا (كما يخافها مناشفتنا واشتراكيونا-الثوريون) .

« ينبغي ان نفكر فقط في تدمير آلة الدولة القديمة ؛ ولا يجدي شيئا ان نتمتع في الدروس الحسية للثورات البروليتارية السابقة ، وان نحلل بأي شيء وكيف نستعيز عما دمرناه » ، هكذا يفكر الفوضوي (افضل الفوضويين طبعاً ، وليس ذلك الذي يتجرجر خلف البورجوازية في أعقاب كروبوتكين وأشباهه) ؛ وهذا هو السبب في ان الفوضوي ينتهي الى تكتيك اليأس لا الى فعالية ثورية حسية جريئة لا تلين ، لكن تأخذ بعين الاعتبار في الوقت نفسه الشروط العملية لحركة الجماهير .

ويعلمنا ماركس أن نتجنب هاتين الخطيئتين : انه يعلمنا ان نظهر الشجاعة العظمى في التدمير التام لآلة الدولة القديمة ؛ وانه يعلمنا من جهة أخرى أن نطرح القضية بصورة حسية : لقد استطاعت الكومونة ، في اسابيع قليلة ، أن تباشر بناء آلة دولة جديدة ، بروليتارية ، عاملة بهذه الطريقة او تلك ، متخذة التدابير الانفة الذكر الهادفة الى تأمين ديموقراطية اعظم والى اجتثاث البيروقراطية : فلنتعلم اذن من الكومونيين الشجاعة الثورية ، ولنسع لأن نرى في تدابيرهم العملية مسودة للتدابير العاجلة عمليا والقابلة للتحقيق في الحال ؛ وبذلك نتوصل ، **بسلوكنا هذه الطريق ،** الى تدمير البيروقراطية تدميراً تاماً .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار
دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ١٤٤ - ١٤٥ .

اليكم ما يميز الماركسيين من الفوضويين : ١ - ان الماركسيين ، اذ يستهدفون القضاء على الدولة قضاء تاما ، لا يعتقدون ان هذا الامر قابل للتحقيق الا بعد الفاء الطبقات بالثورة الاشتراكية ، على انه نتيجة لاقامة الاشتراكية التي تقود الى تلاشي الدولة ؛ اما الفوضويون فيريدون القضاء على الدولة قضاء تاما بين ليلة وضحاها ، دون ان يفهموا الشروط التي تجعل هذا الامر ممكنا . ٢ - ان الماركسيين ينادون بأنه من واجب البروليتاريا ، بعد استيلائها على السلطة السياسية ، ان تحطم كليا آلة الدولة القديمة وتستعيض عنها بآلة جديدة تستقيم في تنظيم العمال المسلحين على نموذج الكومونة ؛ أما الفوضويون فلا يتصورون الا بقدر كبير من الغموض ، وهم ينادون بتدمير آلة الدولة ، بأي شيء ستستعيض البروليتاريا عنها وكيف ستستخدم السلطة الثورية ؛ بل ان الامر يبلغ بالفوضويين ان يرفضوا الدكتاتورية الثورية . ٣ - ان الماركسيين يريدون ان تنهيا البروليتاريا للثورة باستخدامها الدولة الحديثة ، اما الفوضويون فهم ضد مثل هذا السلوك .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ١٢٩ .

فيما عدا الجهاز « الزجري » الافضل الذي يمثله الجيش الدائم ، والشرطة ، والموظفون ، يوجد في الدولة المعاصرة جهاز مرتبطة بصورة وثيقة بالمصارف والاحتكارات الضخمة ، جهاز ينجز عملا واسعا من الاحصاء والتسجيل ، اذا جاز لنا مثل هذا التعبير . وهذا الجهاز لا يمكن ولا يجوز ان يحطم ، بل ينبغي انتزاعه من خضوعه للرأسماليين ، ينبغي قطعه ، وفصله ، وشفقه عن الرأسماليين وعن جميع وسائل الفعل التي يملكونها ، وينبغي إخضاعه للمجالس السوفيتية البروليتارية ، وينبغي توسيعه ، وبسطه على جميع الميادين ، على الامة بأسرها . وانه لفي الامكان القيام بذلك اذا اعتمدنا على الانتصارات التي حققتها حتى الآن الرأسمالية

الكبيرة (ذلك ان الثورة البروليتارية على العموم لن تكون قادرة على بلوغ هدفها الا بالاعتماد على هذه الانتصارات) .

ان الراسمالية قد خلقت اجهزة للرقابة في صورة المصارف ، والاحتكارات الضخمة ، والخدمة البريدية ، والتعاونيات الاستهلاكية ، وجمعيات المستخدمين . ولن تكون الاشتراكية قابلة التحقيق بدون المصارف الكبرى .

ف. لينين : هل يحتفل البلاشفة بالسلطة ؟
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
السادس والعشرون ، ص : ١٠١ .

★ ★ ★

الفصل الرابع

الرسالة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا

ضرورة دكتاتورية البروليتاريا

... بين المجتمع الرأسمالي والمجتمع الشيوعي تقوم مرحلة التحول الثوري من احدهما الى الآخر . وانه ليوافق ذلك مرحلة انتقالية سياسية لا يمكن للدولة ان تكون خلالها شيئا آخر سوى **الدكتاتورية الثورية للبروليتاريا** .

ك. ماركس : نقد برنامج غوتا ، في كارل ماركس وفريدريك انجلز ، دراسات اقتصادية ، منشورات دار دمشق ، ١٩٦٤ ، ص : ٣٢٣ .

اذا ما الفيت شروط القمع الحالية بفعل تسليم جميع وسائل الانتاج الى المنتج ، الامر الذي سيجرب عليه ان كل فرد قادر على العمل سوف يكون ملزما بأن يعمل كي يؤمن معيشته ، فان القاعدة الوحيدة للسيطرة الطبقية والقمع سوف تبنى من جراء ذلك أيضا . لكن قبل ان يكون في الامكان تحقيق هذا التغيير ، فلا بد من دكتاتورية للبروليتاريا ، وشرطها الاول هو جيش للبروليتاريا . ان الطبقات الكادحة يجب ان تحصل على الحق في تحريرها في ساحة القتال .

ك. ماركس : في العيد السابع للامية ، ماركس-انجلز ، المؤلفات الكاملة ، برلين ، المجلد السابع عشر ، ص : ٤٢٣ .

ان هدف الرابطة هو قلب جميع الطبقات صاحبة الامتيازات، واخضاع هذه الطبقات لدكتاتورية البروليتاريين بتطبيق الثورة المتصلة حتى تحقيق الشيوعية التي يجب ان تكون الشكل الاخير لتنظيم النوع البشري .

ك. ماركس وف. انجلز : الرابطة الاممية للثوريين
الشيوعيين ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية
الثانية ، المجلد السابع ، ص : ٥٥١ .

... فيما يتعلق بي ، فلا يعود الي الفضل في اكتشاف وجود الطبقات في المجتمع الحديث او الصراع فيما بينها . ان مؤرخين بورجوازيين قد عرضوا قبلي بوقت طويل التطور التاريخي لهذا الصراع الطبقي ، ووصف اقتصاديون بورجوازيون التشريح الاقتصادي لهذه الطبقات . ان ماجلته من جديد هو البرهان : ١ - على ان وجود الطبقات لا يرتبط الا باطوار تاريخية معينة من تطور الانتاج ؛ ٢ - على ان الصراع الطبقي يقود بالضرورة الى دكتاتورية البروليتاريا ؛ ٣ - على ان هذه الدكتاتورية نفسها لا تمثل سوى الانتقال الى الغاء جميع الطبقات والى مجتمع لا طبقي ...

ك. ماركس : « رسالة الى ج. ويديمير بتاريخ
٥ آذار ١٨٥٢ » في كارل ماركس وفريدريك انجلز ،
المؤلفات المختارة ، في مجلدين ، منشورات التقدم ،
موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ١٩٦ .

منذ عام ١٨٤٥ ، كنا ماركس وأنا متفقين على أن احدى النتائج النهائية للثورة البروليتارية القريبة سوف تكون الاضمحلال التدريجي للمنظمات السياسية التي تحمل اسم الدولة . لقد كان الغرض الرئيسي لهذه المنظمة على الدوام هو أن تضمن بمساعدة القوة المسلحة الاضطهاد الاقتصادي للغالبية الكادحة من قبل اقلية منعمة . ومع زوال هذه الاقلية المنعمة ستزول كذلك ضرورة القوة المسلحة الخاصة بالقمع ، ضرورة سلطة الدولة . بيد اننا كنا دائما على قناعة تامة بأنه ينبغي للطبقة العاملة قبل كل شيء ، كي

تبلغ هذا الهدف واهدافا أخرى أيضا - وليست هي بأقل الاهداف - إن تستولي على السلطة السياسية وأن تسحق بمساعدتها مقاومة طبقة الراسماليين ، وتنظم المجتمع بطريقة جديدة . وهذا ما يمكن أن نقرأه في **البيان الشيوعي** المكتوب في عام ١٨٤٧ ، الفصل الثاني من القسم الأخير .

إن الفوضويين يقبلون ترتيب العوامل . أنهم ينادون بأن الثورة البروليتارية يجب أن تبدأ بإلغاء المنظمة السياسية للدولة . والحال أن المنظمة الوحيدة التي تصادفها البروليتاريا جاهزة بعد انتصارها هي الدولة على وجه الدقة . وصحيح أن هذه الدولة تتطلب تغييرات بالغة قبل أن تكون قميئة باملاء وظائفها الجديدة . بيد أن تدميرها في مثل تلك اللحظة يقود إلى تدمير الأداة الوحيدة التي تتيح للبروليتاريا الظافرة استخدام السلطات التي استولت عليها حديثا ، وسحق خصومها الراسماليين ، وتحقيق ثورة المجتمع الاقتصادية التي لا يمكن بدونها لأي سلطة أن تنتهي الإهزيمة الجديدة وبإفناء العمال على نطاق واسع ، كما حدث بعد كومونة باريس .

ف. انجلز : « بمناسبة وفاة كارل ماركس » ،
في كارل ماركس وفريدريك انجلز ، **المؤلفات
الكاملة** ، الطبعة الروسية ، المجلد التاسع عشر ،
ص : ٣٥٩ - ٣٦٠ .

إن عقيدة نضال الطبقات المطبقة من قبل ماركس على الدولة والثورة الاشتراكية تقود بالضرورة إلى الاعتراف **بالسيطرة السياسية** للبروليتاريا، بدكتاتوريتها ، يعني بسلطة لا تقاسم أحدا فيها ، سلطة تعتمد بصورة مباشرة على القوة المسلحة للجماهير : فالبورجوازية لا يمكن قلبها إلا إذا حولت البروليتاريا إلى **طبقة سائدة** ، قادرة على سحق المقاومة المحتومة واليأس التي ستبديها البورجوازية ، وعلى تنظيم **سائر الجماهير الكادحة** والمستثمرة من أجل نظام اقتصادي جديد .

ان البروليتاريا تحتاج الى سلطة الدولة ، الى التنظيم المركز للقوة ، الى تنظيم العنف ، سواء من اجل قمع مقاومة المستثمرين ام في سبيل قيادة الغالبية العظمى للسكان - الفلاحين ، والبورجوازية الصغيرة ، وانصاف البروليتاريين - في عمل تنظيم الاقتصاد الاشتراكي .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ٢٢ - ٢٣ .

ان ثورة البروليتاريا هذه سوف تلغي تماما انقسام المجتمع السى طبقات ، وبالتالي كل تفاوت اجتماعي وسياسي ناجم عن ذلك الانقسام .

ويجب على البروليتاريا ، في سبيل انجاز هذه الثورة الاجتماعية ، ان تستولي على السلطة السياسية التي ستجعلها سيدة الموقف وتتيح لها تنحية جميع العقبات التي تفصلها عن هدفها العظيم . وبهذا المعنى، فان دكتاتورية البروليتاريا تشكل الشرط السياسي الذي لا غنى عنه للثورة الاجتماعية .

ف. لينين : « مشروع برنامج الحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الاولى ، المجلد السادس ، ص : ١٢ - ٢٣ .

ان دكتاتورية البروليتاريا وحدها قادرة على تحرير الانسانية من النير الرأسمالي ، ومن الكذب ، ومن البهتان ، ومن مراعاة الديمقراطية البورجوازية ، الديمقراطية من اجل الاثرياء ، وعلى اقامة الديمقراطية من اجل الفقراء ، يعني ان تضع عماليا في متناول العمال والفلاحين الفقراء حسنات الديمقراطية ...

لكن لماذا لا يمكن بلوغ هذا الهدف دون دكتاتورية طبقة واحدة ؟ لماذا لا يمكن الانتقال مباشرة الى الديمقراطية « الخالصة » ؟ . هذا هو

السؤال الذي يطرحه الاصدقاء المرازون للبورجوازية او البورجوازيون
الصفار السذج والمرازون الذين غررت البورجوازية بهم .

ونرد على ذلك : لان الدور الحاسم في كل مجتمع رأسمالي يعود اما
الى البورجوازية واما الى البروليتاريا ، بينما يظل المعلمون الصفار
بصورة لا مفر منها فريسة التردد والعجز بأحلامهم الحقاء من الديمقراطية
« الخالصة » ، يعني الديمقراطية فوق الطبقات وخارج الطبقات . لان
دكتاتورية الطبقة المضطهدة هي وحدها التي تتيح الخلاص من مجتمع
تضطهد فيه طبقة طبقة أخرى . لان البروليتاريا هي وحدها القادرة على
قهر البورجوازية والاطاحة بها ، طالما انها الطبقة الوحيدة التي جمعتها
الرأسمالية و « ثقتها » ، فهي قادرة على جرف الجماهرة المترددة للشفيلة
الذين يحيون حياة البورجوازيين الصفار ، او « تجميدها » على الاقل .
لان البورجوازيين الصفار والمرائين التملقين يستطيعون وحدهم ان يحلموا،
وهم يخدعون العمال ويخدعون أنفسهم ، بأن يقلبوا نير الرأسمالية دون
جهد طويل ومضن **لقمع مقاومة** المستثمرين . . . لكن حين يبدأ اغتصاب
المغتصبين ، فان مقاومة مستميتة وعنيفة سوف تجابهه .

ف. لينين : في « الديمقراطية » والدكتاتورية،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الثامن والعشرون ، ص : ٣٨٥ - ٣٨٧ .

. . . ان جوهر عقيدة ماركس عن الدولة لم يتمثله جيدا سوى اولئك
الذين فهموا ان دكتاتورية طبقة واحدة ضرورية ليس لكل مجتمع طبقي
على العموم فحسب ، وليس للبروليتاريا التي قلبت اليورجوازية فحسب،
بل كذلك لكل المرحلة التاريخية التي تفصل الرأسمالية عن « المجتمع
اللاطبقي » ، عن الشيوعية .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار
دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ٤٤ .

ان كل من لم يفهم ضرورة دكتاتورية اي طبقة ثورية من اجل تحقيق النصر لم يفهم شيئا من تاريخ الثورات او لا يريد ان يعرف شيئا في هذا المجال .

فـ لينين : اسهام في تاريخ مسالة الدكتاتورية ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الحادي والثلاثون ، ص : ٣٥٢ .

ان الثورة الاشتراكية لا تعني تغييرا في اشكال الدولة، ولا الاستعاضة عن الملكية بالجمهورية ، ولا اسلوبا جديدا في الاقتراع يفترض بشرا « متساوين » تماما ، وهو في واقع الامر حيلة تغطي وتقمع حقيقة ان البعض مالك والبعض غير مالك ... في المجتمع البورجوازي ، كانت جمهرة الشفيلة محكومة من قبل البورجوازية بمعونة هذه الاشكال او تلك ، الاكثر او الاقل ديموقراطية ؛ كانت اقلية هي التي تحكم ؛ المالكون الذين كانت لهم حصتهم من الملكية الراسمالية ، الذين كانوا يحولون التعليم والعلم ، وهما العقل الامنع والازدهار الاسمى للحضارة الراسمالية ، الى اداة للاستثمار ، الى احتكار، كما يبقوا غالبية البشر الساحقة في العبودية . ان الثورة التي باشرناها ، والتي نحققها منذ عامين ، والتي عقدنا العزم نكل حزم على مواصلتها حتى النهاية ، هذه الثورة ليست ممكنة وقابلة للتحقيق الا شريطة نجاحنا في امرار السلطة الى ايدي طبقة جديدة ، وظهور طبقة جديدة في جميع ميادين تسيير الدولة ، وفي بناء الدولة بمجموعه ، وفي جماع قيادة الحياة الجديدة ، وذلك في مكان البورجوازية، والمستعبدن الراسماليين ، والمثقفين البورجوازيين ، وممثلي جميع المالكين ، من الاعلى الى الاسفل .

فـ لينين : « تقرير الى المؤتمر الثاني
لنقابات روسيا ، بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩١٩ » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن
والعشرون ، ص : ٤٤٠ - ٤٤١ .

وهكذا فان الشروط الموضوعية تضع في جدول اعمال العصر الذي نعيشه تحضير البروليتاريا تحضيرا مباشرا ، في جميع الميادين ، من اجل الاستيلاء على السلطة السياسية بنية تطبيق التدابير الاقتصادية والسياسية التي تشكل لب الثورة الاشتراكية بالذات .

ف. لينين : « نصوص من اجل مراجعة برنامج الحزب » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الرابع والعشرون ، ص : ٤٧٢ .

ان احد الشروط الرئيسية لانتصار الثورة الاشتراكية هو ان تحتاز الطبقة العاملة وعي المياداة وتضعها موضع التطبيق ابان الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . ان سيادة طليعة جميع الشغيلة وجميع المستغلين ، يعني البروليتاريا ، لا غنى عنها خلال هذه المرحلة الانتقالية في سبيل القضاء على الطبقات نهائيا ، وسحق مقاومة المستثمرين ، وتوحيد جمهرة الشغيلة والمستغلين ، هذه الجمهرة المضطهدة والمسحوقة والمستتة من قبل الرأسمالية ، حول عمال المدن وفي تحالف اوثق ما يكون معهم .

ف. لينين : « رسالة الى رئاسة مؤتمر المنظمات البروليتارية للتعليم والثقافة » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٩٣ .

... ابان اي انتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، لا بد من الدكتاتورية لسبب جوهرين او في اتجاهين رئيسيين . فاولا لا يمكن قهر الرأسمالية واجتثاثها دون قمع لا هوادة فيه لمقاومة المستثمرين ، الذين لا يمكن تجريدهم من الوهلة الاولى من ثرواتهم ، ومحسنات تنظيمهم ومعرفتهم ، والذين لن يتوانوا من جراء ذلك ، خلال فترة مديدة من الزمن ، عن مضاعفة المحاولات الرامية الى قلب السلطة البغيضة التي يمارسها الفقراء . ومن ثم ، حتى اذا لم يكن ثمة حرب خارجية ، فان كل ثورة كبرى على العموم ، وكل ثورة اشتراكية على الاخص ، لا تعقل دون حرب

داخلية ، يعني دون حرب أهلية تؤدي الى خراب اقتصادي أعظم من الخراب
الناجم عن حرب خارجية ، وتتضمن آلاف وملايين الامثلة عن التردد والانتقال
من معسكر الى آخر ، وحالة قصوى من البلبلة ، والاضطراب ، والفوضى .
وانه لمن الواضح ان جميع عناصر تفسخ المجتمع القديم ،
الكثيرة العدد بصورة قاضية والمرتبطة على الاغلب بالبورجوازية الصغيرة
(ذلك ان هذه البورجوازية الصغيرة هي التي تدمرها وتصيبها كل حرب
او ازمة في المحل الاول) ، لن تتوانى عن « التظاهر » في ثورة على هذه
الدرجة من العمق . وهي لا تستطيع ان « تتظاهر » بشكل آخر غير مضاعفة
الجرائم ، واعمال اللصوصية ، والرشوة ، والمضاربة ، ومختلف الافعال
الدينية . ولا بد في سبيل التغلب على هذه الامور من الوقت ، ولا بد من
يد من حديد .

ف. لينين : المهمات الفورية للسلطة السوفيتية ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع
والعشرون ، ص : ٢٧٢ - ٢٧٤ .

ان دكتاتورية البروليتاريا هي الحرب الاكثر بطولة والاشد قسوة
التي تخوضها الطبقة الجديدة ضد عدو اقوى ، ضد البورجوازية التي
تتضاعف مقاومتها من جراء سقوطها بالضبط (ولو كان ذلك في بلد واحد)
والتي لا تستقيم قوتها في قوة الراسمال الدولي ، في قوة وامتانة الروابط
الدولية للبورجوازية فحسب ، بل ايضا في قوة العادة ، في قوة الانتاج الصغير .
ذلك انه لا يبرح في العالم بعد ، لسوء الحظ كمية كبيرة ، كبيرة جدا ، من الانتاج
الصغير ؛ وان الانتاج الصغير ليولد الراسمالية والبورجوازية باستمرار ،
في كل يوم ، وفي كل ساعة ، بطريقة عفوية وفي نسب كبيرة . ولهذه
الاسباب جميعا ، فان دكتاتورية البروليتاريا لاغنى عنها ، وانه لمن المستحيل
التغلب على البورجوازية دون حرب طويلة ، عنيدة ، مستميتة ، دون حرب
حياة او موت تتطلب ضبط النفس ، والانضباط ، والحزم ، وارادة موحدة
لاتلين .

وأكرر : ان تجربة الدكتاتورية البروليتارية الظاهرة في روسيا قد بينت بكل وضوح لأولئك الذين لا يعرفون ان يفكروا او الذين لم تسنح لهم فرصة التأمل في القضية ، ان مركزة مطلقة وانضباطاً بالغ الحزم للبروليتاريا هما احد الشروط الاساسية لقهر البورجوازية .

ف. لينين : مرض الشيوعية الطفولي
(اليسارية) ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ١٧ - ١٨ .

لقد ولت ازمة الاشتراكية الساذجة ، الطوبوية ، الوهمية ، الآلية ، الدهنية ، حيث كانت الامور تعرض على النحو التالي : سوف تقنع غالبية الناس ، وسوف نرسم اللوحة الجميلة للمجتمع الاشتراكي ، وعندئذ تتبنى الغالبية وجهة النظر الاشتراكية . لقد انقضت تلك الازمة حيث كان المرء يتسلى ويسلي الآخرين يمثل هذه الاقاصيص الصبانية . ان الماركسية ، التي تعترف بضرورة صراع الطبقات ، تقول : لن تبلغ البشرية الاشتراكية الا عن طريق دكتاتورية البروليتاريا .

ف. لينين : « المؤتمر الاول للتعليم خارج المدرسي
في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٢٥٨ .

تؤدي الإشتراكية الى زوال أي دولة ، وبالتالي أي ديموقراطية . لكن الاشتراكية لا يمكن ان تتحقق بطريق آخر الا من خلال دكتاتورية البروليتاريا ، التي تشارك العنف ضد البورجوازية ، يعني ضد أقلية السكان ، مع تطوير الديموقراطية تطويراً كاملاً ، يعني مع المشاركة المتساوية فعلاً والعمومية فعلاً لكل كتلة السكان في جميع شؤون الدولة وفي جميع المسائل المعقدة لتصفية الرأسمالية .

ف. لينين : جواب الى ب. كليفسكي (ا.)
بلاطكوف) ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٢٤ .

ليست دكتاتورية البروليتاريا شرعية تماما فحسب على اعتبارها وسيلة لقلب المستثمرين وتحطيم مقاومتهم ، بل هي ضرورية بصورة مطلقة ايضا من اجل الكتلة الكادحة بكاملها على اعتبارها الدفاع الوحيد ضد دكتاتورية البورجوازية التي قادت الى الحرب والتي تهيبء حروبا جديدة .

ف. لينين : « المؤتمر الاول للاممية الشيوعية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن
والعشرون ، ص : ٤٨٨ .

ان دكتاتورية طبقية ، دكتاتورية البروليتاريا ، تستطيع وحدها ان تحسم مسألة النضال ضد البورجوازية من اجل السيادة . ان دكتاتورية البروليتاريا تستطيع وحدها ان تنتصر على البورجوازية . ان البروليتاريا تستطيع وحدها ان تسقط البورجوازية . ان البروليتاريا وحدها تستطيع ان تجرف الجماهير ضد البورجوازية .

ف. لينين « المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي
(البلشفي) الروسي » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٢٠٠ .

ان دكتاتورية البروليتاريا ضرورية بصورة مطلقة ابان الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية ، وقد اكدت الممارسة هذه الحقيقة مليا في سياق ثورتنا .

ف. لينين : ست موضوعات عن المهمات الفورية
للسلطة السوفيتية ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٢٢٩ .

طبيعة دكتاتورية البروليتاريا واغراضها

... ان المرحلة الاولى في الثورة العمالية هي تشكل البروليتاريا في طبقة سائدة ، هي الاستيلاء على الديمقراطية ...

ولسوف تستخدم البروليتاريا هيمنتها السياسية كي تنتزع شيئاً فشيئاً كل الراسمال من الورجوازية ، وكي تركز جميع ادوات الانتاج بين ايدي الدولة ، يعني البروليتاريا المنظمة في طبقة سائدة ، وكي تزيد بأسرع وقت مقدار القوى المنتجة .

ك. ماركس وفريدريك انجلز : بيان الحزب الشيوعي ، منشورات دار دمشق ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٩ ، ص : ٥٦ .

انها (ثورة البروليتاريا) ستقيم بادىء ذي بدء دستوراً ديموقراطياً ، وعن هذه الطريق ، بصورة مباشرة او غير مباشرة ، السيطرة السياسية للبروليتاريا .

ولن تكون الديموقراطية ذات نفع للبروليتاريا اذا لم تستخدمها من فورها لاتخاذ تدابير تتضمن طمئة مباشرة للملكية الخاصة وتضمن وجود البروليتاريا . وان اهم هذه التدابير ، كما هي مبينة منذ الآن على انها مترتبة بالضرورة على الوضع ، هي التالية :

١ - انقاص الملكية الخاصة بواسطة الضرائب التصاعدية ، والضرائب المرتفعة على الارث ، والغاء حق الميراث في خط جانبي (الاخوة، ابناء الاخوة ، الخ ، الخ ،) ، والقروض الاجبارية ، الخ ؛

٢ - الاغتصاب التدريجي للملاكين المقارنين والصناعيين ، واصحاب السكك الحديدية واحواض السفن ، املو بواسطة منافسة صناعة الدولة ، واما مباشرة لقاء التمويل بسندات ؛

٣ - مصادرة جميع املاك المفترين والمتمردين على غالبية الشعب ؛

٤ - تنظيم العمل او استخدام العمال في الميادين والمصانع والورشات

الوطنية ، مع الغاء منافسة العمال فيما بينهم ، واجبار الصناعيين الموجودين بعد على دفع نفس الاجر المرتفع الذي تدفعه الدولة ؛

٥ - الزام العمل بالنسبة الى جميع افراد المجتمع . حتى القضاء التام على الملكية الفردية : تشكيل جيوش صناعية ، وبصورة خاصة من اجل الزراعة ؛

٦ - مركزة نظام الائتمان وتجارة المال في ايدي الدولة ، وذلك بواسطة تشكيل مصرف وطني ، برأسمال دَولِي ، والغاء جميع المصارف الخاصة ؛

٧ - مضاعفة المصانع الوطنية ، والورشات ، والخطوط الحديدية ، والسفن ، واستصلاح جميع الاراضي وتحسين الاراضي المزروعة من قبل بصورة مطردة مع زيادة الرساميل والقوى العاملة التي تملكها البلاد ؛

٨ - تربية جميع الاولاد ، منذ اللحظة التي يمكن فيها ابعادهم عن الاحضان الامومية ، في مؤسسات وطنية ، وعلى نفقة الامة (تربية وانتاج مصنع) .

٩ - بناء قصور كبيرة على الاراضي الوطنية كي تكون مسكنا لجماعات من المواطنين المشتغلين في الصناعة او الزراعة ، وتكون جامعة لمحسنات الحياة المدنية والحياة الريفية دون أن يكون لها مساوئها ؛

١٠ - تدمير جميع المساكن والاحياء غير الصحية والسيئة البناء ؛

١١ - حق الميراث المتساوي للابناء الشرعيين وغير الشرعيين ؛

١٢ - مركزة جميع وسائل النقل بين ايدي الدولة ...

... ذلك هو الهدف الذي تسعى اليه جميع هذه التدابير ، ولسوف تكون قابلة للتطبيق وتحقق مفعولها المركز بصورة مطردة مع نمو قوى

ف. انجلز : مبادئ الشيوعية ، مكتب النشر
والتوزيع والدعاية ، باريس ، ص : ٢٣ - ٢٥ .

... ان كل دولة هي آلة تمكن طبقة من سحق طبقة اخرى ...
والاكثر ديموقراطية هي آلة تمنح البورجوازية الوسيلة من اجل اضطهاد
البروليتاريا .

وليست دكتاتورية البروليتاريا « شكلا للحكم » ، بل دولة من نمط
آخر ، دولة بروليتارية ، أداة تمكن البروليتاريا من سحق البورجوازية .
وان هذا السحق لضروري ، لان البورجوازية ستواجه على الدوام
اغتيابها بمقاومة مستميتة .

ف. لينين : الثورة البروليتارية والمتردكاوتسكي ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلس
الثامن والعشرون ، ص : ١٠٦ .

ليست الدكتاتورية « شكلا للحكم » ، فما أسخف ذلك : وعلى أي
حال ، فماركس لا يتحدث عن « شكل الحكم » ، بل عن شكل أو نمط الدولة .
وليس ذلك بالشيء نفسه البتة ، أبدا على الاطلاق . وكذلك فانه من
الخطأ بصورة مطلقة ان طبقة لا تستطيع أن تحكم : مثل هذه الحماقة
لا يمكن أن تصدر الا عن « ابله برلماني » لا يرى شيئا خارج البرلمان
البورجوازي ولا يلاحظ شيئا خارج « الاحزاب القاندة » . ان أي بلد في
اوروبا لا على التمييز يقدم الى كاوتسكي أمثلة عن الحكم ببطيئة سائدة ؛
وتلك كانت حالة السادة العقارين في العصر الوسيط بالرغم من تنظيمهم
الناقص .

فلنلخص : لقد مسخ كاوتسكي بطريقة لم يسبق لها مثيل البتة
فكرة دكتاتورية البروليتاريا ، جاعلا من ماركس ليبراليا مبتدلا ، يعني انه

هو هو نفسه الى مستوى الليبرالي الذي ينطق بالسخافات عن « الديمقراطية الخالصة » ، مقنعا وطامسا في الوقت نفسه المضمون الطبقي للديموقراطية **البورجوازية** ، وكل خوفه يتجه نحو **العنف الثوري** من جانب الطبقة المضطهدة . وحين « فسر » كاوتسكي فكرة « الدكتاتورية الثورية للبروليتاريا » بحيث حذف منها العنف الثوري الذي تمارسه الطبقة المضطهدة ضد المضطهدين ، فقد حطم الرقم القياسي العالمي للتشويه الليبرالي لماركس . ان المرتد برنشتاين لا يبدو بعد الآن سوى ماجن لا ضرر منه الى جانب المرتد كاوتسكي .

ف. لينين : الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، الجلد
الثامن والعشرون ، ص : ٢٥٠ .

لكن المسيرة الى الامام انطلاقا من هذه الديمقراطية الرأسمالية - الضيقة بالضرورة ، التي تصد الفقراء عنها بكل مكر ، فهي بالتالي مرآية كذوب حتى لبابها - لا تقود بكل بساطة ، وبصورة مباشرة ودون مصادمات ، الى ديموقراطية اكمل فأكمل ، كما يتخيل ذلك الاساتذة الليبراليون والانتهازيون والبورجوازيون الصغار . كلا ، ان المسيرة الى امام ، يعني نحو الشيوعية ، تتم بالمرور بدكتاتورية البروليتاريا ، ولا يمكن ان تتم بصورة مغايرة ، لانه ليس ثمة طبقات اخرى او وسائل اخرى تستطيع ان تحطم مقاومة الرأسماليين المستثمرين .

والحال ان دكتاتورية البروليتاريا ، يعني تنظيم طليعة المضطهدين ، في طبقة سائدة في سبيل سحق المضطهدين ، لا يمكن ان تقتصر على توسيع الديمقراطية توسعا بسيطا . ان دكتاتورية البروليتاريا تفرض ، بصورة متوافقة مع توسيع الديمقراطية توسعا هائلا هذه الديمقراطية التي أصبحت للمرة الاولى ديموقراطية من اجل الفقراء ، ديموقراطية من اجل الشعب وليس من اجل الاثرياء ، سلسلة من القيود على حرية المضطهدين والمستثمرين والرأسماليين . فهؤلاء لابدء

لنا من سحقهم كيما نحرر الانسانية من العبودية المأجورة ؛ يجب تحطيم مقاومتهم بالقوة ؛ انه لمن الواضح انه حيثما يكون اضطهاد ، فثمة عنف ، ولا يكون للحرية وجود ، ولا للديموقراطية وجود .

ولقد عبر انجلز عن ذلك بصورة رائعة في رسالته الى بيبيل ، حيث يقول ، كما يتذكر القارىء :

« مادامت البروليتاريا في حاجة الى الدولة بعد ، فليس ذلك من اجل الحرية ، بل من اجل تنظيم القمع ضد خصومها . ويوم يصبح بالامكان الحديث عن الحرية ، فان الدولة بصفتها هذه ستكف عن الوجود . »

الديموقراطية من اجل الغالبية العظمى من الشعب ، والقمع بالقوة ، يعني حرمان المستثمرين ومضطهدي الشعب من الديموقراطية ، ذلك هو التبدل الذي تمر به الديموقراطية عند الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٨ ، ص : ١١٠-١١١ .

... لا تعني الدكتاتورية بالضرورة الغاء الديموقراطية من اجل الطبقة التي تمارس هذه الدكتاتورية على الطبقات الاخرى ، بل هي تعني بالضرورة الغاء (او التحديد الاساسي ، الذي هو ايضا احد أشكال الالغاء) الديموقراطية من اجل الطبقة التي تمارس الديموقراطية حيالها او ضدها .

ف. لينين : الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٢٤٣ .

ان الدكتاتورية سلطة تعتمد العنف مباشرة ولا ترتبط باي قانون .

وان الدكتاتورية الثورية للبروليتاريا هي سلطة تم الاستيلاء عليها

والاحتفاظ بها بالعنف ، وتمارسها البروليتاريا على البورجوازية ، وهي سلطة لا ترتبط بأي قانون .

ف. لينين : الثورة البروليتارية والمرشد كاوتسكي ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلس
الثامن والعشرون ، ص : ٥٤٤ .

لقد عرفنا دائما ، وقتنا دائما ، وكررنا دائما أنه لا يمكن « ادخال » الاشتراكية ، وانها تظهر في سياق النضال الطبقي الأشد عنفا ، والأكثر حدة ، والأعظم مرارة ، والأبلغ قسوة ، وفي سياق الحرب الأهلية ، وان مرحلة طويلة من « المخاض الاليم » تمتد بين الرأسمالية والاشتراكية ، وان العنف هو دائما مولدة المجتمع القديم ، وان مرحلة الانتقال من المجتمع البورجوازي الى المجتمع الاشتراكي تقابلها دولة خاصة (يعني نظاما خاصا للعنف المنظم حيثال طبقة معينة) ، الا وهي دكتاتورية البروليتاريا . بيد أن دكتاتورية البروليتاريا تفترض وتعبّر عن حالة حرب كامنة ، وتدابير عسكرية من أجل النضال ضد خصوم السلطة البروليتارية. لقد كانت الكومونة دكتاتورية للبروليتاريا: وقد اخذ ماركس وانجلز عليها انها لم تستخدم بما يكفي من الطاقة قوتها المسلحة من أجل سحق مقاومة المستثمرين وكانا يعتبران ان ذلك هو أحد أسباب سقوطها .

ف. لينين : « اولئك الذين يرهيبهم افلاس القديم واولئك الذين يناضلون من أجل الجديد » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلس
السادس والعشرون ، ص : ٤١٨ .

... ان تقييد الحق الانتخابي مشكلة خاصة بهذه الامة او تلك ، لا المسألة العامة للدكتاتورية . ويجب أن نتصدى لهذه المشكلة مع دراسة الشروط المخصوصة للثورة الروسية ، المجرى الخصوص لتطورها . وهذا ما سوف نفعله في تالي عرضنا . لكنه يكون من الخطأ ان نؤكد مسبقا ان ثورات الغد البروليتارية في اوربا ، جميعها أو معظمها ، سوف تفرض

بصورة مطلقة قيودا على الحقوق الانتخابية للبورجوازية . ولعل الامر يكون كذلك . فمن الأرجح أن يكون الامر كذلك بعد الحرب وتجربة الثورة الروسية : لكن هذا ليس امرا لازما من اجل تطبيق الدكتاتورية ؛ ليس هذا قرينة ضرورية لمفهوم الدكتاتورية المنطقي ؛ لا يشكل هذا مطلقا ، من اجل الدكتاتورية ، مظهرا ضروريا لواقعها التاريخي والطبقي .

ان القرينة الضرورية ، الشرط الواضح للدكتاتورية ، هو القمع العنيف للمستثمرين على اعتبارهم طبقة ، وبالتالي خرق « الديمقراطية الخالصة » ، يعني المساواة والحرية حيال هذه الطبقة ...

... في اية بلاد ، وفي اية شروط وطنية خاصة بهذه الرأسمالية او تلك سوف تطبق (بصورة تامة او رئيسية) هذه التدابير او تلك من تقييد الديمقراطية الخالصة ، من خرقها بالنسبة الى المستثمرين ، هذا ما يتوقف على الخصائص الوطنية لهذه الرأسمالية او تلك ، ولهذه الثورة او تلك .

ف. لينين : الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، الجلد
الثامن والعشرون ، ص : ٢٦٤ - ٢٦٥ .

ان حرمان البورجوازية من حق الاقتراع ، هذا ما لم تتأمله من وجهة نظر مطلقة في حال من الاحوال ، لانه يمكن تماما ، نظريا ، القبول بان دكتاتورية البروليتاريا تقع البورجوازية لدى كل خطوة بدون أن تحرمها مع ذلك من الحقوق الانتخابية . هذا ما يمكن ادراكه على اكمل وجه في النظرية ؛ كذلك نحن لا نزعم أننا نجعل من دستورنا نموذجا للبلدان الاخرى . نحن نقول فقط ان ذلك الذي يتوهم انه يمكن الانتقال الى الاشتراكية بدون سحق البورجوازية ليس باشتراكي . لكنه اذا كان مما لا غنى عنه سحق البورجوازية بوصفها طبقة ، فانه ليس مما لا غنى عنه حرمانها من

حق الاقتراع والمساواة .

ف. لينين : « المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي
(البلشفي) الروسي » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٦٨٢ .

ان دكتاتورية البروليتاريا تتضمن ضرورة قمع مقاومة المستثمرين
بالقوة ، فيجب أن تكون مستعدة لذلك ، قمينة به ، وحازمة عليه .

ف. لينين : « مشروع (أو موضوعات) رد
الحزب الشيوعي في روسيا على رسالة الحزب
الاشتراكي الديمقراطي المستقل في المانيا » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الثلاثون ، ص : ٣٥١ .

... تحتاج البروليتاريا الى الدولة - ان سائر الانتهازيين
والاشتراكيين - الشوفينييين والكاوتسكيين يرددون ذلك مؤكدين ان تلك
هي عقيدة ماركس ، لكن « ينسون » أن يضيفوا ، اولا انه لا يلزم البروليتاريا ،
في رأي ماركس ، سوى دولة في سبيل الفناء ؛ يعني مشكلة بحيث تأخذ
في الاضمحلال على الفور ، ولا يمكن الا تضمحل . ثانيا ان الشغيلة يحتاجون
الى « دولة » هي البروليتاريا المنظمة في طبقة سائدة » .

ان الدولة تنظيم خاص لسلطة : انها تنظيم العنف المعين لسحق
طبقة معينة . فما هي اذن الطبقة التي ينبغي للبروليتاريا سحقها ؟ مما
لا ريب فيه انها طبقة المستثمرين وحدها ، يعني البورجوازية . لا يحتاج
الشغيلة الى الدولة الامن اجل قمع مقاومة المستثمرين ؛ والحال ان البروليتاريا
وحدها قادرة على قيادة هذا القمع وتحقيقه عمليا ، وذلك على اعتبارها
الطبقة الثورية الوحيدة حتى النهاية ، الطبقة الوحيدة القادرة على توحيد
جميع الشغيلة وجميع المستغلين في النضال ضد البورجوازية ، بفرض
طردها كليا من السلطة .

ان الطبقات المستثمرة تحتاج الى السيطرة السياسية كي تحافظ على الاستثمار ، يعني كي تدافع عن المصالح الانانية لاقلية زهيدة ضد غالبية الشعب العظمى . وان الطبقات المستثمرة تحتاج الى السيطرة السياسية كي تفضي نهائيا على كل استثمار ، يعني كي تدافع عن مصالح غالبية الشعب العظمى ضد الاقلية الزهيدة للاستعبادين المحدثين ، يعني الملاكين العقاريين الكبار والراسماليين .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٨ ، ص : ٢١ .

ليس العنف وحده ، ولا العنف بصورة رئيسية ، هو الذي يصنع حقيقة الدكتاتورية البروليتارية . ان صفتها الاولية تستقيم في روح التنظيم والانضباط لدى البروليتاريا ، الفصلية الطليعية القائدة للشغيلة . وان هدفها هو تأسيس الاشتراكية ، والقضاء على تقسيم المجتمع الى طبقات ، وجعل جميع اعضاء المجتمع شغيلة ، والقضاء على اساس كل استثمار للانسان من قبل الانسان . ولا يمكن بلوغ هذا الهدف دفعة واحدة ؛ فلا بد في سبيل ذلك من مرحلة انتقالية طويلة من الراسمالية الى الاشتراكية ، لان اعادة تنظيم الانتاج شيء عسير ، ولانه لا بد من الوقت في سبيل ادخال تغييرات جذرية الى سائر ميادين الحياة ، ولان قوة العادة الهائلة التي يتحلى بها التسيير البورجوازي الصغير والبورجوازي لا يمكن التغلب عليها الا في نضال مرير وطويل الامل ، ولذا تحدث ماركس عن مرحلة كاملة لدكتاتورية البروليتاريا تدمغ الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية .

ف. لينين : توعية الى العمال المجرين ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٢٩٣ - ٢٩٤ .

كما سنحت لي الفرصة من قبل لبيان ذلك مرات عديدة ، وفي جملتها في

خطابي بتاريخ ١٢ آذار في مجلس سوفييت مندوبي بتروغراد ، فان دكتاتورية البروليتاريا ليست مجرد العنف الممارس ضد المستثمرين ، بل حتى ليست هي العنف في جوهرها . ان الاساس الاقتصادي لهذا العنف الثوري ، ضمانة حيويته ونجاحه ، هو ان البروليتاريا تقدم وتحقق نمطا أعلى للتنظيم الاجتماعي للعمل بالمقارنة مع الرأسمالية . ذلك هو اساس المسألة . ذلك هو مصدر وضمان الانتصار التام والحتمي الذي سوف تحققه الشيوعية .

ف. لينين : « المبادرة العظمى » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٤٢٣ .

ان دكتاتورية البروليتاريا ، اذا ترجمنا هذا التعبير اللاتيني العلمي ، هذه العبارة التاريخية والفلسفية ، الى لغة أبسط تعني :

ان طبقة معينة ، ألا وهي عمال المدن ، وعلى العموم عمال المصانع ، العمال الصناعيون ، تستطيع وحدها ان تقود كتلة الشغيلة والمستثمرين في الصراع من اجل الاطاحة بنير الرأسمال ، في سياق هذه الاطاحة نفسها ، وفي النضال من اجل الحفاظ على النصر وتوطيده ، في العمل الخلاق لنظام اجتماعي جديد ، نظام اشتراكي : في الصراع من اجل القضاء على الطبقات قضاء مبرحا .

ف. لينين : « المبادرة العظمى » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٤٢٤ .

ان دكتاتورية البروليتاريا هي التحقيق الاكمل لقيادة جميع الشغيلة وجميع المستثمرين ، والمضطهدين ، والمخبلين ، والسحوقين ، والمرهبين ، والمقسمين ، والمضللين من قبل طبقة الرأسماليين ، وهي قيادة تمارسها

الطبقة الوحيدة المهيأة لهذا الدور القيادي بفعل تاريخ الرأسمالية بكامله .

ف. لينين : « موضوعات عن المهمات الأساسية
للمؤتمر الثاني للاممية الشيوعية » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي
والثلاثون ، ص : ١٩٤ .

ان البروليتاريا مدعوة لأن تصبح الطبقة السائدة ، مرشدة جميع
الشفيلة ، الطبقة السائدة سياسيا .

ويجب النضال ضد المستبق الذي ينص على ان البورجوازية
وحدها قادرة على سياسة الدولة . ان على البروليتاريا أن تأخذ أمر
تسيير الدولة في أيديها .

ف. لينين : « تقرير عن وضع عمال بتروغراد
الاقتصادي وعن مهمات الطبقة العاملة في جلسة
القسم العمالي من مجلس سوفيت مندوبي عمال
وجنود بتروغراد ، بتاريخ ٤ (١٧) كانون الاول
١٩١٦ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد السادس والعشرون ، ص : ٣٨٢ .

ان مبدأ الدكتاتورية العظيم هو دعم التحالف بين البروليتاريا
وطبقة الفلاحين ، كما تتمكن البروليتاريا من الاحتفاظ بدورها القيادي
وبسلطة الدولة .

ف. لينين : « المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الثاني والثلاثون ، ص : ٥٢١ .

ان السادة الانتهازيين ، والكاوتسكيون في عدادهم ، يستهزئون
بمقيدة ماركس حين « يعلمون » الشعب بأن البروليتاريا يجب اولاً أن

تكسب الغالبية بالاقتراع العام ، وتحصل من بعد على سلطة الدولة بفضل تصويت هذه الغالبية ، ومن بعد فقط ، على هذا الأساس من الديمقراطية « الحازمة » (يقول البعض « الخالصة ») ، تعتمد الى تنظيم الاشتراكية .

أما نحن فاننا نقول ، أقوياء ، بعقيدة ماركس وبتجربة الثورة الروسية :

يجب على البروليتاريا أولا أن تقلب البورجوازية وان تستولي **لنفسها** على سلطة الدولة ، ومن بعد تستخدم سلطة الدولة هذه ، يعني دكتاتورية البروليتاريا ، على أنها أداة طبقتها ، كيما تكسب عطف غالبية الشغيلة .

ف. لينين : « انتخابات الجمعية التأسيسية ودكتاتورية البروليتاريا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٢٧٠ .

ان دكتاتورية البروليتاريا تفترض وتعني الوعي الواضح لهذه الحقيقة : ان البروليتاريا ، بفضل وضعيتها الموضوعية ، الاقتصادية ، في كل مجتمع رأسمالي ، تعبر بصورة صائبة عن مصالح الكتلة الكاملة للشغيلة والمستثمرين ، لجميع أنصاف البروليتاريين (يعني اولئك الذين يحيون بصورة جزئية من بيع قوة عملهم) ، لجميع الفلاحين الصغار ، السخ .

ف. لينين : « مشروع (أو موضوعات) رد الحزب الشيوعي في روسيا على رسالة الحزب الاشتراكي الديمقراطي المستقل في ألمانيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٣٥٠ .

ان الشيء المشترك بين دكتاتورية البروليتاريا ودكتاتورية الطبقات

الآخري هو أن مردها الى الضرورة الداعية ، كما هي حال كل دكتاتورية، الى استخدام العنف في تحطيم مقاومة الطبقة التي تفقد سيطرتها السياسية. وان ما يميز بصورة اساسية دكتاتورية البروليتاريا من دكتاتورية الطبقات الآخري ، من دكتاتورية الملاكين العقاريين في العصر الوسيط ، ودكتاتورية البورجوازية في سائر البلدان الرأسمالية المتحضرة ، هو ان دكتاتورية الملاكين العقاريين والبورجوازية قد كانت استخدام العنف في قمع مقاومة الغالبية العظمى للسكان ، الا وهم الشغيلة . وعلى العكس من ذلك ، فان دكتاتورية البروليتاريا هي استخدام العنف في قمع مقاومة المستثمرين، يعني الاقلية الزهيدة من السكان ، مقاومة الملاكين العقاريين والرأسماليين.

ويترتب على ذلك أن دكتاتورية البروليتاريا يجب ان تولد بالضرورة لا تعديل الاشكال والمؤسسات الديمقراطية على العموم فحسب ، بل على وجه الدقة توسيع الديمقراطية الفعلية بصورة لم يسبق لها مثيل في مصلحة الطبقات الكادحة المضطهدة من قبل الرأسمالية .

وبالفعل ، فان شكل دكتاتورية البروليتاريا الذي تم اعداده عمليا من قبل، يعني سلطة المجالس السوفيتية في روسيا ، ونظام Rate في المانيا ، ولجان مستخدمي الدكاكين والمؤسسات المعاملة في البلدان الآخري ، هذه جميعا تعني وتحقق بالضبط في مصلحة الطبقات الكادحة، يعني الغالبية الساحق من السكان ، الامكانية الحقيقية للاستمتاع بالحقوق والحريات الديمقراطية ، كما لم يتوفر وجودها من قبل على الاطلاق حتى ولا بصورة تقريبية في الجمهوريات البورجوازية الفضلى والاكثر ديموقراطية .

ف. لينين : « المؤتمر الاول للامية الشيوعية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن
والعشرون ، ص : ٤٨٩ .

تأخذ الاشتراكية على عاتقها مهمة النضال في العالم اجمع ضد كل

استثمار الانسان من قبل الانسان . وان الديمقراطية الوحيدة الصالحة لنا هي الديمقراطية العاملة في خدمة الشعب ، في خدمة اولئك الذين لا يتمتعون بالمساواة في الحقوق . ان يحرم الانسان الذي لا يعمل من الحقوق الانتخابية ، تلك هي المساواة الحقيقية بين البشر . ان ذلك الذي لا يعمل يجب الا يأكل .

ف. لينين : « مهمات الحركة العاملة النسائية في جمهورية المجالس السوفييتية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٣٦ .

يبد انه يجب ، في سبيل قلب النظام البورجوازي ، سلطة ثورية حازمة للطبقات الكادحة : سلطة الدولة الثورية . وهذا ما يصنع جوهر الشيوعية . والآن ، اذ تاخذ الجماهير نفسها السلاح وتخرط في نضال لا هوادة فيه ضد المستثمرين ، الآن اذ تمارس سلطة شعبية جديدة لا تملك شيئاً مشتركاً مع السلطة البرلمانية - فاننا نتعامل لا مع الدولة القديمة التي عفا الزمان على تقاليدها وأشكالها ، بل مع شيء جديد ، يقوم على القوة الخلاقة للفئات الدنيا من المجتمع .

ف. لينين : « المؤتمر الثالث للمجالس السوفييتية لندوبي العمال والجنود والفلاحين في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السادس والعشرون ، ص : ٤٩٧ .

الحقيقة هي أن الدولة البورجوازية التي تمارس دكتاتورية البورجوازية بواسطة الجمهورية الديمقراطية لا تستطيع أن تعترف امام الشعب بأنها تخدم البورجوازية : انها لا تستطيع ان تقول الحقيقة ، فهي مضطرة الى الخداع .

ان الدولة من نمط الكومونة ، الدولة السوفييتية ، تقول على العكس

من ذلك بكل صراحة ودون مراوغة الحقيقة للشعب . انها تعلن انها
دكتاتورية البروليتاريا وطبقة الفلاحين الفقراء ، وتكسب الى جانبها
بفضل هذه الحقيقة على وجه الدفة عشرات وعشرات الملايين من المواطنين الجدد ،
المرهقين في اي جمهورية ديموقراطية كانت ، بينما المجالس السوفيتية
تشركهم في الحياة العامة ، في اديموقراطية ، في تسيير الدولة . ان جمهورية
المجالس السوفيتية تبعث الى الارياف بفصائل من العمال المسلحين ،
المنتقين قبل كل شيء من بين اكثر العمال تقدما ، عمال العاصمة . ويحمل
هؤلاء العمال الاشتراكية الى القرية ، ويجتذبون اليهم طبقة الفلاحين
الفقراء التي ينظمونها ويثقفونها : انهم يساعدونها على قمع مقاومة
البورجوازية .

ف. لينين : الثورة البروليتارية والمرتد كاتسكي ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن
والعشرون ، ص : ٣١٣ .

كانت البورجوازية تستخدم سلطة الدولة على انها اداة طبقة
الراسماليين ضد البروليتاريا ، ضد جميع الشغيلة . كذلك كان الامر في
ان جمهوريات البورجوازية الاكثر ديموقراطية . وان اولئك الذين خانوا
الماركسية هم وحدهم الذين « نسوا » هذه الحقيقة .

يجب على البروليتاريا (بعد ان تجمع « فرقا صدامية » سياسية
وعسكرية على قدر كاف من القوة) ان تقلب البورجوازية ، ان تنتزع منها
سلطة الدولة ، كما تستخدم هذه الاداة في اغراضها الطبقية الخاصة .

فما هي اذن الاهداف الطبقية للبروليتاريا ؟

سحق مقاومة البورجوازية .

« تجميد » طبقة الفلاحين ، واجتذابها قدر الامكان ، على اي حال

اجتذاب غالبية قسمها الكادح ، غير المستثمر ، الى جانب البروليتاريا .

تنظيم الانتاج الكبير المكنن ، وذلك بصورة عامة في المعامل والمشاريع
الانتاجية التي اغتصبت ملكيتها من البورجوازية .

تنظيم الاشتراكية على أطلال الرأسمالية .

ف. لينين : « انتخابات الجمعية التأسيسية
ودكتاتورية البروليتاريا » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٢٦٩-٢٧٠ .

انه لمن الطبيعي والمحتسم أن يكون أكثر ما يشغلنا غداة الثورة
البروليتارية هي المهمة الرئيسية والاساسية ، ألا وهي التغلب على مقاومة
البورجوازية ، وقهر المستثمرين ، وقمع مؤامراتهم (مثلا مؤامرة
الاستعباديين (٢١)) من أجل تسليم بتروغراد ، هذه المؤامرة التي انفسر
الجميع فيها - من المائة السود (٢٢) والكاديت (٢٣) حتى المناشفة
والاشتراكيين الثوريين ايضا) . لكن مهمة أخرى تفرض نفسها بصورة
موازية لتلك المهمة ، وليست هي بأقل ضرورة منها - وهذا بمزيد من
القوة دائما - تلك هي المهمة الأكثر جوهرية الخاصة ببناء الشيوعية بنا:
ايجابيا ، وبخلق علاقات اقتصادية جديدة ومجتمع جديد .

ف. لينين : « المبادرة العظيمة » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع
والعشرون ، ص : ٤٢٣ .

من أجل حسن الإدارة ... يجب ... أن نعرف ان ننظم عمليا .
تلك هي المهمة الأصعب ، ذلك أن الامر يتطلب ان ننظم بطريقة جديدة
القواعد الاعمق ، القواعد الاقتصادية ، لوجود عشرات وعشرات الملايين من

البشر . وتلك هي ايضا المهمة الاخصب ، ذلك اننا لن نستطيع الا **بهد**
تحقيقها (في خطوطها الاساسية الكبرى) أن نقول ان روسيا **قد أضحت**
جمهورية لا سوفيتية فحسب ، بل اشتراكية ايضا .

ف. لينين : « المهمات الفورية لسلطة المجالس
السوفيتية » ، **المؤلفات الكاملة** ، باريس - موسكو ،
المجلد السابع والعشرون ، ص : ٢٥١ .

انه يخلصنا ان ننظم الحياة الاقتصادية على أسس جديدة أكثر
احكاما ، ونحن نأخذ بعين الاعتبار جميع منجزات الرأسمالية ونستخدمها ،
وبدون ذلك لن يكون في مقدورنا ان نبني لا الاشتراكية ولا الشيوعية . ان
هذه المهمة اصعب من المهمة العسكرية . وانه لاسهل علينا ، من جوانب
عديدة ، ان ننجز هذه المهمة الاخيرة . اننا نستطيع ان ننجزها في انتفاضة
من الطاقة والتفاني . ولقد كان الفلاحون يشعرون بمزيد من الراحة ويفهمون
بصورة أفضل حين كانوا يسيرون ضد العدو القديم جدا ، الا وهو الملاك
العقاري .

ف. لينين : « خطاب في المؤتمر الثالث لنتقبات
روسيا ، بتاريخ ٧ نيسان ١٩١٧ » ، **المؤلفات**
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ،
ص : ٥٢٠ .

يجب ان نقوم بعمل مفيد ، لا أن نحرد قرارات . وفي ظل النظام
البيروقراطي ، كان ارباب العمل لا اجهزة الدولة هم الذين يعملون ، بينما
العمل الاقتصادي عندنا هو عملنا جميعا . بالنسبة لنا ، تلك هي السياسة
الابعث على الاهتمام .

ف. لينين : « الاجتماع العاشر في روسيا للحزب
الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، **المؤلفات**
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني
والثلاثون ، ص : ٤٥٩ .

ان مهمة ادارة الدولة ، التي تنتصب الآونة في المستوى الاول امام السلطة السوفيتية ، تملك هذه الخاصية أيضا ، الا وهي انه يطرح على بساط البحث حاليا ، وربما للمرة الاولى في التاريخ المعاصر للشعوب المتحضرة ، امر ادارة ليست السياسة هي التي تملك الاهمية العظمى فيها ، بل الاقتصاد . ولقد جرت العادة ان تشارك مع عبارة « ادارة » ، بالضبط وقبل كل شيء ، فعالية هي فعالية سياسية بصورة رئيسية ، او بصورة خالصة أيضا . وعلى اي حال ، فان ذات اسس السلطة السوفيتية ، جوهرها بالذات ، سواء بسواء كجوهر الانتقال من المجتمع الرأسمالي الى المجتمع الاشتراكي ، تستقيم في خضوع المهمات السياسية للمهمات الاقتصادية . واليوم ، وعلى الاخص بعد تجربة عملية مضى عليها اكثر من اربعة اشهر من وجود السلطة السوفيتية ، يجب ان يكون واضحا كل الوضوح لدينا ان مهمة ادارة الدولة تعود الآن اولا وقبل كل شيء الى المهمة الاقتصادية الخالصة التي تستقيم في شفاء البلاد من الجراح التي سببتها الحرب لها ، وفي تجديد القوى الانتاجية ، وفي تنظيم المحاسبة ومراقبة الانتاج وتوزيع المنتجات ، وفي زيادة انتاجية العمل - وبكلمة واحدة تعود الى مهمة اعادة التنظيم الاقتصادي .

ويمكن ان نقول ان هذه المهمة تنقسم الى باين رئيسيين : ١ - المحاسبة ومراقبة الانتاج وتوزيع المنتجات ، في الاشكال الاوسع ، والاعم ، والاكثر عمومية للمحاسبة والرقابة ، و ٢ - زيادة انتاجية العمل .

ف. لينين : « الحالة الاولى لقالة المهمات الفورية لسلطة المجالس السوفيتية » ، المؤلفات الكاملة ، المجلد السادس والثلاثون ، الطبعة الروسية الخامسة ، ص : ١٣٠ - ١٣١ .

تستقيم مهمتنا الجوهريّة ، فيما تستقيم به ، في مجابهة حقيقتنا « بالحقيقة » البورجوازية وفرضها عليها بوصفها وزنا معدلا .

ان الانتقال من المجتمع البورجوازي الى سياسة البروليتاريا امر
عسير جدا ، وتزداد صعوبته بقدر ما تفتري علينا البورجوازية باستمرار ،
مشرعة كل جهاز الدعاية والتحريض الخاص بها . وانها لتسمى لان تطمس
قدر الامكان الرسالة الهامة لدكتاتورية البروليتاريا ، رسالتها التعليمية ،
هذه الرسالة ذات الاهمية الخاصة في روسيا حيث لا تشكل البروليتاريا
سوى الاقلية من السكان . والحال ان هذه الرسالة يجب ان تقدم الى
المستوى الاول ، ذلك انه يجب علينا ان نهىء الجماهير من اجل بناء
الاشتراكية . ولن يكون ثمة مجال لدكتاتورية البروليتاريا اذا لم تصهر
البروليتاريا لنفسها ، في الصراع ضد البورجوازية ، وعيا عاليا ، وانضباطا
قويا ، وروح تضحية عظيمة ، يعني جميع الصفات المطلوبة من اجل ضمان
نصر البروليتاريا التام على عدوها الابدئي .

ف. لينين : « خطاب في المؤتمر الروسي لقيادات
التعليم السياسي قرب اقسام الأقاليم وقسم التعليم
العام ، بتاريخ ٣ تشرين الثاني ١٩٢٠ » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي
والثلاثون ، ص : ٣٧٩ - ٣٨٠ .

يجب على البروليتاريا كما تنتصر وتخلق الاشتراكية وتوطدها ان
تنجز مهمة مضاعفة : اولاً أن تجر كتلة الشغيلة والمستثمرين بفضل
البطولة الدائمة لنضالها الثوري ضد الرأسمال ؛ ان تجرها ، وتنظمها ،
وتقودها بهدف اسقاط البورجوازية وتحطيم مقاومتها تحطيماً تاماً ؛ ثانياً
ان تقود وراءها كتلة الشغيلة والمستثمرين ، وكذلك الفئات البورجوازية
الصغيرة ، في طريق البناء الاقتصادي الجديد ، واقامة علاقات اجتماعية
جديدة وانضباط جديد في العمل ، وتنظيم جديد للعمل يجمع بين الكلمة
الاخيرة للعلم والتقنية الرأسمالية وبين الاتحاد الجماهيري للشغيلة الواعين،

صنعة الانتاج الاشتراكي الكبير .

ف. لينين : « المبادرة العظمى » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع
والعشرون ، ص : ٤٢٧ .

ان تجربة الثورة تثبت انه ليس من المسير تغيير اشكال الحكم ، وانه
من الممكن القضاء في وقت قليل على طبقة الملاكين العقاريين والراسماليين
السائدة ، بل خلال اسابيع قليلة اذا كان تطور الثورة ملائما . لكن
تحويل الشروط الاساسية للحياة الاقتصادية ، النضال ضد العادات
القديمة المتأصلة منذ قرون وآلاف السنين في ذهنية كل ملاك صغير هو
امر يتطلب ، بعد الاطاحة بالطبقات المستثمرة اطاحة تامة ، سنوات طويلا
من التنظيم العنيد .

ف. لينين : « خطاب عن حالة التموين والوضع
المسكري في اجتماع لجان العامل والمصانع ، وممثلي
الاتحادات النقابية ، و مندوبي التعاونية العمالية
المركزية في موسكو ومجلس جمعية « التعاون » ،
بتاريخ ٣٠ تموز ١٩١٩ » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ،
ص : ٥٢٨ .

... حين تنفجر الثورة ، فان ذلك يختلف تماما عما يجري حين
يموت انسان ما ويشيع جثمانه . حين يموت المجتمع القديم ، فانه لا يمكن
ان تسمر جثته في نعش وتحبس في قبر . ان هذه الجثة تتفسخ في وسطنا ،
وهي تتعفن وتلوثنا نحن ايضا .

ان اي ثورة عظمى في العالم لم تجر ولا يمكن ان تجري بصورة مفاجئة .
ان كل ما يجب ان نناضل ضده ، كيما نحتفظ ببذور التجدد ونميتها في جو
مشرب بالروائح النتنة للجثة التي تتفسخ ، هذه الصحافة وهذا الوضع

السياسي ، وهذا اللعب الذي تلعبه الاحزاب السياسية التي تشربت ، من الكاديت حتى المناشقة ، بهذه الروائح النتنة الفاتحة من الجثة المتعفنة ، هو على وجه الدقة ما تتهيا هذه الاحزاب لان ترمينا به على انه عصي في الدوايب . ابدا لن يكون في الامكان توليد الثورة الاشتراكية بصورة مغايرة ، وابدأ لن ينتقل اي بلد كان من الرأسمالية الى الاشتراكية الا في ملء تعفن الرأسمالية وبواسطة نضال قاس ضد هذه الرأسمالية .

ف. لينين : « الاجتماع المشترك للجنة التنفيذية المركزية ولسوفييت موسكو لمدوبي العمال والفلاحين والجنود الحمر والثقات ، بتاريخ ٤ حزيران ١٩١٨ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٤٦١ .

ان زيادة انتاجية العمل هي احدى مهماتنا الاساسية ، والا فان الانتقال النهائي الى الشيوعية لا يمكن تصوره . يجب لهذه الغاية ، فيما عدا عمل تثقيف الجماهير ورفع مستواها الثقافي ، ان نستخدم بصورة فورية ، على نطاق عريض وفي جميع الميادين ، اخصائيي العلم والتقنية الذين خلفتهم الرأسمالية لنا ، والذين هم طبعا مشبعون بالمفاهيم والعادات البورجوازية .

ف. لينين : « مشروع برنامج الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ١٠٩ .

لم يكن العامل قط منفصلا عن المجتمع القديم بسور صيني . ولقد احتفظ بنصيب جيد من السيكولوجية التقليدية للمجتمع الرأسمالي . ان العمال ينون مجتمعا جديدا دون ان يتحولوا الى بشر جدد تخلصوا من طين العالم القديم : انهم لا يبرحون غارقين في هذا الطين حتى ركبهم . ولا يمكن ان يكون تنظيف هذا الطين سوى حلم بعد . وانه ليكون من قبيل الوهم الاشد خداعا ان نحسب ان صنع ذلك ممكن في الحال . وسوف

يكون ذلك وهما لا يفعل سوى تأجيل الاشتراكية الى زمن موهوم ليس له وجود .

لا ، لن نعد الى بناء الاشتراكية بهذه الطريقة . اننا نقف على ارض المجتمع الرأسمالي ، مناظرين ضد كل وهن ، وضد جميع العيوب الموجودة لدى الشغيلة ايضا والتي تجر البروليتاريا من أسفل . وفي هذا النضال يوجد بعد قدر كبير من العادات والاعراف القديمة الفردية الخاصة بالملاكين الصغار ؛ وان الشعار القديم : « كل لنفسه ، والله للجميع » لا يبرح باقيا . ولقد كان في كل نقابة ، وفي كل مصنع لم يكن يفكر على الاغلب الا بنفسه وحدها ، اكثر مما ينبغي من تلك البقايا ؛ اما البقية ، فليمن به الله والسلطات . لقد شاهدنا هذا ، وخبرناه على حسابنا ، وقد كلفنا هذا كثيرا من الاخطاء الثقيلة ، بحيث نأخذ حاليا بعين الاعتبار هذه التجربة ونقول للرفاق : اننا نحذركم بأحزم طريقة من جميع الافعال الفردية في هذا الميدان . واننا لنقول : لن يكون ذلك بناء للاشتراكية ، بل سيكون ذلك استسلاما منا جميعا لنقائص الرأسمالية .

ف. لينين : « تقرير الى المؤتمر الثاني لنقابات
روسيا ، بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩١٩ » ، المؤلفات
الكاملة ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٤٤٦ .

ان النضال ضد هذا الداء ، ضد المستبقات البورجوازية الصغيرة القومية النزعة الأشد تأصلا ، يكتسب مزيدا من الاهمية بقدر ما تصبح قضية تحويل دكتاتورية البروليتاريا من دكتاتورية وطنية (يعني قائمة في بلد واحد وعاجزة عن تقرير سياسة عالمية) الى دكتاتورية أممية (يعني دكتاتورية البروليتاريا في عدد كبير على الاقل من البلدان المتقدمة والقادرة على ان يكون لها تأثير حاسم في كل السياسة العالمية) ، أقول بقدر ماتصبح هذه القضية اشد حالية يوما بعد يوم .

ف. لينين : « المسودة الاولى للموضوعات عن
المسائل الوطنية والمستعمرية » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ،
ص : ١٤٩ -

اننا في روسيا لا نبرح بعد (بعد سنتين من قلب البورجوازية) عند القيام بخطواتنا الاولى في طريق الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، او المرحلة الدنيا من الشيوعية . إن الطبقات موجودة ، وهي لن ترحم موجودة في كل مكان ، طوال سنوات بعد استيلاء البروليتاريا على السلطة . ولعل هذا التأخير سيكون أقل في انكلترا حيث لا يوجد فلاحون (لكن حيث يوجد مع ذلك أرباب عمل صغار !) . إن القضاء على الطبقات ليس مجرد طرد الملاكين العقاريين الكبار والرأسماليين - الأمر الذي كان يسيرا علينا نسبيا - بل هو أيضا القضاء على المنتجين الصغار للبضائع ؛ والحال أن هؤلاء لا يمكن طردهم ، لا يمكن سحقهم ، ولا بد من معادرتهم . اننا سنطيع (ويجب علينا) أن نحولهم ، أن نعيد تثقيفهم - لكن ذلك لن يكون الا بعمل تنظيمي طويل جدا ، وبطيء جدا ، وحذر جدا .

ف. لينين : مرضى الشيوعية الطفولي (اليسارية)،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الحادي والثلاثون ، ص : ٢٨ - ٢٩ .

الاقتصاد في مرحلة دكتاتورية البروليتاريا

يبدو انه ليس ثمة انسان ، من بين جميع الذين عنوا باقتصاد روسيا ، لم ينكر الطابع الانتقالي لهذا الاقتصاد . ويبدو انه ليس ثمة شيوعي لم ينكر ان عبارة « الجمهورية الاشتراكية للمجالس السوفييتية » تعبر عن ارادة سلطة المجالس السوفييتية في ضمان الانتقال الى الاشتراكية ، لكن لا تعني في حال من الاحوال ان النظام الاقتصادي الجديد هو الاشتراكية . لكن ما معنى كلمة الانتقال ؟ ألا تعني ، لدى تطبيقها على الاقتصاد ، ان في النظام المعطى عناصر ، وجزئيات ، ونتفا من الرأسمالية ومن الاشتراكية ؟ ان الجميع سيوافقون على ذلك . لكن اولئك الذين يوافقون على ذلك لا يتساءلون على الدوام ما هي على وجه الدقة العناصر التي

تناط بالانماط الاقتصادية الاجتماعية المختلفة المتعايشة في روسيا . والحال ان عقدة المسألة هي هنا بالضبط .

فلنعدد هذه العناصر :

١ - الاقتصاد البطريركي ، يعني حتى درجة كبيرة جداً الاقتصاد الطبيعي ، الفلاحي ؛

٢ - الانتاج التجاري الصغير (ويشتمل هذا الباب على غالبية الفلاحين الذين يبيعون القمح) ؛

٣ - الرأسمالية الخاصة ؛

٤ - رأسمالية الدولة ؛

٥ - الاشتراكية ؛

ان روسيا لكبيرة جدا وذات تنوع كبير بحيث تتداخل فيها جميع هذه الانماط الاقتصادية والاجتماعية بصورة وثيقة . وهذا هو الامر الفريد في وضعنا .

ما هي اذن العناصر السائدة ؟ انه لمن الجلي ان العنصر البورجوازي الصغير هو الذي يسود في بلد من الفلاحين الصفار ، ولا يمكن الا ان يسود ؛ ان الغالبية ، الغالبية الساحقة من الزراع هم منتجون صفار .

ف. لينين : « الضريبة عينا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص : ٣٥٠ - ٣٥١ .

مادمنا نحيا في بلد قائم على الزراعة الصغرى ، فان القاعدة الاقتصادية في روسيا هي او طرد للرأسمالية منها للاشتراكية . هذا ما يجب ان نتذكره .

وان كل من راقب بانتباه الحياة في الريف وقارن بينها وبين الحياة في المدينة ، يعرف اننا لم ننتزع جذور الرأسمالية ولا نسفنا الاسس ، القاعدة ، لدى العدو الداخلي . إن هذا العدو يصمد بفضل الاقتصاد الصغير ، وثمة وسيلة من اجل نفسه ، ألا وهي تحويل اقتصاد البلاد ، بما في ذلك الزراعة ، على أساس تقني جديد ، ألا وهو أساس الإنتاج الضخم الحديث .

ف. لينين : « المؤتمر الثامن للمجالس السوفيتية في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٥٣٧ .

نظريا ، لا يتطرق الشك الى أن مرحلة انتقالية معينة تقع بين الرأسمالية والاشتراكية . ويجب على هذه المرحلة بالضرورة ان تجمع الصفات او الخصائص الخاصة بهاتين البنيتين الاقتصاديتين للمجتمع . ولا يمكن لهذه المرحلة الانتقالية الا ان تكون طورا من الصراع بين نواع الرأسمالية وولادة الشيوعية ، أو عبارات أخرى بين الرأسمالية المقلوبة ، لكن التي لم تحقق بعد ، والشيوعية التي ولدت في هذه الاثناء ، لكنها لما تبرح بالغة الضعف .

وان ضرورة طور تاريخي كامل يتميز بالصفات الخاصة بمرحلة الانتقال يجب ان تكون واضحة من تلقاء نفسها ليس في عيني الانسان الماركسي فحسب ، بل في عيني كل امرئ مثقف يعرف بهذه الطريقة او تلك نظرية التطور . ومهما يكن من امر ، فان جميع المحاكمات عن الانتقال الى الاشتراكية التي نسمعها تصدر عن المثليين الحاليين للديموقراطية البورجوازية الصغيرة (كذلك هم ، على الرغم من لصاقتهم الاشتراكية الكاذبة ، جميع ممثلي الاممية الثانية ، بما فيهم أناس من نمط ماك دونالد وجان لونغيه ، وكاوتسكي وفريدريك ادلر) ، تتميز بنسيان تام لهذه الحقيقة الجلية . ان خاصية الديموقراطيين البورجوازيين الصفار هو نفورهم من صراع الطبقات وحلمهم في امكانية الاستغناء عن هذا الصراع ، وميلهم الى التسوية والى المصالحة ،

والى تدوير الزاوية العادية . وهذا هو السبب في أن هؤلاء الديموقراطيين
اما ان يرفضوا رفضا قاطعا الاعتراف بوجود مرحلة تاريخية كاملة للانتقال
من الرأسمالية الى الشيوعية ، واما ان يعتبروا ان مهمتهم هي تخيل خطط
للمصالحة بين القوتين المتقاتلتين ، بدلا من قيادة نضال احدهما ...

... وفي روسيا ، لا بدءاً لدكتاتورية البروليتاريا بصورة حتمية ان
تتضمن بعض الخصائص بالمقارنة مع البلدان المتقدمة ، وذلك من جراء
التخلف الملموس تماما والتفوق البورجوازي الصغير في بلادنا . بيد ان
القوى الجوهرية - والاشكال الجوهرية للاقتصاد الاجتماعي - في روسيا
هي نفسها كما في اي بلد رأسمالي ، بحيث ان هذه الخصائص لا يمكن ان
تنسب الا الى ما ليس هو بالامر الرئيسي .

ان هذه الاشكال الجوهرية للاقتصاد الاجتماعي هي : الرأسمالية ،
والانتاج التجاري الصغير ، والشيوعية . وان هذه القوى الجوهرية هي :
البورجوازية ، والبورجوازية الصغيرة (وعلى الاخص طبقة الفلاحين) ،
والبروليتاريا .

ان نظام روسيا الاقتصادي ، في مرحلة دكتاتورية البروليتاريا ، هو
النضال الذي يخوضه لدى خطواته الاولى العمل الموحد وفقا للمبدأ
الشيوعي ، في اطار دولة شاسعة الابعاد ، ضد الانتاج التجاري الصغير
و ضد الرأسمالية التي تثبت والتي تتجدد على أساس هذا الانتاج .

ف. لينين : « الاقتصاد والسياسة في مرحلة
دكتاتورية البروليتاريا » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص :
١٠٣ - ١٠٤ .

اذا ما تساءلنا ما يمثله النظام الاقتصادي الحالي في روسيا السوفيتية،
يجب ان نقول انه يضع اسس الاشتراكية في الانتاج الضخم ، وانه يحول

الاقتصاد الرأسمالي القديم ، فيما الرأسمالية تبدي المقاومة الأشد عنادا
بملايين وملايين الاشكال .

ف. لينين : « تقرير عن أيام السبت الشيوعية ،
مقدم الى اجتماع موسكو للحزب الشيوعي
(البلشفي) في روسيا ، بتاريخ ٢٠ كانون الاول
١٩١٩ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الثلاثون ، ص ٢٨٤ .

الطبقات وصراع الطبقات في مرحلة دكتاتورية البروليتاريا

... ان دكتاتورية البروليتاريا هي أيضا مرحلة من الصراع الطبقي ،
المحتوم مادامت الطبقات لم تلغ ، وهو صراع تتغير أشكاله ويصبح ضاريا
بصورة مخصوصة ونوعيا بصورة مخصوصة غذاة قلب الراسمال . ولا
توقف البروليتاريا الصراع الطبقي بعد استيلائها على السلطة السياسية ،
بل هي تواصله حتى القضاء على الطبقات ، لكن من المفروغ منه أنها تواصله
في شروط أخرى ، في شكل آخر ، وبوسائط أخرى .

ف. لينين : « المبادرة العظمى » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع
والعشرون ، ص : ٤٢٤ - ٤٢٥ .

... ان البروليتاريا التي استولت على سلطة الدولة لا تتوقف من
جاء ذلك عن صراعها الطبقي ... أنها تتابعه في شكل آخر ، وبوسائط
أخرى . ان دكتاتورية البروليتاريا هي النضال الطبقي الذي تخوضه
البروليتاريا بمساعدة أداة من نمط سلطة الدولة ؛ وان أحد أهداف هذا
الصراع الطبقي هو اظهار الفئات الكادحة غير البروليتاريا ، بواسطة تجربة
مديدة ، بواسطة سلسلة طويلة من الامثلة العملية ، على هذه الحقيقة ، الا
وهي ان مصلحتها العظمى هي في الانحياز الى دكتاتورية البروليتاريا بالاحرى

من دكتاتورية البورجوازية ، وانه ليس ثمة حل ثالث .

ف. لينين : « انتخابات الجمعية التأسيسية
ودكتاتورية البروليتاريا » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٢٧٦ .

ان دكتاتورية البروليتاريا ، وهي ابعد ما تكون عن تسجيل توقف
الصراع الطبقي ، تشكل استمراره في شكل جديد وبوسائط جديدة . وان
هذه الدكتاتورية لضرورية طالما ان الطبقات الاجتماعية قائمة ، طالما ان
البورجوازية التي قلبت في بلد واحد تضاعف هجماتها ضد الاشتراكية على
النطاق الاممي . وان طبقة الزراع الصغار لعرضة بالضرورة لتذبذبات
عديدة خلال المرحلة الانتقالية . ان مصاعب هذه الحالة الانتقالية ونفوذ
البورجوازية تثير بصورة محتومة ، من وقت لآخر ، ترددات في الحالة
الدهنية لهذه الكتلة . وان البروليتاريا ، المضعفة والضائعة حتى درجة
ما من جراء دمار قاعدتها الحيوية ، الصناعة الميكانيكية الكبيرة ، لتقع على
عاتقها رسالة تاريخية بالغة الصعوبة ، وسامية في الوقت نفسه : ان تصمد
بالرغم من جميع هذه التذبذبات وان تواصل جيدا عملها الخاص بتحريك
العمل من النير الرأسمالي .

ف. لينين : « المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني
والثلاثون ، ص : ٤٩٠ .

ان الثورة البروليتارية مستحيلة بدون عطف وتأييد الغالبية العظمى
من الشغيلة لطلعتهم ، البروليتاريا . بيد ان هذا العطف وهذا التأييد
لا يكسبان من الوهلة الاولى ، ولا يتقرران بالاصوات الانتخابية ، بل
يحصلان لقاء نضال طبقي عسير ، قاس ، طويل النفس . ان الصراع الطبقي
الذي تخوضه البروليتاريا كي تكسب عطف غالبية الشغيلة وكي تكسب

تأييدهم لا يتوقف عندما تستولي البروليتاريا على السلطة السياسية .
فبعد الاستيلاء على السلطة يستمر هذا النضال ، لكن في أشكال أخرى .

ف. لينين : « تحية الى الشيوعيين الإيطاليين
والألمان » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الثلاثون ، ص : ٥٤ .

لم يكن طرد القيصر بالامر الصعب ، وكانت أيام قليلة كافية لذلك .
ولم يكن طرد الملاكين العقاريين بالامر العسير ، فلم يلزم لذلك سوى
أشهر قليلة . وليس من الصعب كذلك طرد الرأسماليين . لكنه أصعب
من ذلك كثيرا القضاء على الطبقات ؛ فالانقسام الى عمال وفلاحين قائم
ابدا . اذا كان فلاح مقيم على قطعة الارض الخاصة به يمتلك الفائض من
قمحه ، يعني القمح الذي ليس هو في حاجة له لا من أجله ولا من أجل
ماشيته ، بينما الآخرون جميعا يفتقرون الى الخبز ، فان هذا الفلاح يصبح
منذ ذلك الحين مستغلا . وكلما احتفظ بالقمح وقتا أطول استدر منه
مزيدا من الأرباح ؛ ويستطيع الآخرون ان يجوعوا : « كلما جاعوا اكثر
بعت قمحي بسعر اعلى » . يجب ان يشتغل جميع الناس وفقا لخطة
مشتركة على ارض مشتركة ، في معامل ومصانع مشتركة ووفقا لتنظيم
مشترك . ايمكن تحقيق ذلك بسهولة ؟ ترون هنا ان حل هذه القضية
اصعب من طرد القيصر والملاكين العقاريين والرأسماليين . هنا يجب على
البروليتاريا ان تعيد تثقيف قسم من الفلاحين ، وان تعيد تعليمهم ،
وتجرف معها اولئك الذين هم فلاحون شغيلة كيما يحطموا مقاومة الفلاحين
الاغنياء الذين يسمنون على حساب بؤس الآخرين . وهذا يعني ان نضال
البروليتاريا لم ينته من جراء اننا اسقطنا القيصر وطردنا الملاكين العقاريين
والرأسماليين ؛ تلك هي مهمة النظام الذي تدعوه دكتاتورية البروليتاريا .

ان الصراع الطبقي يستمر ، وهو لم يفعل سوى تبديل شكله . وان
هذا النضال ليخاض من أجل منع عودة المستثمريرين القدامى ، ومن أجل

توحيد الكتلة المبعثرة لطبقة الفلاحين الجاهلة في كل واحد. ان الصراع الطبقي مستمر ، ومن واجينا ان نخضع له جميع المصالح .

ف. لينين : « مهمات اتحادات الشبيبة » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، الجلد
الحادي والثلاثون ، ص : ٣٠٢ - ٣٠٣ .

ان الاشتراكية هي القضاء على الطبقات ، وقد صنعت دكتاتورية البروليتاريا من أجل ذلك كل ما في وسعها . بيد انه من المحال القضاء على الطبقات بضربة واحدة .

ان الطبقات باقية وسوف تبقى في مرحلة دكتاتورية البروليتاريا . وسوف تصبح الدكتاتورية عديمة النفع حين تزول الطبقات التي لن تزول دون دكتاتورية البروليتاريا .

ان الطبقات باقية ، لكن كلاً منها قد تبدلت في مرحلة دكتاتورية البروليتاريا ؛ وكذلك تبدلت العلاقات فيما بينها . ولا يزول صراع الطبقات في ظل دكتاتورية البروليتاريا ، بل هو يرتدي اشكالا اخرى فحسب .

لقد كانت البروليتاريا في النظام الرأسمالي طبقة مضطهدة ، محرومة من اي ملكية لوسائل الانتاج ، والطبقة الوحيدة التي كانت مناهضة للبورجوازية مباشرة وكليا ، وبالتالي الطبقة الوحيدة القادرة على ان تكون ثورية حتى النهاية . ولقد اصبحت البروليتاريا الطبقة السائدة بعدما قلبت البورجوازية واستولت على السلطة السياسية ؛ فهي تملك زمام سلطة الدولة، وتتصرف بوسائل الانتاج المشتركة مسبقا ، وتقود الطبقات والعناصر المتوسطة المترددة ، وتقمع قوة المقاومة المتزايدة لدى المستثمرين . تلك هي المهمات المخصوصة لصراع الطبقات ، وهي مهمات ماكانت البروليتاريا تطرحها من قبل وما كان في وسعها ان تطرحها .

ان طبقة المستثمرين ، الملاكين العقاريين والرأسماليين ، لم تتلاشى ولا يمكن ان تتلاشى من الوهلة الاولى في ظل دكتاتورية البروليتاريا . ان المستثمرين قد هزموا ، لكنهم لم يمحقوا . ولا تزال لديهم قاعدة دولية هي الرأسمال الدولي الذين هم فرع منه . ولا تزال لديهم جزئيا بعض وسائل الانتاج ؛ فلا يزال لديهم المال ، ولا تزال لديهم علاقات عريضة جدا في المجتمع ، وقد ازدادت قوة المقاومة عندهم مئة مرة والى الف مرة بالضبط من جراء هزائهم . وان « فن » ادارة الدولة ، والجيش ، والاقتصاد ، يمنحهم ميزة كبيرة جدا ، بحيث ان دورهم اعظم أهمية بما لا يقاس من نصيبهم في مجموع السكان . وان الصراع الطبقي الذي يخوضه المستثمرون الساقطون ضد طبقة المستثمرين الظافرة ، يعني ضد البروليتاريا ، قد أصبح اشد احتداما بصورة لا تقارن . ولا يمكن ان يكون الامر مغايرا لذلك اذا كنا نتحدث عن الثورة ، اذا كنا لا نستفيض عن هذه الفكرة بالاهام الاصلاحية (كما يفعل ذلك جميع ابواق الاممية الثانية) .

واخيرا فان طبقة الفلاحين ، مثلها كمثل اي بورجوازية صغيرة على العموم ، تحتل كذلك في ظل دكتاتورية البروليتاريا موقعا وسطا ، متوسطا: فهي تمثل من جهة واحدة كتلة غفيرة بما فيه الكفاية (هائلة في روسيا المتخلفة) من الشغيلة المتحدنين بالصلحة المشتركة التي يملكها الشغيلة في التحرر من الملاكين العقاريين ومن الرأسماليين ؛ وهي من جهة ثانية تتألف من مستثمرين صغار منزولين ، ملاكين ومتاجرين . وان هذا الوضع الاقتصادي يثير عندها بالضرورة تذبذبت بين البروليتاريا والبورجوازية . واذا ما أخذنا بعين الاعتبار التعلق البالغ العمق لدى الفلاحين والبورجوازيين الصغار على العموم بما هو قديم ، روتيني ، ثابت لا يتبدل ، فانه من الطبيعي جدا ان تصادف لديهم بصورة لا مندوحة عنها هجرات من معسكر الى آخر ، وتذبذبات ، وانعطافات ، وترددات ، الخ ، وذلك في الصراع المحتوم الذي تخوضه البروليتاريا والبورجوازية حين تكون جميع العلاقات الاقتصادية قد تعرضت لانقلاب على ذلك القدر من الحدة والعنف .

ان مهمة البروليتاريا تجاه هذه الطبقة ، او هذه العناصر الاجتماعية ، هي قيادتها ، النضال في سبيل ممارسة نفوذها عليها . اجتذاب المترددين ، والمتقلبين ، هذا مما يجب ان تصنعه البروليتاريا .

واذا ما جابهنا جميع القوى او الطبقات الاساسية وعلاقتها المتبدلة بفعل دكتاتورية البروليتاريا ، فانه سوف يتبين لنا مبلغ السخف النظري غير المحدود ، والبلاهة البالغة اللذين يتسم بهما الرأي البورجوازي الصغير الشائع الذي ينص على انه في الامكان بلوغ الاشتراكية بالمرور « بالديموقراطية » بصورة عامة ، وهو الرأي الذي ينادي به جميع ممثلي الاممية الثانية . وان المستقب الموروث من البورجوازية بشأن الطابع المطلق ، الخارج عن الطبقات ، الذي تتصف « الديموقراطية » به ، ذلك هو اصل تلك الخطيئة . وفي الحقيقة أن الديموقراطية تدخل هي الاخرى في طور جديد بصورة مطلقة في ظل دكتاتورية البروليتاريا ؛ وان الصراع الطبقي ليرتقي اذن درجة أعلى ، مخضعا له جميع الاشكال الممكنة والمتصورة .

ف. لينين : « الاقتصاد والسياسة في مرحلة دكتاتورية البروليتاريا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ١١١ - ١١٢ .

ان دكتاتورية البروليتاريا هي الشكل الاشد حزما والاكثر ثورية لصراع البروليتاريا الطبقي ضد البورجوازية .

ف. لينين : « موضوعات عن المهمات الاساسية للمؤتمر الثاني للاممية الشيوعية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ١٩٣ .

القضاء على الطبقات ، ليس ذلك طرد الملايكن العقارين الكبار

والرأسماليين فحسب - الامر الذي كان يسيرا علينا نسيبا ، بل هو أيضا القضاء على المنتجين الصغار للبضائع ؛ والحال ان هؤلاء لا يمكننا ان نطردهم ، لا يمكننا ان نسحقهم ، بل يجب ان نغاريهم . إنه يمكننا (ويجب علينا) ان نحولهم ، ان نعيد تثقيفهم - لكن ذلك لا يتم الا بواسطة عمل تنظيمي طويل جدا ، وبطيء جدا ، وحذر جدا . انهم يحيطون البروليتاريا من كل حذب وصوب بوسط بورجوازي صغير ، ويشربونها به ، ويفسدونها به ، ويشيرون بلا انقطاع في قلب البروليتاريا انتكاسات لتلك النقائص الخاصة بالبورجوازية الصغيرة : ضعف العزيمة ، والتبعثر ، والنزعة الفردية ، والانتقال من الحماسة الى الهمود . وانه ليجب على حزب البروليتاريا السياسي ، في سبيل مقاومة ذلك ، في سبيل تمكين البروليتاريا من ممارسة دورها التنظيمي (الذي هو دورها الرئيسي) كما ينبغي ، بنجاح وبصورة ظافرة ، ان يجعل السيادة في داخله لمركزية وانضباط حازمين . ان دكتاتورية البروليتاريا صراع عنيد ، دام وغير دام ، عنيف وسلمي ، عسكري واقتصادي ، تربيوي واداري ، ضد قوى المجتمع القديم وتقاليده .

ف. لينين : ممرض الشيوعية الطفولي
 (« اليسارية ») ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
 موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٢٩ .

ليست دكتاتورية البروليتاريا نهاية الصراع الطبقي ، بل هي استمراره في اشكال جديدة . ان دكتاتورية البروليتاريا هي الصراع الطبقي الذي تخوضه البروليتاريا الظافرة التي اخذت بيدها زمام السلطة السياسية ضد البورجوازية المغلوبة ، لكن غير المسحوقة وغير الزائلة ، هذه البورجوازية التي هي ابعد ما تكون عن التوقف عن المقاومة ، بل لقد شددت من مقاومتها . ان دكتاتورية البروليتاريا شكل مخصوص للانقلاب الطبقي بين البروليتاريا ، طبعة الشفيلة ، والفئات العديدة غير البروليتارية من الشفيلة (البورجوازية الصغيرة ، وارباب العمل الصغار ، والفلاحين ، والمثقفين ،

الخ) ، او غالبية هذه الفئات ، وهو ائتلاف موجه ضد الراسمال ، ائتلاف يستهدف القلب التام للراسمال ، السحق الكامل لمقاومة البورجوازية ومحاولات العودة التي تبذلها ، وبناء الاشتراكية وتوطيدها الحاسم .

ف. لينين : « مقدمة طبعة خطاب : كيف يضللون الشعب بشعارات الحرية والمساواة » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٢٨٥ .

انه لمن الطبيعي ، مع التفوق الهائل للسكان الفلاحين ، ان تكون مهمتنا الرئيسية ، من وجهة النظر السياسية عامة والاقتصادية خاصة ، هي في اقامة علاقات معينة بين الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين اننا نواجه للمرة الاولى في التاريخ الحديث نظاما ازيجحت فيه طبقة المستثمرين ، لكن توجد فيه طبقتان متميزتان ، الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين . ولا بد بالضرورة ان ينعكس التفوق الهائل لطبقة الفلاحين على السياسة الاقتصادية وعلى جماع السياسة بصورة عامة . ان المسألة الاساسية تظل وسوف تظل بصورة لا مندوحة عنها طوال سنوات مديدة المسألة التي تستقيم في اقامة علاقات طبيعية بين هاتين الطبقتين ، علاقات طبيعية من وجهة نظر الغاء الطبقات . ان اعداء السلطة السوفييتية كثيرا ما يتوقفون عند صيغة الاتفاق بين الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين ، وكثيرا ما يستخدمونها ضدنا ، لان هذه الصيغة بحد ذاتها لا تتصف بأي دقة على الاطلاق . انه يمكن ان نقصد كل ما تريد بالاتفاق بين الطبقة العاملة والفلاحين . واذا ما نسينا ان الاتفاق ، من وجهة نظر الطبقة العاملة ، لا يمكن ان يكون مقبولا ، وطبيعيا ، وممكنا ، على صعيد المبادئ الا اذا كان يدعم دكتاتورية الطبقة العاملة ويشكل أحد التدابير الهادفة الى الغاء الطبقات ، فان صيغة الاتفاق تحظى بالدفاع عنها من جانب جميع اعداء النظام السوفييتي وجميع اعداء الدكتاتورية ، وذلك لمصلحتهم الخاصة .

ف. لينين : « الاجتماع العاشر في روسيا للحزب الشيوعي (البلشفي) الروسي » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص : ٤٣١ - ٤٣٢ .

... اذا ما وحدنا قوايا في الاتجاه الذي ننبهه ، فإبنا سنتوصل الى توطيد أسس سياسته اقتصادية فعالة سوف تؤسس ائتلاف الطبقة العاملة والطبقة الفلاحية . وهما الطبقتان الرئيسيتان اللتان تتركز عليهما السلطة السوفييتية ، الائتلاف الاقتصادي الذي يستطيع وحده ان يضمن نجاح بنائنا الاقتصادي برمته .

ف. لينين : « خطاب في الاجتماع الثالث للتصوين في روسيا ، بتاريخ ١٦ حزيران ١٩٢١ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص : ٤٨٠ .

ما دامت الطبقات موجودة ، فان الصراع الطبقي أمر لا مفر منه . وان وجود الطبقات امر حتمي في مرحلة الانتقال من الرأسمالية السبي الاشتراكية ، وبرنامج الحزب الشيوعي الروسي يحدد بأعظم الوضوح اننا لا نقوم الا بالخطوات الاولى من أجل الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية وهذا هو السبب في ان الحزب الشيوعي وسلطة المجالس السوفييتية ، وكذلك النقابات ، يجب ان تعترف علانية بأن النضال المطلي قائم ، وانه لا مفر منه طالما لم تكتمل ، بصورة أساسية على الاقل ، كهربة الصناعة والزراعة ، وطالما لم تجتث ، من جراء ذلك ، جميع جذور الانتاج الصغير وتفوق السوق .

... وانه لمن الجلي على أي حال ان الهدف الاخير الذي يجب ان يسمى اليه النضال الاضرابي في ظل الرأسمالية هو دمار جهاز الدولة ، قلب سلطة الطبقة التي تمارسها . والحال ان الهدف الاخير لكل اضراب في الدولة البروليتارية التي هي من النمط الانتقالي مثل دولتنا لا يمكن ان يكون سوى تمتين الدولة البروليتارية وسلطة الدولة التي تمارس من قبل الطبقة البروليتارية ، وذلك بواسطة النضال ضد التشوهات البيروقراطية اللاحقة بهذه الدولة ، ضد الاخطاء ونواحي الضعف ، ضد

القابليات الطبقة الرأسمالية ، هذه القابليات التي تفلت من رقابتها، الخ . وهذا هو السبب في أنه لا الحزب الشيوعي ، ولا سلطة المجالس السوفيتية ، ولا النقابات ، تستطيع في حال من الاحوال ان تنسى ، ولا يجوز لها أن تخفي عن العمال وعن الجماهير الكادحة ، أن اللجوء الى النضال الاضرابي ، في دولة تعود السلطة السياسية فيها الى البروليتاريا ، يمكن أن يعسر وان يبرر فقط بالتشوهات البيروقراطية اللاحقة بالدولة البروليتارية ، وبجميع انواع بقايا الماضي الرأسمالي في مؤسسات هذه الدولة من جهة واحدة ، وكذلك بنقص النضوج السياسي وبالتخلف الثقافي لدى الجماهير الكادحة من جهة ثانية . ومنذئذ ، فان مهمة النقابات في حالة قيام منازعات وخصومات بين بعض الجماعات من الطبقة العاملة وبعض اجهزة الدولة العمالية ومؤسساتها ، هي في الاسهام في تسويتها ، بأسرع وقت وبدون ألم ، وبأقصى المحسنات للجماعات العمالية التي تمثلها ، مع التحفظ بأن يكون في الامكان منح هذه المحسنات دون الحاق الضرر بالجماعات الاخرى، او الاساءة الى تطور الدولة العمالية واقتصادها المأخوذ في جماعه ، لأن هذا التطور وحده يمكن ان يخلق قاعدة من اجل الرفاهية المادية والمعنوية للطبقة العاملة .

ف. لينين : « مشروع الموضوعات عن دور مهمات النقابات في شروط السياسة الاقتصادية الجديدة » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث
والثلاثون ، ص : ١٨٧ - ١٨٨ .

ان المباراة التي سجلناها في جدول الاعمال حين اعلنا السياسة الاقتصادية الجديدة هي مباراة جدية . وانه ليبدو انها تشاهد في جميع المؤسسات ، لكن ذلك هو في واقع الامر شكل آخر للصراع بين طبقتين متعاديتين بصورة لا رجوع عنها . ذلك شكل آخر للصراع بين البورجوازية والبروليتاريا .

ف. لينين : « المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، **المؤلفات الكاملة** ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والثلاثون ، ص : ٢٩٤ .

اتنا لا نعرف كيف نستخدم الصحف كي ندمع الصراع الطبقي كـ...
كانت البورجوازية تفضل . تذكروا كم كانت تعرف على أكمل وجه ان تطارد
اعداءها الطبقيين في الصحافة ، وأن تسخر منهم ، وأن تذلمهم ، وان تجعل
حياتهم امرا لا يطاق . ونحن ؟ أفلا يستقيم الصراع الطبقي ، في مرحلة
الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، في الدفاع عن مصالح الطبقة
العاملة ضد تلك القبضات والجماعات والفئات من العمال الذين يتمسكون
بكل عناد بتقاليد الرأسمالية وعاداتها ويستمررون في النظر الى الدولة
السوفييتية كما كانوا ينظرون الى دولة الامسى : ان يقدموا « لها » اقل
قدر من العمل ، ومن النوعية الادنى ، وان ينتزعوا « منها » أكبر قدر
من المال .

٥٥ . لينين : « طابع صحفنا » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن
والعشرون ، ص : ٩٦ - ٩٧ .

الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية ، تلك مرحلة تاريخية كاملة .
وطالما ان هذا الانتقال لم ينته ، فان المستثمرين يحتفظون حتما بأمل
العودة ، الأمل الذي يتحول الى محاولات للعودة . وفي اعقاب أول هزيمة
خطيرة ، يندفع المستثمرون الذين ما كانوا يتوقعون مطلقا ان يسقطوا ،
الذين لا يصدقون شيئا من ذلك ولا يقبلون فكرة ذلك ، في المعركة بطاقة
مضاعفة ، وبهوى جموح ، وبحقد مشد مائة مرة كيما يستعيدوا
« الفردوس » المفقود من اجل اسرهم التي كانت تحيا حياة هائلة جدا
والتي تحكم عليها الآن « السوق الدنيئة » بالدمار والبؤس (او بالعمل
« الدنيء » ...) . وخلف الرأسماليين المستثمرين تقف الكتلة الضخمة
للبورجوازية الصغيرة التي - وهذا ما تشهد عليه عشرات السنين من
التجربة التاريخية في جميع البلدان - تتردد وتترنح ، والتي تتبع
البروليتاريا اليوم وبأخذها الهلع غدا ، وقد ذعرت من مصاعب الثورة ،

لدى أول هزيمة او نصف هزيمة يتعرض لها العمال ، فيجن جنونها ،
وتضطرب ، وتبأكي ، وتتراكض من معسكر الى آخر . . .

ف. لينين : الثورة البروليتارية والمرتدكاوتسكي ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلس
الثامن والعشرون ، ص : ٢٦٣ .

اشكال دكتاتورية البروليتاريا

تنوع اشكال دكتاتورية البروليتاريا

ان اشكال الدولة البورجوازية متنوعة حتى الدرجة القصوى ، لكن
ماهيتها واحدة : ان جميع هذه الدول هي ، في آخر تحليل ، بهذا الشكل
او ذلك ، لكن بالضرورة ، دكتاتورية للبورجوازية . ان الانتقال من
الراسمالية الى الشيوعية لا يمكن بكل تأكيد الا ان يوفر غزارة عظيمة وتنوعا
عريضا للاشكال السياسية ، لكن ماهيتها ستكون واحدة بالضرورة .
دكتاتورية للبروليتاريا .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار
دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ٤٤ .

ان الاشكال السياسية في البلدان الامبريالية المتقدمة : اميركا ،
وانكلترا ، وفرنسا ، والمانيا ، لهي قليلة التشابه على الرغم من اطواها فيما
يتعلق بالامور الجوهرية . وان التنوع نفسه سوف يتظاهر في الطريق التي
سوف تسلكها البشرية من الامبريالية الراهنة الى الثورة الاشتراكية غدا .

ف. لينين : « صورة كاريكاتورية للماركسية
ومناسبة النزعة الاقتصادية الامبريالية » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث
والعشرون ، ص : ٧٥ .

كومونة باريس على اعتبارها شكلا لدكتاتورية البروليتاريا

ماهي الكومونة ، هذا ابو الهول الذي يقلق الذهن البورجوازي حتى هذه الدرجة ؟

بكل بساطة ، انها الشكل الذي تأخذ به الطبقة العاملة السلطة السياسية في مواقعها القوية الاجتماعية ، باريس والمراكز الصناعية الاخرى .
كارل ماركس : الحرب الاهلية في فرنسا ،
المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٢٥٦ .

كانت الكومونة النقيض المباشر للامبراطورية . ان هتاف « الجمهورية الاجتماعية » الذي بدت به ثورة شباط من قبل البروليتاريا الباريسية لم يكن يعبر سوى عن توق غامض الى جمهورية لن تلغي فقط الشكل الملكي للسيطرة الطبقية ، بل السيطرة الطبقية بالذات . وكانت الكومونة الشكل الايجابي لهذه الجمهورية ...

... وهكذا كان اول مرسوم صدر عن الكومونة هو الفناء الجيش الدائم والاستماعة عنه بالشعب المسلح .

ولقد تشكلت الكومونة من مستشارين بلديين ، منتخبين بالاقتراع العام في دوائر المدينة المختلفة . وكانوا مسؤولين وقابلين للعزل في اي لحظة . وكانت غالبية اعضائها طبعا من العمال او من ممثلين معترف بهم للطبقة العاملة . وكان يجب ان تكون الكومونة ليس جهازا برلمانيا ، بل هيئة عاملة ، تنفيذية وتشريعية في وقت واحد . وان الشرطة ، بدلا من ان تستمر في كونها اداة الحكومة المركزية ، قد جردت من صفاتها السياسية وحولت الى اداة للكومونة ، مسؤولة وقابلة للعزل في اي وقت . وتم الامر نفسه بالنسبة الى موظفي سائر فروع الادارة . وكان ينبغي ان تؤمن الوظيفة العامة ، من

اعضاء الكومونة حتى اسفل السلم ، لقاء أجور عمالية . وان مغانم الوطیة وتمویضات التمثیل الخاصة بكبار شخصیات الدولة قد زالت مع زوال هذه الشخصیات نفسها . وكفت الخدمات العامة عن كونها الملكية الخاصة لازلام الحكومة المركزية . ولم تسلم الكومونة زمام الادارة البلدية وحدها ، بل زمام جماع المبادرة التي كانت الدولة تمارسها حتى ذلك الحین .

واما الھی الجیش الدائم والشرطة ، وهما الاداتان المادیتان لسلطة الحكومة القديمة ، فقد أخذت الكومونة علی عاتقها مهمة تحطیم اداة الاضطهاد الروحية ، « سلطة الكهنة » ؛ وهكذا رسمت حل جمیع الكنائس وانتزاع ملكيتها فی حدود تشكيلها هیئات مالكة ، واحیل الكهنة الى العزلة الهادئة للحياة الخاصة ، كي يعيشوا فیها من صدقات المؤمنین ، علی غرار أسلافهم الرسل . وان مجموع المؤسسات التعليمية قد فتحت للشعب مجانا ، وفي الوقت نفسه خلصت من اي تدخل من قبل الكنيسة او الدولة . وهكذا لم يجعل التعليم كوحده فی متناول الجمیع فحسب ، بل ان العلم نفسه قد حرر من القيود التي أثقلته بها المستبقات الطبقية والسلطة الحكومية .

وجرد موظفو القضاء من ذلك الاستقلال المزعوم الذي لم یخدم الا لفرض تغطية خضوعهم للدلیل لجمیع الحكومات المتعاقبة التي اقسما لها ، كلاً بدورها ، یمین الاخلاص ، كي یحشوا به فیما بعد . ان الحکام والقضاة ، مثلهم كمثل الموظفين العاملين الباقین ، يجب ان یكونوا منتخبین ، ومسؤولین ، وقابلین للعزل .

ومن المفروغ منه ان كومونة باريس كان يجب ان تخدم كنموذج لجمیع المراكز الصناعية الكبرى فی فرنسا . واما یستقر نظام الكومونة فی باريس وفي المراكز الثانوية ، فانه كان ینبغي للحكومة المركزية القديمة ، فی الاقالیم ایضا ، ان تفسح المكان لحكم المنتجین بأنفسهم . ولقد ورد بكل وضوح فی مجمل مقتضب للتنظیم القومي لم یتوفر الوقت للكومونة من اجل تطويره

ان الكومونة يجب ان تكون الشكل السياسي حتى لاصغر الدساكر في الريف ، وان الجيش الدائم يجب ان يستعاض عنه في المناطق الريفية بميليشيا شعبية زمن خدمتها قصير حتى الدرجة القصوى . وانه لينبغي للكومونات الريفية في كل محافظة ان تدبر شؤونها المشتركة بواسطة جمعية للمندوبين الى مركز المحافظة ، وهذه الجمعيات في المحافظات يجب بدورها ان ترسل المندوبين الى المفوضية الوطنية في باريس : وان المفوضين يجب ان يكونوا قابلين للعزل في اي وقت وان يكونوا مرتبطين بالتفويض الازامي* لناخبهم . وان الوظائف القليلة العدد لكن الهامة التي سوف تبقى لحكومة مركزية لن تلقى ، كما قيل خطأ ، عن عمد ، بل سوف يؤديها موظفون كومونيون ، اي بكلام آخر مسؤولون بصورة حازمة . ولن تتحطم وحدة الامة ، بل يجب على النقيض من ذلك ان تنظم بدستور كوموني ، وأن تصبح حقيقة واقعة بفعل دمار سلطة الدولة التي كانت تزعم انها تجسيد هذه الوحدة ، لكنها كانت تريد ان تكون مستقلة عن الامة نفسها وأن تسمو عليها، بينما هي لم تكن سوى نامية طفيلية لها . وبينما كان من الامور الهامة بتر الاجهزة الزجرية الخالصة للسلطة الحكومية القديمة ، فلقد كان يجب انتزاع وظائفها الشرعية من سلطان يدعي الاستعلاء على المجتمع نفسه ، واعادتها الى خدام المجتمع المسؤولين . وبدلا من ان يتقرر مرة كل ثلاث او ست سنوات اي عضو من الطبقة الحاكمة يجب ان يسيء تمثيل الشعب في البرلمان ، فان الانتزاع العام كان يجب ان يخدم الشعب المتشكل في كومونات كما يخدم الانتخاب الفردي كل مستخدم آخر يبحث عن شغيلة ومديرين لاعماله الخاصة . . .

. . . ان الكومونة قد حققت هذا الشعار الخاص بجميع الثورات البروليتارية ، الا وهو الحكومة الرخيصة ، اذ دمرت هذين المصدرين للنقابات : الجيش الدائم ووظائفية الدولة . لقد كان وجودها بالذات

* Mandat Impératif ، بالفرنسية في النص الاصلي .

يفترض انعدام الملكية التي هي ، في أوروبا على الاقل ، العيب الطبيعي الذي لا غنى عنه ، وقناع السيطرة الطبقية . لقد وفرت للجمهورية قاعدة المؤسسات الديمقراطية حقا . لكنه لا «الحكومة الرخيصة» ولا «الجمهورية الحقيقية» قد كانتا غايتها الاخيرة ؛ لم تكونا سوى نتيجتين لها .

ان تعدد التفسيرات التي تعرضت الكومونة لها ، وتعدد المصالح التي كانت تنتسب اليها ، تبين انها كانت شكلا سياسيا قميئا تماما بالاتساع ، بينما كانت جميع اشكال الحكم تشدد حتى ذلك الحين على القمع . ان سرها الحقيقي هو التالي : لقد كانت ، جوهريا ، **حكومة للطبقة العاملة** ، نتيجة الصراع الطبقي الذي خاضه المنتجون ضد طبقة المستملكين ، الشكل السياسي الذي اكتشف اخيرا والذي كان يتيح تحقيق التحرر الاقتصادي للعمل .

ك. ماركس : الحرب الاهلية في فرنسا ،
المشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٤١-٤٢ .

ان الكومونة هي استرجاع المجتمع لسلطة الدولة التي تصبح قوته الحية بدلا من ان تكون القوة التي تسوده وتخضعه . انها استعادتها من قبل الجماهير الشعبية نفسها التي تستعيز بقوتها الخاصة عن القوة المنظمة من اجل اضهادها ؛ ان الكومونة هي الشكل السياسي لتحررها الاجتماعي الذي يحل مكان قوة المجتمع المصطنعة (المستملكة من قبل مضطهدها) (ان قوتها الخاصة تعارضهم وتنظم بصورة مناهضة لهم) ، هذه القوة الموضوعية في خدمة اعدائها بغية اضهادها . ولقد كان هذا الشكل بسيطا كما هي حال الامور الكبيرة جميعا . ان الوقت الضروري من اجل التطورات التاريخية قد ضاع على الدوام ، في جميع الثورات الماضية ، في ايام الظفر الشعبي بالذات ، وذلك في كل مرة سلم الشعب فيها اسلحته الظاهرة ، متيحا بذلك ارتداد هذه الاسلحة ضده بالذات . وان الكومونة،

مرتكسة ضد هذه العادة التي جرت عليها الثورات السابقة، قد استماست
من الجيش بالحرس الوطني . . .

وكما أن جهاز الدولة والبرلمانية لا يشكلان الحياة الحقيقية
للطبقات السائدة ، بل ليس هما سوى الاجهزة العامة لسيطرة هذه
الطبقات ، ضماناتها السياسية ، أشكال نظام الاشياء القديم وتعابيرها ،
كذلك ليست الكومونة بالحركة الاجتماعية للطبقة العاملة ، وبالتالي الحركة
المحيية للانسانية بأسرها ، بل مجرد الوسيلة العضوية لفعالها . فالكومونة
لا تلغي الصراعات الطبقيّة التي تسعى الطبقة العاملة بواسطتها الى الغاء
جميع الطبقات ، وبالتالي كل سيطرة طبقية . (ذلك أنها لا تمثل مصلحة
خاصة ؛ انها تمثل تحرر « العمل » ، يعني الشرط الاساسي والطبيعي لكل
حياة فردية واجتماعية . الذي يتيح الاغتصاب ، والخداع ، والاحاييل المكاراة
وحدها للأقلية مصادرتها من الاغلبية) لكنها تخلق الوسط العقلاني
الذي يمكن لهذا الصراع الطبقي ان يمر فيه بمختلف مراحلها بالصورة الاكثر
عقلانية والاعظم انسانية . وانها يمكن ان تكون منطلق ردود فعل عنيفة
وثورات لا تقبل عن ذلك عنفا . انها تباشر **تحرر العمل** - هدفها العظيم -
بتكليسها العمل غير المنتج والضرار لطفيليات الدولة ؛ انها تجتث ، من جهة
واحدة ، جذور الشر الذي كان يسلم قسما هائلا من الدخل الوطني لغذاء
الوحش الدوّلي ، وتنجز من جهة ثانية العمل الفعلي للادارة المحلية
والوطنية لقاء أجور عمالية . انها تبدأ اذن بتوفير هائل ، وباصلاح اقتصادي
وتحويل سياسي على حد سواء .

ك. ماركس : الحرب الاملية في فرنسا ،
المنشورات الاجتماعية ، باريس ، س : ٢١٣ ،
٢١٥ - ٢١٦ .

ان المراني الاشتراكي - الديموقراطي قد اجتاحه مؤخرا هلع شاذ

حين طرقت سمعه كلمتا دكتاتورية البروليتاريا . أتريدون اذن ، ايها السادة ، ان تعرفوا ما هي هيئة هذه الدكتاتورية ؟ انظروا الى كومونة باريس . لقد كانت دكتاتورية البروليتاريا .

ف. انجلز : « مقدمة مؤلف لـ . ماركس :
الحرب الاهلية في فرنسا » ، في لـ . ماركس :
الحرب الاهلية في فرنسا ، المنشورات الاجتماعية ،
باريس ، ص : ٣٠١ - ٣٠٢ .

... ما كان يجلس في الكومونة علي وجه التقريب سوى عمال او ممثلين معترف بهم للعمال ؛ وكذلك كانت قراراتها تتسم بطابع بروليتاري بصورة واضحة . فاما انها كانت ترسم اصلاحات قد اهملتها البورجوازية الجمهورية بدافع الجبن الخالص - لكنها كانت تشكل اساسا لا غنى عنه من اجل عمل الطبقة العاملة الحر ، ومثال ذلك تحقيق هذا المبدأ الذي ينص على ان الدين ليس ، في مواجهة الدولة ، سوى شأن خاص ؛ واما انها كانت تصدر قرارات متخذة في مصلحة الطبقة العاملة مباشرة ، وهي قرارات كانت تصنع فرضات عميقة في النظام الاجتماعي القديم . بيد ان هذا كله ما كان يمكن ان يحصل على الاكثر ، في مدينة محاصرة ، سوى على بداية من التحقيق .

ف. انجلز : « مقدمة مؤلف لـ . ماركس :
الحرب الاهلية في فرنسا » ، في لـ . ماركس :
الحرب الاهلية في فرنسا ، المنشورات الاجتماعية ،
باريس ، ص : ٢٩٦ - ٢٩٧ .

كان لا بد للكومونة ان تعترف من الوهلة الاولى بأن الطبقة العاملة ما كانت تستطيع ، حين تستلم السلطة ، ان تثابر على الادارة بالة الدولة القديمة ؛ كان يجب على هذه الطبقة ، حتى لا تفقد من جديد سيطرتها الخاصة التي استولت عليها بكل صعوبة لتوها ، ان تقضي من جهة واحدة

على آلة القمع القديمة المستخدمة ضدها حتى ذلك الحين ، لكن ان تتخطى من جهة ثانية. ضمانات ضد موكلها وموظفيها الخاصين باعلانها اياهم قابلين للعزل في أي لحظة ، ودونما استثناء على الاطلاق .

ف. انجلز : « مقدمة مؤلف ك. ماركس :
الحرب الاهلية في فرنسا » ، في ك. ماركس :
الحرب الاهلية في فرنسا ، المنشورات الاجتماعية ،
باريس ، ص : ٣٠٠ .

لقد سعى الطبوايون الى « اكتشاف » الاشكال السياسية التي يجب ان تتم فيها اعادة تنظيم المجتمع تنظيما اشتراكيا . أما الفوضيون فقد تجنبوا مسألة الاشكال السياسية كتلة واحدة ، ولقد قبل انتهازيو الاشتراكية - الديمقراطية المعاصرة الاشكال السياسية البورجوازية للحكومة الديمقراطية البرلمانية على اعتبارها حدا لا يمكن تجاوزه ، وحطموا جباههم وهم يسجدون امام هذا « النموذج » ، متهمين بالفوضوية كل محاولة من اجل تعظيم هذه الاشكال .

ولقد استخلص ماركس ، من جماع تاريخ الاشتراكية والنضال السياسي ، ان الدولة يجب ان تضحل وان الشكل الانتقالي لاضمحلالها (الانتقال من الدولة الى اللادولة) سيكون « البروليتاريا المنظمة في طبقة سائدة » . اما الاشكال السياسية لهذا المستقبل ، فان ماركس لم يأخذ على عاتقه امر اكتشافها . لقد اقتصر على مشاهدة تاريخ فرنسا بكل دقة ، وتحليله ، واستخراج النتيجة التي قادته اليها سنة ١٨٥١ : ان الامور تتوجه نحو دمار آلة الدولة البورجوازية .

وعندما اندلعت الحركة الثورية لجماهير البروليتاريا ، فقد طفق ماركس يدرس الاشكال التي كشفت عنها هذه الحركة ، وذلك بالرغم من ديومتها القصيرة وضعفها الواضح .

ان الكومونة هي الشكل «المكتشف أخيرا» من قبل الثورة البروليتارية،
الذي يتيح انجاز التحرر الاقتصادي للعمل .

ان الكومونة هي المحاولة الاولى التي قامت بها الثورة البروليتارية
في سبيل **تحطيم** آلة الدولة البورجوازية ؛ انها الشكل السياسي « المكتشف
اخيرا » الذي يمكن ويجب ان نستتبع به عما جرى تحطيمه .

وسوف نرى ادناه ان الثورتين الروسيتين لعام ١٩٠٥ وعام ١٩١٧
يكملان ، في اطار آخر وفي شروط أخرى ، عمل الكومونة ، ويؤكدان التحليل
التاريخي المبقري الذي قدمه ماركس .

ف. لينين : **الدولة والثورة** ، منشورات دار
دمشق ، ١٩٥٧ ، ص : ٦٩ - ٧٠ .

هذه البرلمانية الفاسدة للمجتمع البورجوازي ، المتفسخة حتى مخ
عظامها ، قد استبدلتها الكومونة بمؤسسات لا تنحط فيها حرية الرأي
والمناقشة الى دجل ومخادعة ، اذ انه ينبغي للبرلمانيين ان يشتغلوا بانفسهم ،
وان يطبقوا قوانينهم بانفسهم ، وان يتحققوا من نتائجها بانفسهم ، وان
يسألوا عنها انفسهم ، بصورة مباشرة ، امام ناخبهم . ان المؤسسات
التمثيلية تبقى ، لكن البرلمانية بوصفها نظاما خاصا ، بوصفها تقسيما للعمل
التشريعي والتنفيذي ، وبوصفها وضعا ممتازا للنواب ، **قد انقضت** . اما
لا نستطيع ان نتصور ديموقراطية ، وحتى ديموقراطية بروليتارية ، دون
مؤسسات تمثيلية ؛ لكننا نستطيع ويجب علينا ان نتصورها من دون
برلمانية . . .

ف. لينين : **الدولة والثورة** ، منشورات دار
دمشق ، ١٩٥٧ ، ص : ٥٩ - ٦٠ .

يؤكد انجلز ايضا ودائما ان الدولة تظل هي الدولة لا في النظام الملكي

فحسب ، بل في الجمهورية الديمقراطية ايضا ، يعني انها تحتفظ بصفتها الرئيسية المميزة التي هي تحويل الموظفين ، « خدام المجتمع » ، واجهزتها الى سادة هذا المجتمع .

« ... كي تتجنب الكومونة هذا التحويل : الحتمي في جميع الانظمة السابقة ، للدولة واجهزة الدولة ، خدام المجتمع في الاصل ، الى سادة هذا المجتمع ، فقد استخدمت وسيلتين لا تخطان . اولا اخضعت جميع المراكز في الادارة ، والقضاء ، والتعليم ، لانتقاء اصحاب المصلحة بواسطة الانتخاب بالاقتراع العام ، ومن المفروغ منه انها اخضعتها للعزل في اي لحظة من قبل اصحاب المصلحة هؤلاء انفسهم . وثانيا لم تكافىء جميع الخدمات ، من ادناها الى اعلاها ، الا بالاجر الذي كان يتلقاه العمال الآخرون . وان اكبر مرتب دفعته على العموم قد كان ٦٠٠٠ فرنك* . وهكذا وضع حد للركض وراء المراكز وللوصولية . هذا اذا تركنا جانبا فضلا عن ذلك التفويضات الالزامية للموفدين الى الهيئات التمثيلية(٣٤) ... »

ان انجز لينتهي هنا الى ذلك الحد الباعث على الاهتمام حيث تتحول الديمقراطية الحازمة ، من جهة واحدة ، الى اشتراكية ، وتقتضي الاشتراكية من جهة ثانية . وبالفعل فانه من الضروري ، في سبيل الفاء الدولة ، ان تتحول وظائف خدمات الدولة الى عمليات مراقبة وتسجيل بالغة البساطة بحيث تكون في متناول الغالبية الساحقة من السكان ، ومن بعد في متناولهم جميعا . وانه لينبغي ، في سبيل القضاء على الوصولية قضاء مبرما : ألا يكون في مقدور الوظائف « الشرفية » في خدمة الدولة ، حتى اذا لم تكن مربحة ، ان تخدم كمقفر من اجل بلوغ مراكز مربحة جدا

* وهذا يساوي ٢٤٠٠ روبل بالسعر الاسمي و ٦٠٠٠ روبل بالسعر الحالي . فالبلاشفة الذين يقترحون ، مثلا ، في البلديات ، مرتبات تبلغ ٩٠٠٠ روبل ، بدلا من ان يقترحوا من اجل مجموع الدولة حدا أقصى هو ٦٠٠٠ روبل - وهو مبلغ كاف - يرتكبون خطأ لا يفتسر .

في المصارف والشركات المغفلة ، كما يحدث باستمرار في جميع البلدان
الراسمالية ، حتى أكثرها حرية .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار
دمشق ، ١٩٥٧ ، ص : ٩٦ - ٩٧ .

المجالس السوفيتية على اعتبارها شكلا لدكتاتورية البروليتاريا

ان المجالس السوفيتية هي الشكل الروسي لدكتاتورية البروليتاريا .
واذا كان منظر ماركسي قد درس فعلا هذه الظاهرة في مؤلف عن دكتاتورية
البروليتاريا (بدلا من أن يردد مثل كاوتسكي المراثي البورجوازية الصغيرة
واللازمات المنسفة ضد الدكتاتورية) ، فان هذا المنظر كان يعطي عن
الدكتاتورية بادىء الامر تعريفا عاما ، ومن ثم كان يأخذ بعين الاعتبار شكلها
المخصوص ، الوطني ، الذي هو المجالس السوفيتية ؛ ولقد كان يحلل
هذه المجالس اذن على اعتبارها أحد أشكال دكتاتورية البروليتاريا .

ف. لينين : الثورة البروليتارية والمرتسد
كاوتسكي ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٢٦٦ .

لا جمهورية برلمانية - فالعودة اليها بعد المجالس السوفيتية
للمندوبين العمال سيكون خطوة الى الوراء - بل جمهورية للمجالس
السوفيتية للمندوبين العمال ، والمأجورين الزراعيين ، والفلاحين ، في
البلاد بأسرها ، من القاعدة الى القمة .

الفاء الشرطة ، والجيش* وجهاز الموظفين .

وان مراتب الموظفين ، المنتخبين والقابلين للعزل في أي وقت ، يجب

* يعني الاستعانة عن الجيش الدائم بتسليح الشعب بأسره .

الا تتجاوز الاجرة المتوسطة لعامل جيد .

ف. لينين : « مهمات البروليتاريا في الثورة
الراهنة » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الرابع والعشرون ، ص : ١٢ .

ان المجالس السوفييتية لمدوبي العمال والجنود ، التي تغطي حاليا روسيا كلها بشبكاتها ، هي في الوقت الحاضر في مركز الثورة بأسرها :
وانه ليرأى لي على أي حال اننا لم نفهم وندرس بما فيه الكفاية ما تمثله هذه المجالس . اذا هي استلمت السلطة ، فلن تكون تلك ابدأ دولة بمعنى الكلمة العادي . لم تكن ابدأ سلطة من هذا النوع صمدت طويلا ؛ ومع ذلك فان الحركة العامة للعالم بأسره تتوق اليها . سوف تكون على وجه الدقة دولة من نمط كومونة باريس . ان مثل هذه السلطة هي دكتاتورية ، يعني انها تستند ليس الى القانون ، ليس الى الارادة الصورية للغالبية ، بل الى العنف بصورة مباشرة . ان العنف اداة السلطة . كيف ستمارس المجالس السوفييتية هذه السلطة اذن ؟ هل ستعود الى الادارة القديمة بواسطة الشرطة ، وهل ستدير الامور بمساعدة الاجهزة القديمة للسلطة ؟ رأيي هو انها لن تستطيع ذلك ، وان مهمتها الفورية هي ، على أي حال ، تنظيم دولة لا تكون دولة بورجوازية . ولقد استخدمت بين البلاشفة مقارنة لهذه الدولة بكمونة باريس ، بمعنى ان هذه الكومونة حطمت الاجهزة القديمة للادارة واستعاضت عنها بأجهزة عمالية ، جديدة كل الجدة ، للادارة المباشرة .

ف. لينين : « الاجتماع السابع في روسيا للحزب
العمالي الاشتراكي الديمقراطي (البلشفي) في
روسيا (اجتماع نيسان) » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الرابع والعشرون ،
ص : ٢٠٨ .

« السلطة للمجالس السوفييتية » ، هذا يعني صهرا جذريا لكل جهاز

الدولة القديم ، هذا الجهاز البيروقراطي السدي يعوق اي مبادرة ديموقراطية : ان القضاء على هذا الجهاز والاستعاضة عنه بجهاز جديد . شعبي ، ديموقراطي حقا وفعلا ، ألا وهو جهاز المجالس السوفيتية ، يعني غالبية الشعب المنظمة والمسلحة ، من عمال ، وجنود ، وفلاحين ، والقدرة الممنوحة الى غالبية الشعب لاثبات مبادرته واستقلاله لس من اجل انتخاب المندوبين فحسب ، بل كذلك في ادارة الدولة، وفي تطبيق الاصلاحات والتحويلات الاجتماعية ...

... وان احدي الجدارات العظمى للمجالس السوفيتية لمندوبي العمال والجنود والفلاحين هي انها تمثل **نمطاً** جديدا لجهاز الدولة ، أعلى بصورة لا متناهية ، وأكثر ديموقراطية بصورة لا تقارن .

ف. لينين : « احدي المسائل الاساسية للثورة » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الخامس
والعشرون ، ص : ٤٠٠ - ٤٠٢ .

ما هي سلطة المجالس السوفيتية ؟ ما هي طبيعة هذه السلطة الجديدة التي لا يريدون او لا يستطيعون بعد فهمها في معظم البلدان ؟ ان ما يجتذب اكثر فأكثر عمال جميع البلدان هو ان الدولة التي يحكمها فيما مضى ، بهذه الطريقة او تلك ، الاغنياء او الراسماليون ، تساس اليوم للمرة الاولى ، على نطاق واسع ، من قبل الطبقات التي كانت الراسمالية تضطهدها على وجه الدقة . وحتى في اكثر الجمهوريات ديموقراطية واعظمها حرية ، طالما ظلت سيطرة الراسمال قائمة ، وطالما بقيت الارض ملكية خاصة ، فان الدولة تساس ابدا من قبل اقلية صغيرة ، يتألف تسعة اعشارها من الراسماليين او الاثرياء .

ولقد شيدت سلطة الدولة عندنا ، في روسيا ، للمرة الاولى في العالم ، بحيث ان العمال وحدهم ، الفلاحين العاملين وحدهم ، بعد استبعاد

المستثمرين ، يشكلون المنظمات الجماهيرية التي هي المجالس السوفيتية ؛ ولقد نقلت سلطة الدولة بأكملها الى هذه المجالس السوفيتية . ولهذا السبب ، وعلى الرغم من الاتراءات التي يصعبها على روسيا ممثلو البورجوازية في جميع البلدان ، أصبحت كلمة « المجلس السوفيتي » في العالم أجمع لا مفهومة فحسب ، بل كذلك شعبية وغريزة على العمال ، على جميع الشفيلة . ولهذا السبب ، على الرغم مما يتعرض له أنصار الشيوعية في مختلف البلدان من اضطهادات ، فان سلطة المجالس السوفيتية سوف تنتصر على الارض بأسرها بكل تأكيد ، بصورة حتمية ، وفي مستقبل قريب .

اننا نعرف حق المعرفة انه لا يبرح هناك عيوب كثيرة في تنظيم السلطة السوفيتية . فليست سلطة المجالس السوفيتية طلما عجيبا ، وهي لا تستطيع ان تشفى دفعة واحدة نقائص الماضي ، والامية ، وانعدام الثقافة ، وميراث حرب همجية ، وميراث رأسمالية مفتضبة . لكنها بالمقابل تتيح الانتقال الى الاشتراكية . انها تتيح لاولئك الذين كانوا مضطهدين ان ينهضوا وان يأخذوا بأنفسهم اكثر فأكثر في أيديهم ادارة الدولة ، وادارة الاقتصاد برمتها ، وادارة الانتاج بأكملها .

ان سلطة المجالس السوفيتية هي طريق الاشتراكية التي اكتشفتها الجماهير الكادحة ، واذن فهي طريق مأمونة ، طريق لا تقهر .

ف. لينين : « خطابات مسجلة على اسطوانات »
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع
والعشرون ، ص : ٢٥٠ - ٢٥١ .

ان المجالس السوفيتية للمندوبين العمال والجنود والفلاحين ، النخ ، لا تزال غير مفهومة بمعنى ان معظم الناس لا يشكلون فكرة واضحة عن المفزى الطبقي للمجالس السوفيتية ودورها في الثورة الروسية . لكن

ما لا يفهمه البعض كذلك هو انها تمثل شكلا جديدا للدولة ، أو بصورة ادق
نمطا جديدا للدولة .

ان نمط الدولة البورجوازية الاكمل والاكثر تطورا هو **الجمهورية الديمقراطية البرلمانية** : ان السلطة في هذه الجمهورية تخص البرلمان ؛ وان آلة الدولة وجهاز الادارة فيها هما نفسهما ابدا : الجيش الدائم ، والشرطة ، وهيئة الموظفين غير القابلين للعزل عمليا ، والتمتعين بالامتيازات ، والموضوعين **فوق الشعب .**

لكن العصور الثورية توفر لنا ، منذ نهاية القرن التاسع عشر ، نمطا **أعلى** للدولة الديمقراطية ، دولة تكف بصورة مسبقة ، حسب تعبير انجلز ، في بعض الشروط عن ان تكون دولة ، « ليست هي بعد الآن دولة بالمعنى الصحيح للكلمة » . تلك هي الدولة من نمط كومونة باريس التي **تستعفي** عن الجيش والشرطة المنفصلين عن الشعب بالتسلح المباشر والثوري للشعب نفسه . **تلك هي** ماهية الكومونة ، التي يهاجمها ويفتري عليها المؤلفون البورجوازيون ، والتي عزي اليها خطأ ، فيما عزي اليها ، النية في « ادخال » الاشتراكية من الوهلة الاولى .

ان دولة من هذا النمط على وجه الدقة هي التي **باشرت** الثورة الروسية في خلقها في ١٩٠٥ و ١٩١٧ . جمهورية للمجالس السوفيتية للمندوبين العمال والجنود والفلاحين ، الخ ، المتحدة في جمعية تأسيسية لمثلي شعب روسيا ، او في هيئة للمجالس السوفيتية : الخ . . . ، هذا ما هو **في سبيله الى الولادة** عندنا في الساعة الراهنة ، بمبادرة الجماهير الشعبية التي تخلق بصورة عفوية ديموقراطية **على طريقاتها** . . .

ان الصفات الرئيسية التي تميز هذا النمط من الدولة من النمط القديم هي التالية :

ليس أسهل من العودة (وقد أثبت التاريخ ذلك) من الجمهورية

البرلمانية البورجوازية الى الملكية ، ذلك ان كل جهاز القمع ، من جيش ، وشرطة ، وبيروقراطية ، يظل سليما لم يمس . ان الكومونة والمجالس السوفييتية للمندوبين العمال والجنود والفلاحين . الخ ، تحطم هذا الجهاز وتقضي عليه .

ان الجمهورية البرلمانية البورجوازية تعوق وتخنق حياة الجماهير السياسية الخاصة ، ومشاركتها المباشرة في التنظيم **انديموقراطي** لكل حياة الدولة ، من القاعدة الى القمة . وان المجالس السوفييتية للمندوبين العمال والجنود تصنع بعكس ذلك تماما .

انها تستأنف نمط الدولة الذي أعدته كومونة باريس والذي سماه ماركس « الشكل السياسي الذي اكتشف، اخيرا والذي **يمكن** بواسطته ان يتم تحرير الشغيلة الاقتصادية » .

ف. لينين : « مهمات البروليتاريا في ثورتنا » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الرابع والعشرون ، ص : ٦٠ - ٦١ .

... ليست سلطة المجالس السوفييتية ابتكارا اعتباطيا ، ولا ثمرة مناورة حزبية ، بل نتيجة تطور الحياة بالذات ، نتاج النضوج العفوي للثورة العالمية . تذكروا ان جميع الثورات العظمية قد حاولت دائما ان تدمر النظام الرأسمالي القديم حتى أسسه ، وانها جهدت دائما ليس للحصول على الحقوق السياسية فحسب ، بل كذلك لانتزاع قيادة الدولة بالذات من الطبقات القائدة ، من جميع مستثمري ومضطهدي الشغيلة ، كما تضع حدا نهائيا لكل استثمار وكل اضطهاد . ان الثورات الكبرى قد عملت بالضبط جااهدة من أجل تحطيم هذا الجهاز القديم لدولة المستثمرين ، لكنها لم تنجح في ذلك البتة نجاحا تاما حتى الوقت الحالي . وهذه روسيا،

من جراء خصائص وضعها الاقتصادي والسياسي ، قد كانت سبابة المسمى
انجاز هذا الانتقال للسلطة الى الشغيلة أنفسهم ، لسوف نبني الآن ، على
ارض منظمة من انقراض التاريخ ، البناء المهيب والمتألق للمجتمع الاشتراكي ،
ونخلق نمطا جديدا للدولة مجهولا في التاريخ ومدعوا ، بفعل ارادة الثورة ،
الى تنظيف الارض من كل استثمار ، وكل عنف ، وكل عبودية .

ف. لينين : « المؤتمر الثالث للمجالس
السوفيتية للمندوبين العمال والجنود والفلاحين في
روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد السادس والعشرون ، ص : ٥٠٠ - ٥٠١ .

ان المجالس السوفيتية قد أسسها الشغيلة انفسهم ، بطاقتهم
وقوتهم الخلاقة الثورية ؛ وتلك هي الضمانة الوحيدة لاختصاصها اللامتناهي
لمصالح الجماهير . ان كل فلاح ، اذ يرسل ممثليه الى المجلس السوفيتي ،
يستطيع ان يعزلهم ايضا ، وفي هذا يستقيم الروح الثوري حقا الذي تصصف
المجالس السوفيتية به .

ف. لينين : « تقرير عن حق العزل مقدم في
دورة اللجنة التنفيذية المركزية لروسيا ، بتاريخ
٢١ تشرين الثاني (٤ كانون الاول) ١٩١٧ » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
السادس والعشرون ، ص : ٣٥٥ .

لو ان المبقرية الخلاقة الشعبية للثورة الروسية ، بعدما عرفت
تجربة عام ١٩٠٥ العظيمي، لم تخلق المجالس السوفيتية منذ شباط ١٩١٧ ،
فان هذه المجالس ما كان يمكن على الاطلاق ان تستلم السلطة في تشرين
الاول ، ذلك ان النجاح كان مرهونا فقط بوجود أشكال تنظيمية جاهزة
سلفا لحركة قوية بملايين البشر . وكانت المجالس السوفيتية هذا الشكل
الجاهز تماما : ولذا فان ماكان ينتظرنا في المجال السياسي قد كانت تلك

النجاحات الباهرة ، وتلك المسيرة الظافرة المتصلة التي عرفناها لأن الشكل الجديد للسلطة السياسية قد كان جاهزا ...

ف. لينين : « التقرير السابع للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٨٦ .

اما توطدت سلطة المجالس السوفيتية في روسيا ، فقد اكتسبت الى الابد عواطف الشغيلة والمستثمرين لأنها ألغت جهاز القمع القديم لسلطة الدولة ، وخلقت في خطوطه الكبرى نمطا جديدا وأعلى للدولة الذي نرى مضغته في كومونة باريس التي حلت مباشرة - بقوة الجماهير المسلحة - محل الجهاز القديم الذي ألقت به أرضا ، واستعاضت عن الديمقراطية البورجوازية البرلمانية بديموقراطية الجماهير الكادحة ، مستبعدة منها المستثمرين الذين قمعت مقاومتهم بصورة منهجية .

ف. لينين : « المؤتمر الرابع فوق المساوي للمجالس السوفيتية في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ١٧٦ .

... ان تعديل القسم السياسي من برنامجنا يجب ان يستقيم ... في تعريف الدولة من النمط الجديد ، جمهورية المجالس السوفيتية ، بالطريقة الادق والاكمل على اعتبارها شكلا لدكتاتورية البروليتاريا واستمرارا لانتصارات الثورة العمالية الاممية ، هذه الانتصارات التي افتتحتها كومونة باريس . ويجب ان يشير البرنامج الى ان حزبنا لن يتخلى عن استخدام حتى البرلمانية البورجوازية اذا جعلنا سياق النضال يتراجع لبعض الوقت نحو هذه المرحلة التاريخية التي تجاوزتها ثورتنا في الوقت الراهن . لكنه في جميع الاحوال ، وكأنه ماكانت الظروف ، فان الحزب سوف يناضل

في سبيل جمهورية المجالس السوفيتية ، على أنها نمط للدولة الأكثر ديمقراطية ، وعلى أنها شكل لدكتاتورية البروليتاريا ، في سبيل قلب نير المستثمرين وسحق مقاومتهم .

ف. لينين : « المؤتمر السابع للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ١٤٠ - ١٤١ .

ان سلطة المجالس السوفيتية جهاز، جهاز يجب ان تستطيع الجماهير بواسطته ان تبدأ من فورها في تعلم تسيير الدولة وتنظيم الانتاج على نطاق البلاد . وتلك مهمة بالغة الصعوبة . لكن الامر الهام من وجهة النظر التاريخية هو اننا باشمنا القيام بهذه المهمة ، وذلك ليس من وجهة نظر بلادنا وحدها فحسب ، بل بدعوة عمال اوربا الى مساعدتنا ايضا . يجب ان نوضح بركامتنا بصورة حسية منطلقين على وجه الدقة من وجهة النظر العامة هذه . ولهذا السبب فاننا نعتقد اننا نواصل بذلك قدماً الطريق التي سلكتها كومونة باريس . ولهذا السبب فاننا مقتنعون بأن عمال اوربا ، اذا ما انخرطوا مرة في هذه الطريق ، سوف يعرفون كيف يساعدوننا . ان مانصنعه ، حين ننقل مركز الثقل من وجهة النظر الصورية الى الشروط الحسية ، يستطيعون هم ان يصنعوه بصورة أفضل أيضاً . ففيمما كان مطلب مثل ضمان حرية الاجتماع بالغ الاهمية بصورة مخصوصة فيما مضى ، فان رأينا في هذا الموضوع ان انسانا لا يستطيع اليوم ان يمنع الاجتماعات ، وان سلطة المجالس السوفيتية يجب فقط ان تؤمن القاعات لهذا الغرض . ان الامر بالنسبة الى البورجوازية هو الاعلان عن المبادئ الرائعة ، على صعيد عام ، في مجرد وعود : « ان جميع المواطنين يستمتعون بحرية الاجتماع ، لكن فليجتمعوا في الهواء الطلق ، فنحن لن نعطيهم امكنة لذلك » . اما نحن فنقول : « اقل من العبارات ومزيديا من الافعال » . يجب ان نستملك القصور ، وليس قصر التوريد فحسب ، بل

قصورا كثيرة أخرى ؛ وأما حرية الاجتماع ، فلا نقول عنها شيئا . وهذه الطريقة في صنع الامور يجب ان نوسعها بحيث تشمل جميع النقاط الاخرى لبرنامجنا الديمقراطي . يجب ان نمارس العدالة بأنفسنا . ان من واجب جميع المواطنين دون استثناء ان يسهموا في ممارسة العدالة وفي ادارة البلاد . وانه ليهننا ان يسهم جميع الشفيلة دون استثناء في ادارة الدولة . وتلك مهمة بالغة الصعوبة . بيد ان الاشتراكية لا يمكن ان تقام من قبل اقلية ، من قبل الحزب . لا يمكن ان تقام الاشتراكية الا من قبل عشرات الملايين من الناس ، حين يتعلم هؤلاء الناس كيف يصنعون هم أنفسهم ذلك . ان جدارتنا ، في نظرنا ، هي اننا نبذل جهدنا لنساعد الجماهير على ان تباشر العمل فورا ، بدلا من ان تتعلم هذه الاشياء في الكتب وفي المحاضرات .

ف. لينين : « المؤتمر السابع للحزب الشيوعي
(البلشفي) في روسيا » المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص :
١٣٤ - ١٣٥ .

... ان سلطة المجالس السوفيتية هي نمط جديد للدولة ، دون بيروقراطية ، ودون شرطة ، ودون جيش دائم ، حيث تفسح الديمقراطية البورجوازية مكانها لديموقراطية جديدة تحمل الى الصف الاول طليعة الجماهير الكادحة ، وتجمل من هذه الجماهير السلطة التشريعية والتنفيذية ، وتمهد اليها بالدفاع العسكري ، وتخلق جهازا قميئا باعادة تثقيف الجماهير .

ف. لينين : « المؤتمر السابع للحزب الشيوعي
(البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ١٣٢ .

... ليست سلطة المجالس السوفيتية شيئا آخر سوى الشكل التنظيمي لدكتاتورية البروليتاريا ، لدكتاتورية الطبقة الطليعية التي ترفع الى ديموقراطية جديدة ، الى الاسهام ذي الاستقلال الذاتي في تسيير

الدولة ، عشرات وعشرات الملايين من الشغيلة والمستثمرين الذين يتعلمون بتجربتهم الخاصة كيف ينظرون الى الطبيعة المنضبطة والواعية للبروليتاريا على أنها مرشدهم الاكثر امانة .

ف . لينين : « المهمات العمرية لسلطة المجالس السوفيتية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس ، موسكو ، المجلد السابع والثمرون ، ص : ٢٧٥ .

ان انتصار سلطة المجالس السوفيتية في العالم اجمع مضمون ، وليس هو سوى مسألة وقت .

إلامَ يعود صمود سلطة المجالس السوفيتية ، على الرغم من المحن الاقسى ، وعذابات الجوع ، والصعوبات الناجمة عن الحرب والدمار ؟

في الحقيقة الى انها سلطة الشغيلة انفسهم . سلطة ملايين العمال والفلاحين .

ان العمال قد استلموا السلطة . وان العمال ليساعدون ملايين الفلاحين الشغيلة .

ان سلطة المجالس السوفيتية قد فلتت الملايين العقارين والراساليين وهي تدافع بحزم عن الشعب ضد محاولاتهم الهادفة الى العودة .

ان سلطة المجالس السوفيتية تستخدم كل الاشياء كي تتقدم الى مساعدة الفلاحين الشغيلة ، الفلاحين الفقراء والفلاحين المتوسطين الذين يشكلون غالبية الشعب الساحقة .

ان سلطة المجالس السوفيتية لا ترخي الزمام للكولاك ، والمثري ، والملاك ، والمضارب ، ولاولئك الذين يريدون أن يفتنوا دون أن يعملوا ،

لاولئك الذين يريدون ان يثروا باستثمار بؤس الشعب ومجاعته .

ان سلطة المجالس السوفيتية هي من اجل الشفيلة ، ضد المضارين ، والملاكين ، والراسماليين ، واصحاب الاراضي الكبار .

هنا تستقيم قوة المجالس السوفيتية وصمودها وجبروتها في العالم اجمع .

ف . لينين : « عمان من السلطة السوفيتية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الثلاثون ، ص ١٢٦٢

ان المجالس السوفيتية العمالية والفلاحية تشكل نمطا جديدا للدولة ،
نمطا جديدا واعلى للديموقراطية ؛ انها الشكل الذي ترتديه دكتاتورية
البروليتاريا ، وسيلة لادارة الدولة بعمق البورجوازية و ضد البورجوازية .
للمرة الاولى تقوم الديموقراطية هنا في خدمة الشفيلة ؛ لقد كفت عن كونها
ديموقراطية من اجل الاغنياء ، وهي ما لا تبرحه في جميع الجمهوريات
البورجوازية ، حتى اكثرها ديموقراطية . وللمرة الاولى تباشر الجماهير
الشعبية اقامة دكتاتورية البروليتاريين وانصاف البروليتاريين على نطاق
مائة مليون من البشر ، وهي مهمة لا يمكن ان تطرح مسالة الاشتراكية من
دون تنفيذها .

ف . لينين : « رسالة الى العمال الاميركيين » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن
والعشرون ، ص : ٦٩ .

ان ما يصنع طبيعة سلطة المجالس السوفيتية هو ان سلطة الدولة
برمتها ، جهاز الدولة بأكمله ، يقوم اساسه الوحيد والصدائم في التنظيم
الجماهيري للطبقات التي كانت تضطهدها الراسمالية ، يعني العمال وانصاف

البروليتاريين (الفلاحين الذين لا يستثمرون عمل الغير والذين يبيعون باستمرار ولو قسما من قوة عملهم) . ان الجماهير التي كانت منحاة حتى في الجمهوريات البورجوازية الاكثر ديموقراطية - على الرغم من انها متساوية في الحقوق امام القانون - عن الاسهام في الحياة السياسية والاستمتاع بالحقوق والحريات الديموقراطية ، وذلك بواسطة آلاف الوسائط والاحاييل ، هي في الوقت الحاضر مشركة باستمرار وبالضرورة، والاكثر من ذلك بصورة حاسمة ، في التسيير الديموقراطي للدولة . . .

. . . ان مساواة المواطنين ، دون تمييز في الجنس ، والدين ، والعرق ، والقومية ، هذه المساواة التي وعدت بها الديموقراطية البورجوازية في كل مكان وعلى الدوام ، لكن لم تحققها في أي مكان ولا تستطيع ان تحققها من جراء السيطرة الرأسمالية ، تطبقها سلطة المجالس السوفييتية او دكتاتورية البروليتاريا بصورة كاملة وفورية ، ذلك ان سلطة العمال وحدها، هذه السلطة التي لا تلتزم بالملكية الخاصة لوسائل الانتاج وبالنضال من اجل اقتسام هذه الوسائل او اعادة اقتسامها ، لقادرة على القيام بذلك . . .

ان الديموقراطية القديمة ، يعني الديموقراطية البورجوازية ، والبرلمانية قد كانتا منظمتين بحيث تنحيان قبل كل شيء الجماهير الكادحة عن الجهاز الاداري . وعلى العكس من ذلك ، فان سلطة المجالس السوفييتية، يعني دكتاتورية البروليتاريا ، منظمة بحيث تقرّب الجماهير الكادحة من الجهاز الاداري . وذلك هو ايضا الهدف من الجمع بين السلطتين التشريعية والتنفيذية في تنظيم الدولة السوفييتي ، ومن الاستعاضة عن الدوائر الاقليمية بوحدات انتخابية مؤسسة على المشروع : المصنع ، العمل . . .

. . . لقد كان الجيش جهازا للمقمع ، وليس في ظل الملكية فحسب . لقد ظل كذلك في جميع الجمهوريات البورجوازية، حتى اكثرها ديموقراطية. وان سلطة المجالس السوفييتية تستطيع وحدها ، على اعتبارها تنظيما

دوليا دائما للطبقات المضطهدة من الرأسمالية ، ان تقضي على خضوع الجيش للأمرية البورجوازية وتصهر البروليتاريا والجيش بصورة فعلية ، وان تضمن حقا تسليح البروليتاريا ونزع سلاح البورجوازية ، ومن دون ذلك يظل انتصار الاشتراكية مستحيلا ...

... ان التنظيم السوفييتي للدولة مكيف مع دور البروليتاريا القيادي على اعتبارها الطبقة التي جعلتها الرأسمالية أشد مركزة واكثر ثقافة . ان تجربة جميع الثورات وسائر حركات الطبقات المضطهدة ، تجربة الحركة الاشتراكية العالمية ، تعلمنا أن البروليتاريا وحدها قادرة على جمع وجرف الفئات المتخلفة والمبعثرة من السكان الكادحين والمستثمرين ...

... ان تنظيم الدولة السوفييتي لقادر حقا على تحطيم الجهاز القديم دفعة واحدة وتدميره بصورة نهائية ، والمقصود هو الجهاز البورجوازي ، البيروقراطي والقضائي ، الذي ثبت وكان لا بد ان يثبت بصورة حتمية في ظل الرأسمالية ، حتى في الجمهوريات الاكثر ديموقراطية ، والذي يشكل في واقع الامر العقبة الكبرى في وجه اقامة الديموقراطية في مصلحة العمال والشفيلة . ولقد قامت كومونة باريس بأول خطوة في هذا السبيل ، الخطوة الاولى ذات المغزى التاريخي والعمومي ، بينما قامت المجالس السوفييتية بالخطوة الثانية ...

... ان الغاء سلطة الدولة هو الهدف الذي وضعه جميع الاشتراكيين نصب اعينهم ، وماركس على رأسهم . وطالما أن هذا الهدف لم يتم بلوغه ، فان الديموقراطية الحقيقية ، يعني الحرية والمساواة ، لا يمكن تحقيقها ، والحال ان الديموقراطية السوفييتية او البروليتارية تقود عمليا الى هذا الهدف ، ذلك أنها حين تشرك المنظمات الجماهيرية الكادحة بصورة دائمة

وضرورة في إدارة الدولة ، فانها تباشر في الحال تهيئة اضمحلال كل دولة اضمحلالاً تاماً .

ف . لينين : « المؤتمر الاول للاممية الشيوعية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن
والعشرون ، ص : ٤٨٩ - ٤٩١ .

ان الديموقراطية البروليتارية ، التي تشكل سلطة المجالس السوفيتية احد اشكالها ، قد طورت الديموقراطية ووسعتها كما لم يحدث في أي مكان في العالم ، وذلك بالضبط في مصلحة الغالبية العظمى من السكان، في مصلحة المستثمرين والشغيلة .

... ففي الديموقراطية البورجوازية يعمد الرأسماليون بألف حيلة وحيلة - أكثر براعة وفعالية بقدر ماتكون الديموقراطية « الخالصة » اكثر تطوراً - الى تنحية الجماهير عن الاسهام في تسيير البلاد، وعن حرية الاجتماع، والصحافة ، الخ . ان سلطة المجالس السوفيتية هي السلطة الاولى في العالم (اذا شئنا مزيداً من الدقة فهي السلطة الثانية ، طالما أن كومونة باريس كانت قد باشرت الامر نفسه) التي دعت الجماهير الى الحكم ، وعلى الاخص الجماهير المستثمرة . ان الف حاجز يعترض اسهام الجماهير الكادحة في البرلمان البورجوازي (الذي لا يحل قط المسائل الرئيسية في الجمهورية البورجوازية ! بل ان هذه المسائل تحسمها البورصة، والمصارف) . وان العمال ليعرفون ويحسون ، ويرون ويدركون بصورة رائعة أن البرلمان البورجوازي هو بالنسبة اليهم جهاز غريب ، أداة اضطهاد للبروليتاريين من قبل البورجوازية ، جهاز طبقة معادية ، جهاز اقلية من المستثمرين .

ان المجالس السوفيتية هي التنظيم المباشر للجماهير الكادحة والمستثمرة ، الذي يسهل لها امكانية ان تنظم هي نفسها الدولة وان تحكمها بجميع الوسائل . انها على وجه الدقة طليعة الشغيلة والمستثمرين .

بروليتاريا المدن التي تنتفع في هذه الشروط من ميزة كونها الافضل وحدة في المشاريع الضخمة : فحمة سهولة اعظم من اجل انتخاب المنتخبين ومراقبتهم ، إن التنظيم السوفييتي يسهل بصورة آلية اتحاد جميع الشفيلة المستثمرين حول طليعتهم التي هي البروليتاريا . وان الجهاز البورجوازي القديم - البيروقراطية ، وامتيازات الثروة ، والتعليم البورجوازي ، والعلاقات ، الخ . . . ان هذه الامتيازات الفعلية تزداد تنوعا بقدر ماتكون الديموقراطية البورجوازية أكثر تطورا) - ان هذه الاشياء جميعا تحذف في ظل نظام المجالس السوفييتية . وان حرية الصحافة تكف عن كونها مراعاة ، اذ ان المطابع والورق تنتزع من البورجوازية . ويصح الامر نفسه بالنسبة الى افضل المباني ، والقصور ، والفنادق الخاصة ، والبيوتات السيادة ، الخ . ان السلطة السوفييتية قد انتزعت بضربة واحدة ، بالآلاف ، أفضل هذه الابنية من المستثمرين ؛ وبذلك فقد جعلت حق الاجتماع بالنسبة الى الجماهير ، هذا الحق الذي تكون الديموقراطية خدعة بدونه ، أكثر « ديموقراطية » بمليون مرة . وان الانتخابات غير المباشرة الى المجالس السوفييتية غير المحلية تسهل مؤتمرات المجالس السوفييتية ، وتجعل الجهاز بومته أقل كلفة ، وأكثر حركة ، وأقرب تناولا الى العمال والى الفلاحين ، وذلك في فترة من الحياة الحافلة حيث يهم ان تتوفر بأسرع وقت ممكن امكانية استدعاء المرء لمندوبه المحلي او ارساله الى المؤتمر العام للمجالس السوفييتية .

ان الديموقراطية البروليتارية هي مليون مرة أكثر ديموقراطية من اي ديموقراطية بورجوازية ؛ وان سلطة المجالس السوفييتية هي مليون مرة أكثر ديموقراطية من أكثر الجمهوريات البورجوازية ديموقراطية .

ن. لينين : الثورة البروليتارية والمرشد تاوسكي ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن
والعشرون ، ص : ٢٢٥ - ٢٢٧ .

ان البلشفية قد جعلت فكرة « دكتاتورية البروليتاريا » شعبية في العالم أجمع ؛ لقد ترجمت هذه العبارات من اللاتينية الى الروسية بادية الامر ، ومن ثم الى سائر لغات العالم : ولقد بينت بمثال **سلطة المجالس السوفيتية** ان العمال والفلاحين الفقراء ، حتى اقلهم خبرة ، واقلهم اعتيادا على التنظيم ، قد استطاعوا ، حتى في بلد متخلف ، خلال سنة واحدة ، في ملء مصاعب لا نظير لها ، بالنضال ضد المستثمرين (الذين كانت تتكاتف معهم بورجوازية العالم أجمع) ، ان يصونوا سلطة الشفيلة ، وان يقيموا ديموقراطية أعلى واعرض بما لايقاس من جميع الديموقراطيات السابقة ، وان **يفتتحوا** العمل الخلاق لعشرات الملايين من العمال والفلاحين من اجل تحقيق الاشتراكية تحقيقا عمليا .

ف . لينين : **الثورة البروليتارية والمرشد كاوتسكي** ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن
والعشرون ، ص : ٣٠٣ .

بانسبة الى الرأسماليين ، كان التنظيم الداخلي لمشروعهم شيئاً يغطي عن اعين الناس السر التجاري ، شيئاً كان يبدو أنهم يريدون أن يتصرفوا فيه بالسلطة المطلقة والمانة ، وذلك بحيث يحتمون لا ضد النقد فحسب ، ولا ضد التدخلات الاجنبية فحسب ، بل ضد الانظار الفضولية ايضا . وعلى النقيض من ذلك ، فان تنظيم العمل في هذا المشروع الكبير او ذلك وفي هذه الجماعة الريفية او تلك يشكل على وجه الدقة ، بالنسبة الى سلطة المجالس السوفيتية ، المسألة الاهم ، والاكثر اساسية ، والاعظم حالة للحياة الاجتماعية .

ف . لينين : « المسودة الاولى لمقالة : المهمات الفورية
لسلطة المجالس السوفيتية » ، **المؤلفات الكاملة** ،
باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص
٦١٠ .

ان السلطة السوفيتية ، للمرة الاولى في العالم ، لا تسهل فحسب بمختلف الوسائل تنظيم الجماهير المضطهدة من قبل الرأسمالية ، بل تجعل من هذا التنظيم الاساس الدائم لجهاز الدولة برمته ، من الاسفل الى الاعلى ، سواء على الصعيد المحلي أم على الصعيد المركزي . تلك هي الوسيلة الوحيدة من اجل تحقيق الديموقراطية تحقيقا فعليا لغالبية السكان ، يعني الاسهام الفعلي لغالبية الشعب الساحقة ، للشغيلة في ادارة الدولة ، بدلا من ان تكون هذه الادارة مؤمنة بصورة رئيسية من قبل ممثلين للطبقات البورجوازية ، كما هي الحال في الجمهوريات البورجوازية الاكثريديموقراطية .

ف. لينين : « مشروع برنامج الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ١٠٣ .

لم يكن لنا بد من اقامة دكتاتورية البروليتاريا في شكلها الاشد حزما .

ف . لينين : « اجتماع مناظلي الحزب في موسكو ، بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٨ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٢١٢ .

ان مثال جمهورية المجالس السوفيتية سيبين لها (الاشتراكية الاممية) طريقها خلال فترة طويلة من الزمن . ان جمهوريتنا الاشتراكية للمجالس السوفيتية ستنتصب بكل حزم على انها مشعل الاشتراكية الاممية ، على انها قدوة لجميع الجماهير الكادحة . فهناك المذبحة ، والحرب ، واهراق الدماء وملايين الضحايا ، واستثمار الراسمال ؛ اما هنا فسياسة السلام الحقيقية والجمهورية الاشتراكية للمجالس السوفيتية .

لقد جرت الاحداث بصورة مغايرة لما تنبأ ماركس وانجلز به ؛ لقد عهدت الينا ، نحن الطبقات الكادحة والمستثمرة في روسيا ، بالدور المشرف الخاص

بطليعة الثورة الاشتراكية الاممية ، ونحن نرى الآن بكل وضوح منظورات
تطور الثورة . ان الروسي بدأ ، والالماني والفرنسي والانكليزي سيكملون ،
وتنتصر الاشتراكية .

ف . لينين : « المؤتمر الثالث للمجالس السوفيتية
للمندوبين العمال والجنود والفلاحين في روسيا » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السادس
والعشرون ، ص : ٤٩٣ - ٤٩٤

نظام دكتاتورية البروليتاريا

ان الدكتاتورية تمارس مسن قبل البروليتاريا المنظمة في المجالس
السوفيتية والموجهة من قبل الحزب الشيوعي البلشفي اننا نخشى
التوسع المفرط للحزب ، ذلك ان الوصوليين والاوغاد - الذين لا يستحقون
سوى المشقة - يسمون بالضرورة الى التغفل في صفوف الحزب الحكومي .
وحين فتحنا ابواب الحزب على مصراعها في المرة الاخيرة - وذلك للعمال
والفلاحين وحدهم - كان ذلك ايام (شتاء ١٩١٩) كان يودينتس على
بضعة فراسخ من بتروغراد وكان دينيكين في اوريل (على بعد حوالي ٣٥٠
كيلو متر من موسكو) ؛ يعني في برهة كان خطر رهيب ، خطر الموت ، يهدد
فيها جمهورية المجالس السوفيتية ، وكان المغامرون ، والوصوليون ،
والاوغاد ، وعلى العموم العناصر المتذبذبة ، لا يستطيعون فيها في حال من
الاحوال ان ياملوا من انضمامهم الى الشيوعيين في تحقيق الامتيازات (بل
بالاحرى ان يتوقعوا المشقة والتعذيب) . وان لجنة مركزية من ١٩ عضواً
منتخبة في المؤتمر ، تقود الحزب الذي يعقد مؤتمرات سنوية (في المؤتمر
الاخير كان التمثيل يجري على اساس ممثل واحد لكل الف عضو) ؛ وان
العمل الجاري قد عهد به ، في موسكو ، الى زملاء اقل عدداً من ذلك اطلق
عليهم اسم « مكتب التنظيم » و « المكتب السياسي » ، وهم ينتخبون في

الجلسة الكاملة للجنة المركزية ، على اساس خمسة اعضاء منتقن من بين اعضاء اللجنة لكل مكتب . وانه ليترتب على ذلك اذن « الاوليفارشية » الاكثر فعلية . وليس في جمهوريتنا مسألة سياسية او تنظيمية تتحلى ببعض الاهمية تحسم من قبل احدى مؤسسات الدولة دون ان تكون لجنة الحزب المركزية قد اعطت توجيهاتها بشأنها .

وان الحزب يعتمد في عمله بصورة مباشرة على **النقابات** التي تعد اليوم ، حسب معطيات المؤتمر الاخير (نيسان ١٩١٩) اكثر من اربعة ملايين عضو ، وهي سوريا لا حزبية . والحقيقة ان جميع المؤسسات القيادية للغالبية الساحقة من النقابات ، وفي المحل الاول ، طبعا ، مركز او مكتب النقابات الروسية (المجلس المركزي لنقابات روسيا) ، تشكل من شيوعيين وتطبق جميع توجيهات الحزب ، واننا لنحصل على العموم على جهاز بروليتاري ليس هو بالشيعوي سوريا ، وهو جهاز مرن وواسع نسبيا ، بالغ القوة ، جهاز يستطيع الحزب بواسطته ان يرتبط بصورة دقيقة **بالطبقة والجمهير** ، وتحقق بواسطته **دكتاتورية الطبقة** تحت قيادة الحزب . وانه لمن الجلي اننا ما كنا نستطيع ، بدون الارتباط الوثيق بالنقابات ، وبدون دعمها القوي ، وبدون عملها المتفاني ليس في البناء الاقتصادي فحسب ، بل في **التنظيم العسكري ايضا** ، ان نحكم البلاد ونحقق الدكتاتورية ، ولا اقول خلال سنتين ونصف السنة ، بل خلال شهرين ونصف الشهر . واننا لندرك ان هذا الارتباط الوثيق جدا يتضمن ، عمليا ، عملا دعائيا وتحريضيا بالغ التعقيد وشديد التنوع ، واجتماعات مناسبة ومتواترة لا مع القيادة فحسب ، بل بصورة عامة مع الاعضاء المنفذين في النقابات ؛ ونضالا حازما ضد المناشقة الذين يعدون ، حتى يومنا هذا ، عددا - صحيح انه صغير جدا - من الانصار الذين يدربونهم على جميع احاييل الثورة المضادة ، من الدفاع الايديولوجي عن الديمقراطية (**البورجوازية**) ، ومن اطراء « استقلال » النقابات (استغلال حيال سلطة الدولة البروليتارية) ، حتى تخريب الانضباط البروليتاري ، الخ ، الخ .

اننا نعترف بأن الارتباط مع « الجماهير » بواسطة النقابات غير كافٍ . ان الممارسة قد خلقت فيما بيننا ، في سياق الثورة ، مؤسسة نسمى بكل الوسائل الى المحافظة عليها ، وتطويرها ، وتوسيعها : تلك هي **مؤتمرات العمال والفلاحين اللاحزبيين** ، التي تتيح لنا ملاحظة الحالة الذهنية للجماهير ، والاقتراب منها ، وتلبية حاجاتها ، ودعوة افضل عناصرها الى مراكز الدولة ، الخ . وان مرسوما حديثا عن اعادة تنظيم مفوضية الشعب لرقابة الدولة في « التفطيش العمالي والفلاحي » يمنح هذه المؤتمرات الخاصة باللاحزبيين حق انتخاب اعضاء في مصالح رقابة الدولة سوف يعمدون الى مراجعات متنوعة ، الخ .

وفيما بعد ، فانه من المفروغ منه ان عمل الحزب بأسره يتم بواسطة المجالس السوفيتية التي تجمع الجماهير الكادحة دون تفريق في المهنة . إن مؤتمرات المجالس السوفيتية في النواحي تمثل مؤسسة ديموقراطية لم تشاهد مثلها قط افضل انجمهوريات الديوقراطية للعالم البورجوازي ؛ وانه بواسطة هذه المؤتمرات (التي يسعى الحزب الى تتبع أعمالها بانتباه متصل) ، وكذلك بانتداب العمال الواعين باستمرار الى الريف ، والى الوظائف الاكثر تنوعا ، تنجز البروليتاريا دورها القيادي حيال طبقة الفلاحين ، وتحقق دكتاتورية البروليتاريا في المهن ، والنضال المنهجي ضد الفلاحين الاثرياء . والبورجوازيين ، والمستثمرين ، والمضاربين ، الخ .

تلك هي الآلية العامة لسلطة الدولة البروليتارية المأخوذة بعين الاعتبار « من عل » ، من وجهة نظر التطبيق العملي للدكتاتورية . واننا لنأمل ان يفهم القارئ السبب في ان جميع هذه المناقشات عن الدكتاتورية « من عل » او « من تحت » ، عن دكتاتورية الزعماء او الجماهير ، الخ . لا يمكن الا ان تتراءى سييانية وسخيفة في نظر البلشفي الروسي الذي يعرف تلك الآلية ، التي شاهدها تولد في الحلقات الصغيرة غير الشرعية ، السرية ، وتنمو خلال خمس وعشرين سنة . تماما كما ستكون سييانية وسخيفة مناقشة بصدد مسألة معرفة ما هو اكثر فائدة للانسان ، فخذة اليسرى

ف . لينين : مرض الشيوعية الطفولي (اليسارية) ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي
والثلاثون ، ص : ٤٢ - ٤٤ .

بعد سنتين ونصف السنة من السلطة السوفييتية أعلننا في وجه
انالم أجمع في الاممية الشيوعية ان دكتاتورية البروليتاريا مستحيلة بدون
وساطة الحزب الشيوعي .

ف . لينين « المؤتمر الحاضر لحزب الشيوعي
(البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص : ٢٠٨ .

تعلم الماركسية - وهذا ما لا تؤكد بصورة صورية الاممية الشيوعية
بأسرها فحسب ، في قرار المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية (١٩٢٠) ، عن
دور حزب البروليتاريا السياسي ، بل تؤكد ثورتنا في الممارسة ايضا - ان
حزب الطبقة العاملة السياسي ، يعني الحزب الشيوعي ، هو الوحيد القادر
على ان يجمع ، ويشقف ، وينظم ، طليعة البروليتاريا وجميع الجماهير
الكادحة ، وانه وحده قادر على ان يعارض التذبذبات البورجوازية الصغيرة
المتحومة لهذه الجماهير ، والتقاليد والانتكاسات الحتمية لضيق الذهن
التعاوني او المستبقات النقابية الحرفية في البروليتاريا ، وان يقود جميع
الفعاليات الموحدة لجماع البروليتاريا ، يعني ان يقودها سياسيا ، وان
يرشد بواسطتها الجماهير الكادحة . ولولا ذلك فان دكتاتورية البروليتاريا
مستحيلة .

ان التصور الخاطيء عن دور الحزب الشيوعي في علاقاته مع
البروليتاريين الاحزابيين ، وفيما يخص العاملين الاول والثاني مع جمهرة
الشفيلة بأسرها ، هو انحراف نظري جذري بالمقارنة مع الشيوعية وانحراف

نحو النقابية والفضوية ؛ أن جمع أفكار « المعارضة العمالية (٣٦) » مشربة
بهذا الانحراف .

ف . لينين : « المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي
(البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص :
٢٥٧ .

قبل كل شيء ، في عمل هذه المؤسسة (القيادة المركزية للثقيف
السياسي - ملاحظة من المحرر) ، يجب الاعتراف بحزم بأولية سياسة
الحزب الشيوعي . اننا لا نعرف شكلا آخر ، وليس ثمة بلاد
وجدت بعد شكلا آخر . أن في مكنة الحزب ان يستجيب
بصورة تزيد او تنقص لمصالح طبقته . وانه ليتعرض لهذه التعديلات او
التصححات او تلك ، لكننا لا نعرف بعد شكلا اعلى . وان مجمل الصراع
في روسيا المجالس السوفيتية ، التي قاومت طوال ثلاثة أعوام هجمات
الامبريالية العالمية ، مشروط بالحقيقة التالية ، الا وهي ان الحزب يأخذ
على عاتقه بكل وعي مهمة مساعدة البروليتاريا في القيام بدورها على
اعتبارها. مثقفا ومنظما ومرشدا ، وبدون ذلك يكون انهيار الراسمالية
مستحيلا . ان الجماهير الكادحة ، الجماهير العمالية والفلاحية ، يجب ان
يتغلب على عادات المثقفين القديمة وتميد ثقيف نفسها بهدف بناء
الشيوعية ، والا فاننا لا نستطيع ان نتصدى لهذا العمل . ان تجربتنا
بأسرها تبين ان تلك مسألة بالغة الخطورة . ولذا يجب ان يكون حاضرا في
ذهننا على الدوام تأكيد دور الحزب فلا ننساه البتة ابان المناقشات بشأن
نشاطات هذا الجهاز والقضايا المتعلقة بالتنظيم . كيف نحقق هذه المهمة،
هذا ما يجب ان نتحدث عنه كثيرا بعد ، سواء في لجنة الحزب المركزية ام
في مجلس مفوضي الشعب : ان المرسوم الذي اتخذ بالامس قد خدم
كاستاس للقيادة المركزية للثقيف السياسي ، لكن مجلس مفوضي الشعب

لم يحدد بعد جميع عباراته . لسوف ينشر في الايام القليلة القادمة ، وسوف ترون أنه لن يتضمن في نصه النهائي أي بيان مباشر عن العلاقات مع الحزب .

لكن يجب ان نعرف ولا ننسى مطلقا ان التكوين القضائي والعملي لجمهورية المجالس السوفيتية يتركز على الحقيقة التالية ، الا وهي ان الحزب يصحح ، ويسن ، ويبني كل شيء انطلاقا من مبدأ وحيد ، كما تستطيع العناصر الشيوعية ، المرتبطة بالبروليتاريا ، ان تشرّب هذه البروليتاريا بروحها ، وتخضعها لتوجيهاتها ، وتحررها من الكذب البورجوازي الذي نسعى منذ زمن طويل الى القضاء عليه .

ف . لينين : « خطاب في الاجتماع الروسي لقيادات
التثقيف السياسي قرب أقسام الاقاليم وقسم التعليم
العام ، بتاريخ ٣ تشرين الثاني ١٩٢٠ » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ،
ص : ٢٨٢ - ٢٨٣ .

ذلك اننا أشبه ، في الكتلة الشعبية ، بنقطة في المحيط ، ولا يمكننا ان نمارس السلطة الا بشريطة ان نعبر بكل دقة عما يعيه الشعب . والا فان الحزب الشيوعي لن يقود البروليتاريا ، وهذه البروليتاريا لن تجر الجماهير وراءها ، والامة بأسرها سوف تتفكك .

ف . لينين : « المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي
(البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد الثالث والثلاثون ، ص : ٣١١

تقول الشيوعية : ان طليعة البروليتاريا ، الحزب الشيوعي ، تقود العمال اللاحزبيين ، وذلك بانارتها ، وتهيئها ، وتعليمها ، وتثقيفها ؛ « مدرسة » الشيوعية) هذه الكتلة ، العمال أولا ، والفلاحين من بعد ، كما تتمكن من التوصل وتتوصل الى مركز ادارة الاقتصاد الوطني برمته في ايديهما .

ان النقابية تمهد بتسيير فروع الصناعة (« اللجان الرئيسية والمراكز ») الى كتلة العمال الاحزبيين ، الموزعين في مختلف فروع الانتاج ، فتلغسي بهذه الطريقة ضرورة الحزب ، ولا تباشر أي عمل طويل النفس ، لا من اجل تثفيف الجماهير ، ولا من اجل مركزة تسيير الاقتصاد الوطني برمته بين ايديهم بصورة فعلية .

ف . لينين « أزمة الحزب » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص : ٤٣ .

تشكل المجالس السوفييتية جهازا جديدا للدولة يمثل ، في المحل الاول ، القوة المسلحة للعمال والفلاحين ، وهي قوة غير منفصلة عن الشعب كما هي حال قوة الجيش الدائم القديم ، بل هي مرتبطة به بصورة وثيقة ؛ ومن وجهة النظر العسكرية ، فان هذه القوة اشد بأسا بصورة لا متناهية مما كانت عليه فيما مضى ؛ ومن وجهة النظر الثورية ، فهي قوة لا بديل لها . ثانيا : ان هذا الجهاز يؤمن مع الجماهير ، مع غالبية الشعب ، رابطة وثيقة جدا ، محكمة جدا ، قابلة بكل سهولة للرقابة والتجديد ، بحيث لم يسبق وجود شيء من هذا القبيل في جهاز الدولة القديم . ثالثا : ان هذا الجهاز لاكثر ديموقراطية حتى درجة كبيرة من الاجهزة القديمة من جراء طابعه الانتخابي وامكانية تعديل تركيبه وفقا لارادة الشعب ، من دون شكليات بيروقراطية . رابعا : انه يؤمن رابطة متينة مع الحرف الاشد تنوعا ، مسهلا بذلك الاصلاحات الاكثر تنوعا والابلق عمقا ، من دون بيروقراطية . خامسا ، انه يؤمن شكلا تنظيميا للطليعة ، يعني للقسم الاعظم وعيا ، والاشد عنفوانا ، والاكثر تقدما من الطبقات المضطهدة ، من فلاحين وعمال ؛ فهو اذن جهاز نستطيع طليعة الطبقات المضطهدة بواسطته أن ترفع ، وتثقف ، وتعلم ، وتجر وراءها كل الكتلة الضخمة لهذه الطبقات التي كانت حتى الآن خارج الحياة السياسية ، خارج التاريخ . سادسا ، انه يسمح بالجمع بين

محسنات البرلمانية ومحسنات الديمقراطية الفورية والمباشرة ، يعني الجمع بين العمل التشريعي وتنفيذ القوانين في وقت واحد في أشخاص ممثلي الشعب . وذلك بالقياس الى البرلمانية البورجوازية خطوة السى الامام في تطور الديمقراطية تتصف بمدى عمومي .

ف . لينين : « هل يحتفظ البلاشفة بالسلطة ؟ »
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السادس
والعشرون ، ص : ٩٨ - ٩٩ .

ليست النقابات المنظمة الضرورية تاريخيا للبروليتاريا الصناعية فحسب ، بل هي ايضا المنظمة الحتمية تاريخيا ، وهي في ظل دكتاتورية البروليتاريا تشملها في شبه كليتها ...

ويترتب على ما قلته لتوي ان دور النقابات هو دور رئيسي بصورة مطلقة في ممارسة دكتاتورية البروليتاريا . لكن فيم يستقيم هذا الدور ؟ ان دراسة هذه المسألة ، وهي احدى المسائل النظرية الرئيسية ، تقودني الى الاستنتاج بان هذا الدور اصيل حتى الدرجة القصوى . فمن جهة واحدة تجمع النقابات وتضم في صفوفها جماع عمال الصناعة ، فهي من جراء ذلك منظمة للطبقة القائدة ، السائدة ، الطبقة المالكة السلطة التي تمارس الدكتاتورية ، تمارس الالزام الدولي . بيد انها ليست منظمة دولية زجرية ؛ ان هدفها هو التثقيف ، والتدريب والتعليم ، فهي مدرسة للقيادة ، مدرسة للتسيير ، مدرسة للشيوعية . انها مدرسة من نمط غير مألوف على الاطلاق ، ذلك اننا لا نتعامل هنا مع اساتذة وطلاب ، بل مع تركيب ما اصيل حتى الدرجة القصوى لما تبقى من الرأسمالية ، وما كان يمكن الا ان يتبقى ، مع ما حققته الفصائل الثورية المتقدمة ، الطليعة الثورية للبروليتاريا اذا جاز التعبير . ولذا كان الحديث عن دور النقابات دون خذ هذه الحقائق بعين الاعتبار يعني الانتهاء بصورة لا مفر منها الى اخطاء سيديدة .

ان النقابات تقوم اذا جاز التعبير ، في نظام دكتاتورية البروليتاريا ، بين الحزب وسلطة الدولة . ان دكتاتورية البروليتاريا حتمية إبان الانتقال الى الاشتراكية ، بيد انها لا تمارس بوساطة المنظمة التي تضم جميع عمال الصناعة . لماذا ؟ يمكننا ان نقرا بهذا الشأن موضوعات المؤتمر الثاني للأمم المتحدة الشيوعية عن دور الحزب السياسي بصورة عامة . ولن أتوقف هنا عند هذه النقطة . ان الامور تجري كما يلي : ان الحزب يمتص نوعا ما طليعة البروليتاريا ، وهذه الطليعة هي التي تمارس دكتاتورية البروليتاريا . بيد أنه من المحال ، دون أساس مثل النقابات ، ممارسة الدكتاتورية وانجاز وظائف الدولة . فلا بد من القيام بها عن طريق المؤسسات المختلفة ، وهي الأخرى من نمط جديد : بوساطة جهاز المجالس السوفيتية . فيم تستقيم أصالة هذه الوضعية ، من وجهة نظر النتائج العملية ؟ ذلك ان النقابات تخلق الارتباط بين الطليعة والجمهير ، وان من نتائج عملها اليومي إقناع الجماهير ، جماهير الطبقة الوحيدة القادرة على جعلنا ننقل من الرأسمالية الى الشيوعية . ذلك هو المظهر الاول للمسألة . ومن جهة ثانية ، فان النقابات هي « خزان » سلطة الدولة . وتلك هي ماهيتها في مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية . وعلى العموم ، فانه لن يكون في الامكان انجاز هذا الانتقال من دون أن تكون الهيمنة خاصة بالطبقة الوحيدة التي علمتها الرأسمالية لاغراض الانتاج الضخم ، والتي هي الطبقة الوحيدة التي فصمت علاقاتها بمصالح الملاك الصغير . بيد أنه من المحال ممارسة دكتاتورية البروليتاريا بوساطة التنظيم التي يضمها بأسرها . ذلك ان البروليتاريا لا تبرح على قدر كبير من التجزئة ، والمهانة ، والفساد هنا وهناك (بفعل الامبريالية على وجه الدقة في بعض البلدان) ، وليس ذلك عندنا فقط ، ونحن احد البلدان الرأسمالية الاشد تخلفا ، بل في جميع البلدان الرأسمالية الأخرى ايضا ، بحيث ان المنظمة التي تضم البروليتاريا بمجموعه عاجزة عن ممارسة دكتاتوريتها بصورة مباشرة . ان الطليعة وحدها تستطيع ذلك ، هذه الطليعة التي امتصت الطاقة الثورية للطبقة . وهكذا يتشكل نور التشابك . وان هذه الآلية تشكل اساس دكتاتورية البروليتاريا بالذات

ماهية الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية بالذات .

ف . لينين : « النقابات ، والوضع الراهن ، وأخطاء
تروسكي » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الثاني والثلاثون ، ص : ١٢ - ١٣

سوف نرى أنه بمقدورنا أن نحل هذه القضية ، ونعلم جماهير من
الشفيلة اعرض بصورة لا متناهية أن تدير الدولة والصناعة ، وأن تطور
العمل العملي ، وأن تتأصل من الجماهير العاملة المستبق الضار ، المتأصل
منذ قرون ، والقائل أن تسيير الدولة هو من شأن المنعمين ، وأنه فن خاص
قائم بذاته . ليس ذلك صحيحا . سوف نرتكب اخطاء بصورة محتومة، لكن
كل خطيئة ستعلم من الآن فصاعدا لا جماعات من الطلبة الذين يتعلمون نظريا
درسا في ادارة الدولة ، بل ملايين من الشفيلة الذين سيشعرون على نفقتهم
الخاصة بعواقب كل خطيئة ، والذين سيشاهدون بأنفسهم أنهم مدعوون الى
املاء المهمات العاجلة المطروحة على بساط التنفيذ ، من توزيع للمنتجات
وزيادة لانتاجية العمل ، والذين يرون بفضل تجربتهم الخاصة أن السلطة
هي بين ايديهم ، وأن احدا لن يعينهم اذا لم يعينوا هم انفسهم بأنفسهم .
تلك هي السيكلوجية الجديدة التي تنشأ في الطبقة العاملة ، وتلك هي
الرسالة الجديدة ذات المغزى العمومي التي وقعت على كاهل البروليتاريا ،
والتي يجب قبل كل شيء أن تتغلغل في وجدان النقابات ومناضلي الحركة
النقابية .

ف . لينين : « تقرير الى المؤتمر الثاني لنقابات
روسيا ، بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩١٩ » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ،
ص : ٤٤٨ .

تشكل البروليتاريا الاساس الاجتماعي للدولة التي تحقق الانتقال من
الرأسمالية الى الاشتراكية . ولا تستطيع البروليتاريا أن تنجز هذه المهمة

بنجاح ، في بلد يتصف بتعوق هائل لطبقة الفلاحين الصغيرة ، إلا بشرط تحقيق الائتلاف مع الغالبية الساحقة من طبقة الفلاحين بطريقة بارعة وحذرة ومتدرجة حتى الدرجة القصوى . ويجب أن تكون النقابات المعاونة الاقرب والاكثر ضرورة لسلطة الدولة التي توجهها في جماع نشاطها السياسي والاقتصادي الطليعة الواعية للطبقة العاملة ، أي الحزب الشيوعي .

ف . لينين : « مشروع الموضوعات عن دور ومهام النقابات في شروط السياسة الاقتصادية الجديدة » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والثلاثون ، ص : ١٩١ .

إنه لمن الضروري أن نوسع أكثر فأكثر اسهام الشغيلة أنفسهم في تسيير الاقتصاد وفي تحريك الانتاج الجديد . اذا نحن لم نحل هذه القضية ، اذا لم نحول النقابات الى أجهزة لتربية الجماهير أعرض عشر مرات مما هي عليه اليوم ، كما تشارك بصورة مباشرة في ادارة الدولة ، فاننا لن نبلغ بمهمة البناء الشيوعي الى نهاية حسنة . اننا نرى هذا بكل وضوح . وهذا ما قيل في قرارنا ، والى هذا اود أن أستلفت انتباهكم قبل كل شيء .

في اعقاب ثورة عرفها التاريخ ، حين أخذت البروليتاريا في ايديها زمام سلطة الدولة ، تتعرض النقابات لانعطاف كبير في مجمل نشاطها . انها تصبح البناة الرئيسيين للمجتمع الجديد ، ذلك ان بناء هذا المجتمع لا يمكن أن يكونوا غير الجماهير ، ملايين الناس . ومثلما كانوا مئات في عصر العبودية ، ومثلما كانوا الالف وعشرات الالف عند بناء الدولة في عصر الرأسمالية ، كذلك اليوم لا يمكن للثورة الاشتراكية ان تتحقق من دون الاسهام العملي والفعال والمباشر لعشرات الملايين في تسيير الدولة . اننا على هذه الطريق ، لكننا لم نبلغ غايتنا بعد .

يجب ان تعرف النقابات أنه الى جانب المهمات التي تطرح بصورة جزئية ، والتي زالت بصورة جزئية ، والتي لا يمكن على أي حال ، حتى في حال

بقائها ، إلا ان تكون ثانوية بالنسبة لنا ، الى جانب الجرد ، ووضع التنظيمات ، واتحاد المنظمات ، تطرح مهمة أعلى وأهم ، الا وهي تعليم الجماهير تسيير الدولة ، لا بالكتب ، والدروس ، والاجتماعات ، بل بالتجربة ، والعمل بحيث ان هذه الشريحة من الطليعة التي اخرجتها البروليتاريا من احشائها ، والتي عهدت اليها بالقيادة والتنظيم تستبدل أكثر فأكثر ، في هذه المصالح ، بشرائح جديدة أبدا من العمال ، وبحيث تتقدم عشر شرائح مكان هذه الشريحة الجديدة . ويتراءى هذا العمل هائلا وشائكا . لكن اذا ما فكرنا في السرعة التي وفرت بها تجربة الثورة إمكانية انجاز المهمات الاوسع ، المنبثقة منذ اكتوبر ، واذا ما فكرنا في الحمية التي انصرفت بها الى التعلم شرائح الشفيلة التي كانت هذه المعارف بالنسبة اليها مستعصية وغير مفيدة ، اذا ما تأملنا في هذه الامور جميعا ، فان هذه المهمة ستكف عن ان تبدو متجاوزة لجميع الحدود في نظرنا .

ف . لينين : « تقرير الى المؤتمر الثاني لنقابات روسيا ، بتاريخ ٢٠ كانون الثاني ١٩١٩ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٤٤٧ - ٤٤٨ .

دكتاتورية البروليتاريا ، ديموقراطية من نمط جديد

لقد أكدنا على الدوام : لا يمكن الاتيان بتحرير الشفيلة من الخارج ، بل لا بد لهم ان يتعلموا بأنفسهم - بنضالهم ، وبحركتهم ، وبتحريضهم - أن يحلوا القضية التاريخية الجديدة ؛ وبقدر ما تكون هذه القضية شائكة ، وخطيرة ، وفادحة المسؤولية ، فانه ينبغي جر ملايين الناس للاسهام بأنفسهم في حلها .

ف . لينين : « الاجتماع الرابع لنقابات ولجان العمال والصانع في موسكو » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٥٥٠ .

للمرة الاولى تباشر الجماهير الشعبية ، على نطاق مائة مليون انسان ، اقامة دكتاتورية البروليتاريين وانصاف البروليتاريين ، وهي المهمة التي لا يمكن أن تطرح مسألة الاشتراكية من دون تنفيذها .

ف . لينين : « رسالة الى العمال الاميركيين » .
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن
والعشرون ، ص : ٦٠ .

اليوم ، لا يمكن ان تكون الثورة الاشتراكية دائمة إلا بقدر ما نعرف كيف نعلم طبقة جديدة هي البروليتاريا عمل الادارة ، ونعمل بحيث تدير البروليتاريا روسيا . نعمل بحيث يدرب هذه التسيير جميع الشفيلة على فن قيادة الدولة ، وهو فن لا يصير تعلمه في الكتب ، والصحف ، والخطابات ، والكراسات ، بل في الممارسة ، بحيث يمكن لكل امرئ ان يبرهن على مؤهلاته .

ف . لينين « خطاب القى في الجلسة المشتركة للجنة التنفيذية المركزية لروسيا ، والمجلس السوفييتي لموسكو ، ومؤتمر نقابات روسيا ، بتاريخ ١٧ كانون الثاني ١٩١٩ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ١١١ .

إن السلطة القديمة ، وهي دكتاتورية الاقلية ، ما كان يمكن ان تستمر إلا بوسائط الشرطة ، الا بابعاد الجماهير الشعبية وازاحتها عن الاسهام في السلطة ، عن الرقابة على السلطة . لقد كانت السلطة القديمة تحتز بصورة منهجية من الجماهير ، تخشى النور ، تقيم في الكذب . وان السلطة الجديدة ، وهي دكتاتورية الغالبية الساحقة ، ما كان يمكن ان تستمر وهي لا تستمر إلا بفضل ثقة الجماهير العريضة ، إلا لأنها تدعو الجماهير جميعا الى الاسهام في السلطة بالطريقة الاكثر حرية ، والاشد سعة ، والاقوى بأسا . ليس ثمة شيء خفي ، شيء سري ، شيء مقنن ، شيء صوري . . . تلك سلطة تعمل في وضع النهار ، تحت ابصار الجماهير ، وهي في متناول الجماهير ، وصادرة

عن الجماهير بصورة مباشرة ، إنها جهاز الجماهير الشعبية المباشر الذي لا وسيط له ، وهي التعبير عن ارادة هذه الجماهير الشعبية .

ف . لينين : « اسهام في تاريخ مسألة الدكتاتورية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي
والثلاثون ، ص : ٣٦٤ .

لا يمكن ان تقهر الرأسمالية دون الاستيلاء على المصارف ، دون القضاء على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ، لكنه لا يمكن تطبيق هذه التدابير الثورية دون تنظيم التسيير الديموقراطي من قبل الشعب بأسره لوسائل الانتاج المنتزعة من البورجوازية ، دون تشغيل كل جمهرة الشغيلة - البروليتاريين ، وانصاف البروليتاريين ، والفلاحين الصغار - في تنظيم صفوفها وقواها وإسهامها في الدولة تنظيما ديموقراطيا .

ف . لينين : « جواب على ب . كيينسكي
(إ . بياناكوف) » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد الثالث والعشرون ، ص ٢٣-٢٤

... إن لدينا « وسيلة مذهلة » كي نضعاف في الحال ، دفعة واحدة ، جهاز الدولة عندنا ، وهي وسيلة لم تملكها قط أي دولة رأسمالية ، ولا يمكن أن تملكها . إن هذه الوسيلة المذهلة هي انضمام الشغيلة ، انضمام الطبقات الفقيرة ، إلى العمل اليومي لتسيير الدولة .

ف . لينين : « هل يحتفظ البلاشفة بالسلطة ؟ » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السادس
والعشرون ، ص : ١٠٧ .

ان مصدر قوتنا الرئيسي يستقيم في وعي وبطولة العمال الذين تذهب اليهم وتأتي بالضرورة عواطف الفلاحين الفقراء ودعمهم . ان السبب في انتصاراتنا هو أن حزبنا والسلطة السوفيتية قد توجها مباشرة إلى الجماهير

الكادحة ، واطلماها على كل صعوبة ، وعلى كل مهمة واردة في جدول الاعمال :
لقد عرفنا كيف يوضحان للجماهير لماذا يجب ، في هذه المحظة او تلك ، تركيز
بل الجهود تارة على هذا المظهر من النشاط السوفييتي ، وتارة على ذلك
المظهر الآخر من هذا النشاط ؛ لقد عرفنا كيف يثيران طاقة الجماهير وبطولتها
وحماستها بتركيز جهود ثورية بكل حدة على مهمة اليوم ، المهمة
الرئيسية .

ف . لينين : « الى الامام في سبيل مكافحة أزمة
المحروقات » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو :
المجلد الثلاثون ، ص : ١٣٦ .

إن الصفة الجوهرية والاساسية للبشافية وثورة اكتوبر هي اتهما
جلبنا الى السياسة اولئك الذين كانوا اشد عرضة للاضطهاد في النظام
الراسمالي . كان الراسماليون يخنقونهم ، ويخدعونهم ، وينهبونهم أيضا ،
سواء في النظام الملكي أم في الجمهوريات البورجوازية الديمقراطية . ولقد
« ان هذا الاضطهاد ، وهذه الخديعة ، وهذا النهب للعمل الشعبي ، أمورا
لا مفر منها طالما ظلت الملكية الخاصة للارض والمعامل والمصانع قائمة .

إن ماهية البشافية ، ماهية السلطة السوفييتية ، هي تسليم سلطة
الدولة بأسرها الى الجماهير الكادحة المستثمرة ، وذلك بهتك الستار عن
خدعة الديمقراطية البورجوازية ومراءاتها ، وبالفاء الملكية الخاصة للارض
والمعامل والمصانع . إن هذه الجماهير هي التي تأخذ في أيديها زمام السياسة ،
يعني بناء المجتمع الجديد . وذلك عمل صعب ، فالجماهير مضللة ومرهقة
بفعل الراسمالية ، لكنه لا يوجد ولا يمكن أن يوجد مخرج آخر من
العبودية المأجورة ، من العبودية الراسمالية .

ولا يمكن أن نجلب الجماهير الى الحياة السياسية دون اجتذاب النساء
اليها . ذلك أن النساء ، وهن نصف الجنس البشري ، مستثمرات بصورة

ف . لينين : « يوم الشفيلة العالمي » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ،
ص : ١٠٨ .

إن الطابع الاشتراكي للديموقراطية السوفييتية ، يعني البروليتارية ، في
تطبيقها الحسي ، المعين ، يستقيم فيما يلي : أولا إن الناخبين هم الجماهير
الكادحة والمستثمرة ، والبورجوازية مستثناة من الانتخاب ؛ ثانيا ان جميع
الشكليات والقيود البيروقراطية في موضوع الانتخابات قد ألغيت ، فالجماهير
تحدد بنفسها أسلوب الانتخابات وموعدها ، ولها كل الحرية في عزل منتخبها ؛
ثالثا ، اننا نرى كيف تتشكل افضل منظمة جماهيرية لطليعة الشفيلة ،
نبروليتاريا الصناعة الكبرى ، وهي منظمة تتيح لها قيادة الجماهير الغفيرة
من المستثمرين ، وتثقيف هذه الجماهير سياسيا بتجربتها الخاصة ، وحملها
على الاسهام بصورة فعالة في الحياة السياسية ، وبذلك التصدي للمرة
الاولى للمهمة التالية : العمل بحيث ان السكان بمجموعهم يتعلمون حقا كيف
يحكمون ويباشرون الحكم .

تلك هي الدلائل المميزة الرئيسية للديموقراطية المطبقة في روسيا ، وهي
ديموقراطية من نمط أعلى ، تفصم كل علاقة لها بالتشويه البورجوازي
للمديموقراطية ، وتدمغ الانتقال الى الديموقراطية الاشتراكية التي يمكن
للدولة في ظلها أن تباشر في الاضمحلال .

ومن المفروغ منه انه لا بد لعنصر الانحلال البورجوازي الصغير (الذي
سوف يتظاهر حتما بصورة تزيد أو تنقص في كل ثورة بروليتارية ، والذي
يتظاهر في ثورتنا نحن بعنفوان بالغ من جراء طابع البلاد البورجوازي
الصغير ، وحالتها المتخلفة ، وعواقب الحرب الرجعية) ان يدمغ بالضرورة
المجالس السوفييتية هي الاخرى بطابعه .

يجب ان نعمل بلا هوادة في تطوير منظمة المجالس السوفيتية وسلطة المجالس السوفيتية . وان هناك اتجاهها بوجوازيبا صغيرا يستهدف تحويل اعضاء المجالس السوفيتية الى « برلمانيين » ، او الى بروقراطيين من جهة اخرى . يجب ان تكافح هذا الاتجاه بأن نشرك عمليا جميع اعضاء المجالس السوفيتية في ادارة الاعمال . ان اقسام المجالس السوفيتية تتحول في مواضع عديدة الى اجهزة تنصهر شيئا فشيئا مع المفوضين . إن هدفنا هو ان نشرك عمليا جميع الفقراء بلا استثناء في حكم البلاد ؛ وان جميع التدابير المتخذة في هذا المنحى – ويقدر ما تنوع يكون ذلك افضل – يجب ان تسجل بكل عناية ، وتدرس وتنهج ، وتوضع موضع الاختبار في تجربة اوسع ، وان تنال قوة القانون . إن هدفنا هو أن نملا مجدداً وظائف الدولة من قبل جميع الشغيلة ، بعد انتهائهم من ساعاتهم الثماني من «المهام» في الانتاج : إن بلوغ ذلك صعب بصورة خاصة ، لكن ضمانه توطيد الاشتراكية بصورة حاسمة تقوم هنا فقط .

ف . لينين : « المهمات الثورية لسلطة المجالس السوفيتية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس – موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٢٨٢ – ٢٨٣ .

الانتقال من القديم الى الجديد ، اذا ما تم على هذا القدر من المباشرة ما هي الحال في روسيا منذ شباط ١٩١٧ ، يفترض بصورة طبيعية تدميرا عملاقا لكل ما هو بالٍ ومنخور في الحياة الاجتماعية . واننا لنذكر ان الابحاث عن الجديد لا يمكن ان تنتج من الوهلة الاولى الاشكال المحددة ، والمقررة ، والجامدة والمتحجرة على وجه التقريب . التي كان ابتكارها يستغرق فيما مضى قرونا وكانت تستمر طيلة قرون . إن المؤسسات السوفيتية في الوقت الحاضر والمنظمات الاقتصادية المتميزة بفكرة الرقابة العمالية في الصناعة هي بعد في ملء الاختمار ، في ملء عدم الاستقرار . وان المظهر النقاشي او اللقائي ، اذا جاز التعبير ، يتفوق فيها بصورة طبيعية على المظهر العملي . ولا يمكن ان يكون الامر سوى ذلك ، لانه لا يمكن ان تطرح مسألة اي

تحويل توري دون إشراك شرائح شعبية جديدة في بناء المجتمع ، دون إيقاظ فعالية الجماهير الواسعة الغافية حتى يومنا هذا . أن المناقشات التي لا تنتهي واللقاءات التي لا تنقطع ، التي تتحدث عنها الصحافة البورجوازية كثيرا وبقدر كبير من الشراسة ، تسجل الانتقال الحتمي الذي تمر به جماهير ليست هي مهياة بعد على الاطلاق من اجل البناء الاجتماعي ، الانتقال من السببات التاريخي الى فعالية تاريخية خلاقة جديدة . وفي الحقيقة انه ليس ثمة شيء خارق اذا ما امتد هذا الانتقال في بعض المواضيع أو اذا لم يتم التعلم الذي تحصل عليه الجماهير لهذه الفعالية الجديدة بمثل تلك السرعة التي يحلم بها رجل اعتاد الجهد الفردي وهو لا يفهم ما معنى دعوة المئات والالوف والملايين من البشر الى حياة سياسية خاصة .

ف . لينين : « المسودة الاولى لمقالة : « المهمات الفورية لسلطة المجالس السوفيتية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٢١٦ - ٢١٧ .

من المفروغ منه أنه لا بد ليس من أسابيع فحسب ، بل من أشهر وسنوات طوال كيما تستطيع الطبقة الاجتماعية الجديدة ، التي كانت حتى هذا الحين مضطهدة ومرهقة بالبؤس والجهل ، أن تتكيف مع وضعها الجديد ، وتتوجه ، وتسير عملها ، وتشكل ملاكات المنظمين (الخاصة بها) . واننا لنذكر أن الحزب القائد للبروليتاريا الثورية لم يستطع أن يكتسب الخبرة والعادة الضروريتين من أجل مباشرة اجراءات تنظيمية واسعة صالحة للملايين وعشرات الملايين من المواطنين ، وأنه يلزمه زمن طويل كي يغير ممارساته القديمة المناطة جميعا على وجه التقريب بميدان الدعاية . لكنه ليس هناك أي شيء مستحيل ، وطالما أن لدينا الوعي الواضح بضرورة هذا التغير ، والإرادة الحازمة في تحقيقه ، والعناد المطلوب في سبيل انجاز هذه المهمة الهامة والبالغة الصعوبة على خير وجه ، فاننا سنتوصل الى ذلك . إن في وسط «الشعب» ، يعني

بين العمال والفلاحين الذين لا يستثمرون عمل الغير ، جمهرة من المنظمين الموهوبين ، ولقد كان الرأسمال يضطهدهم بالآلاف ، ويخنتهم ويلفظهم خارجا ، ونحن لا نعرف بعد كيف نكتشفهم ، ونشجعهم ، ونوقمهم على اقدامهم ، ونرقيهم . لكننا سنتعلم ان نفعل ذلك اذا نحن انصرفنا اليه بكل حميتنا الثورية ، هذه الحمية التي لا يمكن ان تكون بدونها ثورات ظافرة .

ف . لينين : « المهمات الفورية لسلطة المجالس السوفيتية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس-موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٢٧١ - ٢٧٢ .

دكتاتورية البروليتاريا على اعتبارها نمطا للدولة يقابل مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية

... عندما تزول سيطرة الدولة ... ولا يعود ثمة دولة بالمعنى السياسي الراهن ...

كارل ماركس : « خلاصة كتاب باكونين : « الدولة والفوضى » . في ك . ماركس و ف . انجلز : ضد الفوضوية ، مكتب المنشورات ، باريس ، ص : ٤٣ .

... توطيد و ... تطوير الجمهورية الاتحادية للمجالس السوفيتية على اعتبارها شكلا للديموقراطية أعلى بصورة لا متناهية وأعظم تقدمية من البرلمانية البورجوازية ، وعلى اعتبارها النمط الوحيد للدولة الذي يقابل ... مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، يعني مرحلة دكتاتورية البروليتاريا .

ف . لينين : « المؤتمر السابع للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس-موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ١٥٤ .

ان دكتاتورية البروليتاريا ضرورية بصورة مطلقة إبان الانتقال من

الراسمالية الى الاشتراكية ...

ف . لينين : « ست موضوعات عن المهمات الفورية
لسلطة المجالس السوفيتية » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ص :
٣٢٩ .

إن هذه الدكتاتورية ضرورية طالما بقيت الطبقات الاجتماعية ، طالما أن
البورجوازية التي قلبت في بلد واحد تضاعف هجماتها ضد الاشتراكية على
النطاق الاممي .

ف . لينين : « المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية» ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني
والثلاثون ، ص : ٤٩٠ .

* * *

الفصل الخامس

التحويلات الاشتراكية في مرحلة الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية

تحويل الملكية الرأسمالية الخاصة الى ملكية اشتراكية :

يجب عليه (النظام الاجتماعي الجديد) بادئ الامر أن ينتزع ممارسة الصناعة وسائر فروع الانتاج عامة من الافراد المنعزلين الذين يتنافسون كي يسلمها الى المجتمع بأسره الذي سيمارسها الحساب المشترك ، وفقا لخطة مشتركة ، وبمساهمة جميع اعضاء المجتمع ، وبنتيجة ذلك فانه سيقضي على المنافسة ، ويستعيز عنها بالمشاركة . ومن جهة أخرى ، فباعتبار ان ممارسة الصناعة من قبل افراد منعزلين تتضمن بالضرورة وجود الملكية الخاصة وأن الممارسة ليست شيئا آخر سوى وسيلة ممارسة الصناعة بمعونة عدد من الاشخاص الفرادى ، فان الملكية الخاصة لا تنفصل عن ممارسة الصناعة من قبل افراد منعزلين ، وعن المنافسة . ولذا فانه يجب القضاء على الملكية الخاصة أيضا والاستعاضة عنها باستخدام جميع المنتجات استخداما جماعيا ، وبكلام آخر بجماعية الممتلكات . بل إن القضاء على الملكية الخاصة هو الخلاصة الأشد اقتضابا والأعظم تمييزا لتحويل المجتمع بكامله ، هذا التحويل المسبب عن الصناعة ، ولذا فانه يشار اليه بحق على انه يشكل مطلب الشيوعيين الرئيسي .

ف . انجلز : مبادئ الشيوعية ، مكتب المطبوعات

والنشر والدعاية ، باريس ، ص : ٢١ .

... ان ملكية وسائل الانتاج غير ممكنة الا في شكلين ، اما كملكية فردية ، وهو الشكل الذي لم يكن عاما في اي زمان او مكان من اجل المنتجين ، كما انه يزداد استحالة يوما بعد يوم من جراء التقدم الصناعي، واما كملكية جماعية ، وهو الشكل الذي اقيمت شروطه المسبقة المادية والفكرية بفعل تطور المجتمع الرأسمالي نفسه . وبالتالي ، فان تحقيق الملكية الجماعية لوسائل الانتاج يجب ان يكافح في سبيله بمختلف الوسائل التي في متناول البروليتاريا .

وهكذا فان الملكية الجماعية لوسائل الانتاج تمثل هنا على اعتبارها الهدف الرئيسي الوحيد الذي ينبغي السعي اليه . ولا يكون ذلك في الصناعة فحسب ، حيث هيئت الارض منذ الآن ، بل بصورة عامة ، وبالتالي في الزراعة ايضا .

ف . انجلز : المسألة الفلاحية في فرنسا والمانيا ،
في ك . ماركس و ف . انجلز ، دراسات اقتصادية،
منشورات دار دمشق ، ص : ٢٥١ .

وفيما عدا ذلك ، فان ما أسبغ على مؤلفنا أهمية مخصوصة تماما هو الحقيقة التالية ، الا وهي انه كان سباقا الى التعبير عن الصيغة التي تلخص فيها الاحزاب العمالية في سائر بلدان العالم ، باتفاق جماعي ، مطلبها الخاص بالتحويل الاقتصادي : استملاك وسائل الانتاج من قبل المجتمع .

ف . انجلز : مقدمة كتاب ك . ماركس الصراعات
الطبقية في فرنسا ، في ك . ماركس و ف . انجلز ،
دراسات اقتصادية ، منشورات دار دمشق ، ص : ٨ .

تحويل الانتاج الرأسمالي الحالي، لحساب الافراد او الشركات المساهمة، الى انتاج اشتراكي لحساب المجتمع بأسره ووفقا لخطة مرسومة سلفا ، وهو التحويل ... الذي سيتحقق به وحده تحرر الطبقة العاملة ، وبذلك

تحرر جميع اعضاء المجتمع بلا استثناء .

ف . انجلز : « نقد مشروع البرنامج الاشتراكي
الديموقراطي لعام ١٨٩١ » ، في ك.ماركس و ف .
انجلز ، « نقد برنامجي غوتا وايرفورت » ، المنشورات
الاجتماعية ، باريس ، ص : ٨٢ - ٨٣ .

ليس ثمة تحرر ممكن للطبقة العاملة طالما انها لم تستملك جميع وسائل
العمل : الارض ، والخامات ، والالات ، الخ ، وبالتالي اذا لم تستملك
كامل منتج عملها .

ف . انجلز : « قانون الاجرة » ، في ك. ماركس ،
العمل المأجور ورأس المال ، المنشورات الاجتماعية ،
باريس ، ص : ١١٩ .

... مهما يكن ممتازا من ناحية المبدأ ، ومهما بدا نافعا في التطبيق ،
فان العمل التعاوني ، المقصور بصورة ضيقة على جهود العمال الاتفاقية
والخاصة ، لن يتمكن قط من ايقاف تطور الاحتكار السائر في سلسلة هندسية ،
ولا من تحرير الجماهير ، ولا حتى من تخفيف عبء شقاءاتها حتى درجة ما .
يجب على التعاون ، كي يحرر الجماهير الشغيلة ، ان يبلغ تطورا قوميا ،
وبالتالي ان تدعمه وتنشره وسائل قومية .

ك . ماركس : « التداء الافتتاحي الى رابطة الشغيلة
الاممية » ، في ك.ماركس و ف.انجلز ، المؤلفات
المختارة في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ،
المجلد الاول ، ص : ٤٠٠ - ٤٠١ .

حيثما تسود الملكية الكبيرة والملكية المتوسطة ، يشكل العمال
الزراعيون المأجورون الطبقة الاكثر عددا في الارياف . وملك هي الحال في كل
المانيا الشمالية والشرقية ، وهناك يجد عمال المدينة الصناعيون حليفهم
الطبيعي الاكثر عددا .

ان بين الملاك العقاري الكبير او المزارع الكبير والعامل الزراعي نفس العلاقات القائمة بين الرأسمالي والعامل الصناعي ، وان نفس التدابير التي تساعد احدهما يجب أن تساعد الآخر ، ولا يستطيع العمال الصناعيون ان يتحرروا الا بتحويلهم رأسمال البورجوازيين ، يعني الخامات والآلات والادوات والاطعمة الضرورية من اجل الانتاج الى ملكية المجتمع ، يعني الى ملكيتهم المستخدمة من قبلهم بصورة مشتركة . وكذلك فان العمال الزراعيين لا يمكن ان يتخلصوا من بؤسهم الرهيب الا اذا انتزعت الارض قبل كل شيء ، وهي الغرض الرئيسي لعمالهم ، من الملكية الخاصة للفلاحين الكبار وكبار السادة الاقطاعيين ، وحولت الى ملكية اجتماعية ، ووزعت لحسابهم الجماعي من قبل تعاونيات للعمال الزراعيين .

ف. انجلز : «مقدمة كتاب حرب الفلاحين في المانيا»
في ك . ماركس و ف . انجلز ، المؤلفات المختارة في
مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد
الاول ، ص : ٦٩٠ - ٦٩١ .

ان يستلم حزبنا السلطة السياسية حتى يتوجب عليه بكل بساطة ان ينزع ملكية الملاكين العقاريين الكبار ، مثلهم مثل الصناعيين الكبار . اما ما اذا كان سيعوض عن نزع الملكية هذا ام لا ، فذلك ما لا يتوقف علينا اساسا ، بل يتوقف على الظروف التي نستلم السلطة في ظلها ، وبالخاصة الموقف الذي يتخذه هؤلاء القوم ، الملاكون العقاريون الكبار انفسهم . ونحن نعتبر في حال من الاحوال ان التعويض مرفوض في كل الاحوال . ولقد اخبرني ماركس (وكم مرة ردد ذلك على سمعي) أننا سنتدبر الامر بسمر ابخس اذا كان في مقدورنا ان نتخلص من هذه العصاة كلها دفعة واحدة . بيد ان ذلك لا يعني هنا . ان الملكيات الكبيرة التي ردت هكذا الى الجماعية يجب ان تسلم من قبلنا الى العمال الزراعيين الذين يحرقونها منذ الآن ، وان تنظم في تعاونيات ، وسوف تعين لهؤلاء العمال من اجل استخدامهم ومنفعتهم تحت اشراف الجماعية . ولا يمكننا بعد ان نقرر

شيئا البتة بخصوص ادارتها . ومهما يكن من امر ، فان تحويل الاستثمار الراسمالي الى استثمار اشتراكي يتم له التحضير كليا هنا ، ويمكن تنفيذه بين ليلة وضحاها .

ف . انجلز : المسألة الفلاحية في فرنسا والمانيا ، في
ك . ماركس و ف . انجلز ، دراسات اقتصادية ،
منشورات دار دمشق ، ص : ٣٦٥ - ٣٦٦ .

... هدف (وماهية) الاشتراكية : انتقال الارض ، والمعامل ، وعلى العموم جميع وسائل الانتاج ، الى المجتمع ، والاستعاضة عن الانتاج الراسمالي بانتاج يتم وفقا لخطة اجمالية في مصلحة جميع افراد المجتمع .

ف . لينين : « حركة تراجمية في الاشتراكية
الديموقراطية الروسية » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الرابع ، ص : ٢٨٣

وهكذا لا توجد سوى وسيلة واحدة من اجل وضع حد لاستغلال العمل من قبل الراسمال ، ألا وهي الغاء الملكية الخاصة لأدوات العمل ، ووضع جميع المعامل والمصانع والمناجم ، وكذلك جميع الملكيات الكبرى ، الخ ، بين ايدي المجتمع ، وتنظيم انتاج جماعي اشتراكي ، موجه من قبل العمال انفسهم .

ف . لينين : « عرض وتعليق على مشروع برنامج
الحزب الاشتراكي الديموقراطي » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ١٠٤

ان كل اعتراف مباشر او غير مباشر من قبل القانون بملكية عمال مصنع او حرفة خاصة لصناعتهم الخاصة او بحقوقهم في اضعاف او ابطاء تربيئات سلطة الدولة باكملها يشكل اعظم تشويه للمبادئ الاساسية للسلطة

السوفييتية والانكار التام للاشتراكية .

ف . لينين : « في النزعة الديمقراطية وفي الطابع الاشتراكي للسلطة السوفييتية » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد السادس والثلاثون ، ص : ٤٨١ .

لقد تصرفنا بأبسط طريقة في العالم ؛ فقد قلنا ، دون ان نخشى لوم الاناس « المثقفين » او بالاحرى انصار البورجوازية غير المثقفين الذين يتاجرون ببقايا معرفتهم الاخيرة : ان لدينا عمالا وفلاحين مسلحين . ويجب ان يحتلوا هذا الصباح جميع المصارف الخاصة . وعندما يفعلون ذلك ، عندما تصبح السلطة في ايدينا ، عندئذ فقط سوف نشير الى التدابير الواجب اتخاذها . واجتلت المصارف صباحا ، وفي المساء قررت اللجنة التنفيذية المركزية ما يلي : « لقد اعلنت المصارف ملكية وطنية » . كان ذلك هو تدويل المصارف ، تأميمها ، انتقالها الى سلطة المجالس السوفييتية .

لم يكن احد فيما بيننا يعتقد انه في الامكان تحطيم او تحويل جهاز المصارف الاريب والماكر في ايام قليلة ، هذا الجهاز الذي تطور خلال قرون على اساس النظام الاقتصادي الرأسمالي . اننا لم نؤكد ذلك قط . وحين كان العلماء او اشباه العلماء يهزون رؤوسهم ويلعبون دور الانبياء ، كنا نرد عليهم : يمكنكم ان تتنبأوا لنا بكل ما يحلو لكم . اننا لا نعرف سوى طريق واحدة للثورة البروليتارية : الاستيلاء على مواقع العدو ، والقيام بتعلم السلطة عمليا ، مستخدمين تجربة الاخطاء المرتكبة . اننا لا نستخف مطلقا بالمصاعب التي تقوم في دربنا ، لكن الشيء الاساسي قد تم صنعه مسبقا . ان ينبوع الثروات الرأسمالية ، فيما يتعلق بتوزيعها ، قد نصب . وبعدئذ كان من السهل حتى الدرجة القصوى ان نعمد الى الغاء ديون الدولة ، والى الاطاحة بالنير المالي ، وكذلك كان من السهل علينا كليا ، بعد تنظيم الرقابة العمالية ، ان نتقل الى مصادرة المصانع . وحين

وجه الينسا اللوم بأننا نقسم الانتاج السى ورشات حين نطبق الرقابة العمالية ، كنا نرد هذه الحماقات . فحين طبقنا الرقابة العمالية ، كنا نعرف انه لن يكون في الامكان نشرها عاجلا على كل روسيا ، لكننا كنا نريد ان نبين اننا لا نعترف الا بطريق واحدة ، الا وهي طريق التحولات الآتية من تحت ، حيث العمال انفسهم يعدون في القاعدة المبادئ الجديدة للنظام الاقتصادي . وان هذا ليتطلب وقتا كثيرا .

وانطلاقا من الرقابة العمالية نمضي نحو خلق المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني . ان مثل هذا الاجراء وحده ، مضافا الى تأميم المصارف والخطوط الحديدية ، وهو الاجراء الذي سيتحقق خلال الايام القادمة ، يتيح لنا ان نتصدى لبناء الاقتصاد الاشتراكي الجديد .

ف . لينين : « المؤتمر الثالث للمجالس السوفيتية للمندوبين العمال والجنود والفلاحين في روسيا » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السادس
والعشرون ، ص : ٤٨٨ - ٤٨٩ .

... كان يكفي حكومة تلقب ديموقراطية ثورية بغير دافع السخرية ان ترسم (ان تأمر ، أن تصدر التعليمات) ، منذ الاسبوع الاول لوجودها ، بتطبيق التدابير الرئيسية للرقابة ...

وهذه التدابير الرئيسية هي :

١ - صهر جميع المصارف في مصرف واحد تخضع عملياته لرقابة الدولة ، أو تأميم المصارف .

٢ - تأميم النقابات الرأسمالية ، يعني التجمعات الرأسمالية الاهم (نقابات السكر ، والبتروول ، والفحم الحجري ، وصناعة الصلب ، الخ ...) .

٤ - الكرتلة الالزامية ، يعني الزام جميع الصناعيين والتجار وارباب العمل على العموم بالتجمع في كارتلات أو نقابات .

٥ - التجميع الالزامي أو تشجيع تجمع السكان في جمعيات استهلاكية، ورقابة ممارسة على هذا التجمع .

... ومن المعروف أن المصارف تشكل مراكز الحياة الاقتصادية الحديثة ، المراكز العصبية الرئيسية لنظام الاقتصاد الرأسمالي . وإن الحديث عن « تدبير الحياة الاقتصادية » والسكوت عن تأميم المصارف ، هذا معناه إما إثبات الجهالة الأشد اطباقا وإما تضليل « الشعب الطيب » بكلمات طنانة ووعود بليغة تقرر مسبقا عدم الوفاء بها . . .

... إن تأميم المصارف وحده يمكن الدولة من أن تعرف أين وكيف، ومن أي جهة وفي أي لحظة ، تمر الملايين والمليارات . وإن الرقابة المطبقة على المصارف - هذا المركز ، والمحور الرئيسي ، والآلية الأساسية للتجارة الرأسمالية - لتتيح تنظيم رقابة كل الحياة الاقتصادية والانتاج وتوزيع المنتجات الرئيسية ، وذلك بصورة فعلية لا بالكلام وحده ؛ أنها تتيح تنظيم « تدبير الحياة الاقتصادية » الذي سيكون بصورة محتومة ، لولا ذلك، مجرد عبارة وزارية غرضها تضليل الشعب الطيب . إن الرقابة على العمليات المصرفية، شريطة أن تجري كلها في مصرف واحد ، تسمح وحدها بأن تنظم ، بفضل اجراءات لاحقة سهلة التطبيق ، جباية الضريبة على الدخل ، دون أن يكون في الامكان اخفاء الممتلكات والداخيل ؛ ذلك أن هذه الضريبة ليست اليوم ، في معظم الاحوال ، سوى وهم خالص .

ف . لينين : « الكارثة الوشيكة ووسائل اجتنابها » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الخامس
والعشرون ، ص : ٣٥٧ - ٣٦٠ .

لقد خلقت الرأسمالية أجهزة للرقابة في صورة المصارف، والكارتلات،
والخدمة البريدية ، والتعاونيات الاستهلاكية ، وجمعيات المستخدمين .
إن الاشتراكية ستكون غير قابلة للتحقيق بدون المصارف الكبرى .

ان المصارف الكبرى تشكل «جهاز الدولة» الذي نحتاج اليه كي نحقق
الاشتراكية والذي سنأخذه جاهزا من الرأسمالية ؛ وان مهمتنا الوحيدة اذن
هو ان نفصل عن هذا الجهاز الممتاز للدولة ما يجعل منه شيطانا رأسماليا ،
وان نوظده اكثر ، وان نجعله اكثر ديموقراطية ، واكثر عمومية . إن الكمية
تتحول الى كيفية . فمصرف وحيد للدولة ، كبير بين اكبر المصارف ، تكون
له فروع في كل ناحية ، وقرب كل مصنع ، هذه منذ الآن تسعة اعشار الجهاز
الاشتراكي . هذه هي المحاسبة على النطاق الوطني ، الرقابة على النطاق
الوطني على الانتاج وتوزيع المنتجات ، ويمكن ان نقول انه شيء أشبه بهيكل
المجتمع الاشتراكي

إن « جهاز الدولة » هذا (الذي ليس هو جهاز دولة بصورة تامة في
النظام الرأسمالي ، لكن سيكون جهاز دولة بصورة تامة لدينا في النظام
الاشتراكي) ، نستطيع ان « نستولي عليه » وأن « نشغله » بأن نضرب ضربة
واحدة ، بمرسوم واحد ، ذلك أن العمل الفعلي للمحاسبة ، والرقابة ،
والتسجيل ، والاحصاء ، والحساب ، قد انجز في هذه الحالة من قبل
مستخدمين غالبيتهم من البروليتاريين وأنصاف البروليتاريين ...

... إن « تدويل » جمهرة مستخدمي المصارف ، والكارتلات والتجارة،
الخ ، الخ ، هو شيء قابل للتحقيق كليا ، سواء من وجهة النظر التقنية
(بفضل العمل التحضيري الذي حققته الرأسمالية والرأسمالية المالية في
مصلحتنا) أم من وجهة النظر السياسية ، اذا تحققت الرقابة والسهر من
قبل المجالس السوفيتية .

ف . لينين : هل يحتفظ البلاشفة بالسلطة ؟
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السادس
والعشرون ، ص : ١٠١ - ١٠٢

خصائص رأسمالية الدولة على اعتبارها شكلا انتقاليا من الانتاج

الرأسمالي الخاص الى الانتاج الاشتراكي

.. إن رأسمالية الدولة في مجتمع تخص السلطة فيه الراسمال ، ورأسمالية الدولة في الدولة البروليتارية ، هما فكرتان مختلفتان . ففي المجتمع الرأسمالي ، يعترف برأسمالية الدولة من قبل الدولة التي تشرف عليها في مصلحة البورجوازية وضد البروليتاريا . وفي الدولة البروليتارية ، يحدث الشيء نفسه في مصلحة الطبقة العاملة كي تتيح لها مقاومة البورجوازية التي لا تبرح قوية والنضال ضدها . ومن المفروغ منه ان علينا ان نمسح الراسمال الاجنبي وبورجوازية البلدان الاخرى بعض الامتيازات . اننا نسلم ، دون اذى الغاء للتاميم ، المناجم والغابات وآبار البترول الى الراسماليين الاجانب كي نحصل على المنتجات الصناعية ، والآلات ، الخ ، وبذلك تنهض صناعتنا الخاصة .

ف . لينين : « المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني
والثلاثون ، ص : ٥٢٢ .

لكن هل يمكن ان نجتمع ، أن نقرن ، أن نشرك الدولة السوفيتية ،
دكتاتورية البروليتاريا ، مع رأسمالية الدولة ؟

اجل ، بكل تأكيد . هذا ما عملت على إثباته في ايار ١٩١٨ ، وهذا ما اثبتته ، فيما مضى في ايار ١٩١٨ . واكثر من ذلك : لقد اثبت في الوقت نفسه ان رأسمالية الدولة خطوة الى الامام بالنسبة الى العنصر الملاك الصغير (والبطريكي الصغير والبورجوازي الصغير) . واننا لتركب جمهرة من الاخطاء اذا لم نجابه او لم نقارن رأسمالية الدولة إلا مع الاشتراكية ، بينما يجب بصورة مطلقة ، في الوضع السياسي والاقتصادي الحالي ، ان نقارنها ايضا مع الانتاج البورجوازي الصغير .

ان كل المسألة ، النظرية والعملية ، هي في ايجاد طرائق صحيحة تسمح على وجه الدقة بتوجيه تطور الرأسمالية الحتمي في طريق رأسمالية الدولة (حتى درجة ما ولفترة معينة من الزمن) ، وباقامة الشروط الضرورية لتحويل رأسمالية الدولة الى الاشتراكية وتأمين هذا التحويل في مستقبل قريب .

وفي سبيل التصدي لحل هذه القضية يجب قبل كل شيء ان نتصور بأقصى وضوح ممكن ما سوف تكون عليه وما يمكن أن تكون عليه ، في الممارسة ، رأسمالية الدولة في قلب نظامنا السوفييتي ، في اطار دولتنا السوفييتية .

ان الحالة او المثال الايسط عن الطريقة التي توجهها السلطة السوفييتية تطور الرأسمالية في طريق رأسمالية الدولة ، التي « تزرع » بها رأسمالية الدولة ، هي التنازلات . ان الجميع عندنا متفقون في الوقت الحاضر على الاعتراف بضرورة التنازلات ، لكن الجميع لا يفكرون في مداها . ما هي التنازلات في النظام السوفييتي اذا ما أخذناها بعين الاعتبار من وجهة نظر المراتب الاقتصادية لمجتمعنا ، وكذلك من وجهة نظر علاقتها بها ؟ انها عقد ، كتلة ، تحالف بين سلطة الدولة السوفييتية ، يعني البروليتارية ، ورأسمالية الدولة ضد العنصر الملاك الصغير (البطريركي والبورجوازي الصغير) . ان صاحب الامتياز رأسمالي . وانه ليتصرف كرأسمالي كي يحصل على ارباح ، وانه ليقبل بالتعامل مع السلطة البروليتارية كي يتناول ارباحا فورية ، أعلى ، او كي يحصل على الخامات التي يستحيل أو يصعب جدا الحصول عليها بطريقة اخرى . وتجد السلطة السوفييتية في ذلك منفعة لها : فالقوى الانتاجية تنمو ، وكمية المنتجات تزداد في الحال أو في اقصر الاوقات . ولنقل ان لدينا مائة استثمار ، ومنجم ، وقطاع حراجي . اننا لا نستطيع أن نقيم كل هذه الاشياء ، بسبب نقص الآلات ، والاغذية ، ووسائل النقل . واننا لنستثمر القطاعات الاخرى بصورة رديئة للاسباب نفسها . وان الاستثمار المعب

والناقص للمشاريع الكبرى تترتب عليه تقوية العنصر الملاك الصغير في جميع تظاهراته : اضعاف الاقتصاد الفلاحي المحيط (ومن ثم الاقتصاد الفلاحي بأسره) ، وانحطاط هذه القوى الانتاجية ، وانخفاض ثقتها بالسلطة السوفييتية، والتلف، والمضاربة الصغيرة الكتلية (الاشد خطرا) ، الخ. وحين « تزرع » رأسمالية الدولة في صورة تنازلات ، فان السلطة السوفييتية توطن الانتاج الكبير حيال الانتاج الصغير ، والانتاج المتطور حيال الانتاج المتخلف ، والانتاج الممكن حيال الانتاج اليدوي ؛ انها تزيد كمية منتجات الصناعة الكبرى (نصابها) ، وانها لتوطد العلاقات الاقتصادية المسيرة من قبل الدولة في مواجهة العلاقات البورجوازية الصغيرة الفوضوية . ان سياسة التنازلات ، اذا ما طبقت بتدبير وحذر ، سوف تساعدنا بصورة أكيدة على ان نحسن سريعا (حتى درجة معينة قليلة الارتفاع) حالة الانتاج ، ووضاع العمال وافلاحين ، وذلك لقاء بعض التضحيات طبعاً ، كالتخلي للرأسمالي عن عدة عشرات من ملايين الارطال من المواد الثمينة جداً . وان المقياس والشروط التي تكون التنازلات وفقا لها مفيدة لنا ولا خطر منها هي رهن بنسبة القوى ، فالصراع هو الذي يحسمها ، ذلك ان التنازلات هي ايضا احد مظاهر الصراع ، هي استمرار الصراع الطبقي في شكل آخر ، وليست هي في حال من الاحوال الاستعاضة بالسلام الطبقي عن الصراع الطبقي . وان الممارسة هي التي تحدد طرائق الصراع .

ان رأسمالية الدولة في صورة التنازلات هي من دون ريب ، بالمقارنة مع المظاهر الاخرى لرأسمالية الدولة في قلب النظام السوفييتي ، الشكل الأبسط ، والادق ، والواضح ، والمحدد بأقصى بيان . ان لدينا ههنا عقدا مباشرا ، مثبت الاشكال ، مكتوبا ، مع رأسمالية أوروبا الغربية ، الرأسمالية الاكثر ثقافة ، والاكثر تطورا . واننا لنعرف على وجه الدقة محسناتنا وخسائرنا ، وحقوقنا والتزاماتنا ؛ واننا لنعرف على وجه الدقة الفترة الزمنية التي نمنح التنازل خلالها ، ونعرف شروط الاسترداد قبل الوعد ،

إذا كان العقد قد نص على هذا الحق . اننا ندفع « جزية » للراسمالية العالمية ، ندفع لها « فدية » من بعض وجهات النظر ، ونحصل في الحال ، في مقياس معين ، على اوضاع موطدة من أجل السلطة السوفييتية ، وشروط افضل للتسيير الاقتصادي .

ف . لينين : « الضريبة عينا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص : ٣٦٨ - ٣٦٩

ان سياسة التنازلات ، اذا نجحت ، سوف تعطينا عددا أقل من المشروعات النموذجية الضخمة ، بالمقارنة مع مشروعاتنا ، في مستوى الراسمالية الحديثة المتقدمة ، وسوف تكون هذه المشروعات ، خلال بضعة عشرات من السنين ، ملكا لنا بكاملها .

ف . لينين : « الضريبة عينا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص : ٣٧١ .

ان راسمالية الدولة ، من وجهة النظر الاقتصادية ، أعلى بصورة لامتناهية من اقتصادنا الحالي . هذه نقطة اولى .

ومن بعد ، فانها لا تحتوي على أي أمر ينبغي لسلطة المجالس انسوفييتية أن تخشاه ، ذلك ان الدولة السوفييتية دولة اصبحت سلطة أعمال والفلاحين مضمونة فيها . . .

ف . لينين : « الضريبة عينا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص : ٣٥٤ .

ان راسمالية الدولة ، في كل الادبيات الاقتصادية ، هي الراسمالية

القائمة في النظام الرأسمالي ، حين تتحكم سلطة الدولة بصورة مباشرة في هذه المشروعات الرأسمالية أو تلك . والحال ان دولتنا بروليتارية انها تستند الى البروليتاريا التي تمنحها كل الامتيازات السياسية ؛ وانها لتجذب اليها ، بواسطة البروليتاريا ، الشرائح العميقة من طبقة الفلاحين (تذكرون اننا بدأنا هذا العمل بتأسيس لجان الفلاحين الفقراء) . وهذا هو السبب في أن عبارة رأسمالية الدولة تضلل عددا كبيرا من الناس . وكما نحاشي ذلك ، يجب الا ننسى هذه الحقيقة الكبرى ، ألا وهي أن اية نظرية واي مؤلف لا يعالجان مسألة رأسمالية الدولة كما هي موجودة عندنا ، وذلك لهذا السبب البسيط ، ألا وهي أن الافكار المألوفة ، المرتبطة بهذه العبارات ، تتعلق بسلطة البورجوازية في المجتمع الرأسمالي . وفيما خرج مجتمعا نحن عن الخطوط الرأسمالية ، فإنه لم ينخرط بعد في طريق جديدة ، لكن البورجوازية ليست هي التي تدير دفة الدولة بعد الآن ، بل البروليتاريا . اننا لا نريد أن نفهم أننا حين نقول « دولة » ، فان هذه الدولة هي نحن ، هي البروليتاريا ، هي طليعة الطبقة العاملة . ان رأسمالية الدولة رأسمالية سوف نعرف كيف نحددها ، سوف نعرف كيف نثبت حدودها ، ورأسمالية الدولة هذه مرتبطة بالدولة ، لكن الدولة هي العمال ، هي القسم المتقدم من العمال ، هي الطليعة ، هي نحن .

ف . لينين : « المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والثلاثون ، ص : ٢٨٢ .

إعادة صهر الزراعة صهراً اشتراكياً

... ليس من مهام الاشتراكية ان تفصل الملكية عن العمل ، بل ان توحد على النقيض من ذلك هذين العاملين لكل انتاج بوضعهما في الايدي نفسها . ولقد سبق لنا ان بينا بكل وضوح ان هذا التوحيد في شكله العام لا يشكل

مهمة الاشتراكية في حال من الاحوال ، بل أن مهمة هذه الاشتراكية لا تعدو بالاحرى أن تكون تسليم وسائط الانتاج الى المنتجين على اعتبارها ملكيتهم الجماعية . ولا يغيب هذا الامر عن انظارنا حتى توقعنا العبارة الانفة الذكر في الخطأ ، اذ تحملنا على الاعتقاد بأن الاشتراكية مدعوة الى تحويل الملكية الصورية الحالية الخاصة بالفلاح الصغير في حقوله الى ملكية حقيقية ، يعني تحويل المستأجر الصغير الى ملاك ، ودفع ديون الملاك المدين . ومن المؤكد أن الاشتراكية معنية بزوال هذا المظهر الكاذب للملكية الفلاحية ، لكن بغير هذه الطريقة .

ف . انجلز : المسألة الفلاحية في فرنسا وألمانيا ،
في ك . ماركس و ف . انجلز ، دراسات اقتصادية ،
منشورات دار دمشق ، ص : ٣٥٢ - ٣٥٣ .

اننا على يقين ، من وجهة النظر الاقتصادية ، من أن الفلاح الكبير والمتوسط سيسقطان هما أيضا بالضرورة ضحيتين للمنافسة الرأسمالية وانتاج الحبوب البخسة المستوردة من وراء البحار ، كما تثبت ذلك المديونية المتعاظمة وما يتعرض له هؤلاء الفلاحون في كل مكان من خراب واضح . ولا يمكننا أن نعمل شيئاً ضد هذا الخراب سوى أن نوصي هنا أيضا بضم هذه الممتلكات كمي تشكل مشاريع تعاونية تلغي بصورة متعاظمة استثمار العمل المأجور ، ومن بعد يمكن العمل على تحويلها التدريجي الى فروع من التعاونية الوطنية الانتاجية الكبرى ، وكل فرع منها يتمتع بحقوق وواجبات متساوية . واذا ما ادرك هؤلاء الفلاحون حتمية هلاك اسلوبهم الحالي في الانتاج واستنتجوا من ذلك العواقب الضرورية ، فانهم سيأتون إلينا ، وسيكون من واجبنا عندئذ أن نسهل قدر امكاننا أيضا انتقالهم الى اسلوب الانتاج المتحول . وإلا فانه لا بد أن ندعهم لمصيرهم ونتوجه الى عمالهم المأجورين الذين لن يعوزنا العطف فيما بينهم . وانه لمن الأرجح أنه سيكون في مقدورنا أن نمنع هنا أيضا عن اللجوء الى نزع الملكية عنوة ، وفيما عدا ذلك أن نعمد على

التطورات الاقتصادية المقبلة كي ترد هؤلاء المتفطرسين الى صوابهم .

ف . انجلز : المسألة الفلاحية في فرنسا والمانيا ،
في ك . ماركس و ف . انجلز ، دراسات اقتصادية ،
منشورات دار دمشق ، ص : ٣٦٤ - ٣٦٥ .

قبل كل شيء ، ان البرنامج الفرنسي مضبوط بصورة مطلقة حين يقرر
انا نتوقع الهلاك المحتوم للفلاح الصغير ، لكن ليس من شأننا ان نعجل به
بتدخل من جانبنا .

ثانيا ، انه لا يقل عن ذلك بداهة انا حين نستلم سلطة الدولة فانه
لن يخطر في بالنا مطلقا ان ننتزع ملكية الفلاحين الصغار عنوة (دون أي اعتبار
لما اذا كان ذلك سيتم بتعويض او دون تعويض) ، كما سوف نكون ملزمين
بان نعمل في حالة الملاكين المقارين الكبار . ان واجبنا بالنسبة الى الفلاح
الصغير يقوم ، في المحل الاول ، في تحقيق انتقال مشروع الصغير وملكيته
انفردية الى الاستثمار التعاوني ، لا عنوة ، بل بفعل القدوة ، وبوضع
مساعدة المجتمع تحت تصرفه لهذه الغاية .

ف . انجلز : المسألة الفلاحية في فرنسا والمانيا ،
في ك . ماركس و ف . انجلز ، دراسات اقتصادية ،
منشورات دار دمشق ، ص : ٣٥٩ - ٣٦٠ .

ان النقطة الاساسية هي وستبقى افهام الفلاحين انا نستطيع ان
ننقد منازلهم وبيوتهم ونحافظ عليها من أجلهم بطريقة واحدة فقط ،
الا وهي تحويلها الى ملكية ومشروع تعاونيين . ذلك ان المشروع الفردي ،
الذي هو نتيجة للملكية الفردية ، هو بالضبط الذي يدفع الفلاحين نحو
هلاكهم . فاذا هم اصروا على الاحتفاظ بالمشروع الفردي طردوا بصورة
لا مفر منها من منزلهم وارضهم ، بينما سيحل الانتاج الراسمالي الكبير

محل أسلوبهم البالي في الانتاج .

ف . انجلز : المسألة الفلاحية في فرنسا وألمانيا ،
في ك . ماركس و ف . انجلز ، دراسات اقتصادية ،
منشورات دار دمشق ، ص : ٣٦١ .

... ان الملكية الكبيرة التي لا تبرح قائمة ستوفر لنا ... امكانية ملائمة جدا من اجل ممارسة الزراعة الكبرى من قبل شغيلة متشاركين ؛ فهي وحدها قادرة على استخدام جميع الوسائل الحديثة ، من الآلات وغيرها ، وعلى ان تبين للفلاحين الصغار بهذه الطريقة محسنات المشروع الكبير بفضل المشاركة .

ف . انجلز ، مسألة الإسكان ، في ك . ماركس و ف .
انجلز ، دراسات اقتصادية ، منشورات دار دمشق ،
ص : ٢٩٣ .

... ان الحركة التعاونية هي احدى القوى التي تحول المجتمع الحالي ، القائم على أسس التناحر الطبقي . وان الجدارة العظمى لهذه الحركة لتقوم في انها تبين بالوقائع امكانية الاستعاضة عن النظام الراهن لخضوع العمل للرأسمال ، وهو نظام استبدادي يولد الفاقة ، بالنظام الجمهوري والنافع لتشارك المنتجين الاحرار والتساوين ...

... ولا بد بالضرورة ، في سبيل تحويل الانتاج الاجتماعي السى منظومة وحيدة ، واسعة ومنسجمة ، للعمل الحر التعاوني ، من تحولات اجتماعية عامة ، تحولات تتناول أسس النظام الاجتماعي ، ولا يمكن تحقيقها الا بانتقال قوى المجتمع المنظمة ، يعني سلطة الدولة ، من الرأسماليين والملاكين العقاريين الى المنتجين انفسهم .

ك . ماركس : « تعليمات الى مندوبي المجلس المركزي المؤقت من بعض المسائل الخاصة » ، في ك . ماركس و ف . انجلز ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الثانية ، المجلد السادس عشر ، ص : ١٩٩ .

... ان تأميم (الارض) ضروري في روسيا من وجهة النظر الديمقراطية البورجوازية . لكنه ضروري كذلك لانه سيوجه ضربة رهيبية الى الملكية الخاصة لوسائل الانتاج . وانه ليكون من السخف الصريح التفكير بأن كل شيء سيبقى كما كان فيما مضى في روسيا بعد الغاء الملكية الخاصة للأرض .

ف . لينين : « الاجتماع السابع في روسيا للحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي (البلشفي) في روسيا (اجتماع نيسان) » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الرابع والعشرون ، ص : ٢٨٦ - ٢٨٧ .

... ان من واجبنا المطلق ، بوصفنا حزب البروليتاريا ، ان نقتراح منذ اليوم ، فضلا عن برنامج زراعي ، اجراءات عملية قابلة للتحقيق فوراً وتقتضيها مصلحة الثورة الزراعية الفلاحية في روسيا .

يجب ان نطالب بتأميم جميع أراضي البلاد ، يعني تسليمها للسلطة المركزية كملكية تامة . وان هذه السلطة المركزية ستحدد مدى ، الخ . ، عمق الاسكان ، وتسنع قوانين من اجل حماية الحراج واصلاح الاراضي ، الخ ؛ وانها ستستبعد عن قصد كل وسيط بين ملاك الارض ، يعني الدولة ، ومستأجرها ، يعني الزارع (حظر كل ايجار للأرض) . وان **اتجائس السوفييتية المنطقية والمحلية للمندوبين الفلاحين** - وليس البيروقراطية ، الموظفين - هي التي ستتصرف بصورة كاملة ومانعة بالأرض وتحدد **الشروط المحيطة للحيازة والانتفاع** .

وكي نحسن تقنية انتاج القمح ونزيد هذا الانتاج ، وكذلك كي نطور الاستثمار العقلاني الكبير ونضمن الاشراف عليه من قبل المجتمع ، يجب ان نجهد ، في قلب اللجان الفلاحية ، لنحصل على أن تصبح كل ملكية كبيرة منتزعة مشروعا نموذجيا، موضوعات تحت رقابة **المجائس السوفييتية للمندوبين**

العمال المأجورين الزراعيين •

ف . لينين : « مهمات البروليتاريا في ثورتنا » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الرابع
والعشرون ، ص : ٦٤ .

ان تأميم الارض المحقق في روسيا من قبل دكتاتورية البروليتاريا قد
ضمن على خير وجه اكتمال الثورة الديمقراطية البورجوازية ، حتى فيما اذا
حدث ان بدنا انتصار الثورة المضادة من التأميم الى القسمة (لقد حلت بصورة
خاصة هذه الامكانية في كراسه عن برنامج الماركسيين الزراعي في ثورة عام
١٩٠٥) . وفيما عدا ذلك ، فان تأميم الارض قد اعطى الدولة البروليتارية
الحد الاقصى من الامكانات من اجل الانتقال الى الاشتراكية في الزراعة .

ف . لينين : الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن
والعشرون ، ص : ٢٢٦ .

كان (انجلز) يؤكد على أن الاشتراكيين لا يقصدون البتة ان ينزعوا
ملكية الزراع الصغار ، ولن يبينوا لهم الا بقوة القنوة تفوق الزراعة
الاشتراكية الممكنة الكبرى .

ف . لينين : « صفحات من مذكرات صخني » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الخامس
والعشرون ، ص : ٣٠٧ .

... ان الاشتراكيين لا يريدون ولا يستطيعون ، حتى في ثورة اشتراكية
بصورة كاملة ، ان ينزعوا ملكية الزراع الصغار ، ولن يفعلوا ذلك مطلقا .

ف . لينين : « الكارثة الوشيكة ووسائل اجتنابها » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الخامس
والعشرون ، ص : ٣٧٤ .

ان سلطة الدولة البروليتارية يجب الا تحقق الانتقال الى الزراعة
الجماعية الا باعظم الحيطة وبصورة تدريجية ، بقوة القدوة ، دون ان تمارس
اي عنف على طبقة الفلاحين المتوسطين .

ف . لينين : « المسودة الاولى للموضوعات عن
المسألة الزراعية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ١٥٨ .

كل اشتراكي واع سيقول انه لا يمكن فرض الاشتراكية على الفلاحين
بالالزام ، وانه يجب الاعتماد فقط على قوة القدوة وعلى تمثيل الكتلة الفلاحية
لتعاليم الحياة العملية . ماهي الطريقة التي ترى انها الاكثر ملاءمة مسن
اجل الانتقال الى الاشتراكية ؟ هذه هي القضية التي تطرح عمليا اليوم على
طبقة الفلاحين الروس . وكيف يمكنها ، من جانبها ، ان تدعم البروليتاريا
الاشتراكية وتباشر الانتقال الى الاشتراكية ؟ ان هذا الانتقال قد باشره
الفلاحون سلفا ، ونحن لنا ملء الثقة فيهم .

ف . لينين : « المؤتمر الثالث للمجالس السوفيتية
للمندوبين العمال والجنود والفلاحين في روسيا » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السادس
والعشرون ، ص : ٤٧٨ .

مما لا يتطرق الشك اليه ان البناء الاشتراكي يشكل قضية بالغة
الصعوبة في بلد مثل روسيا . ومن المؤكد انه كان من السهل نسبيا تكتيس
عدو مثل القيصرية ، مثل سلطة الملاكين العقاريين ، مثل الملكية العقارية .
كان في الامكان حل هذه القضية في بضعة ايام في العاصمة ، وكان في الامكان
حلها في بضعة اسابيع في البلاد بكاملها ، لكن المهمة التي نتصدى اليوم لها
لا يمكن ، بفعل طبيعتها بالذات ، ان تنفذ الا بعمل عنيد ومديد بصورة فوق
طبيعية ، ان علينا هنا ان نناضل خطوة فخطوة ، قدما فقدم ؛ يجب ان
نوصل الى غايتها انتصارات روسيا الجديدة ، روسيا الاشتراكية ، وان

نناضل من أجل الاستثمار الجماعي للأرض .

ومن البدهي أن ثورة من هذا النوع ، الانتقال من المشاريع الفلاحية الفردية الصغرى الى الاستثمار الجماعي للأرض ، يتطلب فترة طويلة ، ولا يمكن في حال من الاحوال ان ينجز من الوهلة الاولى .

واننا نعرف جيدا ان الانتقال الى الاشتراكية في البلاد ذات الاستثمار الفلاحي مستحيل دون سلسلة من المراحل الاولى والمتدرجة . وحين فهمت ثورة اكتوبر ذلك ، فانها لم تضع نصب عينها كمهمة اولى سوى القضاء على سلطة الملاكين العقاريين وسحقها . ان القانون الاساسي الصادر في شباط عن تشريك الأرض (٢٧) الذي اتخذ ، كما تعلمون ، بقرار جماعي سواء من قبل الشيوعيين ام من قبل اولئك السذجين يشتركون في سلطة المجالس السوفيتية دون أن يقاسموهم وجهة نظرهم ، هذا القانون هو في الوقت نفسه التعبير عن ارادة وذهنية الغالبية الكبرى من الفلاحين ، والبيزهان على أن الطبقة العاملة والحزب الشيوعي العمالي ، وهما واعيان للمهمة المترتبة عليهما ، يتقدمان على طريق البناء الاشتراكي الجديد في نبات وصبر ، محققين سلسلة من التغيرات التدريجية ، موقظين وعسى القسم الكادح من طبقة الفلاحين ، وغير متقدمين الا في حدود استيقاظ هذا الوعي ، الا في حدود انتظام طبقة الفلاحين بنفسها .

اننا نعرف جيدا ان ثورات على هذا القدر من العظمة في حياة عشرات الملايين من البشر ، ثورات تتناول أعماق أسس الحياة والعادات ، ثورات مثل الانتقال من الاستثمار الفلاحي الفردي الصغير الى الاشتغال الجماعي للأرض ، لا يمكن أن تتحقق الا بفعل جهد مديد ، وهي ليست قابلة للتحقيق على العموم الا حين تجبر الضرورة البشر على تحويل حياتهم .

ف . لينين : « خطاب القى في المؤتمر الاول للفروع الوراكية للجسان الفلاحين الفقراء والمشايعات في روسيا ، بتاريخ ١١ كانون الاول ١٩١٨ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٣٥٤ - ٣٥٥ .

من المؤكد ان الزراعة الجماعية امر صعب ؛ واذا ماتخيل امرؤ انه يمكن استصدار مرسوم بها وفرضها من فوق ، فسوف يكون ذلك جنونا بالتاكيد ، لان العادة القديمة جدا للاستثمار الفردي لا يمكن ان تزول بضربة واحدة ، ولانه لا بدء من المال ، ولا بدء من التكيف مع الاوضاع الجديدة .

واذا كانت هذه التوصيات ، هذه الآراء عن الزراعة الجماعية ، واللوازم الجماعية ، والماشية الجماعية ، والاستخدام الافضل للادوات ، بالاتفاق مع الخبراء الزراعيين ، اذا كانت هذه التوصيات ثمرة مخيلة هذا الحزب او ذلك ، فان الامور ستسير اذن سيرا رديئا جدا ، ذلك ان نصائح اي حزب كان لا يمكن ان تحول حياة أي شعب ، ولان عشرات الملايين من البشر لا يصنعون الثورة كي يتبعوا نصائح حزب ما ؛ والحال ان هذا التحويل سيكون ثورة اعمق جدا من الاطاحة بالابله نقولا رومانوف . وانني لاكرر ذلك ، فعشرات الملايين من البشر لا يقومون بالثورة بناء على امر ، بل هم يقومون بها عندما يحشرهم البؤس في طريق مسدود ، عندما يجد الشعب نفسه في اوضاع لا تطاق ؛ وعندئذ فان الضغط العام واردة عشرات الملايين من البشر يجرفان العوائق القديمة ويستطيعان حقا ان يخلقا الحياة الجديدة . واذا كنا ننصح بهذا الاجراء ، اذا كنا نوصي بتطبيقه بكل يقظة ، قائلين انه يصبح ضروريا ، فليس ذلك لمجرد اننا نستنتجه من برنامجنا ، من عقيدتنا الاشتراكية ، بل ايضا لاننا انتهينا الى هذه النتيجة على اعتبارنا اشتراكيين ، ومن ملاحظتنا لحياة شعوب اوروبا الغربية .

واننا لنعلم ان هذه الشعوب قد اجتازت ثورات عديدة تمخضت عنها جمهوريات ديموقراطية ؛ ونعلم ان انصار المبودية هزموا في اميركا عام ١٨٦٥ وان مئات الملايين من هكتارات الارض قد وزعت بعدئذ مجانا او بصورة مجانية تقريبا على الفلاحين ، ومع ذلك تسود الراسمالية هناك كما لا تسود في أي مكان آخر ، تضطهد الجماهير الكادحة كما في أي مكان آخر ، ان لم يكن بصورة اشد واقسى : تلك هي العقيدة الاشتراكية ،

وتلك هي المشاهدات المجرأة على الشعوب الاخرى التي قادتنا الى القناعة الحازمة بأنه لا يمكن نزع النير الرأسمالي دون زراعة جماعية للارض من قبل عمال زراعيين مزودين بالالات المحكمة ، تحت اإدارة خبراء زراعيين كفوئين . لكننا اذا لم نستلمهم سوى تجربة بلدان اوربيا الغربية ، فان امورنا ستسير سيرا رديئا في روسيا ، اذ ان الشعب الروسي غير قادر حقا ، في كئلته ، على القيام بخطوة كبيرة في هذه الطريق الجديدة الا بدافع اليأس الاقصى . اننا نقول ان الاوان قد حان حيث يقرع هذا اليأس الاقصى باب الشعب الروسي بأسره . وان هذا اليأس الاقصى يتوقف على الحقيقة التالية ، الا وهي انه لا يمكن تسيير الاقتصاد الزراعي بالطريقة القديمة . فاذا مانحن انمزلنا كما في الماضي في استثمارات صغيرة ، حتى على اعتبارنا مواطنين احرارا على أرض حرة ، فاننا سنظل مع ذلك عرضة لخطر الفناء بصورة لا مفر منها ...

ف . لينين : « المؤتمر الاول للمندوبين الفلاحين في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
 المجلد الرابع والعشرون ، ص : ٥١٨ - ٥١٩ .

... ان تحويل الزارع الصغير ، تحويل كل ذهنيته وعاداته ، هو عمل اجيال كاملة . وان القاعدة المادية ، والتقنية ، والاستخدام الكثيف للحارثات والالات في الزراعة ، والكهربية على نطاق واسع ، تستطيع وحدها ان تحل هذه القضية ، ان تصلح ذهنيته نوعا ما . هذا ما يمكن ان يحول ، رأسا على عقب ، وبسرعة هائلة ، الزارع الصغير . وحين اقول انه لا بدء لذلك من اجيال ، فهذا لا يعني قرونا . وانكم لتفهمون جيدا انه في سبيل الحصول على حارثات ، وآلات ، وفي سبيل كهربية بلد شاسع الابعاد ، لا بدء على الأقل ، مهما تكن الحال ، من عشرات السنين . ذلك هو الوضع الموضوعي .

ف . لينين : « المؤتمر العاشر للحزب الشيوعسي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص : ٢٢٧ .

إذا شيدنا عشرات المحطات الاقليمية لتوليد الكهرباء (اننا نعرف اليوم
اين وكيف نستطيع ويجب أن نشيدها) ، وإذا موّنا جميع القرى بالطاقة
الكهربائية لهذه المحطات ، وإذا كانت لدينا كمية كافية من المحركات الكهربائية
والآلات الأخرى ، فإنه لن تكون بنا حاجة ، أو لن تكون بنا حاجة على وجه
التقريب ، للدرجات الانتقالية ، للحلقات المتوسطة من أجل الانتقال من
النظام البطريركي الى الاشتراكية .

ف . لينين : « الضريبة عينا » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص :
٣٧٢ .

يجب أن نقل انتباهنا من سحق البورجوازية الى تنظيم حياة طبقة
الفلاحين المتوسطين . وان من واجبنا أن نحيا في سلام معها . ان طبقة
الفلاحين المتوسطين ، في المجتمع الشيوعي ، لن تنحاز الى صفنا إلا عندما
نلطف ونحسن شروط وجودها الاقتصادية . فإذا ما استطعنا غدا ان نوفر
..... حارثة من النوعية الأولى ، مع المحروقات والميكانيكيين (انتم
تعرفون جيدا أن هذا وهم خالص في الوقت الحاضر) ، فان الفلاح المتوسط
سيقول : « اني مع المشاعية » (يعني مع الشيوعية) .

ف . لينين : « المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي
(البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٢١٥ .

يبدو لي أننا لا نمنح انتباها كافيا للتعاون . لا أحسب أن الجميع يفهمون
أن التعاون قد اكتسب أهمية استثنائية تماما عندنا منذ ثورة أكتوبر وبصورة
مستقلة عن السياسة الاقتصادية الجديدة (وعلى النقيض من ذلك ، اذ يجب
في هذا المجال أن نقول : بفضل السياسة الاقتصادية الجديدة بالضبط) .
ان احلام أنصار التعاون القدامى تتضمن الكثير من الأوهام ، وهم مضحكون في

أغلب الاحيان لانهم خيالون . لكن فيم يستقيم خيالهم ؟ انه يستقيم في انهم لا يفهمون المفزى الاساسي ، الجوهرى ، للنضال السياسى الذى تخوضه الطبقة العاملة فى سبيل الاطاحة بسيطرة المستثمرين . ولقد تمت هذه الاطاحة عندنا اليوم ، وان الكثير من الاحلام الخيالية ، بله الرومانسية ، بله المبتذلة ، التى كانت تراود انصار التعاون القدامى تصبح حقيقة عارية عن كل تصنع .

وبالفعل ، فلما كانت سلطة الدولة عندنا تمارسها الطبقة العاملة ، وكانت الدولة تحتكر سائر وسائل الانتاج ، فانه لا يتبقى لنا بصورة فعلية إلا أن نجمع السكان فى تعاونيات . وحين يجمع السكان حتى الحد الاقصى فى تعاونيات ، فان الاشتراكية تتحقق من تلقاء ذاتها ، هذه الاشتراكية التى كانت تثير فيما مضى سخريات مشروعة ، وابتسامات ، واحتقار الاناس المقتنعين بحق ضرورة النضال الطبقي ، بضرورة النضال فى سبيل السلطة السياسية ، الخ . حسنا ، إن جميع الرفاق لا يدركون ما يكتسبه التعاون من اهمية هائلة ، غير محدودة ، بالنسبة اليها فى روسيا اليوم وبالفعل ، فان سلطة الدولة على وسائل الانتاج الرئيسية ، سلطة الدولة بين ايدي البروليتاريا ، وتحالف هذه البروليتاريا مع الملايين من الفلاحين الصفار والفلاحين الصفار جدا ، وقيادة طبقة الفلاحين المضمونة لهذه البروليتاريا ، الخ اليس هذا كل ما يلزم كي نبني انطلاقا من التعاون ، من التعاون وحده ، الذى كنا نصفه فيما مضى بالتعاون التجارى ، والذى نملك الحق ، من بعض وجهات النظر ، فى أن نصفه اليوم ، فى ظل السياسة الاقتصادية الجديدة ، بالطريقة نفسها ، اليس هذا كل ما هو ضرورى كي نبني مجتمعا اشتراكيا متكاملا ؟ ليس ذلك ببناء المجتمع الاشتراكي بعد ، لكنه كل ما هو ضرورى لهذا الغرض

. وفى نيتي الآن أن أتحدث الى القارىء عما يمكن وعما يجب عمليا انجازه فى الحال ، انطلاقا من هذا المبدأ « التعاونى » . باية وسائل يمكن

ويجب ، منذ الآن ، تطوير هذا المبدأ « التعاوني » بحيث يدرك كل فرد بكل وضوح مداه الاشتراكي ؟

من وجهة النظر السياسية ، يجب أن نتصرف بحيث أن التعاونيات لا تستفيد فحسب ، على العموم ودائماً ، من بعض الامتيازات ، بل أن تكون هذه الامتيازات من مرتبة مادية محضة (معدلات الفائدة المصرفية ، الخ ،) . يجب أن تسلف الدولة الى التعاونيات مخصصات تتجاوز على الأقل بصورة ضئيلة الاعتمادات التي تقدمها الى المشروعات الخاصة ، بل معرفها الى مستوى الاعتمادات المقبول بها للصناعة الثقيلة ، الخ .

ان نظاماً اجتماعياً ما لا ينبثق الى الوجود إلا بالتأييد المادي الذي تمنحه اياه طبقة معينة . ولا جدوى من التذكير بمئات ومئات الملايين من الروبلات التي كلفها مولد الرأسمالية « الحرة » . واليوم يجب أن نفهم هذه الحقيقة ونضعها موضع التطبيق العملي ، ألا وهي أن النظام الاجتماعي الذي ينبغي لنا أن ندعمه فوق كل شيء انما هو ، في البرهنة الراهنة ، النظام التعاوني . . .

. . . يجب أن نمح التعاون سلسلة من الامتيازات من المرتبة الاقتصادية والمالية والمصرفية ؛ في هذا يجب أن يستقيم التأييد الذي تمنحه دولتنا الاشتراكية الى المبدأ الجديد لتنظيم السكان . بيد أن هذه ليست سوى الخطوط العامة للمشكلة ، ذلك انه لا يبرح أمامنا أن نعين بدقة وان نصف بتفصيل الجانب العملي ، يعني انه يجب بعد أن نحدد اشكال « المنح » (وكذلك الشروط التي ستمنح فيها) المقدمة الى التعاون ، هذه المنح التي ستتيح لنا ان نساعد التعاونيات بصورة فعالة ، أن نشكل تعاونيات متحضرة . والحال ان نظام المتعاونين المتحضرين ، حين تخص وسائل الانتاج المجتمع وتكون البروليتاريا بوصفها طبقة قد انتصرت على البورجوازية ، إنما هو

ف . لينين : « في التعاون » ، المؤلفات الكاملة
باريس - موسكو ، المجلد الثالث والثلاثون ، ص
٤٨٠ - ٤٨٤

ان الاشتراكية هي الغاء الطبقات .

وفي سبيل القضاء على الطبقات يجب أولا قلب الملاكين العقاريين والراسماليين . ولقد انجزنا هذا الجزء من المهمة ، بيد انه ليس سوى جزء ، وليس هو بالجزء الاصعب . وفي سبيل القضاء على الطبقات يجب ثانيا القضاء على الفارق بين العامل والفلاح ، وتحويل المجتمع الى شفيطة ، ولا يمكن القيام بذلك دفعة واحدة . تلك مهمة اصعب بما لا يقاس ، وبالتأكيد مهمة طويلة الامد . ولا يمكن تحقيقها بمجرد الاطاحة بطبقة ما . لا يمكن تحقيقها الا باعادة تنظيم الاقتصاد الاجتماعي برمته ، الا بالانتقال من الاقتصاد الصغير التجاري ، الفردي ، المنزلي ، الى الانتاج الجماعي الضخم . وان هذا الانتقال لطويل بالضرورة . ولا يمكن للاجراءات التشريعية او الادارية المتهورة والمتعجلة ان تؤدي سوى الى تاخيرها وتمقيدها . ولا يمكن التمسك به إلا اذا زدنا الفلاح بمعونة قيمة بتحسين التقنية الزراعية في تسب واسعة واصلاحها بصورة شاملة .

ف . لينين : « الاقتصاد والسياسة في مرحلة دكتاتورية
البروليتاريا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الثلاثون ، ص : ١٠٨ - ١٠٩ .

تعرفون من دون ريب - ان كل فعالية السلطة السوفييتية قد علمتمكم ذلك - الاهمية الهائلة التي نعلقها على المشاعيات ، والكارتلات ، وعلى الموم على جميع المنظمات التي تستهدف تحويل ، تستهدف الاسهام بصورة متدرجة في تحويل الاستثمارات الفلاحية الصغيرة الفردية الى استثمارات

جماعية ، الى جمعيات أو ارتلات . وتعرفون ان سلطة المجالس السوفيتية قد انشأت منذ زمن طويل اعتمادا يبلغ مليارا من الروبلات من أجل تشجيع المبادرات التي من هذه الطبيعة . وان « اللانحة عن نظام الاراضي الاشتراكي » تشدد بصورة مخصوصة على أهمية المشاعيات ، والارتلات ، وجميع مشروعات زراعة الارض بصورة مشاعية . وان السلطة السوفيتية لتبذل كل جهودها كي لا يبقى هذا القانون على الورق فقط ، بل ينتج النتائج المتوقعة منه .

إن أهمية هذه المشروعات جميعا هائلة : فاذا بقي الاقتصاد القديم الفلاحي ، الفقير ، المعوز ، كما كان فيما مضى ، فانه لا يمكن في حال من الاحوال أن نطرح مسألة البناء المتين للمجتمع الاشتراكي . ولن تثبت الطبقة العاملة ، التي تمسك بزمام السلطة ، للفلاح بصورة فعلية أنها على حق ، وتجذب حقا الى جانبها . بصورة دائمة وفعلية ، ملايين وملايين الفلاحين ، الا في حالة نجاحنا في ان نبين للفلاحين في الممارسه محسنات الزراعة بصورة مشاعية . جماعية ، في جمعيات أو ارتلات ، الا اذا توصلنا الى مساعدة الفلاح في استثمار الارض في جمعيات أو ارتلات . ولهذا السبب لا يمكن ان نبالغ في تقدير قيمة المشروعات من مختلف الانواع المعينة لتشجيع اشتغال الارض في جمعيات أو ارتلات . ان لدينا ملايين الاستثمارات المبعثرة ، الموزعة في اعماق الارياف الضائعة . وانه ليكون من الخراقة المطلقة ان نريد تحويل هذه الاستثمارات بطريقة سريعة ما ، بمرسوم ما ، بفعل مطبق من الخارج . اننا ندرك تمام الادراك اننا ان نستطيع ان نؤثر في الملايين الاستثمارات الفلاحية الا بصورة تدريجية ، في حذر ، فقط بالامثلة العملية المواتية ، ذلك أن الفلاحين عمليون جدا ، متعلقون بصورة متينة جدا بالاقتصاد الزراعي القديم ، بحيث لا يمكن أن يقللوا تغيرات هامة على مجرد ذمسة النصائح والارشادات المتوفرة في الكتب . هذا لا يمكن أن يحدث . وانه ليكرن من قبيل العبث على اي حال . وحين نشأت في الممارسة ، بواسطة تجربة

تكون في تناول الفلاح ، أن الانتقال الى الزراعة في جمميات ، في ارتلات ، ضروري ويمكن ، عندئذ فقط يكون لنا الحق في أن نقول ان خطوة جديدة قد تم اجتيازها على طريق الزراعة الاشتراكية في بلد زراعي مترامي الاطراف مثل روسيا . وهذا هو السبب في أن الاهمية الكبيرة للمشاعيات والارتلات والجمميات ، التي تفرض عليكم جميعا واجبات هائلة تجاه الدولة والاشتراكية ، تجبر بصورة طبيعية السلطة السوفيتية وممثليها على مواجهة هذه القضية بانتباه وحذر خاصين .

ف . لينين : « خطاب في المؤتمر الاول للمشاعيات
الزراعية والارتلات الرزاعية ، بتاريخ ٤ كانون الاول
١٩١٩ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الثلاثون ، ص : ١٦٧ - ١٦٨ .

... وتبقى ، بالنسبة الى الدولة ، ضرورة مساعدة المشاعيات ؛
اننا لن نكون شيوعيين وانصارا لاقامة الاقتصاد الاشتراكي اذا لم تساهم
الدولة ، من جميع جهات النظر ، المشاعية الزراعية الجماعية . واننا
لمجبرون أيضا على القيام بذلك لان ذلك مطابق لجميع اغراضنا ، ولان هذه
الجمميات والارتلات والمنظمات الجماعية هي ، وهذا ما نعرفه على خسر
وجه ، ابتكار لن يتأقلم ما لم تقدم اليه الطبقة العاملة التي في السلطة
تأييدها .

ف . لينين : « خطاب في المؤتمر الاول للمشاعيات
والارتلات الزراعية ، بتاريخ ٤ كانون الاول ١٩١٩ » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ،
ص : ٢٠٠ - ٢٠١ .

الفصل السادس

القضاء على التعارض بين المدينة والريف

ظهور التعارض بين المدينة والريف

إن تقسيم العمل في داخل أمة ما يستتبع بادية الأمر انفصال العمل الصناعي والتجاري من جهة واحدة ، والعمل الزراعي من جهة ثانية ، ومن جراء ذلك انفصال **المدينة والريف** وتعارض مصالحهما .

ك . ماركس و ف . انجلز : **الأيديولوجية الألمانية** ،
المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ١٢ .

إن كل تقسيم للعمل المتطور يتصل بواسطة مبادلة البضائع يملك قاعدته الأساسية في انفصال المدينة والريف . . . ويمكن القول إن التاريخ الاقتصادي للمجتمع يدور على حركة هذا التضاد الذي لن نتوقف هنا عنده على أي حال .

ك . ماركس : **رأس المال** ، منشورات دار اليقظة
العربية ، دمشق ، الكتاب الأول ، المجلد الثاني ،
ص : ١٢ .

. . . إن تقدم الإنتاج الاجتماعي يمارس على أوضاع (الأراضي) ، على

اعتبارها سببا في الريع التفاضلي ، فعلا محققا للمساواة باقامته الاسواق المحلية وبتمديله اوضاع الاراضي بفعل تطور وسائل المواصلات والنقل ؛ ومن جهة أخرى ، فانه يزيد من حدة الفوارق القائمة في مختلف الوضعيات المحلية للاراضي بفصله الزراعة عن المانيفاكثورة وبياجاده مراكز هامة للانتاج من جهة ، بينما هو يشجع نسبيا الهجرة الجماعية الريفية .

ك . ماركس : راس المال ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، الكتاب الثالث ، المجلد الثالث ، ص : ٤١ .

ان اكبر تقسيم للعمل المادي والدهني هو انفصال المدينة والريف. ان التعارض بين المدينة والريف يظهر مع الانتقال من الهمجية الى الحضارة ، من التنظيم القبلي الى الدولة ، من المحلة الصغيرة الى الامة ، ويستمر عبر تاريخ الحضارة كله حتى أيامنا الحاضرة .

ك . ماركس و ف . انجلز : الايديولوجية الالمانية ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٤٣ .

احتداد التعارض بين المدينة والريف في ظل الرأسمالية

... وهكذا فان حاجات التحول الاجتماعي وتضال الطبقات تعود في الارياف الى مثل مستواها في المدن .

ويستبدل الاستثمار الاكثر روتينا ولاعقلانية بالتطبيق التكنولوجي للعلم . فاسلوب الانتاج الرأسمالي يحطم نهائيا ، بين الزراعة والمانيفاكثورة، الرباط الذي كان يوحد ما بينهما في طفولتهما ، لكنه يخلق في الوقت نفسه الشروط المادية لتكوين جديد وأعلى ، اعني اتحاد الزراعة والصناعة على اساس التطور الذي تكتسبه كل منهما أثناء فترة انفصالهما التام . ويكدس

الانتاج الرأسمالي ، مع الازدهار المتزايد باستمرار لسكان المدن الذين يكدسهم في مراكز كبرى ، القوة التاريخية المحركة للمجتمع من جهة واحدة، كما انه يهدم من جهة أخرى لا الصحة الحكيمة للعمال المدنيين والحياة الفكرية للشغيلة الريفيين فحسب . . . ولكنه يؤدي بصورة اجبارية ، اذ يقرب الشروط التي ينجز فيها مجتمع متأخر هذا التداول بصورة عفوية تقريبا ، الى اعادة تحقيق هذا التداول بصورة منهجية ، في شكل متلائم مع التطور الانساني الكامل ، وعلى انه قانون منظم للانتاج الاجتماعي .

ويرأى، في الزراعة كما في المانيفاكتورة ، أن التحول الرأسمالي للانتاج انما يقع كل عبثه على عاتق المنتج ، وأن أداة العمل ما هي سوى أداة اخضاع الشغيل ، واستثماره ، وأن التركيب الاجتماعي للعمل ما هو سوى الاضطهاد المنظم لحيوية هذا الشغيل وحرية واستقلاله الفرديين . وإن تبعثر الشغيلة الزراعيين على مساحات اكبر يحطم قوتهم على المقاومة ، بينما التمرکز يزيد من قدرة العمال المدنيين على هذه المقاومة . وفي الزراعة الحديثة . كما هي الحال في صناعة المدن ، تشتري زيادة الانتاج ومردودية العمل الاعظم لقاء دمار قوة العمل ونضوبها . وفيما عدا ذلك ، فان كل تقدم تحققه الزراعة الرأسمالية هو كذلك تقدم ليس في فن استثمار العامل فحسب ، بل في فن نهب الارض أيضا . ان كل تقدم في فن زيادة خصبها لفترة معينة هو تقدم في تدمير ينابيع خصبها الدائمة . وبقدر ما يتطور بلد ما ، الولايات المتحدة الاميركية مثلا ، على أساس الصناعة الكبرى ، فان هذا التقدم في التخریب يتحقق بسرعة أكبر . . . فالانتاج الرأسمالي لا يطور اذن التقنية وتركيب عملية الانتاج الاجتماعي إلا باستنفاده في الوقت نفسه الينبوعين اللذين تنبثق منهما مختلف الثروات ، ألا وهما الارض والشغيل .

ك : ماركس : رأس المال ، منشورات دار اليقظة العربية ، دمشق ، الكتاب الاول ، المجلد الثاني ، ص : ١٨٠ - ١٨٢ .

لقد حرر الرأسمال الزراعة من النظام الإقطاعي ، وأدخلها في الدارة التجارية ، ومن جراء ذلك في تطور الاقتصاد العالمي ؛ لقد انتزعها من الركودة ومن روتين العصر الوسيط ومن النظام البطريركي . لكنه أبعد ما يكون عن حذف الإضطهاد والاستثمار وبؤس الجماهير ، بل هو يطلق العقال لهذه الآفات في شكل جديد ويعيد أشكالها القديمة على أساس « حديث » . فالامر لا يقتصر على أن الرأسمالية لا تقضي على التناقض بين الصناعة والزراعة ، بل على النقيض من ذلك تعمقه وتفاقمه أكثر فأكثر . إن نير الرأسمال ، الذي ينصهر أكثر فأكثر في مجال التجارة والصناعة ، يثقل على الزراعة أكثر فأكثر .

ف . لينين : « معطيات جديدة عن قانون تطور الرأسمالية في الزراعة » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والعشرون ، ص : ١٠٠ .

إن الظاهرة التي تشغلنا تشكل أحد التناقضات الأعمق والأعمق للنظام الرأسمالي . أن الانفصال بين المدينة والريف ، وتعارضهما ، واستثمار الريف من قبل المدينة ، هذه الأمور التي يستتبعها تطور الرأسمالية في كل مكان ولذا فإن تفوق المدينة على الريف (من الوجهات الاقتصادية والسياسية والفكرية وغيرها) هو واقع عام ومحتوم يلاحظ في جميع البلدان حيث يوجد الإنتاج التجاري والرأسمالية ، بما في ذلك روسيا

ف . لينين : « في سبيل وصف الرومانسية الاقتصادية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ٢٢٠ .

من المعروف أن المدن ، في جميع الدول الحديثة وحتى في روسيا ، تنمو أسرع كثيرا من نمو القرى ، وأن المدن هي مراكز حياة الشعب الاقتصادية والسياسية والفكرية ومحركات التقدم الرئيسية .

ف . لينين : « أحدث المعطيات عن الأحزاب السياسية في ألمانيا » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد التاسع عشر ، ص : ٢٤٠ .

وسائل القضاء على التعارض بين المدينة والريف

لا يمكن أن يوجد التعارض بين المدينة والريف الا داخل الملكية الخاصة ،
إنه التعبير الابرز عن خضوع الفرد لتقسيم العمل ، عن خضوعه لفعالية معينة-
مفروضة عليه . وإن هذا الخضوع يجعل من الفرد الواحد حيوانا محدودا
للمدن ومن الفرد الآخر حيوانا محدودا للارياف ويولد من جديد في كل يوم
تعارض مصالح الفريقتين . وان العمل هو الشيء الرئيسي هنا ايضا ، هو
القدرة على الافراد ، وطالما قامت هذه القدرة ، فانه سيكون هناك ايضا
ملكية خاصة . وان الغاء هذا التعارض بين المدينة والريف هو أحد الشروط
الاولى للجماعة ، وهذا الشرط يتوقف بدوره على كتلة من الشروط المادية
المسبقة التي لا تكفي الإرادة المجردة من أجل تحقيقها ، وهو ما يستطيع كل
الناس أن يتحققوا منه من النظرة الاولى .

ك . ماركس و ف . انجلز : الأيدولوجية الألمانية ،
المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٤٣-٤٤ .

ليس الغاء التضاد بين المدينة والريف ممكنا فحسب ، بل أصبح ضرورة
مباشرة من ضرورات الانتاج الصناعي نفسه ، مثلما أصبح ضرورة من ضرورات
الانتاج الزراعي ، ومن ضرورات الصحة العامة فضلا عن ذلك . ان التسميم
الراهن للهواء ، والمياه ، والارض ، لا يمكن أن يوضع له حد إلا بانصهار المدينة
والريف ؛ وإن مثل هذا الانصهار وحده يستطيع أن يبدل اوضاع الجماهير
التي تتفسخ في المدن حاليا ، ويمكن من استخدام مفرزاتها من أجل النباتات
بدلا من إنتاج الادواء .

... فليس إلغاء الانفصال بين المدينة والريف طوباويا إذن بقدر ما هو
مفروض بالتوزيع الأكثر مساواة قدر الامكان للصناعة الحديثة على مختلف
أرجاء البلاد . وصحيح ان الحضارة قد خلفت لنا في المدن الكبيرة ميرانا

لابد من زمن طويل وعناء كبير من أجل التخلص منه ، لكنه لا بد من التخلص منه . وهذا ما سوف يتحقق - مهما كانت هذه العملية طويلة الامد .

ف. انجلز : انتي دوهرنغ ، منشورات دار دمشق ،
ص : ٢٥٨ - ٢٥٩ .

ان توزيعاً منتظماً بقدر الامكان للسكان في البلاد كلها ، والرابطة الوثيقة بين الانتاج الصناعي والانتاج الزراعي مع ما ينجم عن ذلك بالضرورة من اتساع وسائل المواصلات - على فرض الغاء الاسلوب الرأسمالي في الانتاج - يستطيعان وحدهما أن يخلصا السكان الريفيين من العزلة والبلادة اللتين زرحوا تحت وطأتهم دون أدنى تفير على وجه التقريب طوال آلاف السنين .

ف. انجلز : مسألة الاسكان ، في ك.ماركس و ف .
انجلز ، دراسات اقتصادية ، منشورات دار دمشق ،
ص : ٢٨٨ .

ك

... إن الحل البورجوازي لمسألة الاسكان قد أفلس - ولقد أفلس من جراء التضاد بين المدينة والريف . وبذلك نبلغ لب القضية . ان مسألة الاسكان لا يمكن ان تحل الا حين يبلغ المجتمع مرحلة من التحول كافية من اجل بدء الانطلاق نحو الغاء التضاد بين المدينة والريف ، هذا التضاد الذي بلغ اقصاه بفعل المجتمع الرأسمالي الراهن . ان المجتمع الرأسمالي لا بعد ما يكون عن الغاء هذا التضاد : بل هو مجبر على النقيض من ذلك على تشديده يوماً بعد يوم . وبالمقابل ، فإن الاشتراكيين الخياليين الاولين ، أوين وفوريه ؛ قد اعترفوا بذلك مصيبين ، إذ لم يعد للتضاد بين المدينة والريف وجود في تنظيماتهما المثالية . والنتيجة من ذلك ان ما يجري فعلاً هو بالضبط نقيض ما يدافع الهرساكس عنه . فليس حل مسألة الاسكان هو الذي يحل في الوقت نفسه المسألة الاجتماعية ، بل ان حل المسألة الاجتماعية ، يعني الغاء النظام الرأسمالي في الانتاج ، هو وحده ما يجعل حل مسألة

الاسكان امرا ممكنا . اما الرغبة في حل مسألة الاسكان ، المترافقة بالرغبة في الابقاء على المدن الكبرى ، فذلك سخف خالص . ومهما يكن من امر ، فان المدن الكبرى الحديثة لن تُلغى الا بالغاء الاسلوب الراسمالي في الانتاج . فاذا ما تحقق ذلك ، كانت هناك حلول اخرى غير تزويد كل عامل بمنزل خاص يكون ملكا له .

وعلى اية حال ، فلا بد لكل ثورة ، بادية الامر ، ان تأخذ الامور مثلما تجدها كي تتخلص من اعظم الشرور بما يتوفر لديها من وسائل . ولقد راينا من قبل انه يمكن مداواة أزمة السكن على الفور بانتزاع ملكية قسم من المساكن المترفة التي تخص الطبقات المالكة وبالايواء الالزامي في القسم الاخر .

ف . انجلز : مسألة الاسكان ، في ك.ماركس و ف . انجلز ، دراسات اقتصادية ، منشورات دار دمشق ، ص : ٢٣٩ .

لا يمكن ان تكون المدينة ندا للريف ، ولا يمكن للريف ان يكون ندا للمدينة في شروط هذا العصر التاريخية . ان المدينة تجرف الريف بالضرورة ، والريف يتبع المدينة بالضرورة . والمسألة هي بكل بساطة ان نعرف أي طبقة من بين طبقات « المدينة » ستعرف ان تجرف الريف ، ان تنجز على خير وجه هذه المهمة ، وفي اية اشكال ستمارس المدينة هذه القيادة .

ف . لينين : « انتخابات المجلس التأسيسي و دكتاتورية البروليتاريا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٢٦٢ - ٢٦٤ .

اذا احتلت المدينة بالضرورة وضما ممتازا ، تاركة الريف في حالة من الخضوع ، والجهالة ، والمطالة ، والبلادة ، فان تدفق السكان الريفيين

نحو المدن ، واختلاط السكان الزراعيين وغير الزراعيين وانصهارهم .
يستطيعان وحدهما أن ينتزعا السكان الريفيين من عطلاتهم . ولهذا
السبب ، ردا على مناخات الرومانسيين الرجعية ، فإن النظرية الحديثة
تبين كيف أن هذا التقارب لشروط حياة السكان الزراعيين وغير الزراعيين
يخلق الشروط التي تسمح بوضع حد للتعارض بين المدينة والريف .

ف . لينين : « في سبيل وصف الرومانسية
الاقتصادية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الثاني ، ص : ٢٣٠ - ٢٣١ .

لما كان التعارض بين المدينة والريف أحد الأسباب الأعمق لتخلف الريف
الاقتصادي والثقافي ، ولما كان هذا التعارض ، في مرحلة من الأزمنة البالغة
العمق مثل أزمة اليوم ، يضع المدينة والريف على حد سواء أمام خطر
الانحلال والموت الفوري ، فإن الحزب الشيوعي الروسي يجد في القضاء على
هذا التعارض إحدى المهمات الأساسية للبناء الشيوعي . ولذا فإنه يرى من
الضرورة بمكان ، فيما عدا التدابير المشار إليها أعلاه ، أن يشارك على نطاق
واسع وبصورة منهجية العمال الصناعيين في البناء الشيوعي . في الزراعة ،
وأن يطور على النطاق الوطني فعالية « لجنة الإغاثة العمالية » (٢٨) ، التي
سبق فتأسست لهذا الغرض من قبل سلطة المجالس السوفيتية ، الخ .

ف . لينين : « مشروع برنامج الحزب الشيوعي
(البلشفي) الروسي » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد التاسع والمشرون ، ص : ١٣٥ -
١٣٦ .

... يجب أن نبين للطبقة الفلاحية أننا نضع نصب أعيننا ، بدلا من
التقسيم القديم للصناعة والزراعة ، هذا التناقض الأعمق الذي كان يفذي
الراستقالية ، ويزرع النزاع بين عمال الصناعة وعمال الزراعة ، أن نرد
الى طبقة الفلاحين ما أسلفته في شكل القمح ، ذلك أننا نعترف حق المعرفة

ان الورق النقدي ليس بالتأكيد نسخة عن القمح . يجب علينا ان نفى هذا
القرض بتنظيم الصناعة التي سوف تزود الفلاحين بمنتجاتها . يجب ان
ينين لهم ان تنظيم الصناعة على القاعدة العليا الحديثة ، على اساس الكوبرية
التي ستصل المدن والارياف ، سوف يضع حدا للنزاع بين المدينة والريف ،
ويمكن من رفع مستوى الارياف الثقافي ، ومن التغلب على التخلف ،
والجهل ، والبؤس ، والامراض ، والهمجية ، حتى في ابعد الزوايا طرا .

ف . لينين : « تقرير عن نشاط اللجنة التنفيذية
المركزية لروسيا ومجلس مفوضي الشعب في الجلسة
الاولى للجنة التنفيذية المركزية ، الهيئة التشريعية
السابعة ، بتاريخ ٢ شباط ١٩٢٠ » ، المؤلفات
الكاملة ، ٤ ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ،
ص : ٣٤٦ .

المقصود هنا قضية سياسية أساسية أهميتها حاسمة بالنسبة الى
الثورة بكاملها : موقف المدينة حيال الريف . فبينما تعمل الدولة
البورجوازية بصورة منهجية على تخييل عمال المدينة ، مكيفة لهذا الغرض
كل الاديبيات المنشورة على نفقة الدولة ، على نفقة الاحزاب القيصرية
والبورجوازية ، فاننا نستطيع ويجب علينا أن نستخدم سلطتنا لنجعل فعلا
من العامل المدني ناشر الافكار الشيوعية في قلب البروليتاريا الريفية . . .

. . . وفي النظام الرأسمالي ، كان الفعل الذي تمارسه المدينة على
الارياف يفسدها على المستويات السياسي والاقتصادي والاخلاقي والحكمي ،
الخ . وعندنا هبت المدينة من تلقاء نفسها تمارس على الارياف فعلا مضادا
بصورة مطلقة . غير أن هذا يحدث من تلقاء نفسه ، بصورة عفوية . وانه
لفي الامكان تقوية هذا الفعل (ومن ثم مضاعفته مائة مرة) ، اذا ما جعلنا
هذا العمل واعيا ، ومنهجيا ، ونظاميا .

ف٢ . لينين : « وريقات مسن دفتر المذكرات » ،
المؤلفات الكاملة ، المجلد الثالث والثلاثون ، ص :
٤٧٨ - ٤٧٩ .

الفصل السابع

الشورة الثقافية

موقف البروليتاريا تجاه الثقافة البورجوازية

لا نستطيع ان نبنيها (الاشتراكية) دون ارث الثقافة الرأسمالية .
فليس لدينا مواد أخرى من اجل بناء الشيوعية الا تلك المواد التي خلفتها
لنا الرأسمالية .

ف . لينين : « المؤتمر الثامن للحزب الشيوعسي
(البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ١٥٤ .

ان الثورات السابقة قد قضت لان العمال لم يعرفوا ان يصمدوا بواسطة
دكتاتورية حازمة وما كانوا يدركون ان الدكتاتورية والعنف والالزام لم تكن
كافية من اجل الصمود : لا يمكن ان نصمد الا اذا تمثلنا كل التجربة الثقافية
والتقنية للرأسمالية التقدمية وانتزعنا جميع هؤلاء الناس من خدمتها .

ف . لينين : « خطاب القي في المؤتمر الثالث لشيوية
التقليبات النهريتي روسيا ، بتاريخ ١٥ آذار ١٩٢٠ » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ،
ص : ٤٤٢ .

... انا متخلفون فيما يتعلق بالاحصاء والرقابة لانه كان من الصعب جدا تحطيم هذه المقاومة ووضع البورجوازية وفنييها وخصائبيها البورجوازيين في خدمتنا . ذلك انا كنا في حاجة الى معارفهم ، وخبرتهم ، وعملهم ؛ وانه لمن المستحيل بالنسبة الينا ان نكسب بصورة فعلية، بدونهم، الثقافة التي ابدعتها العلاقات الاجتماعية القديمة والتي تظل القاعدة المادية للاشتراكية .

ف . لينين : « جلسة اللجنة التنفيذية المركزية لروسيا ، بتاريخ ٢٩ نيسان ١٩١٨ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس- موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٢١٢ .

انا لا نتصور اشتراكية اخرى سوى تلك الاشتراكية التي تقوم على الدروس المستقاة من الحضارة الرأسمالية الكبرى . ان الاشتراكية دون بريد ، ، ودون برق ، ودون آلات ، هي جملة فارغة بصورة مطلقة . لكنه من المستحيل ان نكنس دفعة واحدة البيئة البورجوازية والعادات البورجوازية، ذلك انا في حاجة الى التنظيم الذي يركز عليه كل العلم وكل التقنية الحديثة .

ف . لينين : « جلسة اللجنة التنفيذية المركزية لروسيا ، بتاريخ ٢٩ نيسان ١٩١٨ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس- موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٢٢٢ .

سوف تكون الاشتراكية مستحيلة اذا لم تتعلم ان تستخدم التقنية، والثقافة : الجهاز ، المؤسسة جميعا من قبل الثقافة البورجوازية ، من قبل الثقافة الرأسمالية .

ف . لينين : « تقرير عن نشاط اللجنة التنفيذية المركزية لروسيا ومجلس مفوضي الشعب في الجلسة الاولى للجنة التنفيذية المركزية ، الهيئة التشريعية السابعة ، بتاريخ ٢ شباط ١٩٢٠ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس- موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٢٢٩ .

يجب ان نتناول كل الثقافة التي خلفتها الرأسمالية ونشيد الاشتراكية بها . يجب ان نأخذ كل العلم ، والتقنية ، وجميع المعارف ، وكل الفن . والا فاننا لنتمكن من بناء حياة المجتمع الشيوعي . ولكن هذا العلم ، وهذه التقنية ، وهذا الفن ، هي بين أيدي الإخصائيين وفي رؤوسهم .

ف . لينين : « نجاحات ومصاعب سلطة المجلس السوفيتية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٦٧ .

ان كل ما خلقته الثقافة البورجوازية من أجل خداع الشعب والدفاع عن الرأسماليين قد انتزعناه منها كي نلبي حاجات العمال والفلاحين السياسية .

ف . لينين : « المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ١٦١ .

اننا نعرف انه لا يمكن بناء الاشتراكية الا بالعناصر الثقافية للرأسمالية الكبرى ، والمثقفون هم أحد هذه العناصر .

ف . لينين : « اجتماع مناظلي الحزب في موسكو ، بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٨ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٢٢٠ .

لن يكون في مقدورنا ان نحل هذه القضية اذا لم نفهم جيدا ان المعرفة التامة بالثقافة المبدعة في سياق تطور الانسانية وتحويل هذه الثقافة هما وحدهما اللذان سيمكنان من خلق الثقافة البروليتارية . ان الثقافة البروليتارية لا تنبثق من حيث لا ندرى ، وهي ليست من اختراع رجال يزعمون انهم اخصائيون في هذه المادة . هذا كله حماقة خالصة . ان الثقافة

البروليتارية يجب أن تكون التطور المنطقي لحصيلة المعارف التي كدستها البشرية تحت نير المجتمع الراسمالي ، ومجتمع الملاكين العقاريين الكبار والبيروقراطيين .

ف. لينين : « مهمات العادات الشعبية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي
والثلاثون ، ص : ٢٩٦ .

لقد اكتسبت الماركسية أهمية تاريخية على اعتبارها ايدولوجية البروليتاريا الثورية من جراء أنها ، وهي أبعد ما تكون عن رفض المكتسبات الكبرى للعصر البورجوازي ، قد تمثلت - على العكس من ذلك - وأعادت التفكير في كل ما هو ثمين في الفكر والثقافة البشرية اللذين يعود تاريخهما الى أكثر من ألفي عام . وأن العمل الجاري على هذا الأساس وفي هذا المنحى، الذي تحركه تجربة دكتاتورية البروليتاريا التي هي المرحلة الاخيرة لنضالها ضد كل استثمار، يستطيع وحده أن يعتبر على أنه تطور ثقافة بروليتارية حقا .

ف. لينين : « في الثقافة البروليتارية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس موسكو ، المجلد الحادي
والثلاثون ، ص : ٣٢٨ .

ضرورة تحسين تعلم الجماهير وثقافتها

... ليس ثمة مكان في العالم تعنى فيه الجماهير الشعبية بالثقافة الحقيقية مثل عنايتها بها عندنا ، وليس ثمة مكان آخر تطرح فيه هذه القضايا بطريقة على هذا القدر من العمق والمنهجية كما هو الامر عندنا . وليس في العالم بلد تمسك بزمام السلطة فيه الطبقة العاملة التي تدرك كل الاوراك ، في كتلتها ، لن أقول نقائص ثقافتها ، بل نقائص تعليمها البدائي

وليس ثمة مكان آخر للطبقة العاملة مستعدة فيه لأن تقبل ، وهي تقبل ،
بتضحيات على هذا القدر من أجل تحسين وضعها في هذا المجال .

ف. لينين : « وريقات من دفتر المذكرات » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث
والثلاثون ، ص : ٤٧٥ - ٤٧٧ .

يطمح الشغيلة الى المعرفة لأنها ضرورية لهم في سبيل الغلبة. ان تسعة
اعشار الجماهير الكادحة قد ادركوا ان المعرفة سلاح في نضالهم من اجل
التحرر وان اخفاقاتهم تفسر بنقص التعليم ، وان الامر يتوقف عليهم اليوم
كي يجعلوا التعليم في متناول الجميع حقا وفعلا .

ف. لينين : « خطاب التي في المؤتمر الاول في
روسيا للتعليم العام ، بتاريخ ٢٨ آب ١٩١٨ » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الثامن والعشرون ، ص : ٨٤ .

•

ان شرطا آخر لزيادة انتاجية العمل هو في المحل الاول انطلاقة التعليم
والثقافة عند الجماهير الغفيرة من السكان . وان هذه الانطلاقة لتسير
اليوم بسرعة مذهلة ، الامر الذي لا يراه اولئك الناس الذين اعماهم الروتين
البورجوازي ، العاجزون عن فهم الانطلاقة نحو النور ، وروح المبادرة التي
اصبحت الشرائح « الدنيا » من الشعب تتحرك بها اليوم بفضل التنظيم
السوفييتي .

ف. لينين : « المهمات الفورية لسلطة المجالس
السوفييتية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٢٦٧ .

الثورة الثقافية وادارة الدولة والاقتصاد الاشتراكيين

يجب علينا بأي ثمن ، كي نجدد جهاز الدولة عندنا ، أن نضع نصب

أعيننا المهمة التالية : أولا أن نتعلم ؛ ثانيا أن نتعلم أيضا ؛ ثالثا أن نتعلم
دوما . ومن بعد أن نعنى بالأ تظل المعرفة عندنا حرفا ميتا أو جملة شائعة
ولنعترف بأن هذا كثيرا ما يحدث لنا ؛ وأن نعنى بأن تتغلغل المعرفة حقا
في ذهننا ، أن تصبح جزءا لا يتجزأ من حياتنا ، بصورة مليئة وفعلية .

ف. لينين : « الأفضل يساوي أقل ، لكنه
أفضل » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الثالث والثلاثون ، ص : ٥٠٢ .

سوف نناضل ضد البيروقراطية طوال سنوات ، ومن يفكر غير ذلك
يكون دجالا ومشعوذا ، لانه لا بدء في سبيل التغلب على البيروقراطية من
مئات التدابير ، لادء ان تتلاشى الامية تماما ، وأن تعمم الثقافة ، وأن
يسهم الناس جميعا في التفتيش العمالي والفلاحي .

ف. لينين : « المؤتمر الثاني لعمال المناجم في
روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الثاني والثلاثون ، ص : ٦٣ .

ان الامي هو خارج السياسة ، ويجب أولا أن نعلمه الإجدية . بدون
هذا لا يمكن أن تكون سياسة ؛ بدون هذا لا يكون هناك سوى اشاعات ،
سوى ثرثرات ، سوى أقاصيص جنيات ، سوى مستبقات ، لكن من دون
السياسة .

ف. لينين : « السياسة الاقتصادية الجديدة
ومهمات خدمات التربية السياسية » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث
والثلاثون ، ص : ٧٢ .

الثورة الثقافية وتجميع الفلاحين في تعاونيات

تعرض لنا مهمتان أساسيتان لهما دويهما : أولا أن نعيد صهر جهازنا

الإداري الذي لا يساوي شيئاً على الإطلاق والذي يورثناه كلياً عن الماضي ؛ ان الوقت لم يتوفر لنا ، خلال خمس سنوات من النضال ، كي نعدله بصورة جدية ، وما كنا نستطيع ان نعدله ، ومهمتنا الثانية هي الانخراط في عمل ثقافي لمصلحة طبقة الفلاحين . والحال ان هذا العمل بين الفلاحين له هدف اقتصادي هو التعاون ، فاذا كان في مقدورنا ان نجتمعهم جميعاً في تعاونيات ، فاننا سنقف اذن بكلتا قدمينا على الارض الاشتراكية . غير ان هذا الشرط يتضمن درجة عالية من الثقافة لدى طبقة الفلاحين (واقول جيداً طبقة الفلاحين ، مادامت تشكل كتلة هائلة) ، بحيث ان هذا التنظيم المعمم في التعاونيات مستحيل دون ثورة ثقافية حقيقية .

ولقد قال لنا خصوصاً عدة مرات اننا تصدى لعمل لا معنى له اذ نسمى لأن نزرع الاشتراكية في بلد ناقص الثقافة. غير انهم اخطأوا : اننا لم بدأ من حيث كان يجب ان نبدأ وفقاً للنظرية (التي يقول بها المتحذلقون من شتى الانواع) ؛ ان الثورة السياسية والاجتماعية عندنا قد سبقت الثورة الثقافية التي تفرض الآن نفسها علينا .

ويكفي اليوم ان نجز هذه الثورة الثقافية كي نصبح بلداً اشتراكياً بصورة كلية . بيد انها تعرض علينا مصاعب لا تصدق ، من مرتبة ثقافية خالصة (فنحن أميون) ، وكذلك من مرتبة مادية (ذلك انه لا بد ، كي نستطيع ان نصبح اناساً مثقفين ، من ان تكون وسائل الانتاج المادية قد حققت تطوراً معيناً ، لا بد ان نملك قاعدة مادية معينة) .

ف. لينين : « في التعاون » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثالث والثلاثون ،
ص : ٤٨٧ - ٤٨٨ .

في حقيقة الامر ، لم يبق امامنا « الا » ان نجعل سكاننا « متحضرين » بحيث يفهمون كل المحسنات التي يوفرها الانضمام المعمم الى التعاونيات ، وبحيث ينظمون هذا الانضمام . « الا » هذا وحده . وتلك هي كل الحكمة

التي تلزمنا في الوقت الحاضر كي تنتقل الى الاشتراكية . بيد ان « الا »
هذه تتطلب ثورة كاملة ، تتطلب مرحلة كاملة من التطور الثقافي عند الجماهرة
الشعبية .

ف. لينين : « في التعاون م » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثالث والثلاثون ،
ص : ٤٨٣ .

دور المثقفين في الثورة الثقافية

ان المهمة الاساسية المترتبة على العاملين في التعليم وعلى الحزب
الشيوعي ، الطليعة في النضال ، يجب أن تكون الاسهام في تربية وتعليم
الجماهير العاملة في سبيل التغلب على العادات القديمة ، وانماط الروتين
القديمة الموروثة عن النظام القديم ، انماط روتين وعادات الملاكين التي
تغلغلت عميقا في الجماهير . ان هذه المهمة الاساسية للثورة الاشتراكية
يكاملها لا يجوز ان تهمل قط عند تفحص المسائل المخصوصة التي استوقفت
خلال زمن طويل انتباه لجنة الحزب المركزية ومجلس مفوضي الشعب .

ف. لينين : « خطاب في اجتماع روسيا لقيادات
التعليم السياسي قرب فروع الاقاليم والسواحي
للتعليم العام ، بتاريخ ٣ تشرين الثاني ١٩٢٠ » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي
والثلاثون ، ص : ٢٨٠ .

تحطيم مقاومة الراسماليين ، لا المقاومة العسكرية والسياسية فحسب ،
بل المقاومة الايديولوجية ايضا ، وهي المقاومة الاعمق والاشد ، تلك هي
مهمتنا . ويعود الى شغيلتنا في التعليم ان يتصدوا لاعادة تثقيف الجماهير
هذه . وان الاهتمام الذي تبديه هذه الجماهير ، وطموحها الى التعلم
والى معرفة الشيوعية ، هما عربون انتصارنا في هذا الميدان ايضا ، ولعله

انتصار أبطأ منه في الجبهة ، وربما أصعب ، بل تتخلله الانتكاسات ، لكننا نحن الذين سوف ننتصر في آخر المطاف .

ف. لينين : « خطاب في اجتماع روسيا لقيادات التعليم السياسي قرب فروع الاقاليم والنواحي للتعليم العام ، بتاريخ ٣ تشرين الثاني ١٩٢٠ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٣٨٦ .

ان جيش المعلمين يجب ان يضع نصب عينيه المهمات العملاقة للتعلم ، ويجب قبل كل شيء ان يصبح الجيش الرئيسي للتعليم الاشتراكي . . . ان من واجب المعلمين ان يختلطوا بكتلة الشغيلة المنخرطين في النضال . ان رسالة التربية الجديدة هي ربط نشاط المعلمين بمهمات التنظيم الاشتراكي للمجتمع .

ف. لينين : « خطاب في المؤتمر الاول للمعلمين الامميين في روسيا ، بتاريخ ٥ حزيران ١٩١٨ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٤٧١ .

* * *

الفصل الثامن

الثورة الاشتراكية والمسألة القومية

لا يمكن للثورة الاجتماعية ان تحدث الا في شكل عصر يجمع بين الحرب الاهلية للبروليتاريا ضد البورجوازية في جميع البلدان المتقدمة وبين سلسلة كاملة من الحركات الديمقراطية والثورية ، بما فيها حركات التحرر الوطني ، في الامم المتطورة ، والمتخلفة ، والمضطهدة .

لماذا ؟ لأن الرأسمالية تتطور بصورة متفاوتة ، ولأن الواقع الموضوعي يبين لنا ، الى جانب الامم الرأسمالية العالية التطور ، سلسلة كاملة من الامم المتطورة بصورة بالغة الضعف او غير المتطورة على الاطلاق من وجهة النظر الاقتصادية .

ف. لينين : « كاريكاتور للماركسية وبخصوص
النزعة الاقتصادية الامبريالية » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثالث والعشرون ،
ص : ٦٤ .

الامم هي منتجات حتمية للعصر البورجوازي

ان الامم منتج وشكل حتمي للعصر البورجوازي من تطور المجتمعات .
وما كان في مقدور الطبقة العاملة ان تتقوى ، ويشد عودها ، وتشكل ،

دون ان « تنتظم في اطار الامة » ، دون أن تكون « وطنية » (« وان لم يكن ذلك بالمعنى البورجوازي للكلمة على الاطلاق ») . غير ان تطور الرأسمالية يحطم بلا انقطاع الحواجز القومية ، ويدمر العزلة القومية ، ويستعيب عن التناحرات القومية بالتناحرات الطبقيّة .

ف. لينين : « كارل ماركس » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والعشرون ، ص : ٦٨ .

في العالم بأسره ، كانت مرحلة الانتصار الحاسم الذي حققته الرأسمالية على الاقطاعية مرتبطة بحركات قومية . وان الاساس الاقتصادي لهذه الحركات هو أن النصر التام للانتاج التجاري يتطلب استيلاء البورجوازية على السوق الداخلية ، وتجميع الاراضي التي يتكلم سكانها لغة واحدة في احضان دولة واحدة ، وحذف كل عقبة ذات طبيعة يمكن ان تعوق تطور هذه اللغة وتكريسها بادب . أن اللغة هي أهم وسيلة للاتصال بين البشر . وان وحدة اللغة والتطور الحرهما من بين أهم شروط تجارة حرة حقا ، وعريضة حقا ، ومقابلة للرأسمالية الحديثة ، لتجمع السكان الحر والواسع في كل طبقة مأخوذة على حدة ؛ وهما أخيرا شرط الارتباط الوثيق بين السوق وكل رب عمل ، كبير أو صغير ، وكل بائع وكل شاعر .

ان تكوين الدول القومية التي تلبى على افضل وجه هذه المتطلبات الخاصة بالرأسمالية الحديثة هو اذن اتجاه خاص بكل حركة قومية . وان العوامل الاقتصادية الاعمق تسهم في ذلك ؛ وبالنسبة الى اوروبا الغربية - والاكثر من ذلك أيضا : بالنسبة الى العالم المتحضر بأسره - فان ما هو نموذجي وطبيعي في المرحلة الرأسمالية هو الدولة القومية اذن .

ف. لينين : « في حق الامم في تقرير المصير » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد العشرون ، ص : ٤١٨ - ٤١٩ .

الاتجاهان التاريخيان للمسألة القومية

تعرف الرأسمالية في سياق تطورها اتجاهين تاريخيين فيما يتعلق بالمسألة القومية . ويقوم الاتجاه الاول في بقطة الحياة القومية والحركات القومية ، والنضال ضد كل اضطهاد قومي ، وخلق دول قومية . ويقوم الاتجاه الثاني في نمو وتكاثر العلاقات من شتى الانواع بين الامم ، وفي دعم الحواجز القومية وخلق وحدة دولية للرأسمال ، للحياة الاقتصادية عامة ، للسياسة ، والعلم ، الخ .

ان هذين الاتجاهين يشكلان القانون العمومي للرأسمالية . وسيطر الاتجاه الاول في مطلع تطورها ، ويميز الاتجاه الثاني الرأسمالية التي باتت فاضحة والتي تسير نحو تحولها الى مجتمع اشتراكي . وان برنامج الماركسيين القومي يأخذ بعين الاعتبار هذين الاتجاهين حين يدافع ، في المحل الاول ، عن مساواة الامم واللغات ، ومعارضة كل امتياز كائنا ما كان من هذه الوجهة (ويدافع ايضا عن حق الامم في تقرير مصيرها ، الامر الذي سنتحدث عنه فيما بعد) ؛ وحين يدافع ، في المحل الثاني ، عن مبدأ الاممية والنضال الحازم ضد إفساد البروليتاريا بالثرعة القومية البورجوازية ، حتى اذا كانت اشد النزعات القومية صفاء .

لد لينين : ملاحظات نقدية على المسألة القومية ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
المشرون ، ص : ٢٠ .

حين نحلل مسألة اجتماعية ، فان النظرية الماركسية تتطلب بكل وضوح ان توضع هذه المسألة في اطار تاريخي معين ؛ ومن ثم ، انا كسان المتصود بلدا واحدا (البرنامج القومي لبلد معين على سبيل المثال) أن تؤخذ بعين الاعتبار الخصائص الحسية التي تميز هذا البلد من البلدان الاخرى في حدود نفس المرحلة التاريخية الواحدة .

ما الذي يمثله هذا المطلب الواضح للماركسية ، مطبقا على المسألة التي تعيننا ؟

قبل كل شيء ، ضرورة اقامة تمييز صارم بين مرحلتين من الرأسمالية تختلفان بصورة جذرية من وجهة نظر الحركات القومية . من جهة واحدة ، المرحلة حيث تنهار الاقطاعية والحكم المطلق ، وحيث يتشكل مجتمع ودولة ديموقراطيان بوجوازيان ، وحيث تصبح الحركات القومية للمرة الاولى حركات جماهيرية وتجرف بطريقة او بأخرى جميع طبقات السكان في الحياة السياسية بواسطة الصحافة ، وبلاشتراك في المؤسسات التمثيلية ، الخ ؛ ومن جهة ثانية ، المرحلة حيث تشكلت الدول الرأسمالية تماما ، بنظام دستوري مقرر منذ زمن طويل ، وحيث التضاد قد تطور بشدة بين البروليتاريا والبورجوازية ، وهو العصر الذي يمكن ان نسميه عشية انهيار الرأسمالية .

ان ما هو نموذجي بالنسبة الى المرحلة الاولى هو يقظة الحركات القومية حيث تنجرف الطبقة الفلاحية ، وهي شريحة السكان الاكثر عددا و « الاصعب على التحريك » ، باعتبار النضال في سبيل الحرية السياسية عامة وفي سبيل الحقوق القومية خاصة . وان ما هو نموذجي بالنسبة الى المرحلة الثانية هو انعدام الحركات الديموقراطية البورجوازية الجماهيرية، هذا بينما الرأسمالية النامية ، اذ تقارب وتجمع أكثر فأكثر بين الامم التي سبق فانجرفت كليا في الدورة التجارية ، تضع في المستوى الاول التضاد بين الرأسمال المنصر على النطاق الدولي والحركة العاملة الاممية

ف. لينين : في حق الامم في تقرير المصير ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلس
المشرون ، ص : ٤٢٣ - ٤٢٤ .

بصورة مشتركة وأن يعاوضوا التحالف الاخوي لبورجوازية جميع الامم
بالتحالف الاخوي لعمال جميع الامم .

ك. ماركس وف. انجلز : « عن بولونيا » ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية ، المجلد الرابع ،
ص : ٣٧٣ .

ان ما لم يكن في مكتة عمال بوهيميا من القوميتين سوى أن يشهروا
به في ذلك العصر ، فانهم يعرفونه اليوم . انهم يعرفون ان جميع النزاعات
بين القوميات ليست ممكنة الا تحت سيطرة الزراعيين الاقطاعيين
والراسماليين الكبار ، وانها لا تخدم سوى لتأييد هذه السيطرة ، وان
العمال التشيكيين والالمان نفس المصالح المشتركة ، وأنه حلما تحصل الطبقة
العاملة على السيطرة السليمية ، فان كل ذريعة للخلاف القومي تسقط
اذن . ذلك ان الطبقة العاملة اممية بطبيعتها ، وهي ستثبت ذلك من جديد
في هذه اليوم الاول من ايار .

ف. انجلز : « الى الرماق التشيكيين من اجل
الاول من ايار » ، مؤلفات ماركس وانجلز ، برلين ،
المجلد الثاني والعشرون ، ص : ٤٠٣ .

... إن سائر الجمعيات والافراد المنضمين اليها (الرابطة الاممية) ...
سيعترفون بالحقيقة ، والعدالة ، والاخلاق ، على أنها أساس سلوكهم
حيال بعضهم بمضا وحيال جميع البشر ، دون تمييز في اللون ، والعقيدة ،
والقومية .

ك. ماركس : « الانظمة العامة لرابطة الشفيلة
الاممية » ، في ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات
المختارة في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ،
المجلد الاول ، ص : ٤٠٤ .

عن القومية البورجوازية والاممية البروليتارية

ليست شوفينية البورجوازية سوى غرور يضفي تنكرا قوميا على جميع ادعاءاتها الخاصة . وانها لتخدمها ، بواسطة جيوش دائمة ، في الابقاء على الصراعات الدولية بصورة دائمة ، وعلى استعباد المتجنين في كل بلد باثارتهم ضد اخوتهم في كل بلد آخر ؛ وتلك وسيلة من اجل منع التعاون الابمي للطبقات الكادحة ، هذا التعاون الذي هو شرط تحررها الاول .

ك. ماركس : الحرب الاهلية في فرنسا ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٢٢٦ .

... عندما نقرا الصحف الروسية ، يمكن أن نفكر أن روسيا بأسرها تتحمس لسياسة الفتح القيصري : فكل ما فيها شوفينية وسلافية جامعة ، ونداءات من أجل تحرير المسيحيين من النير التركي والسلاف من النير الجرمانى - الماجياري . لكن الجميع يعرفون اولا ما هي العقبات المفروضة على الصحافة الروسية ؛ ثانيا ، ان الحكومة قد رعت طوال سنين هذه الشوفينية وهذه السلافية الجامعة في سائر المدارس ؛ وثالثا ، ان هذه الصحافة لا تعبر ، بقدر ما تعبر على العموم عن رأي مستقل ، سوى عن الحالة الذهنية للسكان المدنيين ، يعنى البورجوازية الوليدة التي لها مصلحة بصورة طبيعية تماما في فتوحات جديدة بوصفها وسائط من اجل توسيع لسوق الروسية .

ف. انجلز : « السياسة الخارجية للقيصرية الروسية » ، مؤلفات ماركس وانجلز ، برلين ، المجلد الثانى والعشرون ، ص : ٤٤ .

نظرا لان وضع العمال هو نفسه في سائر البلدان ، ولان مصالحهم تماثلة ، ولان لهم نفس الاعداء ، فان من واجبهم بنتيجة ذلك ان يناضلوا

إن القومية البورجوازية والاممية البروليتارية شعاران متعارضان بصورة لا هوادة فيها يقابلان المسكرين الطبقيين الكبارين للعالم الراسمالي ويمبران عن سياستين (وأكثر من ذلك : مفهومين عن العالم) في المسألة القومية . وحين يدافع البونديون (٣٩) عن شعار الثقافة القومية ، حين يقيمون عليه خطة كاملة والبرنامج العملي لما يسمى « الاستقلال الوطني الثقافي » ، فانهم ينشرون في حقيقة الامر النزعة القومية البورجوازية في الوسط العمالي .

ف. لينين : « ملاحظات نقدية على المسألة القومية » ، **الوثائق الكاملة** ، باريس - موسكو ، المجلد العشرين ، ص : ١٩ .

إن الماركسية متنافرة مع النزعة القومية ، حتى « أحقها » و « أنقأها » وأصفأها وأكثرها تحضرا . فالماركسية تضع ، في مكان أي نزعة قومية ، الاممية أو انصار جميع الامم في وحدة عليا تتطور تحت انظارتنا مع كل فرسخ جديد من الخطوط الحديدية ، وكل تروست دولي جديد ، وكل رابطة عمالية (أممية بنشاطها الاقتصادي ، وكذلك بأفكارها وطموحاتها) .

إن مبدأ القومية محتم تاريخيا في المجتمع البورجوازي ، والماركسي يعترف كل الاعتراف ، أخذا هذا المجتمع بعين الاعتبار ، بالشرعية التاريخية للحركات القومية . لكن هذا الاعتراف يجب أن يقتصر بصورة صارمة ، حتى لا يتحول الى تمجيد القومية ، على ما هو تقدمي في هذه الحركات ، كي لا يؤدي هذا الاعتراف الى تعمية الوجدان البروليتاري بالايديولوجية البورجوازية .

إن يقظة الجماهير الخارجة من الهمود الاقطاعي يقظة تدريجية ، مثلها مثل نضالها ضد كل اضطهاد قومي ، في سبيل سيادة الشعب ، في سبيل سيادة الامة . ومن هنا كان الواجب المطلق المترتب على الماركسي في الدفاع ع

النزعة الديمقراطية الأشد حزماً والأكثر تعميماً ، في جميع مظاهر القضية القومية . وتلك مهمة سلبية بالخاصة . ولا تستطيع البروليتاريا أن تضي ما وراء ذلك فيما يتعلق بدم النزعة القومية ، ذلك أن نشاط **البورجوازية** « الإيجابي » يبدأ ما وراء ذلك ، وهو النشاط الذي يستهدف **توطيد** النزعة القومية .

نزع كل نير اقطاعي ، وكل اضطهاد للامم ، وجميع الامتيازات العائدة الى احدى الامم او احدى اللغات ، ذلك هو الواجب المطلق المترتب على البروليتاريا بوصفها قوة ديمقراطية ، والمصلحة المطلقة للنضال الطبقي البروليتاري ، هذا النضال الذي يتعرض للتعمية والتأخير بفعل النزاعات القومية . بيد أن مساعدة القومية البورجوازية فيما وراء هذا الاطار المحدود بصورة صارمة والواقع في متن تاريخي معين بكل وضوح معناه خيانة البروليتاريا والانحياز الى جانب البورجوازية . ان ههنا خطأ فاصلاً ما اغلب ما يكون رقيقاً جداً ينسائه البونديون والاوكرانيون القوميون الاجتماعيون كل النسيان .

النضال ضد كل نير قومي ؟ أجل ، بالتأكيد . النضال في سبيل كل تطور قومي ، في سبيل « الثقافة القومية » على العموم ؟ كلا ، بالتأكيد . ان التطور الاقتصادي للمجتمع الرأسمالي يظهر لنا في العالم اجمع امثلة عن الحركات القومية المتطورة بصورة ناقصة ، امثلة عن تشكيل امم كبرى بانصهار بعض الامم الصغرى او بصورة ضارة بها ، امثلة عن تمثيل امم . ان مبدأ القومية البورجوازية هو تطور القومية عامة ، ومن هنا كان الطابع المانع للنزعة القومية البورجوازية ، والخصومات القومية التي لا مخرج منها . واما البروليتاريا فهي أبعد ما تكون عن الرغبة في الدفاع عن التطور القومي لكل امة ، بل على العكس من ذلك تحذر الجماهير من مثل هذه الاوهام ، وتنادي بالحرية الاكمل للمبادلات الرأسمالية ، وتحيي كل تمثيل للامم ، باستثناء التمثيل القسري او التمثيل الذي يعتمد على امتيازات .

تكريس القومية باحتوائها في « حدود سليمة » ، و « تشكيل » القومية ، ورفع حواجز متينة ودائمة بين جميع الامم بواسطة جهاز دولة خاصة : تلك هي القاعدة الايدولوجية والمضمون للاستقلال الذاتي القومي الثقافي . وان هذه الفكرة لبورجوازية من اولها الى آخرها وخاطئة من اولها الى آخرها . ان البروليتاريا لا تستطيع ان تقدم دعماً الى أي تكريس للقومية ؛ بل الامر على النقيض من ذلك ، فهي تدعم كل ما يساعد على محو الفوارق القومية وعلى اسقاط الحواجز القومية ، كل ما يجعل الارتباط بين القوميات اوثق اكثر فأكثر ، كل ما يقود الى انصهار القوميات . وان العمل بصورة مغايرة لذلك معناه الانحياز الى صفوف البورجوازية الصغيرة القومية الرجعية .

ف. لينين : « ملاحظات نقدية على المسألة القومية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد العشرون ، ص : ٢٧ - ٢٩ .

... ان كل نزعة قومية بورجوازية ليبرالية تفسد بعمق البيئة العمالية وتسيء اساءة كبيرة الى قضية الحرية والى قضية النضال الطبقي البروليتاري . ويزداد هذا الامر خطراً بقدرما يتخفى الاتجاه البورجوازي (والاتجاه البورجوازي الاقطاعي) تحت شعار « الثقافة القومية » . فباسم الثقافة القومية ، الروسية الكبرى والبولونية واليهودية والاوكرانية ، الخ ، ينجز المائة السود والاكليبيكيون ، وكذلك بورجوازيو جميع الامم ، عملاً رجعياً دنيئاً .

ف. لينين : « ملاحظات نقدية على المسألة القومية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد العشرون ، ص : ١٥ .

... ان العمال الواعين يبدلون جهدهم لرفض كل نزعة قومية ، سواء اكانت النزعة القومية الفظة ، العنيفة ، على طريقة المائة السود ، ام النزعة القومية المصفاة ، تلك التي تبشر بالمساواة في الحقوق بين الامم

في نفس الوقت الذي تبشر فيه ... بتعزيز المسكر العمالي والمنظمات
العمالية والحركة العاملة حسب القوميات . فحين يطبقون القرارات
المتخذة في اجتماع الماركسيين الاخير (صيف ١٩٣١) لا يدافعون ، خلافا
لجميع فئات البورجوازية القومية ، عن المساواة في الحقوق الاكمل والاحزم
فحسب ، هذه المساواة البالغة اقصاها بين الامم وبين اللغات ، بل كذلك
عن انصهار الجماهير الكادحة للقوميات المختلفة في شتى انواع التنظيمات
البروليتارية الوحيدة .

وهما يكمن الفارق الجذري بين برنامج الماركسية القومي وبرنامج
اي بورجوازية كانت ، حتى الاكثر « تقدما » .

ف. لينين « افساد العمال بنزعة قومية مصفاة » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلس
المشرون ، ص : ٢٠١ - ٢٠٢ .

ان مصالح الطبقة العاملة - مثلها مثل مصالح الحرية السياسية
عامة - تتطلب المساواة الاتم في الحقوق بين جميع القوميات دونما استثناء،
في داخل دولة معينة ، والغاء اي فصل بين الامم ، وجمع الاطفال من مختلف
الامم في مدارس وحيدة ، الخ . ولا تستطيع الطبقة العاملة ان تصبح قوة،
وان تصد الراسمال وتنال تحسينا جديا في حياتها الا اذا رفضت جميع
المستبقات القومية الهمجية والسخيفة ووحدت في قلب اتحاد واحد عمال
جميع الامم .

انظروا قليلا الى الراسماليين : انهم يبذلون جهدهم لتسعير الحقد
القومي عند « الشعب البسيط » ، واما هم فانهم يعرفون على خير وجه
كيف يديرون دفتهم : ففي نفس الشركة الواحدة للمساهمين يتجانب روس
واوكرانيون وبولونيون ويهود والمان . واننا لنجد الراسماليين من جميع

الامم وجميع الاديان متحدين ضد العمال ، واما العمال ، فان المساعي تبذل
للتفريق فيما بينهم وازعاجهم بالحقد القومي !

ف. لينين : « تأميم مدرسة يهودية » ، **المؤلفات الكاملة** ،
الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد التاسع عشر ، ص : ٢٧٥ .

يوجد في اي نزعة قومية بورجوازية لدى امة مضطهدة مضمون
ديموقراطي عام موجه ضد الاضطهاد ؛ وان هذا المضمون هو الذي تدعمه
دون اية قيود ، ونحن نفضله في الوقت نفسه بصورة حازمة من الاتجاه الى
الانفراد القومي ، ونحن نناضل ضد اتجاه البورجوازي البولوني الي سحق
اليهودي ، الخ ، الخ .

وليس هذا « عمليا » من وجهة نظر البورجوازي ومن وجهة نظر
المراي . انها السياسة الوحيدة العملية المطابقة للمبادئ في المسألة القومية ،
السياسة التي تشجع بصورة فعلية ، الديمقراطية ، والعربية . واتحاد
البروليتاريين .

ف. لينين : « في حق الامم في تقرير المصير » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
العاشر ، ص : ٢٣٥ .

ان العامل الواعي لا يستشعر ويعتقد فحسب انه عضو في العائلة
الماركسية الروسية ، بل يفهم انه كذلك عضو في عائلة الماركسيين الالمانية .

ف. لينين : « العمال الروس والاممية » ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة : المجلد
الرابع والعشرون ، ص : ٢٠١ .

... يجب على الاشتراكية الديمقراطية ان تحذر البروليتاريا
والطبقات الكادحة من جميع القوميات بصورة حازمة كي لا تخضع

بالشعارات القومية التي تطلقها بورجوازيته الخاصة التي تبذل جهدها ،
بأحاديث معسولة او لاهبة عن « الوطن » ، كي تقسم البروليتاريا وتحول
انتباهها عن محاولاتها للتحالف الاقتصادي والسياسي مع بورجوازيات
الامم الاخرى والملكية القيصرية .

ان البروليتاريا لا تستطيع ان تخوض النضال من اجل الاشتراكية ولا
ان تدافع عن مصالحها الاقتصادية اليومية دون الاتحاد الاوثق والاكمل بين
عمال جميع الامم في جميع التنظيمات العمالية دونما استثناء .

ولا تستطيع البروليتاريا ان تحصل على الحرية الا عن طريق النضال
الثوري في سبيل القضاء على الملكية القيصرية والاستعاضة عنها بالجمهورية
الديموقراطية . ان الملكية القيصرية تنهى الحرية والمساواة بين القوميات ؛
وهي فضلا عن ذلك الحصن الرئيسي للهمجية والقسوة الرجعية ، سواء في
اوروبا ام في آسيا . والحال ان هذه الملكية لا يمكن الاطاحة بها الا من قبل
البروليتاريا المتحدة لجميع الامم في روسيا ، التي تقود العناصر المخلصة
لليوموقراطية والمستعدة للنضال الثوري ، والمنحدرة من الجماهير الكادحة
لجميع الامم .

ولذا فان العامل الذي يضع الاتحاد السياسي مع بورجوازية « أمتة »
فوق الاتحاد المطلق مع البروليتاريين من جميع الامم يتصرف ضد مصالحه .
و ضد مصالح الاشتراكية ومصالح الديموقراطية .

ف. لينين : « موضوعات من المسألة القومية » ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد
التاسع عشر ، ص : ٢١٥ .

عَنْ تَقْرِيرِ الْمَصِيرِ وَالْمَسَاوَاةِ بَيْنِ الْأُمَمِ

ان علاقات الامم المختلفة فيما بينها تتوقف على مرحلة التطور التي

بلفتها كل منها فيما يتعلق بالقوى المنتجة وتقسيم العمل والعلاقات الداخلية .
وان هذا المبدأ معترف به بصورة عمومية .

ك. ماركس وف. انجلز : **الأيديولوجية الألمانية** ،
المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ١٢ .

بفضل النهضة التي عرفتها الصناعة الكبيرة في جميع البلدان ، أوجد
النظام البروجوازي في كل مكان ، خلال السنوات الخمس والأربعين الأخيرة ،
بروليتاريا كثيرة العدد ومتمركزة وقوية . وهكذا أوجد ، كما يقول **البيان** ،
حفاري قبره . وبدون إعادة الوحدة والاستقلال لكل أمة ، يستحيل تحقيق
اتحاد البروليتاريا من مختلف الأمم أو تحقيق التعاون السلمي والواعي بين
هذه الأمم في سبيل الأهداف المشتركة .

ف. انجلز : « مقدمة الطبعة الإيطالية لعام
١٨٩٢ من بيان **الحزب الشيوعي** » ، في ك. ماركس
وف. انجلز ، **البيان الشيوعي** ، منشورات دار
نشق ، ١٩٦٦ ، ص : ٣٧ .

ان هذا الحق الذي تملكه التشكيلات القومية الكبرى في أوروبا في
الاستقلال السياسي ، المعترف به من الديمقراطية الأوروبية ، كان يجب
بصورة طبيعية ان يلقى الاعتراف نفسه من جانب الطبقة العاملة بصورة
مخصصة تماما . وبالفعل فانه لم يكن شيئا آخر سوى الاعتراف للامم
الأخرى المديدة والقابلة للحياة بهذا الحق نفسه في الوجود القومي المستقل
الذي كان العمال في كل بلد يطالبون به لانفسهم .

ف. انجلز : « فيما تعني بولونيا الطبقة
العاملة ؟ » ، مؤلفات ماركس وانجلز ، برلين ،
المجلد السادس عشر ، ص : ١٥٧ .

ما هي اسباب هذا الاهتمام المخصوص الذي يقفه الحزب العمالي
على مصائر بولونيا ؟

اولاً ، وهذا امر طبيعي ، العطف حيال شعب مستعبد برهن بنضال بطولي ومتصل ضد مستعديه على حقه التاريخي في الاستقلال الوطني وتقرير المصير ، وليس ثمة اي تناقض على الاطلاق في حقيقة ان الحزب العمالي الاممي يطالب باعادة تكوين الامة البولونية . ان الامر على النفيض من ذلك : فحين تستعيد بولونيا استقلالها ، حين تعود من جديد سيدة مصائرهما على اعتبارها امة مستقلة ذاتيا ، عندئذ فقط يستأنف تطورها الداخلي وتستطيع ان تجلب اسهامها الاصيل في تحول اوربا الاجتماعي . فما دام شعب قابل للحياة مقيداً بالاغلال من قبل غازٍ اجنبي ، فانه يحول بالضرورة كل عنفوانه وجميع جهوده وكامل طاقته ضد العدو الخارجي ؛ وما دامت حياته الداخلية مشلولة على هذا الفرار ، فانه عاجز عن النضال في سبيل التحرر الاجتماعي ، وان إيرلندا ، وروسيا في ظل السيادة المغولية ، الخ ، توفران البراهين البليغة على ذلك .

ف. انجلز : « من أجل بولونيا » ، مؤلفات
ماركس وانجلز ، برلين ، المجلد الثامن عشر ،
ص : ٥٧٤ .

لا يمكن لاي امة ان تصبح حرة وهي تواصل اضطهاد امة اخرى .

ك. ماركس وف. انجلز : « عن بولونيا » ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الثانية ، المجلد
الرابع ، ص : ٣٧٢ .

إن شعباً يضطهد شعباً آخر لا يمكن أن يكون حراً .

ف. انجلز : « نصوص الاعتراض » في ك. ماركس
وف. انجلز ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية
الثانية ، المجلد الثامن عشر ، ص : ٥٠٩ .

إن شعباً يضطهد شعباً آخر يصنع اغلاله الخاصة

... اذا غضضنا النظر عن اي عدالة دولية ، فإنه شرط اولي لتحرر الطبقة العاملة الانكليزية ان تحول الاتحاد القهري - يعني عبودية ايرلندا - الى اتحاد فدرالي متساوٍ وحر إذا أمكن ، والى انفصال تام اذا لزم ...

ك. ماركس : « ملاحظة سرية » ، في ك. ماركس وف. انجلز : « نصوص عن الاستعمار » ، المنشورات باللغات الاجنبية ، موسكو ، ص : ٣٢٢ .

لقد توصلت الى قناعة متعاطمة - والقضية هي تشريب الطبقة العاملة الانكليزية بهذه القناعة - بان هذه الطبقة لا تستطيع ان تصنع شيئاً حاسماً هنا في انكلترا ما لم تفصل سياستها تجاه ايرلندا بصورة حازمة عن سياسة الطبقات الحاكمة ، حتى لا تتضافر مع الايرلنديين فحسب ، بل تتخذ بصورة فعلية المبادرة من اجل حل الاتحاد المقام عام ١٨٠٠ والاستعاضة عنه برابطة فيدرالية حرة . ويجب أن يصنع ذلك ليس على اعتباره مسألة تعاطف مع ايرلندا ، بل على اعتباره مطلباً مقدماً في صالح البروليتاريا الانكليزية . واذا لم يتم ذلك ، فان الشعب الانكليزي سيظل مربوطاً الى قيود الطبقة الحاكمة ، لانه سيضطر الى التضافر معها في جبهة واحدة ضد ايرلندا . ان كل حركة يقوم بها في انكلترا نفسها تشل بفعل النزاع مع الايرلنديين الذين يشكلون قطاعاً بالغ الأهمية من الطبقة العاملة في انكلترا . إن الشرط الاول للتحرر هنا - إسقاط الاوليغارشية العقارية البريطانية - يظل مستحيلاً لان مواقعها هنا لا يمكن نسفها طالما احتفظت بالمواقع الامامية الحصينة في ايرلندا .

ك. ماركس : « رسالة الى ل. كوريلان بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني ١٨٦٩ » ، في ك. ماركس وف. انجلز ، في الاستعمار ، منشورات دار دمشق ، ص : ٢٤٧ .

بعد انشغالي بالقضية الايرلندية لبضع سنوات انتهيت الى هذه النتيجة ، الا وهي ان الضربة الحاسمة ضد الطبقات الحاكمة الانكليزية

و لسوف تكون حاسمة بالنسبة الى الحركة العمالية في جميع انحاء العالم ؛
لا يمكن توجيهها في انكلترا ، بل في ايرلندا وحدها .

وفي الاول من كانون الثاني ١٨٧٠ ، اصدر المجلس العام نشرة سرية
حررتها شخصياً باللغة الفرنسية (ذلك ان الصحف الفرنسية لا الالمانية هي
التي تؤثر في انكلترا) عن العلاقة بين النضال الوطني الايرلندي وبين تحرر
الطبقة العاملة ، وبالتالي عن الموقف الذي يجب أن تتخذه الرابطة الاممية
تجاه المسألة الايرلندية .

وسوف اقدم اليكما هنا بكل اختصار النقاط الحاسمة من هذه
النشرة .

تشكل ايرلندا قلعة **الارستقراطية العقارية الانكليزية** . وليس استثمار
هذه البلاد اجد المصادر الرئيسية للرخاء المادي الذي تستمتع به
الارستقراطية فحسب ، بل هو قوتها المعنوية الكبرى . وبالفعل ، فانه يمثل
سيطرة انكلترا على ايرلندا ، وبالتالي فان ايرلندا هي الواسطة الكبرى التي
تحافظ بها الارستقراطية الانكليزية على **سيطرتها في انكلترا نفسها** .

ومن جهة اخرى ، فانه اذا انسحب الجيش والشرطة الانكليزيان من
ايرلندا غداً ، فان ثورة زراعية سوف تقوم هنا في الحال . بيد أن الاطاحة
بالارستقراطية الانكليزية في ايرلندا تتضمن كنتيجة ضرورية الاطاحة بها في
انكلترا . وان هذا سوف يحقق الشرط المسبق للثورة البروليتارية في
انكلترا . إن دمار الارستقراطية العقارية الانكليزية في ايرلندا هو عملية أيسر
بما لا يقاس منها في انكلترا نفسها ، لأن **المسألة العقارية** في ايرلندا قد كانت
حتى الآن **الشكل** الوحيد للمسألة الاجتماعية ، لأنها مسألة وجود ، مسألة
حياة أو موت بالنسبة الى الغالبية العظمى من الشعب الايرلندي ، ولأنها
في الوقت نفسه غير قابلة للانفصال عن **المسألة الوطنية** . هذا اذا تركنا جانباً
كون الايرلنديين أشد حمية وأكثر ثورية بطبيعتهم من الانكليز . . .

وأخيراً ، اليكما أهم الامور قاطبة : إن كل مركز صناعي وتجاري في انكلترا يملك حالياً طبقة عاملة منقسمة الى معسكرين متعادين ، البروليتاريين الانكليز والبروليتاريين الايرلنديين . ان العامل الانكليزي العادي يكره العامل الايرلندي على اعتباره منافسا له يتسبب في تخفيض مستوى معيشته . وانه يشعر انه ، بالقياس الى العامل الايرلندي ، يشكل فرداً من الامة **الحاكمة** ، وبذلك يتحول الى أداة في يد الارستقراطيين والرأسماليين في بلاده **فد ايرلندا** ، بحيث يوطد سيطرتهم عليه **بالذات** . انه ينطوي على اوهام دينية واجتماعية وقومية تجعله ينتصب ضد العامل الايرلندي ، وموقفه حيال هذا العامل لاشبه بموقف « البيض الفقراء » حيال « الهيد » في الولايات العبودية السابقة للولايات المتحدة الاميركية . وان الايرلندي ليكيّل له الصاع صاعين ، فهو يرى في العامل الانكليزي شريك **الحكم الانكليزي في ايرلندا** واداته البلاء في الوقت نفسه .

إن هذا التضاد يحافظ عليه بصورة مصطنعة ويقوى من قبل الصحافة ، والمواعظ ، والمجلات الهزلية ، وباختصار من قبل جميع الوسائط المتوفرة لدى الطبقات الحاكمة . **إن هذا التضاد هو سرعجز الطبقة العاملة الانكليزية** ، على الرغم من تنظيمها ، السر الذي تحافظ بواسطته الطبقة الرأسمالية على سلطاتها ، الامر الذي تدركه هذه الطبقة على أفضل وجه . . .

. . . وهكذا فانه من واجب الاممية في كل مكان أن تجعل النزاع بين انكلترا وايرلندا في الطبيعة ، وأن تنحاز بصورة علنية في كل مكان الى ايرلندا . وأن المهمة الخاصة للمجلس المركزي في لندن هي ايقاظ الوعي لدى العمال الانكليزيان **تحرد ايرلندا اتوطني** ليس هو بالنسبة اليهم مسألة عدالة مجردة أو شعور انساني ، بل **الشرط الاول لتحردهم الاجتماعي الخاص** .

ك. ماركس : « رسالة الى سيففريد ميير واوغست فوخت » بتاريخ ٩ نيسان ١٨٧٠ » ، في ك. ماركس وف. انجلز ، في **الاستثمار** ، منشورات دار دمشق ، ص : ٣٥٢ - ٣٥٥ .

كيما تستطيع الشعوب ان تتحد حقاً ، فانه يجب أن تكون لها مصالح مشتركة . وكيما تكون مصالحها مشتركة ، فانه يجب أن تلقى علاقات الملكية القائمة ، ذلك أن علاقات الملكية هذه تشرط استثمار بعض الشعوب من قبل شعوب أخرى ، وليس لأحد مصلحة في الفاء علاقات الملكية القائمة سوى الطبقة العاملة . ولذا فإن الطبقة العاملة وحدها قادرة على تحقيق هذا الالغاء . ان انتصار البروليتاريا على البورجوازية يعني في الوقت نفسه تجاوز جميع النزاعات القومية والصناعية التي تولد الحقد بين الشعوب في الوقت الراهن . وهذا هو السبب في أن انتصار البروليتاريا على البورجوازية هو في الوقت نفسه اشارة تحرر جميع الامم المضطهدة .

ل. ماركس وف. انجلز : « من بولونيا » ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الثانية ، المجلد
الرابع ، ص : ٢٧١ .

... لا يمكن لاي ماركسي ان ينكر ، دون ان يفصل عن المبادئ الأساسية للماركسية وللإشتراكية عامة ، أن مصلحة الإشتراكية تأتي قبل حق الأمم في تقرير مصيرها .

ف. لينين : « اسهام في تاريخ سلم بانس » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
السادس والعشرون ، ص : ٤٦٩ .

... اما تعترف (البروليتاريا) بالمساواة في الحقوق وبحق متساو في تشكيل دولة قومية ، فانهما تضع فوق كل شيء تحالف بروليناريي جميع الأمم وتقدر من زاوية نضال العمال الطبقي كل مطلب قومي ، وكل انفصال قومي .

ف. لينين : « في حق الامم في تقرير المصير » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
العشرون ، ص : ٤٢٤ .

من غير المقبول الخلط بين حق الامم في تقرير المصير (يعني ضمانه) دستور الدولة لتدبير حل قضية الانفصال تديراً حراً وديموقراطياً) وبين مناسبة انفصال هذه الأمة أو تلك . ان من واجب الحزب الاشتراكي الديمقراطي ان يحسم هذه المسألة الاخيرة في كل حالة مخصوصة ببلد الاستقلال وباستلزام مصالح التطور الاجتماعي بكامله ومصالح نضال البروليتاريا الطبقي في سبيل الاشتراكية .

ف. لينين : « قرارات اجتماع اللجنة المركزية للحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي في روسيا ، الموسع لمسؤولي الحزب ، في صيف عام ١٩١٣ » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد التاسع عشر ، ص : ٢٨٦ .

إن حق الامم في تقرير مصيرها يعني بصورة مانعة حقها في الاستقلال الوطني ، و في الانفصال السياسي الحر عن الامة التي تضطهدها . وان هذا المطلب للديموقراطية السياسية يعني ، بصورة حسية ، الحرية التامة في الدعاية من أجل الانفصال وحل هذه القضية بواسطة استفتاء في قلب الامة التي تنفصل . وهكذا فليس لهذا المطلب البتة نفس المفزى الذي يملكه مطلب الانفصال ، والتجزئة ، وتشكيل دول صغيرة . فليس هو سوى التعبير الحاسم عن النضال ضد كل اضطهاد قومي . وكلما كان النظام الديمقراطي لدولة ما أقرب الى حرية الانفصال التامة كانت الاتجاهات الى الانفصال أندر وأضعف في الممارسة ، ذلك أن ميزات الدول الكبرى ، من وجهة نظر التعمد الاقتصادي ومصالح الجماهير على حد سواء ، هي ميزات لا يحوم أثنك حولها ، وهي تتزايد دون انقطاع مع تطور الرأسمالية . ان الاعتراف بعبداً تقرير المصير لا يعادل الاعتراف بعبداً الاتحاد الفدرالي .

ف. لينين : « الثورة الاشتراكية وحق الامم في تقرير مصيرها » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والعشرون ، ص : ١٥٨-١٥٩ .

وبنتيجة ذلك فاذا اردنا، دون ان نتلاعب بالتعريفات الحقوقية ، ودون ان « نخترع » مفاهيم تجريدية ، لكن بتحليل الشروط التاريخية الاقتصادية للحركات القومية ، ان نفهم ما هو التقرير الحر للامم ، فلا يمكن إلا ان ننتهي الى هذه النتيجة : إننا نقصد بالتقرير الذاتي للامم انفصالها على اعتبارها دولة عن الجماعيات القومية الاجنبية ، نقصد تشكيل دول قومية مستقلة .

ف. لينين : « في حق الامم في تقرير المصير »
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
المشرون ، س : ٤١٩ .

تريد البورجوازية في كل قضية وطنية إما امتيازات لامتها الخاصة وإما ميزات استثنائية لهذه الأمة ، وهذا ما يقصدونه من كون المرء « عملياً » .
إن البروليتاريا ضد كل امتياز ، وضد كل تفرد . اما المطالبة بان تكون « عملية » ، فهذا يعني السير في ركاب البورجوازية ، يعني السقوط في الانتهازية .

الجواب « بنعم او لا » على مسألة انفصال كل أمة ؟ هذا فيما يبدو مطلب « عملي » جداً . لكنه في حقيقة الامر مطلب سخيف ، مطلب ميتافيزيائي ، فيما يتعلق بمظهره النظري ، وهو عملياً يميل الى اخضاع البروليتاريا لسياسة البورجوازية . ان البورجوازية تضع على الدوام في المحل الاول مطالبها القومية الخاصة . وإنما لتصوغ هذه المطالب بصورة جازمة . وأما بالنسبة الى البروليتاريا ، فان هذه المطالب خاضعة لمصالح النضال الطبقي . ولا يمكننا ، نظرياً ، ان نجزم بصورة مسبقة ما اذا كان انفصال أمة ام مساواتها في الحقوق مع أمة أخرى هو الذي سيتوج الثورة الديمقراطية البورجوازية ؛ ومن المهم بالنسبة الى البروليتاريا ، في كلتا الحالتين ، ان تضمن تطور طبقتها الخاصة ؛ ومن المهم بالنسبة الى البورجوازية أن تعوق هذا التطور ، وذلك بامرار اغراض البروليتاريا بعد اغراض امتها الخاصة .

ولذا فان هذه البروليتاريا تقتصر على المطالبة بصورة سالبة اذا جاز التعبير بحق التقرير الحر ، دون ان تضمن شيئاً لاي امة ، ودون ان تقطع اي تمهد في موضوع امة اخرى .

ليس هذا « عملياً » ؟ فليكن . لكنه في واقع الامر افضل ضمانا لكثر الحلول الممكنة ديموقراطية ؛ إن ما يلزم البروليتاريا هو هذه الضمانات وحدها ، بينما بورجوازية كل امة ترغب في ان تحقق الضمانة لميزاتها ، دون اعتبار لوضع الامم الاخرى (بمساوته الممكنة) .

إن ما يهم البورجوازية قبل كل شيء هو « إمكانية تحقيق » مطلب معين ؛ ومن هنا كانت السياسة الابدية للاتفاقيات مع بورجوازية الامم الاخرى على حساب البروليتاريا . وأما البروليتاريا ، فانها تسعى الى تقوية طبقتها الخاصة ضد البورجوازية ، الى تثقيف الجماهير بروح ديموقراطية حاسمة وبروح الاشتراكية .

ف. لينين : « في حق الامم في تقرير المصير » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
المشرون ، ص : ٤٢٣ - ٤٢٤ .

ثلاثة أنماط للبلاد بالقياس الى حق الامم في تقرير المصير

يجب من هذه الوجة تمييز ثلاثة أنماط رئيسية للبلاد .

أولا - الرأسماليون المتقدمون لاوروبا الغربية والولايات المتحدة .
إن الحركات القومية التقدمية البورجوازية قد انتهت هنا منذ زمن طويل .
فكل امة من هذه الامم « الكبرى » تضطهد امماً اخرى في المستعمرات وفي داخل حدودها . وإن مهمات البروليتاريا في الامم السائدة هي في هذه البلاد، على وجه الدقة ، مهمات البروليتاريا الانكليزية في القرن التاسع عشر
يال ايرلندا ...

ثانياً - شرق أوروبا : النمسا ، والبلقان ، وروسيا على الاخص . إن الحركات القومية الديمقراطية البورجوازية قد تطورت في هذه البلدان في القرن العشرين بصورة خاصة ، واتخذ النضال القومي طابعا حادا فيها . وفي هذه البلدان لا يمكن لمهمات البروليتاريا ، سواء في سبيل إكمال التحويل الديمقراطي البورجوازي أو من أجل مساعدة الثورة الاشتراكية في البلدان الأخرى ، أن تنجز على خير وجه إذا لم تدافع فيها عن حق الأمم في تقرير المصير . وإن المهمة القائمة في انصهار نضال العمال الطبقي في الامم المضطهدة ونضال عمال الامم المضطهدة لهي مهمة عُسيرة بصورة مخصوصة وهامة بصورة مخصوصة في هذه البلدان .

ثالثا - البلدان نصف المستعمرة مثل الصين ، ويران ، وتركيا ، وجميع المستعمرات التي يشكل مجموعها حوالي ألف مليون من السكان . وهنا إما أن الحركات الديمقراطية البورجوازية قد بدأت لتوها وإما أنها بعيدة عن كونها قد وصلت الى غايتها . ولا يتوجب على الاشتراكيين ان يطالبوا فحسب بتحرر المستعمرات الفوري دون شرط ودون مقابل (وليس هذا المطلب ، في تعبيره السياسي ، شيئا آخر سوى الاعتراف بحق الأمم في تقرير مصيرها) ، بل يتوجب على الاشتراكيين ان يدعّموا بأحزم طريقة العناصر الأكثر ثورية من الحركات الديمقراطية البورجوازية للتحرر القومي في هذه البلدان ويساعدوا في انتفاضتها (أو في حربها الثورية إذا اقتضى الامر) ضد الدول الامبريالية التي تضطهدها .

ف. لينين : الثورة الاشتراكية وحق الامم في تقرير مصيرها ، المؤلفات الكاملة ، باريس-موسكو ، المجلد الثاني والعشرون ، ص : ١٦٢ - ١٦٥ .

... إن المطالبة بالاعتراف بحق تقرير المصير لكل قومية يعني فقط أنه يجب علينا ، بوصفنا حزب البروليتاريا ، أن نكون على الدوام وبصورة مطلقة

**مناهضين لكل محاولة تستهدف التأثير من الخارج بواسطة العنف أو بواسطة
الظلم على التقرير الحر للشعب .** واما نحقق دائماً هذا الواجب السلبي
(النضال والاحتجاج ضد العنف) ، فاننا نعني لمصلحتنا الخاصة بالتقرير
الذاتي لا للشعوب والأمم ، بل للبروليتاريا في كل قومية . وبهذه الصورة ،
فان البرنامج المشترك ، الاساسي والصالح في جميع الظروف ، للاشتراكيين
الديموقراطيين في روسيا يجب أن يستقيم فقط في المطالبة بمساواة تامة في
حقوق المواطنين (دون اعتبار للجنس والدين والعرق والقومية ، الخ . .) ،
وبحقهم في تقرير ذاتي حر وديموقراطي . واما فيما يتعلق بدعم مطالب
الاستقلال الذاتي القومي ، فليس هذا الدعم في حال من الاحوال إلزاماً دائماً ،
إلزاماً لبرنامج البروليتاريا . ان هذا الدعم لا يمكن أن يصبح محتماً بالنسبة اليها
الا في حالات مخصوصة استثنائية .

ف. لينين : « بخصوص بيان اتحاد الاشتراكيين
الديموقراطيين الارمن » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد السادس ، ص : ٢٦٤ .

... إن فقرة برنامجنا (عن التقرير الذاتي للامم) لا يمكن أن تفسر إلا
بمنحى التقرير الذاتي السياسي ، يعني حق الانفصال وتشكيل دولة مستقلة
ذاتياً ...

... إن اعتراف الاشتراكية الديمقراطية بحق جميع القوميات في التقرير
الذاتي يتطلب من الاشتراكيين الديموقراطيين :

٢ - أن يكونوا معادين بصورة مطلقة لكل استخدام للعنف ، في أي شكل
كان ، من قبل الأمة السائدة (أو المشكلة لغالبية السكان) ضد الأمة الراقبة
في تشكيل دولة متميزة ؛

ب - ان يطالبوا بحل قضية هذا الانفصال فقط بواسطة تصويت في

اقتراع عام ، مباشر ، متساوٍ وسري ، من جانب السكان اصحاب
العلاقة ؛

ج - أن يكافحوا دون هوادة الاحزاب فوق الرجعية الاوكتوبرية او
البورجوازية الليبرالية (« التقدميين » ، الكاديت ، الخ . .) كلما دافعت
او قبلت بالاضطهاد القومي عامة ، او بانكار حق الامم في التقرير الذاتي
خاصة . . .

. . . إن اعتراف الاشتراكيين الديموقراطيين بحق جميع القوميات في
التقرير الذاتي لا يعني ان الاشتراكية الديموقراطية تتخلى عن أن تقدر
باستقلال تام ملاءمة انفصال هذه الامة أو تلك في كل حالة مخصوصة. بل الامر
على النقيض من ذلك ، اذ يجب على الاشتراكيين الديموقراطيين أن يجلبوا
على وجه الدقة تقديرهم الخاص ، آخذين بعين الاعتبار سواء شروط تطور
الراسمالية واضطهاد بروليتاري الامم المختلفة من قبل البورجوازيين
المتحدين لجميع القوميات ، أم المهمات العامة للديموقراطية ، وفي المحل الاول
وقبل كل شيء مصالح نضال البروليتاريا الطبقي في سبيل الاشتراكية .

. . . حين تدافع الاشتراكية الديموقراطية بصورة حازمة عن النظام
السياسي الديموقراطي ، فانها تطالب بالمساواة المطلقة للامم وتناضل ضد
جميع الامتيازات ، كائنة ما كانت ، في مصلحة قومية واحدة او قوميات
متعددة . . .

. . . إن الاشتراكية الديموقراطية تطالب باصدار قانون من قبل
الدولة يحمي حقوق كل اقلية قومية في أي منطقة من البلاد . ووفقاً لاحكام
هذا القانون ، فان اي اجراء تسعى الغالبية القومية بواسطته السى أن
تخلق لنفسها امتيازاً قومياً أو أن تنقص حقوق اقلية قومية ما (في التعليم ،
واستخدام هذه اللغة أو تلك ، وفي الشؤون المالية ، الخ . .) ، يجب الطمن

به ، ومنع تطبيقه ، وجعل هذا التطبيق خاضعا لطائلة العقوبة .

ف. لينين : « موضوعات عن المسألة القومية »
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد
التاسع عشر ، ص : ٢١٣ - ٢١٦ .

اننا مؤيدون للاستقلال الذاتي لجميع القراء ، ونحن الى جانب حق الانفصال (وليس الى جانب انفصال الجميع !) . إن الاستقلال الذاتي هو الخطة الخاصة بنا من اجل تنظيم الدولة الديمقراطية . وليس الانفصال خطتنا في حال من الاحوال . نحن لا نبشر بالانفصال البتة . بيد اننا الى جانب الحق في الانفصال ، باعتبار ان النزعة القومية فوق الرجعية الروسية الكبيرة قد اذلت التساكن القومي إذلالاً عظيماً بحيث ستنشأ أحيانا بعد الانفصال الحر روابط أكثر مما كان قبله !

إن الحق في تقرير المصير استثناء لمبدئنا العام الخاص بالمركزية . وإن هذا الاستثناء لضروري بصورة مطلقة في مواجهة النزعة القومية فوق الرجعية الروسية الكبيرة ، وادنى تخلٍ عن هذا الاستثناء هو انتهازية (كما هي الحال بالنسبة الى روزا لوكسمبورغ) ، هو الانخداع ببلاهة يلعب النزعة القومية فوق الرجعية الروسية الكبيرة ، غير أن الاستثناء لا يمكن أن يكون موضوع تحليل واسع - ليس في هذا الموضوع ولا يجب أن يكون أي شيء ، أي شيء على الاطلاق ، أكثر من حق الانفصال .

ف. لينين : « رسالة الى س. شاداميان » ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد
التاسع عشر ، ص : ٤٥٤ - ٤٥٥ .

ان التربية الاممية لعمال البلدان المضطهدة . . ب بالضرورة ان تستقيم ، في المحل الاول ، في التبشير والدفاع عن مبدأ حرية انفصال البلدان المضطهدة . وإلا فلا اممية . إننا نملك الحق ويجب علينا ان نتمت بالامبريالي والتذل كل

اشتراكي ديموقراطي في اممضطهدة لا يقوم بهذه العناية . ويجب ان يطرح هذا المطلب بصورة مطلقة ، دون أي تحفظ ، حتى اذا لم تمثل **امكانية** الانفصال ولم تكن « قابلة للتحقيق » ، قبل قيام الاشتراكية، الا في حالة واحدة من الف حالة .

ان من واجبنا ان نمي عند العمال « اللامبالاة » حيال الفوارق القومية ، هذا امر لا ريب فيه . لكن ليس المبالاة التي يبشر بها **اللاحاقيون** . ان المرء الذي ينتسب الى اممضطهدة يجب ان يظل « لامبالياً » حيال مسألة معرفة ما اذا كانت بعض الامم الصغرى تشكل قسما من دولته او من دولة **مجاورة** ، ام انها مستقلة ، وفقاً لتعاطفاتها ؟ فاذا هو لم يكن « لامبالياً » حيال هذه المسألة ، **فليس** هو باشتراكي ديموقراطي . فكيفما يكون المرء اشتراكياً ديموقراطياً أمياً ، ينبغي له لا أن يفكر في امته الخاصة فحسب ، بل ينبغي ان يضع **فوقها** مصالح جميع الامم ، حريتها ومساواتها في الحقوق جميعاً . وان جميع الناس متفقون ، « نظرياً » ، على هذه النقطة ، لكنهم يظهرون في الممارسة بالضبط تلك اللامبالاة الخاصة باللاحاقين . وههنا يكمن اصل الشر .

وعلى العكس من ذلك ، فان الاشتراكي الديموقراطي في امة صغيرة يجب ان ينقل مركز ثقل تحريضه الى الكلمة **الاولى** من صيغتنا العامة : « **الاتحاد** المقبول بحرية » بين الامم . . . وانه يستطيع ، دون تقصير في واجباته كأمة ، ان يكون في وقت واحد مع استقلال امته السياسي ومع اندماجه في دولة مجاورة ، ص ، س ، ع ، الخ . غير انه ينبغي له في جميع الاحوال ان يناضل ضد **الذهنية الضيقة** للامة الصغيرة ، والاتجاه الى العزلة والى الانطواء على الذات ، من اجل ان يؤخذ بعين الاعتبار الكل والعمومي ، ومن اجل خضوع المصلحة الخاصة للمصلحة العامة .

ان الاناس الذين لم يتمموا في هذه المسألة يجدون من « التناقض »

ان يصير الاشتراكيون الديموقراطيون في الامم التي تضطهد أمما أخرى على « حرية الانفصال » والاشتراكيون الديموقراطيون في الامم المضطهدة على « حرية الاتحاد » . بيد ان بعض التفكير يبين انه ليس هناك ولا يمكن ان يكون هناك طريق آخر من اجل الوصول الى الاممية والى انصهار الامم انطلاقا من الاوضاع الراهنة .

ن . لينين : « كشف مناقشة عن حق الامم في تقرير المصير » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والعشرون ، ص : ٢٧٢ - ٢٧٤ .

لقد كنا دائما ، ونحن الآن ، وسوف نبقى دائما ، الى جانب التقارب الاوثق والانصهار بين العمال الواعين للبلدان المتقدمة والعمال والفلاحين والعميد في جميع البلدان المضطهدة . ولقد نصحنا دائما وسوف ننصح دائما جميع الطبقات المضطهدة في جميع البلدان المضطهدة ، بما فيها المستعمرات ، بالا تنفصل عنا ، بل ان تتقارب معنا بهدف اوثق انصهار ممكن .

واذا كنا نطلب من حكوماتنا ان تخلي المستعمرات - يعني ، كي لا نستخدم شعارا للتحريض ، بل تعبيرا سياسيا دقيقا، أن تمنح المستعمرات الحرية التامة في الانفصال ، **والحق الفعلي في تقرير المصير** - واذا كنا نقصد ان نحقق نحن انفسنا هذا الحق بكل تأكيد ونمنح هذه الحرية حالما نستولي على السلطة ، فلنوضح بكل دقة اننا نطلبه من الحكومة الحالية وسوف نفعله حين نصبح نحن انفسنا الحكومة لا من اجل « التوصية » بالانفصال **مطلقا** ، بل على العكس من ذلك من اجل تسهيل وتسريع التقارب والانصهار **الديموقراطي بين الامم** . . .

. . . اذا كنا نطالب بحرية الانفصال من اجل المغول ، والايرائيين ، والمصريين ، ومن اجل جميع الامم المضطهدة والمغبونة في حقوقها دونما

استثناء ، فليس ذلك مطلقا لانه الى جانب انفصاتها ، بل فقط لاننا الى جانب التقارب والانصهار الحر الطوعي ، لا القهري ، ومن اجل هذا وحده :

ف. لينين : « كاريكاتور للماركسية وبخصوص
النزعة الاقتصادية الامبريالية » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثالث والـشرون ،
ص : ٧٢ - ٧٣ .

ان سياسة الاضطهاد القومي ، ميراث الاوتوقراطية الملكية ، يدعمها
المالكون العقاريون الكبار والراسماليون والبورجوازية الصغيرة ، هؤلاء الذين
يريدون بهذه الطريقة ان يحافظوا على امتيازاتهم الطبقية وان يقسموا عمال
مختلف القوميات . وان الامبريالية المعاصرة ، التي تقوي الاتجاه الذي
اخضاع الشعوب المستضعفة ، هي عامل جديد في تفاقم الاضطهاد القومي .

ويقدر ما يكون خلع النير القومي قابلا للتحقيق في المجتمع الراسمالي ،
فليس هو ممكنا الا حين تكون الدولة تحت نظام جمهورية ديموقراطية
حازمة ، تؤمن الحرية التامة لجميع الامم وجميع اللغات .

يجب ان يعترف بحق الانفصال الحر والتكون في دول مستقلة لجميع
الامم التي تؤلف روسيا . وان انكار هذا الحق وعدم اتخاذ التدابير القمينة
بضمان تطبيقه العملي يضاهي دعم سياسة الفتوحات واللاحقات . وان
اعتراف البروليتاريا بحق الامم في الانفصال يضمن وحده التضامن الكامل
بين عمال مختلف الامم ويشجع التقارب الديموقراطي الحقيقي بين الامم .

ان النزاع الذي وقع لتوه بين فنلندا والحكومة المؤقتة الروسية يبين
بكل وضوح ان انكار الحق في الانفصال بحرية يفود الى الاستمرار بصورة
خالعة وبسيطة في سياسة القيصرية .

وليس من الجائز الخلط بين حق الامم في الانفصال بحرية وبين
منفعة الانفصال بالنسبة الى هذه الامة او تلك ، وفي هذا الوقت او ذاك .

ان من واجب حزب البروليتاريا ان يحل هذه القضية الاخيرة ، في كل حالة خاصة ، بطريقة مستقلة بصورة مطلقة ، متخذا وجهة نظر مصالح جماع التطور الاجتماعي ومصالح نضال البروليتاريا الطبقي في سبيل الاشتراكية.

ان الحزب يطالب باستقلال ذاتي اقليمي واسع ، وإلغاء الرقابة المطبقة من فوق ، وإلغاء اللغة الرسمية الالزامية ، وتحديد حدود الاقاليم ذات الاستقلال الذاتي او ذات الادارة بوسائنها الخاصة ، على اعتبار انه من واجب سكان هذه المناطق ان يأخذوا هم انفسهم بعين الاعتبار ، لهذا الغرض ، الشروط الاقتصادية والحياتية ، وتركيب السكان القومي ، الخ ...

... ان الحزب يطالب بأن يتضمن الدستور قانونا أساسيا يملن ابطال جميع الامتيازات التي كانت تتمتع بها أمة ما ، وكذلك جميع التعديلات على حقوق الاقليات القومية .

ان مصالح الطبقة العاملة تتطلب ان يتجمع عمال جميع قوميات روسيا في تنظيمات بروليتارية وحيدة : سياسية ، ونقابية ، وتعاونية ، وتربوية ، الخ .. وان مثل هذا التجمع لعمال مختلف القوميات في تنظيمات وحيدة يتيح وحده للبروليتاريا ان تناضل بصورة ظافرة ضد الرأسمال الدولي والنزعة القومية البورجوازية .

ف. لينين : « الاجتماع الثامن في روسيا للحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي (البلشفي) في روسيا (اجتماع نيسان) » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الرابع والعشرون ، ص : ٣٠٥ - ٣٠٦ .

ان سياسة البروليتاريا في المسألة القومية ، حين تستولي على سلطة الدولة ، تستقيم - وذلك بصورة مناقضة للاعلان السوري من قبيل

الديموقراطية البورجوازية عن المساواة بين الامم غير القابلة للتطبيق في ظل الامبريالية - في ان تحقق بصورة منهجية وفي الوقائع تقارب وانصهار عمال وفلاحي جميع الامم في نضالهم الثوري من اجل الاطاحة بالبورجوازية. وان هذا الهدف يتطلب التحرر التام للامم المستثمرة وجميع الامم التي هي مضطهدة او لا تتمتع بمساواة تامة في الحقوق ، وكذلك منح هذه الامم حرية الانفصال ، على اعتبار ذلك ضمانا بان الريبة بين الجماهير الكادحة للامم المختلفة ، المورثة عن الرأسمالية ، وامتعاض عمال الامم المضطهدة من عمال الامم المضطهدة ، سوف يبددان كليا ويستبدلان باتحاد واع ومقبول بملء الحرية . إن عمال الامم المضطهدة في ظل الرأسمالية يجب ان يتخذوا احتياطات مخصوصة تماما حيال الشعوب القومي عند الامم المضطهدة (مثال ذلك الروس الكبار والاوكرانيون والبولونيون وحيال اليهود ، والتر حيسال الباشكيريين ، الخ .) ، وان يتعاونوا ليس من اجل مساواة فعلية في الحقوق فحسب ، بل كذلك من اجل تطوير اللغة والآداب عند الجماهير الكادحة للامم التي كانت مضطهدة فيما مضى ، كيما يتلاشى كل اثر للريبة والضياع الموروثين عن عصر الرأسمالية .

ف. لينين : « مشروع برنامج الحزب الشيوعي (البلنشي) في روسيا » . المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ١٢٢ .

يجب الا يتحدث برنامجنا عن تقرير المصير لدى الشفيلة لان ذلك خطأ . ينبغي لهذا البرنامج ان يقول ما هو كائن . وما دامت الامم تقع عند المراحل المختلفة بين العصر الوسيط والديموقراطية البورجوازية ، ومن ثم بين هذه الديموقراطية البورجوازية والديموقراطية البروليتارية ، فان هذه النقطة من برنامجنا صحيحة بصورة مطلقة . ولقد رسمنا على هذه الدرب تمرجات عديدة . يجب ان يعترف لكل امة بحق تقرير المصير . الامر الذي سيسهم في تحرر الشفيلة . وفي فنلندا ، تستمر عملية انفصال البروليتاريا عن البورجوازية بطريقة واضحة وقوية وعميقة بصورة مرموقة ، ومهما

يكن من امر ، فان الامور سوف تجري هناك بصورة مختلفة عنها عندنا .
فاذا قلنا اننا لا نعترف البتة بالامة الفنلندية ، لكن بالجمهير الكاسحة
فقط ، فاننا نقول اذن شيئا ليس أسخف منه . فمن المحال الا نعترف بما
هو كائن : ان الواقع يفرض نفسه من تلقاء ذاته . وان تمايز البروليتاريا
والبورجوازية في بلدان مختلفة يتبع الطرق التي هي خاصة بهذه البلدان .
ويجب علينا ان نتصرف بما يناسب الحال ، وبأكبر حيطة ممكنة . وعلى
الاخص حيال الأمم المختلفة ، لانه ليس هناك ما هو أسوأ من الريبة عند أمة .

ف. لينين : « المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي
(البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ،
ص : ١٧٢ - ١٧٣ .

اننا نريد تحالفا مقبولا بحرية بين الأمم ؛ تحالفا لا يحتمل اي عنف
تمارسه امة على امة ، تحالفا قائما على ثقة مطلقة ، على وعي نير للاتحاد
الاخوي ، على رضى حر بصورة مطلقة . ولا يمكن تحقيق مثل هذا التحالف
دفعة واحدة ، بل يجب كسبه بعمل مليء بالصبر والحيطة ، حتى لا تفسد
الامور ، ولا توظف الريبة ، وحتى تمحى هذه الريبة التي خلفتها قرون من
اضطهاد الملاكين العقاريين والرأسماليين ، ومن الملكية الخاصة، ومن الاحقاد
المثارة عن الاقتسامات المتكررة لهذه الملكية .

وهكذا فانه يجب علينا ، ونحن نستهدف بلا انقطاع وحدة الأمم ،
ونهاجم دون هوادة كل ما يفصل بينها ، أن نكون على قدر كبير من الحذر ،
والصبر ، والمصالحة حيال ما تبقى من الريبة بين الأمم . ويجب ان نكون
صلبين وعنيدين في كل ما يمس المصالح الاولية للعمل الذي يخوض النضال
في سبيل تحرره من نير الرأسمال . واما معرفة كيف نحدد الحدود بين
الدول اليوم ، بصورة مؤقتة - طالما اننا نريد الغاءها التام - فليست المسألة
جوهرية ، بل هي مسألة ثانوية ، قليلة الاهمية . وإن التسوية ممكنة وواجب ،

ذلك ان الريبة بين الامم عنيدة جدا على الاغلب بين جماهير الفلاحين
والمستثمرين الصغار : وكل تعجل يمكن ان يزيد من حدتها ، يعني ان يسيء
الى قضية الوحدة التامة والنهائية .

ف. لينين : « رسالة الى عمال اوكرانيا وفلاحها
بمناسبة الانتصارات المحققة على دينيكين » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الثلاثون ، ص : ٣٠٣ - ٣٠٤ .

الاتحاد الفدرالي على اعتباره شكلا لتنظيم الدول المتعددة القوميات

الانقسام الى دول صغيرة ، والروح البروسية بصورة نوعية ، هذان
هما جانبا التناقض الذي حبست ألمانيا فيه اليوم ... ما الذي يجب ان
يحل مكانه ؟ في رأيي ان البروليتاريا لا تستطيع ان تستخدم سوى شكل
الجمهورية الواحدة وغير المنقسمة . وعلى الاجمال ، فان الجمهورية الفدرالية
لا تبرح ضرورة اليوم ايضا على الاراضي الشاسعة للولايات المتحدة ، بالرغم
انها جعلت منذ الآن تتحول الى عقبة في الشرق . وانها تشكل تقدما في
انكلترا ، حيث تسكن اربع امم في جزيرتين وحيث تقوم جنبا الى جنب ،
اليوم ايضا ، ثلاثة تشريعات مختلفة بالرغم من وجود برلمان وحيد . وانها
تشكل منذ زمن طويل ، في سويسرا الصغيرة ، عقبة ليست محتملة الا
لان سويسرا تكتفي بان تكون عضوا منفصلا بصورة خالصة في نظام الدول الاوروبية .
وبالنسبة الى ألمانيا ، فان تنظيما فدراليا على الطريقة السويسرية سوف
يكون تفهقرا كبيرا . انه نقطتين تميزان الدولة الفدرالية من السدولة
الوحدوية ؛ اولا ان كل دولة منتسبة الى الاتحاد الفدرالي ، كل مقاطعة
تملك تشريعها الخاص المدني والجزائي ، وتنظيمها القضائي الخاص ؛ ومن ثم ، فان
هناك الى جانب مجلس الشعب مجلسا لممثلي الدولة حيث تصوت كل
مقاطعة ، صغيرة او كبيرة ، بصفتها هذه . واما النقطة الاولى ، فمن حسن

الحظ اننا تجاوزناها ولن تكون سادجا بما فيه الكفاية بحيث ندخلها من جديد . **واما النقطة الثانية** ، فاننا نملكها في صورة المجلس الفدرالي ونستطيع تماما ان نستغني عنها - وعلى الاخص ان « دولتنا الفدرالية » تشكل منذ الآن الانتقال نحو الدولة الوحيدة . وليس من شأننا ان نعود القهقري بالثورة من فوق ، التي صنعت في ١٨٦٩ و ١٨٧٠ ؛ ان الامر على النقيض من ذلك ، فمن واجبنا ان نجلب اليها التكملة والتحسين الضروريين بحركة من تحت .

ف. انجلز : « نقد مشروع البرنامج الاشتراكي الديمقراطي لعام ١٨٩١ » ، في ك. ماركس وف. انجلز ، « نقد برنامجي غوتا وايرفورت » ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٨٨ .

ان انجلز ، الابد ما يكون عن اللامبالاة بأشكال الدولة ، يسمى على العكس لان يحلل بأعظم العناية الاشكال الانتقالية بالضبط ، كي يحدد في كل حالة معينة ، وفقا لميزاتها التاريخية ، الحسية ، **نقطة الانطلاق ونقطة المال** للشكل الانتقالي المأخوذ بعين الاعتبار .

ان انجلز ، مثله مثل ماركس ، يدافع عن وجهة نظر البروليتارينا والثورة البروليتارية بشأن المركزية الديمقراطية، وبشأن الجمهورية الواحدة وغير المنقسمة ، انه يعتبر الجمهورية الفدرالية اما بوصفها استثناء وعقبة في طريق التطور ، واما بوصفها انتقالا من الملكية الى الجمهورية المركزية ، بوصفها « خطوة الى الامام » في بعض الشروط المخصوصة . وانه ليضع ، في عداد هذه الشروط المخصوصة ، المسألة القومية في الحل الاول .

ولا نجد في أي مكان ، عند انجلز كما عند ماركس ، بالرغم من انهما انتقدا دون هوادة الطبيعة الرجعية للدويلات واستخدام المسألة القومية ، في بعض الحالات الحسية ، من اجل اخفاء تلك الطبيعة الرجعية ، لا نجد

حتى ولا ظل الرغبة في تجنب المسألة القومية ، الامر الذي كثيرا ما يخطيء فيه الماركسيون الهولنديون والبولونيون الذين ينطلقون من النضال المشروع تماما ضد النزعة القومية المرائية الضيقة « لدويلاتهم » .

وحتى في انكلترا ، حيث كان ينبغي فيما يبدو للشروط الجغرافية ، ووحدة اللغة ، وتاريخ مضت عليه قرون عديدة ، ان « تضع حدا » للمسألة القومية فيما يتعلق بتقسيمات البلدان الصغيرة ، فحتى هنا يأخذ انجلز بعين الاعتبار هذه الحقيقة الواضحة ، الا وهي ان المسألة القومية لم تسوّ بعد ، ولذا فانه يعتبر الجمهورية الفدرالية على انها « خطوة الى امام » . ومن المفروغ منه انه ليس في هذا كله ظل للتخلي عن نقد نقائص الجمهورية الفدرالية ، او الدعاية والنضال الاشد حزمسا في مصلحة الجمهورية الوحيدة ، الديموقراطية والمركزية .

لكن هذه المركزية الديموقراطية لا يفهمها انجلز مطلقا بالمعنى البيروقراطي الذي يعطيها اياه الايديولوجيون البورجوازيون والبورجوازيون الصغار ، والفوضويون في عداد هؤلاء الاخيرين . ان المركزية ، بالنسبة الى انجلز ، لا تنفي مطلقا استقلالا ذاتيا اداريا محليا واسعا يقضي بكسل تأكيد على كل بيروقراطية وكل « لمرّة » من فوق ، وذلك شريطة ان تدافع « الكومونات » والمناطق برضاها عن وحدة الدولة .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار دمشق ، ١٩٥٨ ، ص ٨٩ - ٩٠ .

من المفروغ منه ان الماركسيين معادون للاتحاد الفدرالي وتوزع السلطة للسبب البسيط التالي ، الا وهو ان تطور الرأسمالية يتطلب ان تكون الدول على اكبر ما يمكن وعلى اقصى ما يمكن من المركزية . **واذا كانت جميع الشروط متساوية ، فان البروليتاريا الواعية ستكون دائما نصيرة لدولة اكبر .** انها ستناضل بصورة دائمة ضد الاقليمية الوسيطة وتنظر ابدا

بعين راضية الى توطد التماسك الاقتصادي الذي يشمل اراضي فسيحة
يمكن ان يتطور عليها بصورة واسعة نضال البروليتاريا ضد البورجوازية .

ان تطور القوى الانتاجية بفعل الراسمالية تطورا واسعا وعريضا
يتطلب اراضي كبيرة مجمعة وموحدة في قلب نفس الدولة الواحدة ؛ ولا
تستطيع الطبقة البورجوازية ان تتجمع الا على مثل هذه الاراضي فقط ،
ماحقة جميع الحواجز الوسيطة القديمة ، الطائفية ، والاقليمية المحلية
او المذهبية ، والقومية الصغيرة وغيرها ، في نفس الوقت الذي تتجمع فيه ،
صورة موازية ومحتمة . طبقة البروليتاريين في القطب الآخر .

وسوف نعالج على حدة حق الامم في تقرير المصير ، يعني في الانفصال
وفي تشكيل دولة قومية متميزة . لكن طالما وبقدر ما تشكل امم مختلفة دولة
واحدة ، فان الماركسيين ان ينادوا في حال من الاحوال لا بالمبدأ الفدرالي
ولا بتوزيع السلطة . ان دولة كبرى ممركرة تشكل تقديما تاريخيا ضخما
بؤدي من التجزئة الوسيطة الى الوحدة الاشتراكية المقبلة للعالم اجمع ،
وليس هناك ولا يمكن ان يكون طريق آخر نحو الاشتراكية سوى الطريق
الذي يمر بمثل هذه الدولة (المرتبطة بالراسمالية بصورة لا تنفصم) .

لكنه سيكون من الامور التي لا تغتفر ان ننسى اننا ندافع عن المركزية،
عن المركزية الديمقراطية وحدها . . .

ان المركزية الديمقراطية ، وهي ابعدها ما تكون عن نفي الاستقلال
الذاتي الاداري مع **الاستقلال الذاتي** للمناطق التي تبدي خصائص فيما يتعلق
باقتصادها ، ونمط حياتها ، وتركيبها القومي ، الخ ، تتطلب على النقيض
من ذلك **هذا** وذلك على حد سواء . وانهم ليخلطون عندنا بصورة دائمة بين
المركزية والاعتباطية والبيروقراطية . وان تاريخ روسيا لا بد ان يولد بصورة
طبيعية هذا الخلط ، لكن هذا لا يعني انه يصبح مقبولا بالنسبة الى الماركسي

من جراء ذلك .

ف. لينين : « ملاحظات نقدية على المسألة
القومية » ، **المؤلفات الكاملة** ، باريس - موسكو ،
المجلد العشرون ، ص : ٣٩ - ٤٠ .

ان الاتحاد الفدرالي هو الشكل الانتقالي نحو الوحدة التامة بين
شغيلة الامم المختلفة . فالانحاز الفدرالي قد اظهر حتى الآن فائدته ، سواء
في علاقات جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية الاشتراكية مع الجمهوريات
السوفيتية الاخرى (المجرية ، والفنلندية والتوانية في الماضي ، والاذرباجانية
والاوكرانية حاليا) ، ام في داخل جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية
الاشتراكية حيال القوميات التي لم يكن لها من قبل لا وجود خاص على
اعتبارها دولة ، ولا استقلال ذاتي (مثال ذلك الجمهوريتان ذاتا الاستقلال
الذاتي لباشكيريا وتتاريا في قلب جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية
الاشتراكية ، المكونتان في ١٩١٩ و ١٩٢٠) .

... ان مهمة الاممية الشيوعية تستقيم ، من هذه الوجهة ، سواء
في تطوير هذه الانحادات الفدرالية الجديدة ، المكونة على اساس نظام المجالس
السوفيتية وتحركها ، ام في دراستها والتحقق منها على ضوء التجربة .
واما نعتبر الاتحاد الفدرالي شكلا انتقاليا نحو الوحدة الشاملة ، فان من
واجبنا ان نتوجه بالضرورة نحو وحدة فدرالية وثيقة بصورة متزايدة ،
دون ان يغيب عن بصرنا لحظة واحدة انه ، اولا ، من المحال الحفاظ على
وجود الجمهوريات السوفيتية ، المطوقة بالدول الامبريالية للعالم اجمع ،
وهي الدول المتفوقة عليها على الصعيد العسكري ، دون الوحدة الاشد وثوقا لهذه
الجمهوريات السوفيتية ؛ وانه مما لا غنى عنه ، ثانيا ، ان نحقق وحدة
اقتصادية وثيقة بين الجمهوريات السوفيتية ، وهي الوحدة التي سيكون
من المحال بدونها اعادة قوى الانتاج التي دمرتها الامبريالية وضمن رخاء
الشغيلة ؛ وانه يسعى ، ثالثا ، الى خلق اقتصاد عالمي وحيد ، معتبر على

انه كل واحد ، وموجه وفقا لخطة اجمالية من قبل بروليتاريا جميع الامم ، وهو الاتجاه الذي تظاهر مسبقا بكل جلاء في النظام الراسمالي والذي هو مدعو بكل تأكيد الى التطور والى الظفر في النظام الاشتراكي .

ف. لينين : « المسودة الاولى للموضوعات عن المسائل القومية والمستعمرية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ١٤٨ .

انا من انصار المركزية الديمقراطية . وانه لينيني ان نفهم بكل وضوح كم تختلف المركزية الديمقراطية عن المركزية البيروقراطية من جهة واحدة ، وعن الفوضوية من جهة ثانية . ان خصوم المركزية ينادون دون انقطاع بالاستقلال الذاتي والاتحاد الفدرالي ، على اعتبارهما وسيلتين من اجل مكافحة مخاطر المركزية . وفي حقيقة الامر ان المركزية الديمقراطية ، وهي ابعد ما تكون عن نفي الاستقلال الذاتي ، تتضمن ضرورته على العكس . وفي حقيقة الامر ان الاتحاد الفدرالي نفسه ، اذا ما طبق في الحدود المعقولة من وجهة النظر الاقتصادية ، واذا ما تأسس على فوارق قومية جدية تجعل من الضرورة بمكان حقا وفعلا تنظيما مخصوصا على صعيد الدولة ، حتى الاتحاد الفدرالي لا يدخل البتة في تناقض مع المركزية الديمقراطية . ففي نظام ديموقراطي حقا ، وبلاحرى في اسلوب التنظيم السوفييتي للدولة ، ليس الاتحاد الفدرالي على الاغلب سوى مرحلة انتقالية على طريق مركزية ديموقراطية حقيقية .

ف. لينين : « المسودة الاولى لمقالة المهمات الفورية لسلطة المجالس السوفيتية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٢١٣ - ٢١٤ .

العلاقات بين القوميات في روسيا بعد انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية

... يجب ان يوضع في اساس كل سياسة الاممية الشيوعية في المسائل القومية والمستعمرية تقارب البروليتاريين والجماهير الكادحة لجميع الامم وجميع البلدان في سبيل النضال الثوري المشترك بغية الاطاحة بالملاكين العقاريين والبورجوازية . ذلك ان هذا التقارب وحده يضمن النصر على الراسمالية ، هذا النصر الذي يستحيل بدونه القضاء على النير القومي وعلى التفاوت في الحقوق ...

... ونتيجة ذلك فانه لا يمكن الاقتصار ، في الوقت الراهن ، على الاعتراف او المناداة بكل بساطة بتقارب شغيلة الامم المختلفة ، بل من المحتم اتباع سياسة تتجه نحو تحقيق الاتحاد الاوثق بين جميع حركات التحرر الوطني والمستعمري مع روسيا المجالس السوفيتية ، مع تحديد اشكال هذا الاتحاد وفقا لدرجة تطور الحركة الشيوعية في قلب بروليتاريا كل بلد او حركة التحرر الديمقراطي البورجوازية للعمال والفلاحين في البلدان المتخلفة او القوميات المتخلفة .

ف. لينين : « المسودة الاولى للموضوعات عن المسائل القومية والمستعمرية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ١٤٧ .

اعتمادا على مصالح الوحدة والاتحاد الاخوي بين العمال وجميع الشغيلة ، والجماهير المستثمرة في النضال في سبيل الاشتراكية ، واعتمادا على الاعتراف بهذه المبادئ في القرارات العديدة لاجهزة الديمقراطية الثورية ، والمجالس السوفيتية ، وعلى الاخص قرارات المؤتمر الثاني للمجالس السوفيتية في روسيا ، فان الحكومة الاشتراكية في روسيا ، مجلس مفوضي الشعب ،

تؤكد مره اخرى حق تقرير المصير لجميع الامم التي كانت القيصرية والبورجوازية الروسية الكبيرة تضطهدها ، بما في ذلك حق الانفصال عن روسيا .

ولهذا السبب فاننا ، نحن مجلس مفوضي الشعب ، نعترف بجمهورية اوكرانيا الشعبية ، ونعترف لها بحق الانفصال التام عن روسيا ، او عقْد معاهدة مع جمهورية روسيا بعلاقات اتحادية فدرالية او علاقات مشابهة اخرى .

كل ما يمس الحقوق القومية والاستقلال القومي للشعب الاوكراني نعترف به ، نحن مجلس مفوضي الشعب ، في الحال ، ودون قيود او شروط .

اننا لم نقم ضد جمهورية فنلندا البورجوازية ، التي لا تبرح بورجوازية ، ببادرة واحدة تستهدف تحديد الحقوق القومية والاستقلال الوطني للشعب الفنلندي ؛ واننا لن نقوم بأي امر قمين بأن يحد استقلال امة ما ، كائنة ما كانت ، من بين تلك الامم التي كانت تشكل او ترغب في أن تشكل جزءا من جمهورية روسيا .

ف. لينين : « بيان الى الشعب الاوكراني وانذار الى الرادا الاوكرانية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السادس والعشرون ، ص : ٣٧٨ .

اننا مقتنعون باننا سنحصل ، اذا ما واصلنا بصورة منهجية سياستنا الخاصة بالاتحاد الوثيق ، على نجاحات اهم مما حصلنا عليه حتى الآن حيال الشعوب الشرقية . والحال ان هذه النجاحات هائلة . فالجمهورية السوفيتية تتمتع بحظوة كبيرة عند سائر الشعوب الشرقية لنفس السبب الذي اتاح لنا أن

نعقد الصلح مع دولة غربية صغيرة (٤١) ؛ وان هذا السبب هو انهم يرون فينا منافحا لا يتهاون ابدا ضد الامبريالية ، ولان جمهوريتنا هي الوحيدة التي تخوض الحرب المناهضة للامبريالية ، والتي تعرف ان تستغل كل وضع دون اللجوء الى العنف ، وحتى التي تعرف ان تنتصر وهي ترفض استخدام العنف .

ومن البدهي ان السياسة حيال الجمهورية الاوكرانية هي نفسها ، في شكل ادق بما لا يقاس . وان المشكلة هنا لتسهل بفعل الاتفاق المعقود في زمن سابق بين اللجنة التنفيذية المركزية لروسيا واللجنة التنفيذية المركزية لجمهورية اوكرانيا السوفييتية . واننا لنشيد تحالفا اوثق اكثر فاكثر على اساس هذا الاتفاق الذي يكرس الاتحاد الفدرالي الوثيق بين الجمهوريتين في النضال ضد البلدان الامبريالية . ان الجماهير الفلاحية والعمالية في اوكرانيا ، وقد تعلمت من تجربتها الكالحة في ظل حكم دينيكين ، تكتسب اليقين بأن الاتحاد الاوثق مع جمهورية روسيا هو وحده الذي سيكون اتحادا لا يقهر حقا ضد الامبريالية الدولية ، وبأن الانفصال الدوالي لا يمكن ان يكون مشمرا في اوضاع النضال ضد الامبريالية ، لان هذه الامبريالية ستنتهز كل انقسام كي تسحق سلطة المجالس السوفييتية ؛ ان مثل هذا الانقسام ليساوي جريمة .

ف. لينين : « تقرير عن نشاط اللجنة التنفيذية المركزية في روسيا ومجلس مفوضي الشعب في الجلسة الاولى للجنة التنفيذية المركزية ، الهيئة التشريعية السابعة ، بتاريخ ٢ شباط ١٩٢٠ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلس الثلاثون ، ص : ٢٢٦ - ٢٢٧ .

اما احبي بحرارة جمهوريات القفقاس السوفييتية ، فاني اسمح نفسي بالتعبير عن الامل في ان يحقق اتحادها الوثيق نموذجا للسلام القومي

الذي كان مجهولا في ظل البورجوازية ومستحيلا في النظام البورجوازي .

لكن مهما كانت أهمية السلام القومي بين عمال وفلاحى القوميات المختلفة التى تسكن القفقاس ، فانه من الالهم بصورة لا متناهية الحفاظ على سلطة المجالس السوفيتية وتطويرها ، هذه السلطة التى تشكل الانتقال الى الاشتراكية . وتلك مهمة عسيرة ، لكنها قابلة للتحقيق تماما . وكىما يمكن النهوض بها بنجاح ، فانه من المهم فوق كل شيء أن يفهم شيوعيو ما وراء القفقاس خصائص وضعهم ، ووضع جمهورياتهم المختلف عن وضع وشروط جمهورية روسيا الاشتراكية الاتحادية السوفيتية ، وأن يفهموا ضرورة عدم نسخ تكتيكنا ، بل تعديله بعد تأمل ناضج ، وفقا للشروط الحسية المختلفة .

ف. لينين : « الى الرفاق في اذربايجان وجورجيا وارمينيا ودانستار وجمهورية شوم القفقاس في الشمال » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثانى والثلاثون ، ص : ٣٣٦ .

اولا ، يجب الحفاظ على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية وتوطيده ، ولا يمكن أن يحوم أي شك حول هذه النقطة . ان هذا الاجراء ضروري لنا كما هو ضروري للبروليتاريا الشيوعية العالمية في سبيل مكافحة البورجوازية العائلية وفي سبيل الدفاع عن نفسها ضد مؤامراتها .

ثانيا ، يجب الحفاظ على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية فيما يتعلق بالجهاز الدبلوماسي .

ف. لينين : « مسألة القوميات أو الاستقلال الذاتى » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السادس والثلاثون ، ص : ٦٢٢ .

الفصل التاسع

قضايا الحرب والسلام والنعايش السامي بين الدول الاشتراكية والرأسمالية

الحرب ، استمرار السياسة بوسائل أخرى

يعرف الناس هذه الفكرة التي قال بها كلوسيويتز ، وهو من أبرز المؤلفين الذين عالجوا فلسفة الحرب والتاريخ العسكري : « الحرب هي استمرار السياسة بوسائل أخرى » . ان هذه الحكمة قد وضعها كاتب درس تاريخ الحرب واستخلص منه الدروس الفلسفية ، وذلك بعد فترة قصيرة من الحروب النابليونية . ان هذا المؤلف ، الذي يات افكاره الاساسية اليوم ، بلا منازع ، ميراث كل انسان مفكر ، قد كان يكافح ، قبل حوالي ثمانين عاما ، مستبق المرائي الجاهل القائل بأنه يمكن عزل الحرب عن سياسة الحكومات والطبقات التي تقوم بها واعتبارها مجرد عدوان يعكر صفو السلام ، وتمقبه عودة هذا السلام المعتدى عليه ! يتقاتل الناس ، ثم يسوون الامور ما بينهم . يا له من مفهوم فظ يقول به الجاهل ، وقد دحضه قبل عشرات السنين ويدحضه كل تحليل يتحلى ببعض العمق للحروب في اي عصر تاريخي كان .

ان الحرب استمرار السياسة بوسائل أخرى . فكل حرب مرتبطة

يصورة لا تنفصم بالنظام السياسي الناجمة عنه . ان السياسة المتبعة قبل الحرب بزمان طويل من قبل دولة معينة ، من قبل طبقة معينة في قلب هذه الدولة ، هي السياسة التي توصلها هذه الطبقة بصورة حتمية لا تخطيء في سياق الحرب ، دون ان تعدل سوى شكل فعلها .

ف. لينين : « الحرب والثورة » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الرابع عشر والعشرون ، ص : ٤٠٨ - ٤٠٩ .

كل حرب هي استمرار السياسة بوسائل اخرى . ان استمرار سياسة التحرر الوطني للمستعمرات ستقودها بصورة حتمية الى خوض الحروب الوطنية ضد الامبريالية . ويمكن لهذه الحروب ان تؤدي الى حرب امبريالية للدول الامبريالية « الكبرى » اليوم ، لكن يمكن الا تؤدي اليها ايضا ، فذلك رهن بكثير من الظروف .

ف. لينين : « بخصوص كرامة جونيوس » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والعشرون ، ص : ٢٣٣ - ٢٢٤ .

كيف نكتشف اذن « الجوهر الفعلي » للحرب ، وكيف نعرفها ؟ ان الحرب استمرار للسياسة . يجب ان ندرس السياسة السابقة للحرب ، السياسة التي تقود والتي قادت الى الحرب . فاذا كانت السياسة امبريالية ، يعني اذا كانت تدافع عن مصالح الراسمال المالي ، وتنهب وتضطهد المستعمرات والبلدان الاجنبية ، فان الحرب التي تنجم عنها هي حرب امبريالية . واذا كانت سياسة للتحرر الوطني ، يعني انها تعبر عن حركة جماهيرية ضد الاضطهاد القومي ، فان الحرب التي تنجم عنها هي حرب للتحرر الوطني .

والانسان العادي لا يفهم ان « الحرب استمرار للسياسة » ، ولذا
يكتفي بالقول ان « العدو يهاجم » ، ان « العدو قد اجتاح بلادى » ، دون ان
يتساءل عن الهدف الذي تجري الحرب به ، وعن الطبقات التي تقوم بها ،
وعن الغرض السياسى الذي تستهدفه .

ف. لينين : « كاريكاتور للماركسية وبخصوص
النزعة الاقتصادية الامبريالية » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثالث والعشرون ،
ص : ٢٢ - ٢٣ .

ان الحرب الامبريالية التي كانت استمرارا لسياسة الامبريالية
والطبقات الحاكمة والملاكين العقاريين الكبار والراسماليين ، قد اثارت العداء
بين الجماهير الشعبية وكانت الوسيلة الفضلى من اجل اثاره الاندفاع الثورية
لهذه الجماهير . ولقد سهلت عندنا ، في روسيا ، الاطاحة بالملكية والاطاحة
بالملكية العقارية الكبيرة والبورجوازية في وقت واحد ؛ ولم تتحقق هذه الاطاحة
بأعظم اليسر الا لان الحرب الامبريالية كانت استمرارا وتفاقما وثالثة الاتاني
لصفاقة السياسة الامبريالية . واما حربنا نحن فقد كانت استمرارا لسياستنا
الشيوعية ، لسياسة البروليتاريا .

ف. لينين : « الاجتماع الثامن للحزب الشيوى
(البلشوى) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ١٧٩ .

ان حربنا هي استمرار لسياسة الثورة ، سياسة الاطاحة بالمستعمرين
والراسماليين والملاكين العقاريين . وهذا هو السبب في ان حربنا ، بالرغم
من كونها اليمية بصورة لا متناهية ، تجتذب اليها عطف العمال والفلاحين .
وليست الحرب استمرارا للسياسة فحسب ، بل هي حصيلة السياسة ،
هي تعاليم السياسة في هذه الحرب القاسية بصورة لا تصدق التي نرضها

علينا الملاكون العقاريون والرأسماليون بمعونة التحالف الجبار . وفي هذا القتال تعلم العمال والفلاحون الشيء الكثير .

ف. لينين : « المؤتمر السابع للمجالس
السوفيتية في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون : ص : ٢٢٨ .

«الحرب هي استمرار السياسة (بوسائل) أخرى (ألا وهي العنف)»

هذه العبارة الشهيرة تخص كلوسيويتز ، وهو من أعمق المؤلفين في المادة العسكرية . ولقد اعتبر الماركسيون دائما ، بحق ، هذه الموضوع على أنها الاساس النظري لتفسير كل حرب معينة . وان ماركس وانجلز قد تطرقا على الدوام الى الحروب المختلفة من وجهة النظر هذه .

طبقوا وجهة النظر هذه على الحرب الحالية . لسوف ترون ان الحكومات والطبقات السائدة في انكلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والنمسا وروسيا قد طبقت ، طوال عشرات السنين ، خلال قرابة نصف قرن ، سياسة قائمة على نهب المستعمرات ، واضطهاد الامم الاجنبية ، وسحق الحركة العاملة . وان هذه السياسة ، من دون أي سياسة سواها ، هي التي تواصل في الحرب الحالية . ففي النمسا وروسيا خاصة ، تستقيم سياسة زمن السلم ، كما هي حال سياسة زمن الحرب ، في استعباد الامم وليس في تحريرها . وعلى العكس من ذلك ، شاهدنا في الصين وإيران ، وفي الهند والبلدان التابعة الاخرى ، طوال هذه العشرات الاخيرة من السنين ، سياسة يقظة الحياة الوطنية لعشرات ومئات ملايين البشر ، سياسة تسعى الى تحريرها من نير الدول الرجعية « الكبرى » . وان الحرب على هذه الارض التاريخية يمكن اليوم أيضا ان تكون حربا تقدمية بوجوازية ، حربا للتحرر الوطني .

ف. لينين : « الاشتراكية والحرب » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الرابع
والعشرون ، ص : ٣١٤ - ٣١٥ .

ان طبيعة الحرب الاجتماعية ومفزاها الحقيقي ليسا محدودين بالمواع التي تحتلها القوات المعادية (كما يحسب الاشتراكيون الثوريون والمناشقة الذين سقطوا إلى مستوى المفاهيم المتبدلة لموجيكامي) . ان طبيعتها محددة بالرد على هذين السؤالين : ما هي السياسة التي تواصل الحرب (« الحرب هي استمرار للسياسة ») ؟ ما هي الطبقة التي تقوم بالحرب ، وبأية أهداف ؟

ف. لينين : « الكارثة الوشيكة ووسائل اجتنابها » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الخامس والعشرون ، ص : ٢٨٤ .

ليس ثمة فكرة أكثر خطلا واشد ضررا من الفكرة التي تستقيم في فصل السياسة الخارجية عن السياسة الداخلية . وفي زمن الحرب تصبح هذه الكذبة الهائلة اشد هولاً أيضا . والحال انه يبذل ، من جانب البورجوازية ، كل الممكن والمستحيل في سبيل ترسيخ هذه الفكرة والابقاء عليها .

د. لينين : « السياسة الخارجية للشوروة الروسية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الخامس والعشرون ، ص : ٨٤ .

... ان طبيعة الحرب وانتصارها يتوقفان فوق كل شيء على النظام الداخلي للبلد الذي يدخل الحرب ؛ ان الحرب انعكاس السياسة الداخلية التي كان هذا البلد يتبعها قبل نشوب النزاع المسلح . وان جميع هذه العوامل لا يمكن الا أن تؤثر في قيادة الحرب .

ف. لينين : « تقرير مقدم الى المؤتمر الثاني في روسيا للمنظمات الشيوعية لشعوب الشرق » بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٩ ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ١٥١ .

هناك حرب وحرب . فهناك حرب المفامرات التي تلبى مصالح الاسرة الحاكمة ، وقابليات عصابة من اللصوص ، وأغراض فرسان الريح الرأسمالي . وهناك الحرب - وهي الحرب الشرعية الوحيدة في مجتمع رأسمالي - ضد اولئك الذين يضطهدون الشعب ويستعبدونه . وان الطوباويين أو المرانين وحدهم يمكن أن يدينوا مبدئيا مثل هذه الحرب . وان خونة الحريسة البورجوازيين وحدهم يستطيعون أن يقفوا على حدة من هذه الحرب ، في روسيا حاليا ، هذه الحرب في سبيل حرية الشعب . لقد بدأت البروليتاريا هذه الحرب التحريرية العظمى في روسيا ، واسوف تعيد كيف توصلها ، بأن تنظم هي نفسها فصائل من الجيش الثوري ، وبأن تقوي تلك الفصائل من الجيش أو البحرية التي انضمت الى جانبنا ، وبأن تجتذب الفلاحين ...

ف. لينين : « الجيش الثوري والحكومة الثورية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن ، ص : ٥٧٤ .

ان جميع الحروب المسببة عن المطامع الجشعة للملوك والرأسماليين هي اجرامية في نظرنا ، ذلك انها ضارة بالطبقات الكادحة ، وتعود بأرباح وافرة على البورجوازية الحاكمة .

لكن هناك حروبا يجب ان تسميها الطبقة العاملة الحروب العادلة الوحيدة : ذلك هو النضال في سبيل التحرر من العبودية ، من اضطهاد الرأسماليين . وان هذه الحروب لضرورية ، ذلك أننا لن نتوصل الى التحرر بغير طريق النضال .

ف. لينين : خطاب ألقى في اجتماع بيت الشعب لالكسييف ، بتاريخ ٢٣ آب ١٩١٨ ، المؤلفات الكاملة ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٧٢-٧٣ .

ما السبب في قيام الحروب ؟ اننا نعرف أن معظم هذه الحروب قد

جرت في مصلحة الاسر المالكة ؛ وكانت تسمى الحروب السلافية . لكن الحروب كانت تجري احيانا في مصلحة المضطهدين . فقد شن سبارتاكوس الحرب ليدافع عن طبقة العبيد . وان حروبا من النوع نفسه قد اندلعت في عصر الاضطهاد الاستعماري الذي لا يبرح مستمرا في ايامنا ، في عصر العبودية ، الخ وكانت هذه الحروب عادلة ، وليس في الامكان ادانتها .

ف. لينين : « خطاب القى في الاجتماع في متحف البوليتكنيك ، بتاريخ ٢٣ اب ١٩١٨ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٧٥ .

من وجهة نظر الماركسية ، يعني الاشتراكية العلمية الحديثة ، فالمسألة الرئيسية بالنسبة الى اشتراكيين يناقشون التقدير الذي من المناسب اصداره بشأن حرب ما أو الموقف الواجب اتخاذه حيالها ، هي تقرير الاغراض التي تجري هذه الحرب من اجلها ، وتعيين الطبقات التي هيأتها وقادتها . ونحن الماركسيين لسنا خصوما غير مشروطين لاي حرب . اننا نقول : ان هدفنا هو اقامة النظام الاجتماعي الاشتراكي الذي سيُفسي بصورة لا مناص منها على كل امكانية للحرب عامة بقضائه على انقسام الانسانية الى طبقات ، وبقضائه على كل استثمار للانسان من قبل الانسان ولامة ما من قبل اسم اخرى . لكننا سنعرض بالضرورة ، وحين نقاتل في سبيل هذا النظام الاشتراكي ، لشروط يستطيع فيها صراع الطبقات في داخل كل امسة ان يصطدم بحرب بين امم مختلفة مسببة عن هذا الصراع الطبقي بالذات . ولذا فاننا لا نستطيع ان ننكر امكانية الحروب الثورية ، يعني حروبا ناجمة عن صراع الطبقات ، تقوم بها طبقات ثورية ، ولها مدى ثوري مباشر وفوري . واننا لا نستطيع ان ننكر ذلك على الاخص لان حروبا ثورية أيضا قد جرت ، مثال ذلك حرب الجماهير الثورية الشعبية في فرنسا ضد تحالف أوروبا الملكية ، المتخلفة ، الاقطاعية أو نصف الاقطاعية ، وذلك الى جانب الحروب

التي كانت وجمعية في معظمها في تاريخ الثورات الاوروبية للقرن الماضي ، في سياق السنوات المائة والخمس والعشرين الى المائة والخمس والثلاثين الاخيرة . وفي الوقت الراهن ليس ثمة كذبة اكثر انتشارا في أوروبا الغربية ، وعندنا في روسيا ايضا في هذه الاوقات الاخيرة ، بفرض تضليل الجماهير ، من الكذبة التي تستقيم في التذرع بمثال الحروب الثورية . ان هناك حربا وحربا . ويجب أن نعرف كيف نحدد الشروط التاريخية التي تنجم الحرب عنها ، والطبقات التي تقوم بها ، والاهداف التي تسعى اليها . والا فان جميع اعتباراتنا عن الحرب لن تكون سوى جمل فارغسة بصورة مطلقة ، سوى مناقشات عقيمة وشفهية خالصة .

ف. لينين : « الحرب والثورة » ، المؤلفات الكاملة ، بارين - موسكو ، المجلد الرابع والعشرون ، ص : ٤٠٧ - ٤٠٨ .

موقف الماركسية من الحرب

لقد أدان الاشتراكيون على الدوام الحروب بين الشعوب على اعتبارها مشروعا همجيا ووحشيا . غير أن موقفنا حيال الحرب يختلف كل الاختلاف من موقف السلميين (أنصار السلم والدعاة له) البورجوازيين وعن موقف الفوضويين . اننا نتميز من الاولين بمعنى أننا نفهم الرابطة الحتمية التي تصل الحروب بصراع الطبقات في داخل بلد معين ، واننا نفهم أنه من المستحيل القضاء على الحروب دون القضاء على الطبقات ودون اقامة الاشتراكية ؛ وكذلك بمعنى أننا نعترف تماما بشرعية الحروب الاهلية وطابعها التقدمي وضرورتها ، يعني حروب الطبقة المضطهدة ضد الطبقة التي تضطهدها، حروب العبيد ضد أصحاب العبيد ، حروب الفلاحين الاقنان ضد السادة الاقطاعيين، حروب العمال ضد البورجوازية . اننا ، نحن الماركسيين ، نختلف عن السلميين بمعنى أننا نعترف بضرورة تحليل كل حرب مأخوذة على حدة تحليلا

تاريخيا (من وجهة نظر المادية الجدلية لماركس) .

ف. لينين : « الاشتراكية والحرب » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي
والعشرون ، ص : ٣٠٩ .

ان ايضاح طبيعة حرب ما هو بالنسبة الى الماركسي المقدمة التي لاغنى
عنها كيما يقرر الموقف الواجب اتخاذه حيالها . وكيما يقوم بذلك يجب أولا
ان يعين ما هي الشروط الموضوعية لهذه الحرب وما هو وضعها الحسي .
يجب اعادة وضع الحرب في الوضع التاريخي الذي تجري فيه ، وعندئذ فقط
يصبح في مقدور المرء ان يحدد موقفه حيالها . والا فان المشكلة لا تعالج
بطريقة مادية ، بل بطريقة انتقائية .

ووفقا للوضع التاريخي ، والعلاقة بين الطبقات ، الخ ، فان الموقف
حيال الحرب في احيان مختلفة يجب ان يكون مختلفا . انه من قبيل العبث
رفض الاشتراك في الحرب بصورة نهائية ، مبدئيا . وانه لمن قبيل العبث ،
من جهة أخرى ، تقسيم الحروب الى حروب دفاعية وحروب هجومية . ففي
١٨٤٨ ، كان ماركس يبغض روسيا لأن الديمقراطية ماكان يمكن أن تنتصر
وتتطور في المانيا في ذلك العصر ، ما كان يمكن أن توحد البلاد في منظومة
وطنية طالما أن القبضة الرجعية لروسيا المتخلفة تثقل عليها .

فكيما يحدد المرء موقفه في مواجهة هذه الحرب ، يجب أن يفهم فيما تتميز
من الحروب التي سبقتها ، وفيما تستقيم خصائصها .

ف. لينين : « محاضرة في موضوع « البروليتاريا
والحرب » ، بتاريخ ١ (١٤) تشرين الاول ١٩١٤ » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
السادس والعشرون ، ص : ٢٩٤ .

لا يستطيع الاشتراكيون ان ينادوا بأنفسهم خصوما لأي حرب كانت دون ان يكفوا عن كونهم اشتراكيين . يجب الا نسمح للحرب الامبريالية الحالية بأن تعمي ابصارنا . فالحرب من هذا النوع بين الدول « الكبرى » هي الحروب الاكثر نموذجية في عصر الامبريالية . بيد ان هذا لا يستبعد امكانية حروب ديموقراطية وانتفاضات من جانب الامم المضطهدة ، مثلا تلك الامم التي تحاول ان تخلع نير مضطهديها . ان حروبا اهلية تخوضها البروليتاريا ضد البورجوازية وفي سبيل الاشتراكية هي حروب محتمة .

ف. لينين : « بخصوص شعار « نزع السلاح » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الثالث والعشرون ، ص : ١٠٥ .

... لا يستطيع الماركسي ان يعتبر بطريقة عامة الحرب الاهلية ، او ايضا حرب الانتصار التي هي أحد أشكالها ، على أنها غير طبيعية ومثبطة للمعنويات ؛ ان الماركسي يقف على أرض النضال الطبقي ، وليس على أرض السلام الاجتماعي . ان النضال الطبقي يؤدي في تطوره ، في بعض مراحل الازمات الحادة والاقتصادية والسياسية ، الى حرب اهلية حقيقية ، يعني الى صراع مسلح بين فريقين من السكان . وفي مثل هذه المراحل ، فان من واجب الماركسي ان يتخذ وجهة نظر الحرب الاهلية . وان كل ادانة خلقية لهذه الحرب هي غير مقبولة على الاطلاق من وجهة نظر الماركسية .

وفي مرحلة الحرب الاهلية ، فان المثل الاعلى لحزب البروليتاريا هو **حزب مقاتل** . هذا أمر لا شك فيه على الاطلاق .

ف. لينين : « حرب الانتصار » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي
عشر ، ص : ٢٢٢

بخصوص شعار « الدفاع عن الوطن »

ان الاعتراف بالدفاع عن الوطن هو الاعتراف بأن حربا ما عادلة وشرعية . عادلة وشرعية من أي وجهة نظر ! من وجهة نظر البروليتاريا الاشتراكية ونضالها في سبيل التحرر فقط . ونحن لا نقبل بأي وجهة نظر أخرى . فاذا كانت طبقة المستثمرين هي التي تقوم بالحرب كي تقوي سيطرتها الطبقية ، فالمقصود اذن هي حرب إجرامية ، و « الدفاع عن الوطن » في هذه الحرب خسة وخيانة حيسال الاشتراكية . واذا كانت البروليتاريا ، بعدما انتصرت على البورجوازية في بلدها الخاص ، هي التي تقوم بالحرب كي توطد الاشتراكية وتطورها . فالمقصود اذن هي حرب شرعية و « مقدسة » .

اننا انصار للدفاع عن الوطن منذ ٢٥ اكتوبر ١٩١٧ .

ف. لينين : « عن طفولية « اليسار » والافكار
البورجوازية الصغيرة » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ،
ص : ٢٤٦ - ٢٤٧ .

لقد قلنا ذلك دائما - والثورات تؤكد ذلك - حين توضع موضع الشك
أسس القوة الاقتصادية ، قوة المستثمرين ، والملكية التي تضمن لهم
التصرف بعمل عشرات الملايين من العمال والفلاحين ، هذه الملكية التي
تمنح السادة أصحاب الاراضي الكبيرة والراسماليين امكانية ان يسمنوا ،
وأعود فأكرر ذلك ، حين تكون الملكية الخاصة للسادة الإقطاعيين والراسماليين
هي التي توضع موضع الشك ، فان هؤلاء الاخيرين ينسون جميع عباراتهم
الجميلة عن حب الوطن وعن الاستقلال . . . حين تمس الارباح الطبقية ،
فان البورجوازية تبيع وطنها ولا تتردد في عقد الصفقات مع القادمين
الاغراب الاولين ضد شعبها الخاص . ولم يكف تاريخ الثورة الروسية عن

هتك الستر لنا عن هذه الحقيقة ، بعدما بينت لنا أكثر من مائة سنة من تاريخ الثورة أن ذلك هو قانون المصالح الطبقية ، قانون سياسة البورجوازية الطبقية في جميع العصور وفي سائر البلدان .

ف. لينين : « خطاب القي في الجلسة المشتركة للجنة التنفيذية المركزية في روسيا والمجلس السوفييتي لموسكو ، ولجان العامل والمصانع والنقابات في موسكو ، بتاريخ ٢٩ تموز ١٩١٨ » ، **المؤلفات الكاملة** ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٢٠ .

ان الغرض من الحرب هو اقتسام المستعمرات والاراضي الاجنبية : أن لصوصا يتقاتلون فيما بينهم ، وانها لكذبة بورجوازية صفيقة ان يتدرع بهزيمة أحدهم ، في برهنة معينة ، كما تمثل مصلحة اللصوص بمصلحة الشعب او الوطن . يجب ان نقول « للشعب » الذي يعاني من الحرب **الحقيقة** التي تستقيم فيما يلي : ان اتقاء كوارث الحروب أمر محال دون الاطاحة بحكومة وبورجوازية كل بلد من البلدان المتحاربة .

ف. لينين : « سفطانيات الاشتراكيين الشوفيين » ، **المؤلفات الكاملة** ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والعشرون ، ص : ١٨٥ .

ان الاعتراف « بالدفاع عن الوطن » هو ، من وجهة نظر البروليتاريا ، تبرير للحرب الحالية ، هو الاعتراف بمشروعيتها . ولما كانت الحرب ماتزال امبريالية (سواء اكانت في ظل الملكية أم في ظل الجمهورية) بصورة مستقلة عن الاراضي حيث تتمركز القوات المعادية في لحظة معينة - في بلدي أم في بلد اجنبي - فالاعتراف بالدفاع عن الوطن هو في **حقيقة الامر** تأييد البورجوازية الامبريالية ، المستثمرة ، هو خيانة للاشتراكية . ففي روسيا ، حتى في ظل حكم كيرنسكي ، في الجمهورية الديمقراطية البورجوازية ،

استمرت الحرب امبريالية طالما ان البورجوازية ، على اعتبارها طبقة سائدة ، هي التي كانت تفوقها . . .

ف. لينين : الثورة البروليتارية والمرتدكاوتسكي ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الثامن والعشرون ، ص : ٢٩٢ .

في الحرب الامبريالية الحالية ، المسببة عن جماع شروط العصر الامبريالي ، يعني التي لم تكن عرضا طارئا أو استثناء أو مخالفة بالقياس الى ماهو عام ونموذجي ، فان العبارات عن الدفاع عن الوطن تضلل الشعب ، ذلك ان الحرب ليست قومية . وفي حرب قومية حقا ، فان كلمات « الدفاع عن الوطن » ليست في حال من الاحوال خداعا ، ونحن اسننا ضد هذه الحرب في حال من الاحوال .

ف. لينين : « كاريناتور للماركسية وبخصوص
النزعة الاقتصادية الامبريالية » ، المؤلفات الكاملة ،
المجلد الثالث والعشرون ، ص : ٣٠ .

نحن لسنا في حال من الاحوال ضد «الدفاع عن الوطن» عامة ، ولا ضد « الحروب الدفاعية » عامة . انك لن تجد قط هذه الحماسة في اي قرار (ولا في اي من مقالاتي) . اننا ضد حماية الوطن والدفاع عنه في الحرب الامبريالية للاعوام ١٩١٤ - ١٩١٨ وفي حروب أخرى امبريالية ، نموذجية للعصر الامبريالية . لكن يمكن ان يكون هنا ، في عصر امبريالي ، حروب « عادلة » ، « دفاعية » ، ثورية ، ألا وهي : ١ - الحروب الوطنية ؛ ٢ - الحروب الاهلية ؛ ٣ - الحروب الاشتراكية ، الخ .

ف. لينين : « رسالة الى غ. زينونيف » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الخامس والثلاثون ، ص : ٢٢٧ - ٢٢٨ .

إذا كان المقصود في حرب ما الدفاع عن الديمقراطية أو النضال ضد نير يضطهد الأمة ، فليست ضد هذه الحرب البتة ولا أخشى كلمة « الدفاع عن الوطن » حين تتصل بهذا النوع من الحرب أو الانتفاضة. إن الاشتراكيين ينحازون دائما إلى جانب المضطهدين . وبتنتيجة ذلك لا يمكن أن يكونوا ضد الحروب التي هدفها النضال الديمقراطي أو الاشتراكي ضد اضطهاد ما .

ف. لينين : « رسالة مفتوحة إلى بوريس سوخارين » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والعشرون ، ص : ٢١٦ .

إننا أنصار للدفاع الوطني منذ ٢٥ أكتوبر ١٩١٧ . إننا نؤيد « الدفاع عن الوطن » . لكن الحرب في سبيل خلاص الوطن التي نتوجه نحوها هي حرب من أجل الوطن الاشتراكي ، من أجل الاشتراكية بوصفها وطننا ، من أجل جمهورية المجالس السوفيتية على اعتبارها فصيلة من جيش الاشتراكية العالمي .

ف. لينين : « المهمة الرئيسية في أيامنا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ١٦٤ .

بخصوص الحروب الامبريالية

إن الحرب الأوروبية والعالمية تبدي جميع خصائص حرب بورجوازية، امبريالية ، سلافية . فالصراع على الأسواق ونهب الدول الأخرى ، وإرادة شطب الحركة الثورية للبروليتاريا والديموقراطية داخل البلدان المتحاربة ، ومحاولة تضليل البروليتاريين وتقسيمهم وإبادتهم في جميع البلدان ، بإثارة عبيد الأمة الواحدة ضد عبيد الأمة الأخرى لمصلحة البورجوازية ،

ذلك هو مضمون الحرب الفعلي الوحيد ، وذلك هو مفزاها .

ف. لينين : « مهمات الاشتراكية الديمقراطية
الثورية في الحرب الاوروبية » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الحادي والعشرون ،
ص : ٩ .

ان ما يشكل جوهر الحرب الامبريالية ، يعني الحرب الجارية في
مصلحة الراسماليين ، ليس هو ان هدفها اضهاد أمم جديدة وتقاسم
المستعمرات فحسب ، بل كذلك ان من يقوم بها بصورة رئيسية هي أمم
متقدمة **تضطهد** عددا من الشعوب الاخرى ، تضطهد القسم الاكبر من سكان
الارض .

ف. لينين : « مسألة الصلح » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي
والعشرون ، ص : ٣٠٠ .

لقد وقعت ايضا حروب امبريالية عديدة في عصر العبودية (كانت
الحرب بين روما وقرطاجة حربا امبريالية من كلا الجانبين) ، وفي العصر
الوسيط وفي عصر الراسمالية التجارية . فكل حرب يضطهد فيها **الطرفان**
المتحاربان بلدانا او قوميات اجنبية ، وهما يقاتلان من اجل تقاسم الفنائم ،
من اجل معرفة « من سوف يضطهد او ينهب اكثر » ، لا يمكن ان تسمى الا
حربا امبريالية .

واذا قلنا ان الراسمالية الحديثة وحدها ، ان الامبريالية وحدها قد
تسببت في الحروب الامبريالية ، فهذا صحيح ، ذلك ان المرحلة السابقة
للراسمالية ، مرحلة المنافسة الحرة او مرحلة الراسمالية قبل الاحتكارية ،
قد اتصفت بصورة رئيسية في اوربا الغربية بحروب وطنية . غير ان
القول بأنه لم تقع حروب امبريالية ابدا في المرحلة السابقة قول خاطيء ،

ومعناه فعميان « الحروب الاستعمارية » الامبريالية هي ايضا .

ف. لينين : « في سبيل مراجعة برنامج الحزب » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
السادس والعشرون ، ص : ١٦٣ .

لا يمكن بصورة موضوعية مجابهة الحرب البورجوازية الامبريالية ،
حرب الرأسمالية العالية التطور ، من وجهة نظر التقدم ، من وجهة نظر
الطبقة الطليعية ، الا بالحرب ضد البورجوازية ، يعني قبل كل شيء الحرب
الاهلية التي تخوضها البروليتاريا ضد البورجوازية في سبيل الاستيلاء على
السلطة ، وهي حرب يستحيل أي تقدم جدي بدونها ، ومن بعد ، لكن في
بعض الشروط المخصوصة فحسب ، الحرب المحتملة الوقوع في سبيل
الدفاع عن الدولة الاشتراكية ضد الدول البورجوازية .

ف. لينين : « بخصوص كراسة جوليوس » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني
والعشرون ، ص : ٣٤٠ .

ان الحرب الامبريالية تسم عسمية الثورة الاشتراكية . وليس ذلك
لمجرد ان احوالها تولد الانتفاضة البروليتارية - فلا انتفاضة تخلق الاشتراكية
اذا لم تكن ناضجة اقتصاديا - بل كذلك لان رأسمالية الدولة الاحتكارية
هي التهيئة المادية الاكمل للاشتراكية . هي رواق الاشتراكية ، المرحلة
التاريخية التي لا تفصلها أي مرحلة متوسطة أخرى عن الاشتراكية .

ف. لينين الكارثة النوبك ووسائل
اجتيازها » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الخامس والعشرون ، ص : ٣٩٠ .

خصائص الحرب الاهلية

... ان الحرب الاهلية هي الشكل الاكثر حدة للنضال الطبقي الذي

ينتهي ، بعد نزاعات اقتصادية وسياسية متكررة ومتراكمة ، ومزداة
ومحتدة ، الى التحول الى نزاع مسلح بين طبقتين .

ف. لينين : « الثورة الروسية والحرب
الاهلية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد السادس والعشرون ، ص : ٢١ .

لكن الفارق بين الحرب الاهلية والحرب العادية هو ان الحرب الاهلية
اعتقد من الحرب العادية ، وان القوى المتصارعة غامضة ولا يمكن تحديدها
- من جراء الانقلابات من معسكر الى آخر (فتارة ينحاز الاكتوبريون(٤٢)
للى جانب الحكومة ، وتارة ينضم جزء من القوات المسلحة الى الشعب) -
وان المسألة ليست هي مسألة فصل « المقاتلين » و « غير المقاتلين » ، يعنى
اولئك المدودين بين المتحاربين واولئك غير المدودين بين المتحاربين ، وحين
« تضرب » الحكومة ، وحين تكثف الشرطة ذراعيها ، فالحرب لا تكف من
جاء ذلك ، وذلك بالضبط لانها حرب اهلية ، لان بين السكان أنفسهم
اناسا لهم مصلحة في الدفاع عن السلطة القديمة واناسا يدافعون عن الحرية .

ف. لينين : « انطلاقة جديدة » ، المؤلفات
الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلس
العاشر ، ص : ٢٥٦ .

ان الحروب الاهلية هي حروب ايضا . وان كل من يعترف بصراع
الطبقات لا يمكن الا ان يقبل بالحروب الاهلية التي هي ، في كل مجتمع منقسم
الى طبقات - امتداد الصراع الطبقي واتساعه وتفاقمه ، وهي جميعا امور
طبيعية ، وفي بعض الشروط حتمية ، وهذا ما تؤكد جميع الثورات الكبرى .
ان عدم القبول بالحروب الاهلية او نسيانها معناه السقوط في انتهازية
متطرفة وانكار الثورة الاشتراكية .

ف. لينين : « البرنامج العسكري للثورة
البروليتارية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الثالث والعشرون ، ص : ٨٦ .

بخصوص تحول الحرب الامبريالية الى حرب اهلية

واكثر من ذلك . فليس هناك اشتراكي واحد . من اي بلد لان . يمكن ان يرغب في ان يتحقق النصر الحربي سواء للحكومة الالمانية الحالية ام للجمهورية البورجوازية الفرنسية ؛ و اقل من ذلك ان يتحقق النصر الحربي للقيصر ؛ هذا النصر الذي سيضاهي اذن استعباد اوروبا . وهذا هو السبب في ان الاشتراكيين يطالبون في كل مكان بالمحافظة على السلام .

لكن اذا كان لا بد ان تندلع الحرب ، فهناك شيء مؤكد . ان هذه الحرب ، التي سيتداحج فيها خمسة عشر الى عشرين مليونا من الرجال المسلحين وينزلون باوروبا دمارا كما لم تتعرض لمثله من قبل قط ، هذه الحرب اما ان تؤدي الى نصر الاشتراكية الفوري ، واما ان تغلب نظام الاشياء القديم ايما انقلاب ؛ ولسوف تخلف وراءها كومة هائلة من الخرائب بحيث يصبح المجتمع الراسمالي القديم محالا اكثر منه في اي وقت مضى ، وبعيثة ان الثورة الاشتراكية ، المؤخرة من عشر الى خمس عشرة سنة ، لن تكون من جراء ذلك الا اشد جذرية واسرع اجتيازا .

ف. انجلز : « الاشتراكية في المانيا » ، تقويم
الحزب العمالي الالمانى لعام ١٨٩٢ ، ص : ١٥٠ .

ان تحويل الحرب الامبريالية الحالية الى حرب اهلية هو الشعار البروليتاري الصحيح الوحيد ، الذي تعلمنا اياه تجربة الكومونة ، ويشير علينا به قرار بال (١٩١٢) (٤٢) ، و يترتب على شروط الحرب الامبريالية بين بلدان بورجوازية عالية التطور . ومهما بدت مصاعب هذا التحويل عظيمة في هذه اللحظة او تلك ، فان الاشتراكيين لن يتخلوا ابدا ، منذ اللحظة التي تصبح الحرب فيها حقيقة واقعة ، عن ان ينجزوا في هذا المنحى عملا تحضيريا منهجيا ، صبورا ، لا تخاذل فيه .

ولن تستطيع البروليتاريا الا بالانخراط في هذه الطريق ان تتخلص من تأثير البورجوازية الشوفينية وتتقدم بحزم ، بهذه الطريقة او تلك ، وبسرعة تزيد او تنقص . على درب حرية الشعوب الفعلية الاشتراكية .

ف. لينين : « الحرب والاشتراكية الديموقراطية الروسية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو : المجلد الحادي والعشرون . ص : ٢٨ .

لقد امتص الجيش ، أثناء الحرب الامبريالية ، زهرة القوى الشعبية؛ وبينما كان أوباش الاممية الثانية الانتهازيون (لا الاشتراكيون الشوفينيون فحسب ، يعني امثال شايديمان ورينوديل الذين انتقلوا مباشرة الى معسكر « الدفاع عن الوطن » - بل «المركزيون» أيضا) يؤكدون بأقوالهم وأفعالهم خضوع الجيش لقيادة اللصوص الامبرياليين من الزمرة الالمانية والزمرة الانكلوية فرنسية على حد سواء ، فان الثورين البروليتاريين الحقيقيين لم ينسوا قط ما قاله ماركس عام ١٨٧٠ : « ان البورجوازية ستدرب البروليتاريا على استعمال السلاح ! » فالحديث عن « الدفاع عن الوطن » حين يكون المتصود حربا امبريالية . يعني حربا للسلب والنهب من كلا الطرفين ، هذا ما كان خونة الاشتراكية النمسيون - الالمانيون والانكلو - فرنسيون - الروس وحدهم قادرين عليه . اما الثوريون البروليتاريون فقد كانوا يركزون كل اهتمامهم (منذ آب ١٩١٤) على التقليل الثوري في الجيش ، وعلى استخدام هذا الجيش ضد لصوص البورجوازية الامبرياليين ، وعلى تحويل هذه الحرب الظالمة الفاصبة بين الفريقين من الكواسر الامبرياليين الى حرب عسادية ومشروعة يخوضها البروليتاريون والجمهير الكادحة المضطهدة في كل بلد ضد بورجوازياتهم « الوطنية » .

ف. لينين : « انتخابات المجلس التأسيسي ودكتاتورية البروليتاريا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٢٠٦ .

بخصوص امكانية الحروب الوطنية في ظل الامبريالية

من المؤكد ان الموضوع الاساسية للجدلية الماركسية هي ان جميع الحدود في الطبيعة وفي المجتمع اتفاقيه ومتحركة . وانه ليس ثمة ظاهرة واحدة لا يمكن ان تتحول في بعض الشروط الى نقيضها . ان حربا وطنية يمكن ان تتحول الى حرب امبريالية ، لكن العكس صحيح ايضا . مثال ذلك : ان حروب الثورة الفرنسية الكبرى بدأت على اعتبارها حروبا وطنية ، وقد كانت كذلك بالفعل . وكانت حروبا ثورية ، فقد كان غرضها الدفاع عن الثورة الكبرى ضد تحالف الملكيات المناهضة للثورة . لكن حين أسس نابليون الامبراطورية الفرنسية باستعباد مجموعة كاملة من الدول القومية في اوربا ، وهي دول هامة ، وقابلة للحياة ، وقائمة منذ زمن طويل ، فان الحروب الوطنية الفرنسية باتت اذن حروبا امبريالية ولدت بسورها حروبا لتحرر الوطني ضد امبريالية نابليون .

والسفسطائي وحده يستطيع ان يمحو الفارق القائم بين الحرب الوطنية والحرب الامبريالية بحجة ان الحرب الواحدة يمكن ان تتحول الى الحرب الاخرى . ان الجدلية قد خدمت اكثر من مرة ، في تاريخ الفلسفة الاغريقية ايضا ، كجسر للسفسطائية . غير اننا باقون جدليين ، ذلك اننا نحارب السفسطات ليس بانكار كل تحول عامة ، لكن بالتحليل الحسي لكل ظاهرة معينة في اطارها العام وفي تطورها .

ف. لينين : « بخصوص كرامة جونوس » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الثاني والعشرون ، ص : ٢٢٢ - ٢٢٣ .

... ليست الحروب الوطنية ضد الدول الامبريالية ممكنة ومحتملة فحسب ، بل هي محتومة ، وتقدمية ، وثورية ، على الرغم من ان نجاحها يتطلب ، بصورة طبيعية ، اما التوفيق بين جهود عدد كبير جدا من سكان

البلدان المضطهدة (مئات الملايين في المثال الذي اوردناه، مثال الهند والصين) ،
وأما واضعاً أممية ملائمة بصورة مخصوصة (مثال ذلك ان يشل تدخل
الدول الامبريالية من جراء الوهن الذي اصابها بنتيجة حرب فيما بينها ،
ومن جراء تناحرها ، الخ) ، وأما ان تتدخل انتفاضة متواقنة لبروليتاريا
احدى الدول الكبرى ضد البورجوازية (وهذه الامكانية ، الاخيرة في
تعدادنا ، تأتي في واقع الامر في المرتبة الاولى ، يعني انها افضل الامكانيات
وأشهاها من اجل انتصار البروليتاريا) .

ف. لينين : « بخصوص كراسة جونيوس » .
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الثاني والعشرون ، ص : ٢٣٦ .

ان انكار كل امكانية للحرب الوطنية في عصر الامبريالية خاطيء نظرياً ،
كما انه خطيئة بينة تاريخياً ؛ وأما عملياً فهو من قبيل شوفينية الرجل
الاوروبي : نحن الذين نتسب الى أمم تضطهد مئات الملايين من البشر في
اوروبا وأفريقيا وآسيا ، الخ ، يجب علينا ان نعلن للشعوب المضطهدة ان
حربها ضد « أمننا » هي حرب « مستحيلة » !

ف. لينين : « البرنامج العسكري للشورة
البروليتارية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الثالث والعشرون ، ص : ٨٦ .

تستقيم المهمة في أن نحدد بطريقة صحيحة العلاقة بين العصر والحرب
الراهنة . وهذا ما فعلته القرارات ، وكذلك مقالاتي : ان الحرب الامبريالية
الراهنة ليست استثناء ، بل ظاهرة نموذجية لعصر الامبريالية ، لكنها
ليست بالظاهرة نسيج وحدها . ولا يمكن فهم الحرب الراهنة دون فهم العصر .

وحين يجري الحديث عن العصر على هذا الفرار ، فليست تلك
بالعبارة الفارغة . هذا صحيح . وان استشهادتك المأخوذة من مقالاتي
القديمة لا تقول إلا هذا . أنها صحيحة .

لكن حين يرواحون يستنتجون من ذلك « : لا يمكن ان تقع حروب وطنية في عصر الامبريالية » ، فتلك بلاهة . هذه خطيئة بينة ، تاريخية وسياسية كما هي منطقية (ذلك ان العصر مجموعة من ظواهر متنوعة فيها . الى جانب النموذجي ، شيء آخر على الدوام) .

ف. لينين : « رسالة الى غ. زينوفيف » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الخامس والثلاثون ، ص : ٢٢٦ - ٢٢٧ .

شروط زوال الحروب :

ان الحرب شيء مريع حتى الدرجة القصوى ، فهي نتاج الرأسمالية
المباشر والحتمي .

ف. لينين : « الاول من ايار والحرب » ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الخامسة ،
المجلد السادس والعشرون ، ص : ٣٧٨ .

... ان للحرب جذورها في ماهية الرأسمالية بالذات ، ولن تتوقف
الا حين يتوقف النظام الرأسمالي عن الوجود أو حين تؤدي فداحة الخسائر
البشرية والمالية ، المسببة من التطور العسكري والتقني ، والثورة الشعبية
المسببة عن التسلح ، الى القضاء على هذا النظام .

ف. لينين : « النزعة العسكرية الاستفزازية
والتكتيك المضاد للمركبة للاشتراكيين
الديمقراطيين » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة
الروسية الرابعة ، المجلد الخامس عشر ، ص : ١٧٠ .

... ان انتصار الاشتراكية في بلد واحد لا يستبعد ابدا ، من الوهلة
الاولى ، جميع الحروب عامة . ان الامر على النقيض من ذلك ، فهو يفترضها ،
ان تطور الرأسمالية يجري بصورة متفاوتة حتى الدرجة القصوى في

البلدان المختلفة ، ولا يمكن ان يكون الامر خلاف ذلك على اي حال في ظل نظام الاقتصاد التجاري . ومن هنا كانت هذه النتيجة التي لا مفر منها : لا تستطيع الاشتراكية أن تنتصر في سائر البلدان بصورة متواقة . انها ستنتصر بادىء الامر في بلد واحد او عدة بلدان ، بينما تظل البلدان الاخرى خلال فترة من الزمن بلدانا بورجوازية او قبل بورجوازية . وسوف يسبب ذلك بالضرورة احتكاكات ، ويحرض فضلا عن ذلك بورجوازية البلدان الاخرى على سحق البروليتاريا الظافرة للدولة الاشتراكية . واعتبارا من ذلك الحين ، فان الحرب من جانبنا ستكون مشروعة وعادلة ، اذ انها ستكون حربا في سبيل الاشتراكية ، في سبيل تحرر الشعوب الاخرى من نير البورجوازية . ولقد كان انجلز على صواب تام حين اعترف بكل وضوح ، في رسالته السى كاوتسكي بتاريخ ١٢ ايلول ١٨٨٢ ، بامكانية « الحروب الدفاعية » من جانب الاشتراكية الظافرة . لقد كان يفكر على وجه الدقة في دفاع البروليتاريا الظافرة ضد بورجوازية البلدان الاخرى .

ولن تصيح الحروب مستحيلة الا بعد ما نكون قد اطحننا بالبورجوازية وغلبناها نهائيا ونزعنا ملكيتها في العالم اجمع ، وليس في بلد واحد فحسب . ومن وجهة النظر العلمية ، فانه يكون من قبيل الخطأ بصورة مطلقة ومن قبيل مناهضة الثورة بصورة مطلقة ان نتحاشى او نظمس ما يتمتع على وجه الدقة بالاهمية العظمى ، الا وهو سحق مقاومة البورجوازية - الامر الاصعب الذي يتطلب النضال الاشد لدى الانتقال الى الاشتراكية .

ف. لينين : « البرنامج العسكري للثورة البروليتارية » . المؤلفات الكاملة ، باريس-موسكو ، المجلد الثالث والعشرون ، ص : ٨٦ .

ان الثورة الروسية في شباط - آذار ١٩١٧ قد سجلت بداية تحول الحرب الامبريالية الى حرب اهلية . لقد قامت هذه الثورة **بالخطوة الاولى** نحو وقف الحرب . وان **الخطوة الثانية** - انتقال السلطة الى البروليتاريا -

تستطيع وحدها أن تضمن وقف الحرب . ولسوف يكون هذا في العالم
اجمع بداية « تصدع الجبهة » - جبهة مصالح الرأسمالية - ولن
تستطيع البروليتاريا ان تخلص الانسانية من ويلات الحرب وتوفر لها
خيرات سلم دائم الا بتحطيم هذه الجبهة .

وحين خلقت الثورة الروسية المجالس السوفيتية للمندوبين العمال،
فقد جعلت سلفا البروليتاريا الروسية قادرة على تحقيق هذا « التصدع
في جبهة » الرأسمال .

ف. لينين : « مهمات البروليتاريا في ثورتنا » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الرابع والعشرون ، ص : ٥٩ - ٦٠ .

انا نقول : ان هدفنا هو اقامة النظام الاجتماعي الاشتراكي الذي
سيقضي بصورة حتمية على كل امكانية للحرب عامة حين يقضي على انقسام
الانسانية الى طبقات ، وحين يقضي على كل استثمار للانسان من قبل
الانسان ولائمة من قبل امم اخرى .

ف. لينين : « الحرب والثورة » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الرابع-
والعشرون ، ص : ٤٠٨ .

لقد باشرنا نضالا حازما ضد الحرب المسيبة عن النزاع بين الكواسر
الذين يطاردون الارباح . وقد تحدثت جميع الاحزاب الاخرى حتى الآن عن
هذا النضال ، لكنها لم تتجاوز الكلمات المرائية . ان النضال في سبيل
السلام قد بدأ اليوم ، وهو نضال عسير . وان ذلك الذي كان يحسب انه
من السهل الحصول على السلام ، وان مجرد التلميح اليه يكفي كي تحمله
البورجوازية الينا على صحيفة ، انما هو رجل ساذج جدا . وان اولئك
الذين كانوا ينسبون وجهة النظر هذه الى البلاشفة قد كانوا يخدعون

الشعب . لقد تماسك الرأسماليون من حلوقهم كسي يتقاسموا الغنائم .
وانه من الواضح ان القضاء على الحرب يعني التغلب على الرأسمال ، وقد
باشرت سلطة المجالس السوفييتية النضال بهذه الروح بالذات .

ف. لينين : « خطاب القي في المؤتمر الاول للبحرية
الحربية في روسيا ، بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني
(٥ كانون الاول) ١٩١٧ » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد السادس والعشرون ،
ص : ٣٦١ .

وقف الحروب ، والسلام بين الشعوب ، ونهاية اعمال النهب والعنف:
ذلك هو على وجه الدقة مثلنا الاعلى . . .

ف. لينين : « مسألة الصلح » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي
والعشرون ، ص : ٣٠٢ .

اذا لم تنتصر الاشتراكية ، فان الصلح بين الدول الرأسمالية لن
يكون سوى هدنة ، سوى مهادنة ، سوى استعداد لمذبحة جديدة بين
الشعوب .

ف. لينين : « من اجل الصلح ومن اجل السلام » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
السادس والعشرون ، ص : ٤٠٦ .

ان مسألة الصلح ، باعتبارها برنامجا عاجلا للاشتراكيين ، ومثلها
المسألة الملحقة بها لشروط الصلح ، تهمان جميع الناس . . .

. . . ان شعار الصلح يمكن ان يطرح اما بصورة متصلة مع شروط
معينة للسلام ، واما بدون اي شرط على الاطلاق ، على اعتباره نضالا ليس
في سبيل صلح معين ، بل في سبيل السلام بصورة عامة (Frieden ohne weiters) .

ومن الواضح اننا نقف ، في هذه الحالة الاخيرة ، حيال شعار ابعده ما يكون عن كونه اشتراكيا ، وهو بالاضافة الى ذلك خال من كل مضمون وكل مغزى . ان العالم اجمع بلا استثناء هو الى جانب السلام بصورة عامة ، حتى وبما في ذلك كيتشنر ، وجوفر ، وهندنبورغ ، ونقولاس الدموي ، ذلك ان كل واحد من بينهم راغب في نهاية الحرب : والمسألة كلها هي بالقبض في ان كل واحد يضع شروطا امبريالية للسلام (يعني شروطا للنهب واضطهاد الشعوب الاخرى) في مصلحة امته « هو » . ان الشعارات يجب ان تصاغ بغرض افهام الجماهير ، بواسطة الدعاية والتحريض ، الفارق الذي لا خلاص منه بين الاشتراكية والرأسمالية (الامبريالية) ، وليس بغرض مصالحة طبقتين عدويتين وسياستين عدويتين بواسطة لفظة « توحيد » الاشياء الاشد اختلافا .

ف. لينين : « مسألة الصلح » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والعشرون ، ص : ٢٩٩ - ٣٠٠ .

عن السلم والتعايش السلمي

« مرسوم عن السلام »

ان الحكومة العمالية والفلاحية ، المشكلة بثورة يومي ٢٤ و ٢٥ اكتوبر والمستندة الى المجالس السوفييتية للمندوبين العمال والفلاحين والجنود ، تقترح على جميع الشعوب المتحاربة وعلى حكوماتها البدء في مفاوضات فورية من اجل عقد صلح عادل وديموقراطي .

ان الصلح العادل او الديموقراطي الذي تتمطش اليه الغالبية الساحقة من الطبقات العاملة والكادحة ، المرهقة والمنهكة ، والمعدبة من جراء الحرب ، في جميع البلدان المتحاربة - الصلح الذي يتطلبه بالصورة الاشد حزما

والاكثر الحاحا العمال والفلاحون الروس منذ الاطاحة بالملكية
القيصرية - هذا الصلح ترى الحكومة انه لا يمكن الا ان يكون صلحا فوريا ،
دون الحاقات (يعني دون استيلاء على الاراضي الاجنبية ، ودون ضم
بالقوة للقوميات الاجنبية) ودون تعويضات حرب .

ذلك هو الصلح الذي تقترح حكومة روسيا على جميع الشعوب
المتحاربة عقده فورا ؛ وانها لتعرب عن استعدادها للقيام في الحال ، دون ادنى
تأخير ، بجميع الخطوات الحاسمة ، حتى التصديق النهائي على جميع
شروط هذا الصلح من قبل الجمعيات المطلقة الصلاحية للممثلين المعينين من
قبل شعوب البلدان وجميع الامم . . .

. . . ان مواصلة هذه الحرب من اجل معرفة كيف تتفاسم الامم القوية
والغنية الشعوب الضعيفة التي غزتها ، ذلك في رأي الحكومة أفدح الجرائم
ضد الانسانية ؛ وانها لتعلن عن عزمها المؤكد بالتوقيع في الحال على شروط
للصلح تضع حدا لهذه الحرب ، وهي الشروط التي سبقت الاشارة اليها
والقائمة على المساواة والعدالة لجميع الشعوب دونما استثناء! . . .

. . . ان الحكومة المؤقتة للعمال والفلاحين في روسيا ، اذ توجه اقتراح
الصلح هذا الى الحكومات والشعوب في سائر البلدان المتحاربة ، تتوجه
كذلك بصورة خاصة الى العمال الواعين في الامم الثلاث الاكثر تقدما فسي
الانسانية وفي الدول الاله المنخرط في الحرب الحالية : انكلترا وفرنسا والمانيا .
ان عمال هذه البلدان قد ادوا اجل الخدمات لقضية التقدم والاشتراكية :
الامثلة الرائعة للحركة الميثاقية في انكلترا ، وسلسلة من الثورات التاريخية
ذات الالهية العظمى التي حققها البروليتاريا الفرنسية ، واخيرا النضال
البطولي ضد القانون الاستثنائي وجهد طويل من العناد والانضباط يشكل
قدوة لعمال العالم اجمع ، وهو الجهد الساعي الى تشكيل تنظيمات
بروليتارية جماهيرية في المانيا . ان جميع هذه الامثلة من البطولة البروليتارية

والمبادرة التاريخية هي بالنسبة اليها الضمانة بأن عمال هذه البلدان سوف يحققون المهمات التي تقع على عاتقهم اليوم ، انهم سيحررون الانسانية من احوال الحرب وعواقبها ، وبأن هؤلاء العمال سوف يساعدوننا ، بفعاليتهم المتعددة والحاسمة ، وبطاقتهم التي لا حدود لها ، على أن نخوض بنجاح حتى النهاية النضال في سبيل السلام ، وفي نفس الوقت النضال في سبيل تحرير الجماهير الكادحة والمستثمرة من كل عبودية ومن كل استثمار .

ف. لينين : « المؤتمر الثاني للمجالس السوفيتية للمندوبين العمال والجنود في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السادس والعشرون ، ص : ٢٥٥ - ٢٥٨ .

يجب ألا ننسى أن العبارات المسالمة ، والاحاديث والتأكيدات ، بله العهود ضد الحرب وفي سبيل الصلح* ، هي غزيرة بشكل خارق في العالم أجمع ، لكن الإرادة في اتخاذ التدابير الفعلية لا نرى منها الا القليل بشكل خارق في معظم الدول ، وعلى الاخص في الدول المتحضرة الحديثة . والحال أننا نريد ، في هذه المادة وفي مواد مماثلة أخرى ، أن نسمع أقل ما يمكن من التصريحات العامة ، والوعود المهيبة ، والصيغ البليغة ، وأن نرى أكثر ما يمكن من القرارات والاجراءات ، الاكثر بساطة والاشد وضوحا ، المؤدية بصورة فعلية الى السلام ، هذا كي لا نتحدث عن القضاء على اخطار الحرب قضاء مبرما .

ف. لينين : « مقابلة ممنوحة الى فارمان ، مراسل الاوبزرفر والمانشستر غارديان » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والثلاثون ، ص : ٣٠٥ - ٣٠٦ .

* المقصود هو صلح فرساي (ملاحظة من الناشرين الروس) .

ان الطبقة العاملة ، التي تشكل مستودع الجنود الرئيسي والتي تعاني في المحل الاول من التضحيات المادية ، هي بصورة مخصوصة تماما المدوة الطبيعية للحروب ، ذلك أن هذه الحروب مناقضة للاهداف التي وضعتها نصب اعينها : خلق نظام اقتصادي يسود فيه المبدأ الاشتراكي ويحقق بصورة فعلية تضامن الشعوب .

ف. لينين : « النزعة العسكرية الاستفزازية والتكتيك المناهض للعسكرية للاشتراكيين الديموقراطيين » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد الخامس عشر ، ص : ١٧٠ .

اننا مقتنعون بأننا اذا واصلنا سياستنا السلمية واذا تساهلنا (يجب ان نفعل ذلك كي نتفادى الحرب) ، فعلى الرغم من جميع مؤامرات الامبرياليين وسائر الاعيبيهم ، التي يمكن دائما بالطبع ان توقع الخلاف بيننا وبين هذه الدولة أو تلك ، على الرغم من هذه الاوضاع ، فان الخط الجوهري لسياستنا والمصالح الرئيسية التي تصدر عن ذات طبيعة السياسة الامبريالية هي التي تتغلب وتجبر جمهورية روسيا الاشتراكية الاتحادية السوفييتية على ان ترتبط بصورة وثيقة اكثر فأكثر مع عدد متزايد أبدا من الدول المجاورة .

ف. لينين : « المؤتمر الثامن للمجالس السوفييتية في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٥١١ .

اننا نواجه توازنا ما ، مقلقا حتى الحد الاقصى ، لكنه واضح ومؤكد بالرغم من كل شيء ؛ اىكون ذلك لفترة طويلة من الزمن ؟ اجهل ذلك واعتقد انه ليس في الامكان معرفته . وهذا هو السبب في ان من واجبنا ان نبرهن على

أكبر قدر من الحيطة . وان المبدأ الأول لسياستنا ، الدرس الأول الناتج عن نشاطنا الحكومي طوال سنة ، وهو الدرس الذي ينبغي لجميع العمال والفلاحين أن يتمثلوه ، هو أن نتخذ حذرنا ، وأن نتذكر أننا مطوقون ببشر وطبقات وحكومات تعبر بكل صراحة عن الحقد الأشد قسوة تجاهنا . ويجب ألا ننسى أننا دائماً قيد شمرعة من الفوز . وإنما نفعل كل ما في وسعنا لتتحاشى هذه الكارثة . ومما لا ريب فيه أننا تحملنا عبء الحرب الامبريالية أكثر من أي شعب آخر ، ومن بعد تحملنا ثقل الحرب الاهلية التي فرضها علينا ممثلو الطبقات السائدة ، حماة روسيا المغتربين ، روسيا الملاكين الفقاريين الكبار ، روسيا الراسماليين . أننا نعرف ، نعرف على خير وجه ، البلايا التي تجلبها الحرب على العمال والفلاحين ، ولذا يجب علينا أن نلتزم أقصى الحذر والحيطة في هذه النقطة . أننا نقبل بالتضحيات والتنازلات العظمى ، نرضى بها فقط بغرض الحفاظ على السلم الذي دفعنا ثمنه غاليا جدا . أننا نقبل بالتنازلات والتضحيات العظمى ، ، لكن لا نقبل بها كائنة ما كانت ، لكن لا نقبل بها بصورة لا محدودة . . .

هـ. لينين : « المؤتمر التاسع للمجالس السوفيتية في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والثلاثون ، ص : ١٤٦ - ١٤٧ .

هناك قوة أعلى من الرغبة والارادة والحزم عند أي حكومة أو طبقة معادية ، وتلك هي العلاقات الاقتصادية العالمية التي تجبرها على الاتصال بنا .

ف. لينين : « المؤتمر التاسع للمجالس السوفيتية في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والثلاثون ، ص : ١٥٤ .

إننا لا نسمح بأن تهان معاهدات الصلح ، ولا تقبل بالمحاولات المبذولة لتعكير عملنا السلمي . إننا لا نقبل بهذا في أي حال من الأحوال ، وسوف ننهض مثل رجل واحد للدفاع عن وجودنا .

ف. لينين : « المؤتمر التاسع للمجالس السوفييتية في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والثلاثون ، ص : ١٤٨ .

لعلمهم يحسبون* أن مصالح الثورة الاممية تحظر كل صلح ، كائنا ما كان، مع الامبرياليين ؟ إن هذا الرأي ، الصادر في اجتماع عقد في بتروغراد عن بعض خصوم الصلح ، لم يؤيده سوى اقلية ضئيلة من أولئك الذين ينهضون ضد الصلح المنفرد (٤٤) . ومن الواضح أن هذا الرأي يقود الى انكار فائدة مفاوضات بريست - ليتوفسك ، الى رفض الصلح « حتى » إذا ردت الينا بولونيا ولتوانيا وكورلندا . ويقفز الى البصر أن هذا النوع من الآراء (المرفوضة على سبيل المثال من غالبية خصوم الصلح في بتروغراد) هي خاطئة . فاذا تبيننا وجهة النظر هذه ، فان جمهورية اشتراكية مطوقة بدول امبريالية لن تستطيع أن تمقد أي اتفاق اقتصادي ولن تستطيع الوجود ، إلا اذا طارت الى القمر .

ف. لينين : « شيء عجيب ومسيخ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٦٦ - ٦٧ .

١ - هل ننوي أن نهاجم بولونيا ورومانيا ؟

كلا . لقد اعلنا عن نوايانا السلمية بالطريقة الاكثر جزمًا والاكثر رسمية باسم مجلس مفوضي الشعب واللجنة التنفيذية المركزية في روسيا . ومن

* انظر الهامش رقم ٢٧ في نهاية الكتاب .

سوء الحظ أن الحكومة الرأسمالية الفرنسية تحرض بولونيا (ورومانيا أيضا على الأرجح) على مهاجمتنا . بل هذا ما تملنه سلسلة من الرسائل الأميركية بالراديو مصدرها ليون .

٢ - خططنا في آسيا ؟

مثلها في أوروبا : التعايش السلمي مع الشعوب ، مع العمال والفلاحين من جميع الأمم ، الذين يستيقظون لحياة جديدة ، حياة لا استثمار فيها ، ولا ملاكين عقارين كبارا ، ولا رأسماليين ، ولا تجارا . إن الحرب الامبريالية للاعوام ١٩١٤ - ١٩١٨ : حرب الرأسماليين من الفريق الانكلو - فرنسي (والروسي) ضد الرأسماليين من الفريق الالماني - النمساوي من اجل اقتسام العالم ، قد ايقظت آسيا وزادت فيها ، كما في اي مكان آخر ، من حدة الطموح الى الحرية ، الى العمل المسالم ، الى حظر الحروب فسي المستقبل .

٣ - أسس السلام مع اميركا ؟

لا يمسننا الرأسماليون الاميركيون ، ونحن لن نمسهم . بل نحن على استعداد لان ندفع لهم بالذهب ثمن الآلات ، والعدد ، الخ . . المفيدة من اجل الثقليات والانتاج . ليس بالذهب وحده ، بل بالخامات ايضا .

٤ - العقبات في سبيل مثل هذا السلام ؟

ليس ثمة عقبة واحدة من جانبنا . الامبريالية من جانب الرأسماليين الاميركيين (كما هي حال جميع الرأسماليين الآخرين) . . .

٦ - . . . إمكانيات تحالف اقتصادي بين روسيا ومانيا ؟

من سوء الحظ أن هذه الامكانية قد تقلصت . ذلك أن أمثال شايدمان

حلفاء سيئون . إننا من أنصار التحالف مع جميع البلدان ، دون استثناء أي بلد على الإطلاق .

٧ - رأينا في تسليم المسؤولين عن الحرب ، الذي يطالب الحلفاء به ؟

إذا شئنا أن نتكلم جديا ، فإن المسؤولين عن الحرب هم الرأسماليون في جميع البلدان . سلمونا جميع الملاكين العقاريين الكبار (الذين يملكون أكثر من مائة هكتار) والرأسماليين (الذين يملكون رأسمالا أعلى من ١٠٠٠٠٠ فرنك) ، وسوف نعلمهم القيام بعمل مفيد ، ونجعلهم يقرءون عن عادة لعب الدور المغيب والدنيء والدموي للمستثمرين والمحرضين على الحروب من أجل اقتسام المستعمرات . ومنذئذ ، فإن الحروب ستصبح بسرعة كبيرة مستحيلة بصورة مطلقة .

٨ - تأثير الصلح معنا على الوضع الاقتصادي في أوروبا ؟

يمكن لمبادلة الآلات لقاء القمح ، والكتان ، والخامات الأخرى ، ألا يكون ملائما لأوروبا ؟ من الواضح أنه لا يمكن إلا أن يكون ملائما . . .

٩ - . . . يجب على روسيا أن تخشى بعد تدخلنا هنا للثورة من

الخراج ؟

أجل ، من سوء الحظ . ذلك أن الرأسماليين أنلس سخفاء وجشعون . ولقد عمدوا سلفا إلى سلسلة من محاولات التدخل السخيفة والجشعة حتى الدرجة القصوى ، بحيث يخشى من الانتكاسات ، طالما أن عمال وفلاحى كل بلد من البلدان لم يعيدوا تثقيف رأسماليهم .

١٠ - هل روسيا مستعدة للدخول في علاقات أعمال مع أميركا ؟

أجل ، طبعا ، كما هي مستعدة لذلك على أي حال مع جميع البلدان . إن الصلح مع استونيا (٤٥) التي قدمنا لها تنازلات ضخمة قد بين أننا

مستعدون لهذه الغاية ، ضمن بعض الشروط ، لأن نمنح حتى التنازلات .

ف. لينين : « جواب على أسئلة كارل ويفاند ،
مراسل وكالة الأنباء الاميركية يونيفرسال سرفيس
في برلين » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الثلاثون ، ص : ٢٧٧ - ٢٧٩ .

كثيرا ما يسألونني ما اذا كان الاميركيون - لا العمال فحسب ، بل بصورة
رئيسية البورجوازيون المعادون للحرب مع روسيا ، على حق اذ يتوقعون
منا ، في حال عقد الصلح ، لا استئناف العلاقات التجارية معنا فحسب ،
بل كذلك امكانية الحصول على بعض التنازلات في روسيا . واكرر أنهم على
حق . إن سلما وطيدا سوف يشكل تخفيفا كبيرا لأوضاع الجماهير الكادحة
في روسيا بحيث سوف تكون هذه الجماهير من دون ريب راضية عن منح
بعض التنازلات . وان التنازلات المعروضة لهي ، في شروط معقولة ، مرغوبة
من طرفنا ايضا ، بمعنى أن هذا سوف يتيح لنا أن نجتذب الى روسيا المعونة
الفنية للبلدان الاكثر تقدما من هذه الوجة ، في سياق المرحلة التي ستتواجد
فيها الدول الاشتراكية والدول الرأسمالية .

ف. لينين : « الى العمال الاميركيين » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الثلاثون ، ص : ٢٣ .

... يجب أن نجابههم خطوة بخطوة بعملنا الشيوعي . ذلك نوع من
الحرب ايضا ، مبارزة بين منهجين ، بين تشكيلين ، بين اقتصادين :
شيوعي ورأسمالي . وسوف نبرهن على اننا الأقوى . ويقال لنا : « حسنا ،
لقد صمدتم على الجبهة الخارجية ، باثروا البناء اذن ، ابنوا ، وسوف نرى
من سوف يتغلب ... » من المؤكد أن المهمة صعبة ، لكننا قلنا ذلك ونكرهه :

«إن للاشتراكية قوة القدوة» . ان العنف فعال حيال أولئك الذين يريدون ان يستردوا السلطة . بيد ان مداه يتوقف هنا ، وفيما وراء ذلك لا يفعل سوى النفوذ والقدوة . يجب ان نبين بصورة عملية ، بالقدوة ، المدى الذي تملكه الشيوعية .

ف. لينين : « اجتماع المناضلين الشيطيين في منظمة موسكو للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ، بتاريخ ٦ كانون الاول ١٩٢٠ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحسادي والثلاثون ، ص : ٤٧٤ .

* * *

التكوين الاقتصادي والاجتماعي الشيوعي

في مرحلتي المجتمع الشيوعي

إن المنتجين لا يتبادلون منتجاتهم في نظام اجتماعي جماعي قائم على أساس الملكية المشاعية لوسائل الانتاج ؛ وكذلك فان العمل المجسد في المنتجات لا يترأى هنا بوصفه قيمة هذه المنتجات ، بوصفه صفة مادية تتمتع بها ، طالما أن أعمال الانسان الفرد تصبح من الآن فصاعدا جزءاً لا يتجزأ من العمل الاجمالي بصورة مباشرة ، وليس بواسطة اللف والدوران ، وذلك على النقيض مما يحدث في المجتمع الراسمالي . وهكذا فان عبارة « منتج العمل » ، المرفوضة اليوم أيضا بسبب من التباسها ، تفقد كل معنى .

إن ما ناقشه هنا هو المجتمع الشيوعي ، ليس كما يتطور على اساسه الخاصة ، بل على العكس من ذلك كما ينبثق من المجتمع الراسمالي . وهكذا فهو مدموغ بعد ، في سائر مظاهره ، اقتصاديا واخلاقيا وفكريا ، بالاعلاقات الولادية للمجتمع القديم الذي خرج من صلبه . ووفقا لذلك فان المنتج الفردي يتقاضى من المجتمع - بعد اجراء الحسميات - معادل ما اعطاه اياه بالضبط . وان ما اعطاه اياه هو كميته الفردية من العمل . ومثال ذلك أن يوم العمل الاجتماعي يتألف من حصيلة ساعات العمل الفردية ، وزمن العمل

الفردى الخاص بالمنتج الفرد هو قسم من يوم العمل الاجتماعى الذى يسهم فيه ، هو حصته فى هذا اليوم . وانه لىلقى من المجتمع قسيمة تنص على انه قدم كذا مقدارا من العمل (بعد حسم عمله من اجل الاعتمادات الجماعية) ، وسحب بفضل هذه القسيمة من المخزون الاجتماعى لوسائط المعيشة قدرا يعادل المقدار نفسه من العمل . فالمقدار نفسه من العمل الذى قدمه المجتمع فى شكل واحد يسترده منه ، بالمقابل ، فى شكل آخر .

ومن الواضح انه يسود هنا نفس المبدأ الذى ينظم مبادلة البضائع، وذلك بقدر ما هي مبادلة قيم متعادلة . وان المضمون والشكل يختلفان ، لانه ليس فى مكنة اى امرىء ، فى ظل الظروف المتبدلة ، ان يعطى شيئا سوى عمله ، ولانه لا يمكن من جهة اخرى ان ينتقل اى شيء الى ملكية الافراد باستثناء وسائط المعيشة الفردية . لكن بقدر ما يتعلق الامر بتوزيع وسائط المعيشة هذه بين المنتجين الفردى ، فانه يسود نفس المبدأ السائد فى مبادلة المنتجات السلمية . ان مقدارا معينا من العمل فى شكل واحد يبادل بمقدار معين من العمل فى شكل آخر .

وهكذا فان الحق المتساوي هنا لا يبرح مبدئيا . . . الحق البورجوازي ، على الرغم من ان المبدأ والممارسة لم يبقيا فى حالة خصام ، فى حين لم يبق لمبادلة المعادلات فى مبادلة البضائع وجود الا بصورة وسطية ، وليس فى الحالات الفردية .

وعلى الرغم من هذا التقدم ، فان هذا الحق المتساوي لا يبرح مدموغا باستمرار بتحديد بورجوازي . ان حق المنتجين متناسب طردا مع ما يقدمون من العمل : فالساواة قائمة فى هذه الحقيقة ، الا وهي استخدام العمل على اعتباره وحدة قياس مشترك .

بيد ان الناس يختلفون حكما وذهنيا ، فاحدهم يقدم مزيدا من العمل فى الوقت نفسه ، او يستطيع ان يكدح لفترة اطول من الزمن . وبالتالي فلا

بد من تحديد العمل ، كي يستطيع أن يفيد كميّاس ، بديمومته أو بشدته ، وإلا يكف عن كونه معيارا للقياس . إن هذا الحق المتساوي هو حق متفاوت من أجل عمل متفاوت . إنه لا يعترف بأية فوارق طبقية ، لأن كل امرئ هو مجرد عامل مثله كمثل أي امرئ آخر . بيد أنه يعترف ضمّنيا بالمواهب الفردية المتفاوتة ، وبالتالي بالقدرة الانتاجية بوصفها امتيازاً طبيعياً . وهكذا فإنه في مضمونه حق قائم على التفاوت ، مثله كمثل أي حق آخر . إن الحق ، بفعل ذات طبيعته ، لا يمكن أن يقوم إلا في تطبيق معيار متساو ؛ لكن الافراد المتفاوتين (وهم لا يمكن أن يكونوا افراداً مختلفين إذا هم لم يكونوا متفاوتين) لا يمكن قياسهم إلا بمعيار متساو بقدر ما تطبق عليهم وجهة نظر واحدة ، بقدر ما يؤخذون بعين الاعتبار في مظهر محدد واحد فحسب ؛ ومثال ذلك بقدر ما يؤخذون بعين الاعتبار ، في الحالة الراهنة ، بوصفهم شغيلة فحسب ، فلا يرى شيء آخر فيهم ، بل يعرض عن كل شيء آخر فيهم . وفيما عدا ذلك ، فإن هذا العامل متزوج ، في حين أن ذاك العامل اعزب ، كما أن لهذا العامل عدداً من الاولاد أكثر مما لذاك العامل ، وهكذا دواليك . وهكذا فإن هذا العامل سيتقاضى في الحقيقة (على الرغم من الانجاز المتساوي في العمل ، وبالتالي من الحصة المتساوية في الذخيرة الاستهلاكية الاجتماعية ، أكثر مما يتقاضى ذاك العامل ، وسيكون أغنى منه ، وهلم جرا . فلا بد في سبيل تجنب سائر هذه المساوئ من أن يكون الحق متفاوتاً بدلاً من أن يكون متساوياً .

غير أن هذه المساوئ لا مفر منها في المرحلة الاولى من المجتمع الشيوعي كما تكون حاله حين ينشئ بعد مخاض مديد من المجتمع الرأسمالي . إن الحق لا يمكن أن يكون قط أعلى من بنية المجتمع الاقتصادية وما يترتب عليها من درجة حضارية .

وفي مرحلة أعلى من المجتمع الشيوعي ، بعدما يزول خضوع الفرد الملل لتقسيم العمل . ويزول معه أيضاً التفاوت بين العمل الذهني والعمل

الجسدي ، بعدما يصير العمل لا وسيلة للحياة فحسب ، بل الحاجة الاولى في الحياة ، وبعدها تزداد القوى الانتاجية ايضا مع تطور الفرد من مختلف الجوانب ، وتتدفق سائر ينابيع الثروة التعاونية بمزيد من الغزارة - عندئذ فقط يمكن اجتياز الافق الضيق للحق البورجوازي بكليته ، فيستطيع المجتمع أن يسجل على راياته : « من كل حسب قدراته ، ولكل حسب حاجاته » ؟

ك. ماركس : نقد برنامج غونا ، في ك. ماركس
وف. انجلز ، دراسات اقتصادية ، منشورات دار
دمشق ، ص : ٣١٢ - ٣١٤ .

إن الفرق بين الدور الاول أو الدور الادنى والدور الاملى من الشيوعية ، من وجهة النظر السياسية ، سيكون بكل تأكيد عظيما مع الزمن . لكنه من السخف اليوم ، في النظام الرأسمالي ، ان نعلق عليه أهمية ، ولعل بعض الفوضويين يستطيعون وحدهم أن يضعوه في المحل الاول خاصة وانه لم يزل بين الفوضويين أناس لم يتعلموا شيئا بمد التحول « البليخانوفي » لامثال كروبوتكين ، وغريف ، وكورنيليسين ، وغيرهم من « كواكب » الفوضوية ، الى اشتراكيين شوفينيين او فوضويي الخنادق ، حسب تعبير فاي ، أحد الفوضويين القلائل الذين احتفظوا بشرفهم ووجدانهم) .

لكن الفارق العلمي بين الاشتراكية والشيوعية واضح . ان ما يسمونه عادة الاشتراكية قد سماه ماركس الدور « الاول » أو الدور الادنى من المجتمع الشيوعي . وبقدر ما تصبح وسائل الانتاج ملكية مشاعية ، فان كلمة الشيوعية يمكن أن تطبق هنا أيضا ، بشرط ألا ننسى أن ذلك ليس بشيوعية كاملة . إن الفضل الكبير لايضاحات ماركس هو انه يطبق هنا أيضا ، بصورة حازمة ، الجدلية المادية ، نظرية التطور ، ويعتبر الشيوعية شيئا يتطور **انطلاقا من الرأسمالية** . فبدلا من الاقتصار على تعريفات « متخيلة » ،

وسنفيطائية ، ومصطنعة ، على خلافات مجدبة بشأن الكلمات (ما هي الاشتراكية ؟ ماهي الشيوعية ؟) ، فان ماركس يحلل ما يمكن أن نسميه درجات نضوج الشيوعية الاقتصادية .

إن الشيوعية لا تستطيع ، في دورها الاول او درجتها الاولى ، أن تكون بعد ناضجة تماما من وجهة النظر الاقتصادية ، متحررة كليا من تقاليد الرأسمالية وبقيائها . ومن هنا كانت هذه الظاهرة الهامة ، الا وهي الاحتفاظ « بالانق الضيق للحق البورجوازي » في النظام الشيوعي ، في الدور الاول من هذا النظام . ومن المؤكد أن الحق البورجوازي ، فيما يتعلق بتوزيع أشياء الاستهلاك ، يفترض بالضرورة دولة بورجوازية ، ذلك ان الحق لا يكون شيئاً دون جهاز قمين بالازام الناس بمراعاة قواعده .

ويترتب على ذلك انه يبقى في النظام الشيوعي ، خلال فترة من الزمن ، لا الحق البورجوازي فحسب ، بل الدولة البورجوازية أيضاً - بلا بورجوازية !

وقد يبدو هذا مفارقة أو مجرد لعبة فكرية جدلية ، الامر الذي كثيرا ما يوجه عليه اللوم الى الماركسية قوم لم يعنوا اقل عناية بدراسة جوهرها البالغ العمق .

لكن الحياة ترينا في الحقيقة لدى كل خطوة ، في الطبيعة وفي المجتمع ، آثاراً من الماضي باقية في الحاضر . ولم يحشر ماركس بصورة اعتبارية أبداً جزيئاً من الحق « البورجوازي » في الشيوعية ؛ انه لم يفعل سوى تقرير ما هو محتوم ، اقتصادياً وسياسياً ، في مجتمع منبشق من صلب الرأسمالية .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ١٢١ - ١٢٢ .

يدحض ماركس بعناية فائقة ، في نقد برنامج غوتا ، فكرة لاسال القائلة إن العامل سيتلقى ، في النظام الاشتراكي ، النتائج « غير المنقوص » او « النتائج الكاملة لعمله » . ويبين ماركس انه ينبغي ان نطرح من مجموع العمل الاجتماعي رصيذاً احتياطياً ، رصيذاً معداً لزيادة الانتاج ، رصيذاً معداً لاستبدال الآلات « المهترئة » ، الخ . . ثم يجب ان نطرح ، من أشياء الاستهلاك ، رصيذاً لمصاريف الإدارة ، والمدارس والمستشفيات ، ومصحات الشيوخ ، الخ . .

وبدلاً من صيغة لاسال السديمية ، الفامضة والعامية (« الى العامل نتائج عمله الكامل ») ، يقرر ماركس بكل وضوح كيف يجب ان يسيّر المجتمع الاشتراكي الأمور . ان ماركس يتصدى للتحليل الحسي لشروط الحياة في مجتمع لا وجود للراسمالية فيه ، ويضيف :


« ان ما نناقشه هنا (في تحليل برنامج الحزب العمالي) هو المجتمع الشيوعي ليس كما تطور على اسسه الخاصة ، بل على العكس من ذلك ، كما ينبثق من المجتمع الراسمالي ؛ وهكذا فهو مدموغ بعد ، في سائر مظاهره ، اقتصادياً وأخلاقياً وفكرياً ، بالعلامات الولادية للمجتمع القديم الذي خرج من صلبه » .

ان هذا المجتمع الشيوعي الذي انبثق من صلب الراسمالية ، ويحمل في سائر الميادين علائم المجتمع القديم ، هو الذي يسميه ماركس الدور « الاول » او الدور الأدنى من المجتمع الشيوعي .

ان وسائل الانتاج لم تعد الآن ملكية الافراد الخاصة ، بل هي تخص المجتمع بأسره . فكل فرد في المجتمع ، اذ ينجز قسماً من العمل الضروري اجتماعياً ، يتلقى من المجتمع شهادة تقرر كمية العمل الذي قدمه . وانه يتلقى بهذه الشهادة من المخازن العامة للأشياء الاستهلاكية كمية موافقة

من المنتجات . وبالتالي فان كل عامل يتلقى من المجتمع ، بعد حذف كمية العمل المدفوع الى الرصيد الاجتماعي ، قدر ما قدمه اليه بالضبط .
ورب قائل ان ذلك هو حكم « المساواة » .

لكن عندما يقول لاسال ، متحدثا عن هذا النظام الاجتماعي (الذي يسمى اشتراكيا عادة والذي يدعوه ماركس الدور الاول للشيوعية) ، ان هناك « قسمة عادلة » ، « حقا متساويا لكل فرد في الناتج المساوي للعمل » ، فانه يخطئ ، وماركس يفسر السبب في هذا الخطأ .

يقول ماركس : ان لدينا هنا حقا « الحق المتساوي » ، لكنه ما يزال  « الحق البورجوازي » الذي يفترض التفاوت بصورة مسبقة ، مثله في ذلك كمثل كل حق . فكل حق يستقيم في تطبيق مقياس وحيد على أناس مختلفين ، على أناس ليسوا هم في حقيقة الامر لا متماثلين ولا متساوين . ولذا فان « الحق المتساوي » يضاهاي خرقا للمساواة ، يضاهاي ظلما . وبالفعل ، فان كل امرئ يتلقى ، لقاء قسم متساو من العمل الاجتماعي مقدم من قبله ، جزءا مساويا من الناتج الاجتماعي (مع الحسميات المشار اليها اعلاه) .

لكن الافراد ليسوا متساويين : فأحدهم أقوى ، والآخر اضعف ، واحدهم متزوج ، والآخر أعزب ، واحدهم لديه عدد اكبر من الاولاد ، والآخر عدد اقل ، الخ .

ويستنتج ماركس :

« ... وهكذا فان هذا العامل سيتقاضى في الحقيقة ، على الرغم من الانجاز المتساوي في العمل ، وبالتالي من الحصة المتساوية في الذخيرة الاستهلاكية الاجتماعية ، اكثر مما يتقاضى ذلك العامل وسيكون اغنى منه ، وهلم جرا : فلا بد في سبيل تجنب جميع هذه المساوئ من ان يكون الحق

متفاوتا بدلا من ان يكون متساويا . . . » .

فالعادلة والمساواة لا يستطيع اذن دور الشيوعية الاول ان يحققهما بعد ؛ فسوف تظل فوارق في الثروات قائمة ، وهي فوارق غير عادلة . لكن **استثمار** الانسان للانسان سيكون مستحيلا ، ذلك ان احدا لن يستطيع ان يستولي على وسائل الانتاج ، من معامل ، وآلات ، وارض ، الخ ، على اعتبارها ملكيته الخاصة . فحين يدحض ماركس صيغة لاسال الغامضة والبورجوازية الصغيرة عن « المساواة » و « العدالة » عامة ، فانه يبين **مجري تطور المجتمع الشيوعي ، المجرى** بادىء الامر على تدمير هذا « الظلم » وحده ، الا وهو تملك الافراد لوسائل الانتاج ، لكن العاجز عن ان يدمر من الوهلة الاولى الظلم الآخر ، الا وهو توزيع الاشياء الاستهلاكية « حسب العمل » (وليس حسب الحاجات) .

ان الاقتصاديين البتدلين ، وفي عدادهم الاساتذة البورجوازيون بما فيهم « صاحبنا » طوغان ، يلومون دائما الاشتراكيين لانهم ينسون التضادات بين البشر و « يحلمون » بالقضاء عليه . واننا نرى ان هذا اللوم يبرهن بكل بساطة على الجهل المطلق لسدى السادة الايديولوجيين البورجوازيين .

ان ماركس يأخذ بعين الاعتبار ، بصورة حازمة ، لا تفاوت البشر المحتوم فيما بينهم فحسب ، بل الحقيقة التالية ايضا ، الا وهي ان تحول وسائل الانتاج الى ملكية مشتركة للمجتمع بأسره (« الاشتراكية » بمعنى الكلمة المألوف) لا يقضي لوحده على مساوىء التوزيع وتفاوت « الحق البورجوازي » الذي يستمر سائدا ، مادامت المنتجات موزعة « حسب العمل » .

ويسترسل ماركس :

« . . . » غير ان هذه المساوىء لامفر منها في المرحلة الاولى من المجتمع

الشيوعي كما تكون حاله حين ينبثق بعد مخاض مديد من المجتمع الراسمالي، ان الحق لا يمكن ان يكون قط أعلى من بنية المجتمع الاقتصادية وما يترتب عليها من درجة حضارية ... »

وهكذا فان « الحق البورجوازي » في الدور الاول للمجتمع البورجوازي (الذي يسمى عادة اشتراكية) يلقى ليس بصورة تامة ، بل بصورة جزئية فحسب ، في حدود تحقق الثورة الاقتصادية فقط ، يعني فيما يتعلق بوسائل الانتاج لا غير . ان « الحق البورجوازي » يعترف للأفراد بالملكية الخاصة ، اما الاشتراكية فتجعل منها ملكية مشتركة . وفي هذا المقياس ، لكن في هذا المقياس وحده ، يتم الغاء « الحق البورجوازي » .

ويظل قائما مع ذلك في قسمه الآخر ، بوصفه ضابطا لتوزيع المنتجات وتوزيع العمل بين أفراد المجتمع . « من لا يعمل يجب الا يأكل » ، ان هذا المبدأ الاشتراكي قد تحقق مسبقا . . . ومع ذلك فتلك ليست الشيوعية بعد ، وهذا لا يحذف بعد « الحق البورجوازي » الذي يمنح كمية متساوية من المنتجات لأشخاص متفاوتين ، ولقاء كمية متفاوتة (متفاوتة بالفعل) من العمل .

وتلك « سيئة » ، كما يقول ماركس ، لكن لامفر منها في دور الشيوعية الاول ، لانه لا يمكن ، دون السقوط في الطوباوية ، ان نحسب ان البشر سيتعلمون من الوهلة الاولى ، بعد الاطاحة بالراسمالية، أن يشتغلوا للمجتمع دون قواعد حقوقية من اي نوع كان ؛ ومهما يكن من أمر ، فان الغناء الراسمالية لا يعطي من الوهلة الاولى المقدمات الاقتصادية لمثل هذا التغير .

والحال انه ليس ثمة قواعد أخرى غير قواعد « الحق البورجوازي » . وهذا هو السبب في بقاء ضرورة دولة مكلفة ، وهي تحمي الملكية المشتركة لوسائل الانتاج ، بحماية مساواة العمل والمساواة في توزيع المنتجات .

ان الدولة تفنى . وذاك بقدر ما لا يعود هناك رأسماليون . ولا طبقات .
وبالتالي لا تعود هناك طبقة يجب قمعها .

لكن الدولة لم تنزل بعد كلياً طالما ان ثمة استمراراً لحماية « الحق
البورجوازي » الذي يكرس التفاوت الفعلي . فلا بد . كما تضمحل الدولة
كلياً ، من قيام الشيوعية الكاملة .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار
دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ١١٣ - ١١٧ .

الصفات الأساسية للاشتراكية بوصفها الدور الاول للمجتمع الشيوعي

حين يجعل المجتمع من نفسه سيداً على سائر وسائل الانتاج بغية
استخدامها بصورة متفقة مع خطة اجتماعية . فانه يضع حداً لاستعباد البشر
السابق من قبل وسائل انتاجهم الخاصة . ومن نافلة القول ان المجتمع
لا يستطيع ان يتحرر ما لم يتحرر كل فرد فيه ، وبالتالي فانه يجب قلب
الاسلوب القديم في الانتاج بصورة ثورية راساً على عقب . وبالخاصة يجب
ان يزول تقسيم العمل السابق . ويجب ان يستعاض عنه بتنظيم للانتاج
لا يستطيع فيه اي فرد . من جهة واحدة ، ان يلقي على كاهل الآخرين
نصيبه في العمل الانتاجي ، هذا الشرط الطبيعي للوجود الانساني ، كما
يصبح فيه العمل الانتاجي من جهة ثانية ، بدلا من ان يكون وسيلة لاستعباد
البشر ، وسيلة من اجل تحررهم ، وذلك بتوفيره لكل فرد فرصة تطوير
مواهبه ، الحكمية والذهنية ، في سائر الاتجاهات وممارستها حتى اقصاها -
وبالتالي يصبح العمل الانتاجي لذة بدلا من ان يكون عبئاً .

ولم يعد ذلك وهما بعد الآن ، لم يعد مجرد رغبة تقيية . فاذا ما اخذنا
بعين الاعتبار التطور الحاضر للقوى الانتاجية ، فان الزيادة في الانتاج التي
ستنجم عن عملية تشريك القوى الانتاجية ، متزاوجة مع الغاء العوائق والفوضى

وتقدير المنتجات ووسائل الانتاج ، هذه الامور الناشئة جميعا عن الاسلوب الراسمالي في الانتاج ، ستكون كافية في حال انجاز كل امرىء نصيبه من العمل لانقاص زمن العمل اللازم حتى درجة ضئيلة حقا بالقياس الى مفاهيمنا الراهنة .

كذلك ليس الغاء تقسيم العمل القديم مطلبا لا يمكن تحقيقه الا على حساب انتاجية العمل . ان الامر على النقيض من ذلك ، اذ هو اصبح بفضل الصناعة الحديثة شرطا للانتاج ذاته .

ف. انجلز : انتي - دوهرنغ ، منشورات دار دمشق ، ص : ٢٥٥ - ٢٦٦ .

في المجتمع الذي يتألف من منتجين خاصين ، يدفع الافراد الخاصون او عائلاتهم تكاليف تدريب العامل المؤهل ، ومن هنا فان السعر الاعلى الذي يدفع لقاء قوة العمل المؤهلة يعود قبل كل شيء الى الافراد الخاصين . إن العبد الحاذق يباع بسعر اعلى ، وكذلك يتناول العامل المأجور الحاذق اجرة اعلى . اما في المجتمع المنظم اشتراكيا ، فان المجتمع هو الذي يتحمل هذه النفقات ، وبالتالي فان الثمار ، القيم الاكبر التي ينتجها العمل المركب ، يجب ان تكون من نصيبه .

ف. انجلز : انتي - دوهرنغ ، منشورات دار دمشق ، ص : ٥٤٠ .

... ان نظام المتعاونين المتحضرين ، حين تخص وسائل الانتاج المجتمع وتكون البروليتاريا بوصفها طبقة قد انتصرت على البورجوازية ، هو النظام الاشتراكي .

ف. لينين : « في التعاون » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٤٨٤ .

كانت الرأسمالية تفضل عامدة مختلف شرائح السكان . ويجب ان يزول هذا الانفصال نهائيا وبلا عودة . ويجب ان يصبح المجتمع بأسره تعاونية وحيدة للشفيلة . ولا يمكن ولا يجوز ان تطرح مسألة اي استغلال لجماعات منعزلة .

لقد تحدثت لتوي عن هذه التعاونية على أنها من مهام الاشتراكية
الظاهرة .

ف. لينين : « خطاب في المؤتمر الثالث للتعاونيات
العالمية ، بتاريخ ٩ كانون اول ١٩١٨ » ، **المؤلفات
الكاملة** ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن
والعشرون ، ص : ٣٤٤ - ٣٤٥ .

... ليست الاشتراكية سوى المرحلة التالية مباشرة لاحتكار الدولة
الرأسمالي . أو أيضا : ليست الاشتراكية سوى احتكار الدولة الرأسمالي
الموضوع في خدمة الشعب بأسره ، وقد كف لهذا السبب عن كونه احتكارا
رأسماليا .

ف. لينين : « الكارثة الوشيكة ووسائل
اجتنابها » ، **المؤلفات الكاملة** ، باريس - موسكو ،
المجلد الخامس والعشرون ، ص : ٢٨٩ .

لا مصادرات ولا ضريبة ، بل مبادلة منتجات الصناعة الكبرى
« المشتركة » (لقاء المنتجات الفلاحية ، ذلك هو جوهر الاشتراكية
لاقتصادي ، قاعدتها .

ف. لينين : « مخططات كراسة «الضريبة عيناه»
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الثاني والثلاثون ، ص : ٣٤١ - ٣٤٢ .

... اننا نريد ان نحقق تنظيما افضل للمجتمع : وفي هذا المجتمع الجديد ، لا يجوز ان يكون هناك بعد الآن فقراء وأغنياء ، بل يجب ان يعمل الجميع . وليست قبضة من الاثرياء ، بل جميع الذين يشتغلون هم الذين يجب ان يستمتعوا بشمار جهد الجميع . وان الآلات والتحسينات الاخرى يجب ان تخفف من عمل الجميع ، لا ان تغني البعض على حساب الملايين وعشرات الملايين من البشر . ان هذا المجتمع الجديد ، هذا المجتمع لافضل ، يدعى **المجتمع الاشتراكي** .

ف. لينين : « الى الفلاحين الفقراء » ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد
السادس ، ص : ٢٢٠ .

... ان الوسيلة الوحيدة من اجل وضع حد لفقر الشعب هو قلب تنظيم الدولة الحالي راسا على عقب واقامة **نظام اشتراكي** ، يعني انتزاع الملكيات من الملاكين العقاريين الكبار ، والعمال والمصانع من الصناعيين ، والرساميل المالية من اصحاب المصارف ، والقضاء على **الملكبة الخاصة** لهذه الاشياء ، وتسليم هذه الاشياء جميعا للشعب الشغيل في الدولة بكاملها . وعندئذ فلن يكون الاغنياء ، هؤلاء الذين يحيون من عمل الغير ، هم الذين يتصرفون بجهد العمال ، بل العمال انفسهم ومنتخبهم . وعندئذ فان ثمار العمل المشترك والارباح الموفرة بفعل التحسينات والآلات سوف تذهب الى جميع الشغيلة ، الى جميع العمال . وعندئذ فان الثروة ستنمو بمزيد من السرعة ايضا ، لان العمال سيشتغلون من اجل انفسهم بصورة افضل مما يشتغلون من اجل الراسماليين ، وسوف يكون يوم العمل اقصر ، ويربح العمال اكثر ، وتتجلى حياتهم كلها .

ف. لينين : « الى الفلاحين الفقراء » ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد
السادس ، ص : ٢٢٩ .

إن زيادة الثروات المتأتية عن العمل المشترك لجمهرة من العمال أو التحسينات المدخلة على الإنتاج تؤول الى طبقة الراسماليين ، ويظل العمال ، الذين يكدون جيلا بعد جيل ، بروليتاريين محرومين من كل شيء . ولذا فليس ثمة سوى وسيلة واحدة من أجل وضع حد لاستثمار العمل من قبل الراسمال : إلغاء الملكية الخاصة لأدوات العمل ، وتسليم المجتمع سائس المصانع والمعامل والمناجم ، وكذلك جميع الاملاك الكبرى ، الخ . . وتنظيم انتاج جماعي اشتراكي ، موجه من قبل العمال انفسهم . وعندئذ فان العمال انفسهم هم الذين سيستفيدون من ثمار العمل الجماعي ، وما يفيض عن المقدار الضروري من أجل معيشتهم سوف يستخدم من أجل تلبية حاجات العمال الاخرى ، ومن أجل تطوير جميع مؤهلاتهم تطويرا كاملا ، ومن أجل منح الجميع امكانات متساوية للاستمتاع بمكاسب العلم والفن .

ف. لينين : « عرض وتعليق على برنامج الحزب الاشتراكي الديموقراطي » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني ، ص ١٠٦ .

... في المجتمع الاشتراكي ، لن تكون الحرية والمساواة خديعة ؛ ولن يكون العمال منقسمين بفعل تجزئة قصوى للإنتاج الضغير ؛ ولن يكون الثروة المكثسة بفعل العمل المشترك في خدمة جمهرة الشعب بدلا من ان تضطهد هذه الجمهرة ؛ ولن سوف تضع سيطرة الشغيلة حدا لكل اضطهاد يصيب اي قومية كانت ، واي عقيدة دينية ، كما انها ستحرر النساء .

ف. لينين : « مشروع نداء الى الناجين » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي عشر ، ص : ٢١١ - ٢١٢ .

إن الحرية والمساواة الحقيقيتين سوف تسودان في النظام الذي سيشيده الشيوعيون ، حيث سيكون من المحال أن يثري المرء على حساب

الغير ، وحيث لن تتوفر الامكانية الموضوعية من أجل إخضاع الصحافة لسلطة المال بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، وحيث لن يمنع شيء الشغيلة (أو جماعة من الشغيلة ، كائنة ما كانت أهميتها) من أن يستمتعوا على قدم المساواة بحق استخدام المطابع والورق التي تخص المجتمع .

ف. لينين : « المؤتمر الاول للاممية الشيوعية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلس
الثامن والعشرون ، ص : ٤٨٥ - ٤٨٦ .

بينما كنت اجتاز قاعتكم في التو واللحظة لاحظت يافطة سجلت عليها هذه الكلمات : « لن تكون نهاية لحكم العمال والفلاحين » . وحين قرأت هذه اليافطة الغريبة ، التي لم تكن حقا في مكانها المألوف ، بل نحتت جانبا - لعل أحدهم قد تبين أنها لم تكن ممتازة ووضعها جانبا - حين قرأت هذه اليافطة الغريبة فكرت : هذه مع ذلك حقائق أساسية وبدائية تثير لدينا الشيء الكثير من سوء الفهم والتفسير الخاطيء . وبالفعل ، فإذا كان لا بد الا يكون لحكم العمال والفلاحين نهاية ، فهذا يعني انه لن تكون اشتراكية قط ، طالما أن الاشتراكية هي القضاء على الطبقات ؛ فما دام هناك عمال وفلاحون ، فسوف تكون هناك طبقات مختلفة . وبالتالي لا يمكن أن تكون هناك اشتراكية كاملة .

ف. لينين : « خطاب في مؤتمر عمال النقليات
في روسيا ، بتاريخ آذار ١٩٢١ » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني
والثلاثون ، ص : ٢٨٧ .

امسك حساباتك بعناية ووجدان ، نظم مصاريفك بحكمة ، لاتسترسل مع التواني ، لا تسرق ، حافظ على الانضباط الادق في العمل ، هذه الشعارات التي سخر منها بحق البروليتاريون حين كانت البورجوازية تسمى

بهذه الاحاديث لان تغطي سيطرتها الطبقيّة الاستغلالية ، تصبح اليوم ، بعد الاطاحة بالبورجوازية ، شعارات الساعة الرئيسية . . . وان التطبيق العملي لهذه الشعارات من قبل السلطة السوفييتية ، بطرائقها وعلى أساس قوانينها ، هو الشرط الضروري والكافي لانتصار الاشتراكية النهائي .

ف. لينين : « المهمات الثورية لسلطة المجالس السوفييتية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٢٥٢ .

« من لا يشتغل لا يأكل » ، هذا يفهمه كل شغيل . إن العمال والفلاحين الفقراء ، وحتى الفلاحين المتوسطين متفقون على هذا ، سائر أولئك الذين عرفوا الحاجة ، سائر الذين عاشوا من عملهم . إن تسعة أعشار سكان روسيا متفقون على هذه الحقيقة . وفي هذه الحقيقة البسيطة جدا ، البدائية والواضحة تماما ، تقوم قاعدة الاشتراكية ، ينبوع الذي لا ينضب لعنفوانها . والضمانة التي لا تُفنى لانتصارها النهائي .

ف. لينين : « في المجاعة » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٤١٤ .

لا يمكن في حال من الأحوال أن ننسى ما نشاهده في كثير من الأحيان : علاقات العمال الاشتراكية في المعامل التي تخص الدولة حيث يجمع العمال بوسائلهم الخاصة المحروقات ، والخامات ، والاعذية ، أو ايضا حيث يبذلون جهودهم ليوزعوا بصورة عادلة المنتجات الصناعية بين الفلاحين ، ويسيرونها بوسائل النقل . هذه هي الاشتراكية .

ف. لينين : « تقرير عن الفرية عينا النسي جمعية ابناء السر والمسؤولين في خلايا الحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ، في مدينة واغليم موسكو ، بتاريخ ٩ نيسان ١٩٢١ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص : ٣١٢ .

... إن الاشتراكية ، التي تلغي الطبقات ، وبالتالي تلغي استعباد الجماهير ، تفتح وحدها للمرة الأولى الطريق من أجل مباراة جماهيرية حقاً . وإن التنظيم السوفييتي ، الذي ينتقل من الديمقراطية الصورية تماماً للجمهورية البورجوازية الى المساهمة الفعالة للجماهير الكادحة في مهام التسيير ، يعطي المباراة للمرة الأولى كل سعتها .

ف. لينين : « المهمات الفورية لسلطة المجالس السوفيتية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس-موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٢٦٦ .

إن الاشتراكية ، وهي أبعد ما تكون عن طمس المباراة ، تخلق على العكس من ذلك للمرة الأولى ، إمكانية تحريضها بصورة فعلية على نطاق واسع ، بطريقة جماهيرية حقاً ، وفتح حقل عمل لفالبية الشغيلة يستطيعون فيه أن يثبتوا إمكاناتهم ، ويبسطوا مواهبهم ، ويكشفوا من قدراتهم ، وهي جميعاً ينبوع سليم لا ينضب في الشعب ، وقد كانت الرأسمالية تسحقها ، وتختنقها ، وتسخنها بالآلاف والملايين .

ف. لينين : « كيف ننظم المباراة ؟ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السادس والعشرون ، ص : ٤٢٢ .

كان التنظيم القطاعي للعمل الاجتماعي يعتمد على انضباط الهراوة ، على الجهل والخبل الاقصيين عند الشغيلة ، المنهوبين والمخدوعين من قبل حفنة من الملاكين العقاريين الكبار ... وكان التنظيم الرأسمالي للعمل الاجتماعي يعتمد على انضباط الجوع ، كما أن الكتلة العظمى من الشغيلة قد كانت باقية في الجمهوريات المتحضرة والديموقراطية الاكثر تقدماً ، بالرغم من كل التقدم الذي تحقق في الثقافة والديموقراطية البورجوازيتين ، كتلة جاهلة ومخبلة من العبيد الماجورين أو الفلاحين المضطهدين ، المنهوبين والمخدوعين من قبل حفنة من الرأسماليين . وإن التنظيم الشيوعي للعمل

الاجتماعي ، الذي تشكل الاشتراكية الخطوة الاولى فيه ، يعتمد وسوف يعتمد أكثر فأكثر على الانضباط الواعي والمقبول بملء الحرية لدى الشفيلة انفسهم ، هؤلاء الذين خلعوا نير الملاكين العقارين الكبار والراسماليين على حد سواء .

ف. لينين : « المبادرة العظمى » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٤٢٣ - ٤٢٤ .

اذا اعدنا قراءة مؤلفات الاشتراكيين الذين راقبوا ، في سياق نصف القرن الاخير ، تطور الراسمالية وانتهوا مرة أخرى الى النتيجة التالية ، الا وهي أن الاشتراكية حتمية ، وجدنا أنهم أشاروا جميعا بلا استثناء الى أن الاشتراكية وحدها سوف تحرر العلم من اغلاله البورجوازية ، من عبوديته للراسمال ، من خنوعه حيال مصالح الجشع الراسمالي الدنيء . إن الاشتراكية وحدها سوف تتيح تطوير الانتاج وتوزيع المنتجات تطوبراً واسماً وإخضاعهما بصورة فعلية لاعتبارات علمية غرضها ضمان حياة أسهل لجميع الشفيلة ، وتوفير جميع امكانات الرخاء لهم . وأن الاشتراكية وحدها تستطيع أن تحقق هذا .

ف. لينين : « خطاب القي في المؤتمر الاول لمجلس الاقتصاد الوطني ، بتاريخ ٢٦ ايسار ١٩١٨ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٤٣٧ .

... ان نستطيع أن نتصور في المستقبل مجتمعا مثالياً لن يشترك فيه التعليم مع العمل الانتاجي للجيل الفتى : فالتعليم والتربية لن يتمكننا ، دون العمل الانتاجي ، أن نبلغا المستوى الذي يتطلبه تطور التقنية وحالة المعارف العلمية .

ولا بد بكل تأكيد ، في سبيل اشراك العمل الانتاجي للجميع مع التعليم

لدى الجميع من أن يفرض على الجميع إلزام المشاركة في العمل الانتاجي .

ف. لينين : «لأى الجنون التخطيطي الشعبي» ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الثاني ، ص : ٤٨٥ - ٤٨٦ .

لكن المهم هو أن نرى مبلغ الكذب الكامن في الفكرة البورجوازية السائدة ،
القائلة أن الاشتراكية شيء ميت ، جامد ، معطى بصورة نهائية ، بينما الحقيقة
انه لا تبدأ سوى مع الاشتراكية وحدها ، في سائر ميادين الحياة الاجتماعية
والخاصة ، حركة تقدم سريع وحقيقي ، حركة جماهيرية حقيقية تشارك
فيها الغالبية بادية ذي بدء ، ومن ثم مجموع السكان .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار
دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ١٢٢ .

القاعدة المادية والتقنية للاشتراكية

إن الصناعة الكبرى الممكنة وغرسها في الزراعة هما القاعدة الاقتصادية
الوحيدة للاشتراكية ، القاعدة الوحيدة التي تمكن من النضال بصورة ظافرة
في سبيل تخليص الانسانية من نير الراسمال ، وتجنيد عشرات الملايين من
البشر التعرض للافناء أو التشويه في سبيل معرفة من الذي سيتغلب في
اقتسام العالم ، الكواسر الانكليز أم الالمان ، أم اليابانيون ، أم الاميريكون ،
الخ ...

ف. لينين : « الى رئاسة المؤتمر الثامن
للفنيين الكهربائيين في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثالث والعشرون .
ص : ٤١ .

لا يمكن أن تكون القاعدة المادية للاشتراكية سوى الصناعة الميكانيكية

الكبرى ، القادرة على إعادة تنظيم الزراعة هي الأخرى . لكنه لا يمكن الاقتصار على هذا المبدأ العام ، بل يجب تشخيصه . أن الصناعة الكبرى التي تقف على مستوى التقنية الحديثة والقادرة على إعادة تنظيم الزراعة إنما هي كهربة البلاد بأسرها .

ف. لينين : « المؤتمر الثالث للاممية الشيوعية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني
والثلاثون ، ص : ٤٨٩ .

إن الاشتراكية مستحيلة دون تقنية الرأسمالية الكبرى ، المتطورة وفقا لمنجزات العلم الحديثة ، دون تنظيم منهجي للدولة يخضع عشرات الملايين من البشر للتقيد الأشد صرامة بقاعدة واحدة في الإنتاج وتوزيع المنتجات .

ف. لينين : « الضريبة عينا » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني
والثلاثون ، ص : ٣٥٤ .

إن القاعدة الوحيدة والفعلية من أجل زيادة مواردنا ، من أجل تأسيس المجتمع الاشتراكي ، لا يمكن أن تكون غير الصناعة الكبرى . فبدون المعامل الرأسمالية الكبرى ، وبدون الصناعة الضخمة المنظمة بصورة عليا ، لا يمكن أن يجري الحديث عن الاشتراكية عامة . . .

ف. لينين : « الاجتماع العاشر في روسيا للحزب
الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني
والثلاثون ، ص : ٤٣٥ .

إن انتصار الاشتراكية على الرأسمالية وتوطيد الاشتراكية لا يمكن أن يعتبرا مكتسبين إلا حين تعتمد سلطة الدولة البروليتارية ، بعد أن تسحق بصورة نهائية كل مقاومة من جانب المستثمرين وتؤمن استقرارا تاما لنفسها

وخضوعها كاملاً لها ، الى اعادة تنظيم الصناعة بكاملها على أساس الانتاج الجماعي الكبير والتقنية الاحداث (المؤسسة هي نفسها على كهربة الاقتصاد بكامله) .

ف. لينين : « المسودة الاولى للموضوعات عن المسألة الزراعية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ١٦٣ .

إن الاشتراكية تتطلب تقدماً واعياً وكتلياً نحو انتاجية للعمل اعلى من انتاجية الرأسمالية وعلى أساس النتائج التي توصلت هذه الرأسمالية اليها . ويجب على الاشتراكية أن تحقق هذا التقدم على طريقتهما ، بطرائقها الخاصة ، ولنقل ذلك بمزيد من الحساسة : بطرائق سوفييتية .

ف. لينين : « المهمات الفورية لسلطة المجالس السوفييتية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس-موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

... ليس المثل الاعلى بالنسبة الى الاشتراكية البروليتارية قائماً في مساواة الملاكين الصغار ، بل في الانتاج الكبير المشترك .

ف. لينين : « المؤتمر الخامس للحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد الثاني عشر ، ص : ٤١٨ .

... إن الصناعة الضخمة التي تقوم في أساس الانتقال الى الاشتراكية إنما هي ، من وجهة نظر حالة القوى الانتاجية ، يعني المعيار الاساسي لكل تطور اجتماعي ، أساس التنظيم الاقتصادي الاشتراكي ما دامت تجمع العمال الصناعيين الطليعيين ، الطبقة التي تمارس دكتاتورية البروليتاريا .

ف. لينين : « المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص : ٢٤٦ .

الاشتراكية والرقابة الشعبية على الانتاج والاستهلاك

إن الشيء الأساسي هو تنظيم الاحصاء ، والرقابة الاشد حزماً من قبل الشعب بأسره على الصناعة وتوزيع المنتجات . والحال أننا لم نتوصل بعد في المشاريع والفروع والميادين الاقتصادية التي انتزعناها من البورجوازية ، الى تنظيم الاحصاء والرقابة ، لكنه لا يمكن بدون هذا أن تطرح مسألة الشرط المادي الثاني الذي لا يقل عن ذلك أهمية بالنسبة الى إقامة الاشتراكية ، الا وهو زيادة انتاجية العمل على نطاق البلاد .

ف. لينين : « المهمات الفورية لسلطة المجالس السوفيتية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ٢٥٢ .

أيها العمال والفلاحون ، والشغيلة المستثمرون ، إن الأرض، والمصارف، والمعامل ، والمصانع ، قد أصبحت ملكية الشعب بأسره ! باثروا بانفسكم الاحصاء والرقابة على الانتاج وتوزيع المنتجات ! ههنا ، وههنا فقط ، الطريق المؤدية الى انتصار الاشتراكية ، ضمانه انتصارها ، عربون الانتصار على كل استثمار ، وعلى كل فاقة وكل بؤس ! ذلك أن في روسيا ما يكفي من القمح ، والحديد ، والخشب ، والصوف ، والقطن ، والكتان ، من أجل الجميع ، شريطة أن يوزع العمل والمنتجات بصورة ملائمة ، شريطة أن تقام رقابة فعالة وعملية على هذا التوزيع ، وأن تمارس من قبل الشعب بأسره ، شريطة أن نتصر لا في السياسة فحسب ، بل كذلك في الحياة الاقتصادية اليومية ، على أعداء الشعب ، الاغنياء ومتطفلهم ، ومن ثم على الفئاسين، والمتوائين ، والسوقيين .

ف. لينين : « كيف ننظم المباراة ٤ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السادس والعشرون ، ص : ٤٢٨ .

الاحصاء والرقابة ، هذا هو الامر اتجوهري سواء من أجل « دفع » المجتمع الشيوعي أم من أجل عمله المنتظم في دوره الاول . هنا يتحول سائر

المواطنين الى مستخدمين ماجورين للدولة المشكلة من العمال المسلحين . إن **سائر** المواطنين يصبحون عمال ومستخدمي « كارتل » **واحد** يخص الشعب بأسره ، يخص الدولة . وكل الامر هو الحصول على أن يقدموا جهداً متساوياً ويتقيدوا بصورة دقيقة بمقياس العمل ويتناولوا اجراً متساوياً . إن الاحصاء والرقابة في هذا الميدان قد بسطا حتى الدرجة القصوى من قبل الرأسمالية التي ارجعتها الى اسط عمليات المناظرة والتسجيل والى تسليم الوصول المطابقة لهذه العمليات ما دامت الاشياء جميعا في تناول كل من يعرف القراءة والكتابة وقواعد الحساب الاربعة (*) .

وعندما تقدم غالبية الشعب ، من تلقاء نفسها وفي كل مكان ، على هذا الاحصاء وعلى هذه الرقابة على الرأسماليين (المحولين من الآن فصاعداً الى مستخدمين) وعلى السادة المثقفين الذين ما برحوا يحتفظون بعاداتهم الرأسمالية ، فسوف تصبح هذه الرقابة عندئذ عمومية وشاملة ووطنية حقاً ، ولن يتمكن احد ان يتهرب منها بأية وسيلة كانت ؛ « ليس ثمة سبيل للافلات بعد الآن » .

ولن يكون المجتمع بأسره اذن سوى مكتب كبير واحد ومشغل كبير واحد ، مع مساواة في العمل ومساواة في الاجرة .

لكن انضباط « الورشة » هذا الذي ستبسطه البروليتاريا على المجتمع بأسره بعد أن تقهر الرأسماليين وتطيح بالمستثمرين ليس هو في حال من الاحوال مثلنا الاعلى أو هدفنا الاخير ، انه مجرد دوجة ضرورية لتخليص المجتمع بصورة جذرية من رذالات الاستثمار الرأسمالي ودنائه ، **ولتأمين المسيرة المتصلة الى الامام ...**

* عندما ترجع الدولة وظائفها الاساسية الى مثل هذا الاحصاء والى رقابة من هذا النوع يقوم بهما العمال أنفسهم ، فانها تكف عن أن تكون « دولة سياسية » ؛ ان « الوظائف العامة » تفقد طابعها السياسي وتتحول الى مجرد وظائف ادارية ..

... وفي الحقيقة ، عندما يكون **الجميع** قد تعلموا أن يديروا وسوف يديرون فعلا بأنفسهم الإنتاج الاجتماعي ، وعندما يقوم الجميع بأنفسهم على الاحصاء وعلى رقابة الطفيليين ، والابناء المدللين ، والمختلسين وسواهم من « حماة تقاليد الرأسمالية » - فان الافلات من هذا الاحصاء وهذه الرقابة الممارسة من قبل الشعب بأسره سيكون بكل تأكيد صعباً بصورة لا تصدق ونادراً بصورة استثنائية جدا ، اذ سيستتبع على الأرجح عقابا عاجلا جدا وقاسيا جدا (إن لدى العمال المسلحين إحساسا عمليا بالحياة، وهم ليسوا شقيين عاطفيين صغارا ، ومن المؤكد انهم لن يسمحوا لاحد أن يمزح معهم) بحيث تصبح **ضرورة** التقييد بالقواعد البسيطة لكن الاساسية لكل مجتمع انساني عادة بسرعة بالغة .

عندئذ سوف يفتح على مصراعيه الباب الذي سيمنح من الانتقال من الدور الاول للمجتمع الشيوعي الى دوره الاعلى ، وبالتالي الى اضمحلال الدولة التام .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ١٢٤ - ١٢٦ .

في انتظار قيام الدور « الاعلى » للشيوعية ، يطالب الاشتراكيون المجتمع **والدولة** بأن يمارسا الرقابة **الأحزم** على مقياس العمل ومقياس الاستهلاك ؛ لكن هذه الرقابة يجب ان تبدأ بنزع ملكية الرأسماليين ، برقابة العمال على الرأسماليين . ويجب ان تمارس لا من قبل دولة الموظفين ، بل من قبل دولة **العمال المسلحين** .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ١٢٠ .

... لن نتوصل الى الاشتراكية إلا باقامة احصاء ورقابة دقيقين

وبتنظيم صارم جداً ، وبانضباط العمل . ولا اشتراكية دون ذلك .

ف. لينين : « جلسة اللجنة التنفيذية المركزية
لروسيا ، بتاريخ ٢٩ نيسان ١٩١٨ » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع
والعشرون ، ص : ٣٠٨ .

وحين ارد على الناس الذين يزعمون أنهم اشتراكيون ويعدون العمال
بالمعائب والمعجزات أقول إن الشيوعية تفترض انتاجية للعمل مختلفة
كل الاختلاف عن انتاجية اليوم. إن انتاجيتنا ضعيفة جداً ، وهذه حقيقة واقعة.
إن الرأسمالية لتخلف لنا ، وعلى الاخص في بلد متخلفاً ، مقداراً من المعاديات
تحمل الناس على اعتبار أن كل ما يخص الدولة ، كل ما هو ملكية عامة ،
معيّن للفساد عن سابق عزم وتصميم . ان هذه الدهنية الخاصة بالكتلة
البورجوازية الصغيرة تبرز لدى كل خطوة . وان النضال لعسير جداً في
هذا المجال ، والبروليتاريا المنظمة وحدها تستطيع أن تتحمل كل شيء .
لقد كتبت : « في انتظار قيام الدور الاعلى للشيوعية ، تطالب الاشتراكية المجتمع
والدولة بأن يعارسا الرقابة الاحزم . »

ف. لينين : « جلسة اللجنة التنفيذية المركزية
لروسيا ، بتاريخ ٢٩ نيسان ١٩١٨ » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع
والعشرون ، ص : ٣١٥ - ٣١٦ .

الصفات الاساسية للدور الاعلى للمجتمع الشيوعي

فلنفترض أن المجتمع شيوعي بدلاً من أن يكون رأسمالياً : إن الرأسمال
النقدي يزول قبل كل شيء ، وتزول معه تنكرات العقود المفروضة بفضله .
ويرجع الامر بكل بساطة الى ما يلي : يجب على المجتمع أن يحسب مقدماً
مقدار العمل ووسائل الانتاج والمعيشة التي يستطيع ، دونما ضرر ، أن

يستخدمها في مشروعات ، مثلا بناء الخطوط الحديدية ، التي لا توفر خلال فترة طويلة من الزمن ، سنة او اكثر أيضا ، لا وسائط للانتاج او المعيشة ، ولا اي اثر نافع ، لكن تنتزع وسائط للانتاج والمعيشة من انتاج العمل السنوي العام . وعلى النقيض من ذلك في المجتمع الرأسمالي ، حيث الحس السليم الاجتماعي لا يفرض نفسه الا بعد فوات الاوان ، فانه من الممكن ومن المعتم ان تقع اضطرابات كبيرة دونما انقطاع .

ك. ماركس : رأس المال ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، الكتاب الثاني ، المجلد الاول ، ص : ٢٩٢ .

ان الشيوعية ، التي هي الالفاء الإيجابي للملكية الخاصة (وهي نفسها ضياع انساني للذات) ، وبالتالي تملك فعلي للماهية الانسانية من قبل الانسان ومن اجل الانسان ؛ اذن عودة الانسان الشاملة من اجل الذات بوصفه انسانا اجتماعيا ، يعني انسانيا ، وهي عودة واعية قد جرت مع الاحتفاظ بكل ثروة التطور السابق . هذه الشيوعية بوصفها طبيعية مكتملة = انسية ، بوصفها انسية مكتملة = طبيعية ؛ انها الحل الحقيقي للتضاد بين الانسان والطبيعة ، بين الانسان والانسان ، الحل الحقيقي للصراع بين الوجود والماهية ، بين الموضوعة وتأكيد الذات ، بين الحرية والضرورة ، بين الفرد والجنس . انها اللفز المحلول للتاريخ وهي تعرف ذاتها على أنها هذا الحل .

ك. ماركس : مخطوطات عام ١٨٤٤ ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٨٧ .

ان الشيوعية لا تسلب أحدا القدرة على تملك منتجات اجتماعية ؛ كل ما تحرمه اياد هو القدرة على استعباد عمل الغير بواسطة هذا التملك .
ك. ماركس وف. انجلز : البيان الشيوعي ، منشورات دار دمشق ، ١٩٦٥ ، ص : ٥٣ - ٥٤ .

ان التنظيم الواعي للانتاج الاجتماعي ، الذي يكون الانتاج والتوزيع منهجين فيه ، يستطيع وحده ان يرفع البشر فوق العالم الحيواني من وجهة النظر الاجتماعية بمثل الطريقة التي رفعهم بها الانتاج نفسه على اعتبارهم نوعا . وان التطور التاريخي ليجمع مثل هذا التنظيم امرا محتما يوما بعد يوم ، لكنه اكثر قابلية للتحقيق يوما بعد يوم ايضا . ولسوف يبدأ معه عصر جديد في التاريخ ، يعرف فيه البشر أنفسهم ، ومعهم جميع فروع نشاطهم ، وبالخاصة علم الطبيعة ، تقدما يلقي ظلا كثيفا على كل ما سبقه .

ف. انجلز : مقدمة كتاب جدلية الطبيعة ، في
ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات المختارة نسي
مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد
الثاني ، ص : ٧٣ .

لن تكف التطورات الاجتماعية عن أن تكون ثورات سياسية الا في نظام للاشياء زالت فيه الطبقات والتضادات الطبقيّة .

ك. ماركس : بؤس الفلسفة ، المنشورات
الاجتماعية ، باريس ، ص : ١٧٩ .

ما هو الشيوعي ؟ ان الشيوعي كلمة لائنية . Communis تعني :
مشاع . والمجتمع الشيوعي يعني مجتمعا كل شيء فيه مشاع : الارض ،
والعامل ، وعمل سائر الناس ؛ هذه هي الشيوعية .

ف. لينين : « مهمات اتحادات الشيبيّة » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو . المجلد
الحادي والثلاثون ، ص : ٣٠٦ .

... ان التمييز العلمي بين الاشتراكية والشيوعية هو بكل بساطة
ان العبارة الاولى تعني الدور الاول للمجتمع الجديد الخارح مسن

الرأسمالية ، اما الثانية فهي الدور الثاني ، الاعلى ، لهذا المجتمع .

ف. لينين : « المبادرة العظمى » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع
والعشرون ، ص : ٤٢٤ .

تظل المرأة العبدة المنزلية بالرغم من جميع القوانين التحريرية طالما
ان الاعمال المنزلية الصغيرة ترهقها ، وتخفقها ، وتخلبها ، وتذلها ، وتقيدها
الى المطبخ والى غرفة الاولاد ، مبذرة جهودها بصورة سخيفة في عمل غير
منتج ، حقير ، مثير للاعصاب ، مخبل ومرهق . ان تحرير المرأة الحقيقي
والشيوعية الحقيقية لا يبدأان الا حيث وفي اللحظة التي يندلع فيها النضال
الطبقي (الذي تقوده البروليتاريا ، سيدة السلطة) ضد هذا الاقتصاد
المنزلي الصغير ، او بالاحرى إعادة صهره الكنتلية في اقتصاد اشتراكي كبير .

ف. لينين : « المبادرة العظمى » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع
والعشرون ، ص : ٤٢٣ .

ان الشيوعية هي السلطة السوفييتية زائدة كهرة البلاد بأسرها .
والا ظلت البلاد بلاد زراعة صفرى ، وهذا ما يجب ان نعيه بكل وضوح .
انا اضعف من الرأسمالية ، ليس على النطاق العالمي فحسب ، بسبل في
داخل البلاد ايضا . وهذا ما يعرفه العالم كله . ولقد اعترفنا بذلك وسوف
ندفع بالاشياء حتى النقطة التي تصير عندها القاعدة الاقتصادية للزراعة
الصفرى قاعدة للصناعة الضخمة . وعندما تصبح البلاد بأسرها مكهربة
وتعين للصناعة والزراعة والنقلات القاعدة التقنية للصناعة الكبرى الحديثة ،
عندئذ فقط سوف نتحرر بصورة نهائية .

ف. لينين : « المؤتمر الثامن للمجالس السوفييتية
في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٥٢٧ - ٥٢٨ .

ان الشيوعية تتضمن سلطة المجالس السوفيتية ، هذا الجهاز السياسي الذي يتيح لكتلة المضطهدين أن تأخذ جميع الشؤون في ايديها ؛ وان الشيوعية لمستحيلة دون ذلك . واننا نرى البرهان على هذا في العالم بأسره ، طالما ان فكرة سلطة المجالس السوفيتية وبرنامجها يحققان في كل مكان في هذا العالم انتصارا لا جدال فيه . واننا نراه في سائر فصول النضال ضد الاممية الثانية التي لا تحافظ على وجودها الا بتأييد من الشرطة ، والاكليروس ، والموظفين البورجوازيين الشيوخ للحركة العمالية .

وان هذا ليضمن النجاح السياسي ، لكن النجاح الاقتصادي لا يمكن ان يضمن الا في اليوم الذي تكون الدولة البروليتارية الروسية قد مركزت فيه بصورة فعلية بين يديها جميع نوابض آلة صناعية كبرى مشيدة على اسس التقنية الحديثة . وان هذا يعني اذن : الكهرباء ، لكن يجب عندئذ ان نعرف الشروط الاساسية لتطبيق الكهرباء ، وبالتالي الصناعة والزراعة . وان تلك المهمة هائلة ، يتطلب انجازها زمنا اطول كثيرا من الزمن السذي استغرقناه في الدفاع عن وجودنا ضد الغزاة .

ف. لينين : « وضعنا الخارطة والداخلي ومهام الحزب » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٤٢٦ .

العمل بوصفه الحاجة الحيوية الاولى

ان الشيوعية هي المرحلة العليا للاشتراكية ، حيث يعمل البشر لانهم واعون لضرورة العمل من اجل الخير لعام .

ف. لينين : « خطاب في المؤتمر الاول للكومونات الزراعية والارثلات الزراعية ، بتاريخ ٤ كانون الاول ١٩١٥ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس-موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٢٠٥ .

... ان الشيوعية ، بمعنى الكلمة الدقيق ، هي عمل لا اجرة له ، يتم القيام به في المصلحة المشتركة ، ولا يأخذ بعين الاعتبار الفوارق الفردية ، ويمحو كل ذكرى لمستبقات الحياة اليومية ، يمحو الروتين ، والعادات ، والتباين بين مختلف فروع العمل والتباين في معدلات اجور العمل ، الخ .

ف. لينين : « المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ١٨٧ - ١٨٨ .

ان ماندعوه الشيوعية هو النظام حيث يعتاد البشر على انجاز واجباتهم الاجتماعية دون اجهزة خاصة للالزام ، وحيث العمل الذي لا اجرة له في سبيل الخير العام يصبح ظاهرة عامة .

ف. لينين : « تقرير عن ايام السبت الشيوعية مقدم الى اجتماع موسكو للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ، بتاريخ ٢٠ كانون الاول ١٩٢٩ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٢٩٣ .

لن تبدأ العناصر « الشيوعية » الا عند ظهور ايام السبت الشيوعية ، يعني عمل بعض الاشخاص لمصلحة المجتمع على نطاق عريض ، وهو عمل بلا اجرة ، ولم تحدد قواعده من قبل أي سلطة ، ولا أي دولة . وليس ذلك مساعدة الجار التي وجدت على الدوام في الريف ، بل عملا منفدا من اجل حاجات الامة بمجموعها ، منظما على نطاق واسع وبلا اجرة .

ف. لينين : « تقرير عن ايام السبت الشيوعية مقدم الى اجتماع موسكو للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ، بتاريخ ٢٠ كانون الاول ١٩١٩ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٢٩٥ .

ان العمل الشيوعي بمعنى الكلمة الاضيق والادق هو عمل بلا اجرة في صالح المجتمع ؛ وهو لا ينفذ لا بوصفه اعانة معينة ، ولا من اجل الحصول على الحق في بعض المنتجات ، ولا وفقا لقواعد محددة مسبقا ؛ انه عمل مقبول بملء الحرية ، بصورة خارجة عن أية قاعدة . ومقدم دون توقع لاي مكافأة ، وبلا اجرة متفق عليها ، العمل المشروط بمادة العمل من اجل الجماعة وبالشعور الواعي (الصائر عادة) بضرورة العمل لمصلحة الجماعة ؛ انه العمل المعتر على انه حاجة عضوية سليمة .

ف. لينين : « من دمار نظام قديم الى خلق النظام الجديد » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٥٣٠ .

من كل حسب قدراته ولكل حسب حاجاته

... ان احد المبادئ الاساسية للشيوعية ، المبدأ الذي يميزها من الاشتراكيات الرجعية من جميع المقاييس - يتمثل في القناعة التجريبية ، الناجمة عن دراسة الطبيعة البشرية ، بأن الفوارق بين **الادمغة** والقدرات الذهنية على العموم لا تتطلب البتة فوارق بين **المدد والحاجات** الحكمية ؛ ويترتب على ذلك ان الحكمة المفلوطة ، المرتكزة على قواعد المجتمع الحالي : « لكل حسب قدراته » ، يجب ان تصبح ، بقدر ما تتعلق بالاستهلاك بمعنى هذه العبارة الضيق ، هذه الحكمة الاخرى : « **لكل حسب حاجاته** » ، او بكلام آخر : ان فارقا في النشاط او العمل لا يستتبع أي **تفاوت** أو أي امتياز على صعيد الملكية والاستهلاك .

ك. ماركس وف. انجلز : **الايديولوجية الالمانية** ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الثانية ، ص : ٥٤٢ .

من الراسمالية لا تستطيع الانسانية ان تنتقل بصورة مباشرة الا

الى الاشتراكية ، يعني الى الملكية الجماعية لوسائل الانتاج والى توزيع المنتجات وفقا لعمل كل امرىء . ويرى حزبنا ابعده من ذلك : ان الاشتراكية يجب ان تتحول بصورة حتمية شيئا فشيئا الى الشيوعية التي كتب علي رايها : « من كل حسب قدراته ولكل حسب حاجاته » .

ف. لينين : « مهمات البروليتاريا في نورثنا » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الرابع والعشرون ، ص : ٧٧ - ٧٨ .

... في اللحظة التي ننخرط فيها على طريق التحولات الاشتراكية يجب ان نحدد بكل وضوح الهدف الذي نسعى اليه في آخر المطاف ، الا وهو خلق مجتمع شيوعي لا يقتصر على نزع ملكية المعامل والمصانع والارض ووسائل الانتاج ، ولا يكتفي بجرد الانتاج وتوزيع المنتجات والرقابة الصارمة عليهما ، بل يذهب ابعده من ذلك ، نحو تحقيق المبدأ : من كل حسب قدراته ولكل حسب حاجاته .

ف. لينين : « المؤتمر السابع للحزب الشيوعي
(البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ١٢٦ .

ان تسمية حزبنا تدل بما يكفي من الدقة على اننا نتوجه نحو الشيوعية الكاملة ، واننا نتبنى موضوعات مجردة مثل هذه الموضوعة : سوف يشتغل كل منا حسب قدراته ويتلقى حسب حاجاته ، بدون اية رقابة عسكرية ، وبدون ادنى الزام .

ف. لينين : « المؤتمر السابع للحزب الشيوعي
(البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ١٤٩ .

سوف نعمل من اجل استئصال القاعدة اللعينة : « كل واحد لنفسه

والله للجميع » ، من اجل استئصال عادة عدم اعتبار العمل الا بوصفه سخرة واعتبار العمل المشروع فقط ذلك العمل الذي يدفع عليه اجر وفقا لقاعدة معينة . سوف نعمل كي ندخل في وعي الجماهير وعاداتها ودأبها هذه القاعدة : « الجميع من اجل الواحد والواحد من اجل الجميع » ، وهذه القاعدة : « من كل حسب قدراته ولكل حسب حاجاته » ، وكي نطبق بصورة تدريجية لكن حازمة . الانضباط الشيوعي والعمل الشيوعي .

ف. لينين : « من « السبب الشيوعي » الاول على خط سكة حديد موسكو - فازان الى « السبب الشيوعي » في الاول من ايار في روسيا بأمرها » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، س : ١٢٣ - ١٢٤ .

الشيوعية وازدهار الشخصية

لا يملك كل فرد وسائل تطوير كفاءاته في جميع الاتجاهات الا في ارتباطه بالآخرين ؛ وبالتالي فليست الحرية الشخصية ممكنة الا في الجماعة وحدها . ولم تكن الحرية الشخصية موجودة ، فيما كان يقوم حتى الآن مقام الجماعات ، في الدولة ، الخ ، الا بالنسبة الى الافراد الذين تطوروا في شروط الطبقة السائدة ، وذلك فقط بقدر ما كانوا افراداً من هذه الطبقة . وان الجماعة الظاهرة ، هذه الجماعة التي اجتمع فيها الافراد حتى ذلك الحين ، قد اتخذت على الدوام وجوداً مستقلاً حيالهم ، وفي الوقت نفسه ، من جراء كونها تمثل اتحاد طبقة في مواجهة طبقة أخرى ، لم تكن تمثل فحسب جماعة وهمية بالنسبة الى الطبقة المسودة ، بل قياداً جديداً ايضاً . وفي الجماعة الحقيقية يكتسب الافراد حريتهم بصورة متواقة مع ترابطهم ، وبهذا الترابط وفيه .

وينجم عن كل التطور حتى ايماننا الحاضرة ان العلاقات الجماعية التي يدخل فيها افراد طبقة والتي كانت مشروطة على الدوام بمصالحهم

المشتركة حيال شخص ثالث قد كانت دائما جماعة تشمل هؤلاء الافراد ؛ على اعتبارهم افراداً متوسطين فحسب ، بقدر ما كانوا يعيشون في شروط وجود طبقتهم ؛ كانت تلك اذن ، على الاجمال ، علاقات كانوا يساهمون فيها ليس بصفتهم أفراداً ، لكن بصفتهم أفراد طبقة . وبالمقابل ، فان العكس هو ما يحدث في جماعة البروليتاريين الثوريين الذين يضعون تحت اشرافهم جميع شروطهم الخاصة بالوجود وشروط سائر افراد المجتمع : ان الافراد يساهمون فيها بصفتهم افراداً . ومن المفروغ منه ، بشرط ان يتم اجتماع الافراد داخل القوى الانتاجية المتطورة الآن ، ان هذا الاجتماع هو الذي يضع تحت اشرافه شروط تطور الافراد الحر وتحركهم ، هذه الشروط التي كانت متروكة للصدفة حتى ذلك الحين ، وقد اتخذت وجودا مستقلا في مواجهة الافراد ، وذلك بالضبط من جراء انفصالهم بصفتهم افراداً ، واتحادهم الضروري ، المتضمن في تقسيم العمل ، لكن الصائر من جراء انفصالهم بصفتهم افراداً رابطة كانت غريبة عليهم .

د. ماركس وف. انجلز : الايديولوجية الالمانية ،
المشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٧٠-٧١ .

ان تقسيم العمل يوفر لنا في الحال المثال الاول عن الحقيقة التالية : طالما ان البشر موجودون في المجتمع الطبيعي ، اذن طالما ان الانفصام قائم بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة ، اذن طالما ان النشاط غير منقسم اراديا ، بل طبيعيا ، فان الفعل الخاص للانسان يتحول بالنسبة اليه الى قوة غريبة تناهضه وتستعبده ، وهو ابعده ما يكون عن السيطرة عليه . وبالفعل ، فمنذ اللحظة التي يبدأ فيها توزيع العمل ، يصبح لكل امرئ مجال للنشاط موقوف عليه وحده ومحدد يفرض عليه ولا يسعه الخروج منه : فهو قناص ، او صياد ، او راع ، او ناقد ، ولا بد له ان يبقى كذلك اذا كان لا يريد ان يفقد وسائل معيشته ؛ بينما في المجتمع الشيوعي ، حيث لا يملك كل امرئ مجالاً للنشاط وفقاً عليه وحده ، لكن يستطيع

ان يتفن اختصاصه في الفرع الذي يحلو له . ينظم المجتمع الانتاج العام ، ويجعلني من جراء ذلك قادرا على القيام بهذا العمل اليوم . وبذلك العمل غدا ، فاقننص صباحا ، واصيد بعد الظهر ، وأمارس تربية الماشية مساء ، وأمارس النقد بعد الغداء حسب رغبتني الخاصة ، دون ان اصبح قط قنصا أو صيادا أو ناقدًا .

د. ماركس وف. انجلز : الايديولوجية الالمانية ،
النشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٢٤ .

ان الانتاج بصورة مشتركة يتطلب بشرا مختلفين عن بشر اليوم ، وكل منهم خاضع بصورة وثيقة لفرع خاص من الانتاج . مقيد اليه ، وبالتالي لم يطور سوى كفاءة واحدة من كفاءاته على حساب الكفاءات الاخرى ، ولا يعرف سوى فرع . او حتى جزء من فرع من الانتاج . وان الصناعة الحديثة . منذ الآن . تحتاج اقل فاعل الى مثل هؤلاء البشر . ان الصناعة الممارسة بصورة مشتركة . ووفقا لخطة ، من قبل مجموع الجماعة ، تفترض بشرا تطورت كفاءاتهم في جميع الاتجاهات ، وفي قدرتهم السيطرة على جماع نظام الانتاج . . . ان التربية سوف تجعل الشبان يجتازون بسرعة كل نظام الانتاج ، وتجعلهم في حالة تمكنهم من الانتقال بصورة متتالية من فرع الى آخر من فروع الانتاج المختلفة ، وفقا لحاجات المجتمع او لميولهم الخاصة . وبالتالي فانها ستنتزع منهم الطابع الوحيد الجانب الذي يعطيهم اياه تقسيم العمل الحالي . وهكذا فان المجتمع المنظم على الاساس الشيوعي سوف يمنح اعضاءه الفرصة ليشغلوا في جميع الاتجاهات كفاءاتهم المطورة بصورة ملائمة .

ف. انجلز : مبادئ الشيوعية ، مكتب الطبوعات
والنشر والدعاية ، باريس ، ص : ٢٧-٢٨ .

ان الشيوعية تطرح الايجابي على أنه انكار الانكار ، فهي اذن اللحظة

الفعلية لتحرر الانسان واعادة احتيازه لذاته ، اللحظة الضرورية من اجل التطور الاتي للانسان . ان الشيوعية هي الشكل الضروري والمبدا الطاقى للمستقبل القريب .

ك. ماركس : مخطوطات عام ١٨٤٤ ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٩٩ .

ان تطور كفاءات النوع « الانسان » ، بالرغم من انه يتم بادىء الامر على حساب معظم الافراد الانسانيين ، وحتى طبقات انسانية برمتها ، سيدمر في نهاية الامر هذا التضاد ويتطابق مع تطور كل فرد خاص .

ك. ماركس : « نظرية فضل القيمة (الكتاب الرابع من راس المال) » ، في ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الثانية ، المجلد السادس والعشرون ، الجزء الثاني ، ص : ١٢٢ .

ان الراسمالية تخلف بالضرورة كميراث للاشتراكية من جهة واحدة الفوارق المهنية والنقابية القديمة التي نشأت خلال قرون بين العمال ، ومن جهة ثانية نقابات لا تستطيع ان تتطور ولن تتطور الا ببطء شديد خلال سنين وسنين الى نقابات صناعية اوسع ، اقل مهنية (تشمل صناعات كاملة وليس نقابات حرفية فقط ، او هيئات مهنية وحرفية) . وسوف يقضى فيما بعد ، بواسطة هذه النقابات الصناعية ، على تقسيم العمل بين البشر ؛ سوف ينتقل الى تربية وتعليم وتكوين بشر متطورين بصورة عمومية ، ومهيئين بصورة عمومية ، وهم يعرفون ان يصنعوا كمن شيء . في هذا الاتجاه تذهب الشيوعية ، ويجب ان تذهب ، سوف تصل ، لكن بعد سنوات طويلة فقط . اما ان يحاول اليوم الاستباق العملي لهذه النتيجة المقبلة للشيوعية الكاملة التطور ، والوطيدة التشكيل ، والبالغة اوج نضوجها ، فذلك معناه الرغبة في تعليم الرياضيات العليا لطفل في الرابعة

ف. لينين : مرض الشيوعية الطفولي
(« اليسارية ») ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٤٤-٤٥ .

الشيوعية واضمحلال الطبقات

ان القضاء على الطبقات هو مطلبنا الاساسي الذي يصبح القضاء على
السيطرة الطبقيّة لغواً بدونه من وجهة النظر الاقتصادية .

ف. انجلز : « نقد مشروع البرنامج الاشتراكي
الديموقراطي لعام ١٨٩١ » ، في ك. ماركس وف.
انجلز ، « نقد برنامجي غوتنا وايرفورت » ،
المشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٨٤ .

منذ ظهر اسلوب الانتاج الرأسمالي في التاريخ والافراد والشيع
على حد سواء يحملون كثيراً ، بشيء يزيد او ينقص من الغموض ،
باستملاك سائر وسائل الانتاج من قبل المجتمع باعتباره المثل الاعلى
للمستقبل . بيد ان هذا الاستملاك لا يمكن ان يصير ممكناً ، لا يمكن ان
يصير ضرورة تاريخية ، الا عندما تتوفر الشروط الفعلية من اجل تحقيقه .
وانه ليتمكن تطبيق هذا الاستملاك ، مثله مثل أي تقدم اجتماعي آخر ،
ليس من قبل أناس يدركون ان وجود الطبقات يتناقض مع العدالة ،
والمساواة ، الخ . . . ، وليس بمجرد الرغبة في الغاء هذه الطبقات والاستعداد
له ، بل بفضل بعض الشروط الاقتصادية الجديدة . ان انفصال المجتمع
الى طبقة مستثمرة وطبقة مستثمرة ، الى طبقة سائدة وطبقة مضطهدة ؛
قد كان النتيجة الضرورية لتطور الانتاج المعيب والمحدود في الازمان
السابقة . فما دام العمل الاجتماعي لا يثمر سوى منتج لا يفيض سوى
القليل على ما هو ضروري كل الضرورة من اجل معيشة الجميع ، وبالتالي

مادام العمل يستهلك كل او قرابة كل وقت الغالبية العظمى من اعضاء المجتمع ، فان هذا المجتمع سينقسم بالضرورة الى طبقات . ذلك انه تقوم الى جانب هذه الغالبية العظمى ، هؤلاء العبيد المقيدون الى العمل وحده ، طبقة طليقة من العمل المنتج بصورة مباشرة ، وهي تعنى بشؤون المجتمع العامة ، وبادارة العمل ، وبشؤون الدولة ، والقانون ، والعلم ، والفن ، الخ . وهكذا فان تقسيم العمل هو الذي يقوم في اساس الانقسام الى طبقات . بيد ان هذا لا يمنع ذلك الانقسام الى طبقات من القيام بواسطة العنف ، والسلب ، والغش ، والاحتتيال . انه لا يمنع الطبقة الحاكمة ، بعد تحقيق سيادتها ، من توطيد سلطانها على حساب الطبقة العاملة ، ومن تحويل قيادتها الاجتماعية الى استثمار للجماهير الغفيرة .

لكنه اذا كان للانقسام الى طبقات ، على هذا الاساس، بعض المبررات التاريخية ، فان ذلك لا يصح الا بالنسبة الى مرحلة معينة ، لا يصح الا في بعض الظروف الاجتماعية المعينة . لقد كان يقوم على اساس النقص في الانتاج ، ولسوف يكنسه التطور العام للقوى الانتاجية الحديثة ، وبالفعل ، فان الفناء الطبقات في المجتمع يفترض درجة من التطور التاريخي لا يصبح عندها وجود هذه الطبقة الحاكمة المخصوصة او تلك فحسب ، بل وجود اية طبقة سائدة على الاطلاق ، وبالتالي وجود التمايز الطبقي ذاته ، غلطة تاريخية باطلة . وبالتالي فانه يفترض ان تطور الانتاج قد ارتفع الى درجة لا يصبح عندها استهلاك وسائل الانتاج والمنتجات ، وبلاضافة اليها استهلاك السيطرة السياسية ايضا ، احتكار الثقافة ، والقيادة الفكرية من قبل طبقة مخصوصة من المجتمع ، امرا نافلا فحسب، بل عقبة تعترض سبيل التطور اقتصاديا وسياسيا وفكريا .

ولقد تم بلوغ هذه النقطة في الوقت الحاضر . فلم يعد سرا بعد الآن حتى بالنسبة الى البورجوازيين انفسهم ما يعانون من افلاس سياسي وفكري . وان افلاسهم الاقتصادي ليتكرر بانتظام كل عشر سنوات .

وفي كل أزمة يخنق المجتمع تحت ثقل قواه الانتاجية الخاصة ومنتجاته الخاصة التي لا يمكنه استخدامها ، فهو يقف عاجزا وجها لوجه أمام التناقض السخيف التالي ، الا وهو ان المنتجين لا يملكون ما يستهلكون ، لأن المستهلكين مفقودون .

ف. انجلز : الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية ، في ل.د. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات المختارة في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ١٣٩ - ١٤٠ .

... ان المجتمع سيصنع ما يكفي من المنتجات كي يستطيع ان ينظم التوزيع بحيث يلبي حاجات جميع افراده . ان انفصال المجتمع الى طبقات متضادة مختلفة سيصبح نافلا بذلك . ولن يصبح نافلا فحسب ، بل متافرا ايضا مع النظام الاجتماعي الجديد .

ف. انجلز : مبادئ الشيوعية ، مكتب المطبوعات والنشر والدعاية ، باريس ، ص : ٢٧ .

وما ان تختفي التناقضات الطبقيه وتزول خلال سير التطور ، ويصبح كل الانتاج متمكرا في يدي جمعية واسعة تشمل الامة بأسرها ، حتى تفقد السلطات العامة صبقها السياسية . اذ ان السلطة السياسية بالمعنى الصحيح ما هي سوى السلطة المنظمة لطبقة في سبيل اضطهاد طبقة اخرى . فاذا كانت البروليتاريا مجبرة ، في نضالها ضد البورجوازية ، على تنظيم نفسها بحكم الظروف في طبقة ، واذا كانت تجعل نفسها ، بواسطة الثورة ، طبقة حاكمة ، ثم تهدم بالعنف والشدة ، بصفها طبقة حاكمة ، نظام الانتاج القديم ، فانها تكون قد هدمت بذلك في الوقت ذاته الشروط اللازمة لوجود التناقضات الطبقيه والطبقات بصورة عامة ، وبذلك تكون قد قضت ايضا على سيادتها من حيث هي طبقة .

وعلى انقراض المجتمع البورجوازي القديم ، بطبقاته وتناقضاته الطبقيه ،

ينبثق اتحاد جديد تكون حرية التطور لكل عضو فيه شرطا لحرية تطور
الجميع على حد سواء .

ك. ماركس وف. انجلز : البيان الشيوعي ،
منشورات دار دمشق ، ١٩٦٥ ، ص : ٦٠ - ٦١ .

ان تعبير : « دمار كل تفاوت اجتماعي وسياسي » بدلا من « الفناء
جميع الفوارق الطبقيّة » هو ايضا تعبير مشكوك فيه جدا . فمن بلد الى
آخر ، ومن اقليم الى آخر ، بله من موضع الى آخر ، سيكون هناك على
الدوام بعض التفاوت في شروط الوجود ، وهو تفاوت يمكن حقا ارجاعه
الى الحد الأدنى ، لكن لا يمكن إزالته كليا . ان سكان جبال الالب سيملكون
على الدوام شروطا حياتية تختلف عن شروط سكان السهول . وان تصور
المجتمع الاشتراكي على انه امبراطورية المساواة هو تصور فرنسي ضيق
جدا ويرتكز على الشعار القديم حرية ، مساواة ، أخوة ، تصور كان له
ميراثه في زمانه ومكانه لأنه كان يتجاوب مع دور من التطور ، لكن يجب ،
مثله في ذلك مثل جميع التصورات البالغة الضيق للمدارس الاشتراكية
التي سبقتنا ، ان يتجاوز في الوقت الحاضر ، لأنه لا يخلق سوى البلبلة
في الاذهان ولأنه استبدل بتصورات ادق تتجاوب مع الوقائع بصورة أفضل .

ك. ماركس : نقد برنامج فونتا ، في ك. ماركس
وف. انجلز ، المؤلفات المختارة في مجلدين ،
منشورات التقدم موسكو ، المجلد الثاني ،
ص : ٣٧ - ٢٨ .

ان ثورة البروليتاريا الاجتماعية ، اذ تستعيز عن الملكية الخاصة
لوسائل الانتاج والتداول بالملكية الاجتماعية ، وتؤسس تنظيميا عقلانيا
لعملية الانتاج الاجتماعية كيما تضمن الرخاء والنمو المنسجم لجميع افراد
المجتمع ، سوف تقضي على انقسام المجتمع الى طبقات وتحرر بذلك كل
الانسانية المضطهدة بأن تضع حدا لجميع اشكال استثمار قسم من المجتمع

من قبل قسم آخر .

ف. لينين : « نصوص من اجل مراجعة برنامج
الحزب » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الرابع والعشرون ، ص : ٤٨١ .

ان الاشتراكية هي الغاء الطبقات .

ولا بد في سبيل الغاء الطبقات من قلب الملاكين العقاريين والراسماليين
اولا . ولقد انجزنا هذا القسم من المهمة ، لكنه ليس سوى قسم فقط ،
وليس هو بالقسم الاصعب . ولا بد في سبيل الغاء الطبقات ، ثانيا ، من
القضاء على الفارق بين العامل والفلاح ، وجعل الجميع شغيلة . ولا يمكن
ان يتحقق هذا دفعة واحدة . تلك مهمة اصعب بما لا يقاس ، وهي مهمة
طويلة الامد بالتاكيد . ولا يمكن تحقيق هذه المهمة بمجرد الاطاحة بطبقة ،
بل لا يمكن تحقيقها الا باعادة تنظيم الاقتصاد الاجتماعي بأسره ، وبالاتقال
من الاقتصاد التجاري الصغير ، الفردي ، المنزلي ، الى الاقتصاد الجماعي
الضخم . وان هذا الانتقال لطويل بالضرورة .

ف. لينين : « الاقتصاد والسياسة في مرحلة
دكتاتورية البروليتاريا » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ١٠٨ -
١٠٩ .

ان الغاء الطبقات معناه وضع جميع المواطنين في وضعية متماثلة
بالقياس الى وسائل انتاج المجتمع بكامله . وهذا يعني ان جميع المواطنين
يملكون حقا متماثلا في العمل المحقق بواسطة وسائل انتاج اجتماعية ، على
الارض التي تخص المجتمع ، وفي المعامل التي تخص المجتمع ، وهكذا
دواليك . . . وباختصار : حين يتحدث الاشتراكيون عن المساواة ، فانهم
يقصدون من ذلك دائما المساواة الاجتماعية ، مساواة الوضعية الاجتماعية ،

ولا يقصدون في حال من الأحوال مساواة القدرات الذهنية والحكمية للأفراد.

ف. لينين : « استاذ ليبرالي يتحدث عن
المساواة » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد العشرون ، ص : ١٥٠ - ١٥١ .

ان الاشتراكيين الديموقراطيين يقصدون بالمساواة ، في المجال
السياسي ، المساواة في الحقوق ، وفي المجال الاقتصادي ، كما ذكر آنفا ،
الغاء الطبقات .

ف. لينين : « استاذ ليبرالي يتحدث عن
المساواة » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد العشرون ، ص : ١٤٩ .

... اننا نضع نصب اعيننا المساواة على اعتبارها القضاء على
الطبقات ، وعندئذ فإنه يجب القضاء أيضا على الفارق الطبقي بين العامل
والفلاح . وذلك هو غرضنا على وجه التحديد . فالمجتمع الذي يظل فيه
فارق طبقي بين العامل والفلاح ليس بمجتمع شيوعي ولا بمجتمع اشتراكي .
ومن الطبيعي اننا اذا فسرنا كلمة « الاشتراكية » بطريقة معينة ، فاننا
نستطيع ان نسميه مجتمعا اشتراكيا ، لكن ذلك سيكون من قبيل المراوغة ،
ونزاعا على العبارات . ان الاشتراكية هي المرحلة الاولى للشيوعية ؛
لكنه لا جدوى من المماحكة على الكلمات . ان ثمة شيئا جليا : فما دام
بعض الفارق الطبقي باقيا بين العامل والفلاح ، فاننا لا نستطيع ان
نتحدث عن المساواة دون خشية من تزويد طاحون البورجوازية بالمياه .

ف. لينين : « المؤتمر الاول للتعليم خارج
المدري في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص :
٣٦١ - ٣٦٢ .

كان انجلز على حق الف مرة حين كتب : ان فكرة المساواة هي

المستبق الاشد بلاهة وسخفا في خارج القضاء على الطبقات . وبمناسبة فكرة المساواة هذه ، سعى الاساتذة البورجوازيون لاثامنا بأننا نريد ان نجعل من كل فرد ندا للآخرين . ولقد حاولوا ان يعزوا الى الاشتراكيين هذا اللغو الذي كانوا هم انفسهم واضعيه . غير انهم ماكانوا يعرفون ، من جراء جهلهم ، ان الاشتراكيين ، وبالضبط ماركس وانجلز مؤسسي الاشتراكية العلمية المعاصرة كانا يقولان : ان المساواة جملة فارغة اذا لم يقصد بالمساواة القضاء على الطبقات . اننا نريد ان نقضي على الطبقات ، وبهذا المعنى فاننا الى جانب المساواة . لكن الادعاء بجعل جميع البشر متساوين هو العبارة الاشد فراغا ، كما انه ابتكار أحقق ليس غير ...

ف. لينين : « المؤتمر الاول للتعليم خارج المدرسي في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٣٦١ .

عندما لن تكون طبقات في المجتمع (الشيوعي) ، فلن يبق اذن سوى منتجين عاملين ، ولن يكون هناك عمال وفلاحون . واننا لنعرف على خير وجه ان ماركس وانجلز ، في جميع مؤلفاتهما ، يميزان بأوضح طريقة العصر الذي لا تزال انطبقات قائمة فيه من العصر الذي يكون لها وجود فيه . وان الافكار والاحاديث والفرضيات التي تتحدث عن زوال الطبقات قبل الشيوعية قد كانت موضع السخرية التي لاهوادة فيها من قبل ماركس وانجلز اللذين كانا يقولان ان الشيوعية وحدها تسجل زوال الطبقات .

ف. لينين : « المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والعشرون ، ص : ٢٦١ .

الشيوعية واضمحلال الدولة

ليس للقضاء على الدولة معنى بالنسبة الى الشيوعيين الا على اعتباره

نتيجة للقضاء على الطبقات الذي يستتبع ايضا القضاء على الحاجة الى القوة المنظمة لطبقة واحدة من اجل ابقاء الطبقات الاخرى في حالة الخضوع .

ك. ماركس وف. انجلز : « مقالات متتلفة من
المجلة الرينانية الجديدة . الاستعراض السياسي
الاقتصادي » ، العدد الرابع ، المؤلفات الكاملة ،
الطبعة الروسية ، المجلد السابع ، ص : ٢٠٣ .

**ان البروليتاريا تستولي على الساطة السياسية وتحول وسائل الانتاج
كضرورة اولية الى ملكية الدولة .** لكن البروليتاريا ، حين تفعل ذلك ، تقضي
على نفسها بوصفها بروليتاريا ، تُلغى سائر الفوارق الطبقيّة والتضادات
الطبقيّة ، وتُلغى كذلك الدولة بوصفها دولة . لقد كان المجتمع ، القائم على
التضادات الطبقيّة ، يحتاج حتى الآن الى الدولة ، يعني يحتاج الى تنظيم
للطبقة المخصوصة التي كانت الطبقة المستثمرة بصورة مؤقتة ، وذلك من
اجل الحفاظ على شروط انتاجها الخارجية ، وبالتالي من اجل اجبار الطبقات
المستثمرة على البقاء في حالة الاضطهاد المتوافقة مع اسلوب الانتاج المعين
العبودية ، نظام الرق ، العمل المأجور) . لقد كانت الدولة الممثلة الرسمية
للمجتمع في مجموعه ، كانت تجمعا له في هيئة منظورة . لكنها لم تكن ذلك
الا بقدر ما كانت الدولة الخاصة بتلك الطبقة التي تمثل هي نفسها ، في
حينه ، المجتمع في مجموعه : دولة المواطنين اصحاب العبيد في الازمان
القديمة ، والسادة الاقطاعيين في العصور الوسيطة ، والبورجوازية في ازماننا
الحاضرة . وحين تصبح في آخر المطاف الممثلة الحقيقية لاجموع المجتمع ،
فانها تجعل نفسها نافلة . فحالما لا يعود ثمة اية طبقة ينبغي ابقاؤها في
حالة الاستعباد ، حالما يتم القضاء على الحكم الطبقي وعلى الصراع الفردي
من اجل الوجود القائم على اساس الفوضى السائدة في انتاجنا الحاضر ، مع
التصادمات والتطرفات الناجمة عنه ، فانه لا يتبقى شيء يتوجب اضطهاده ،
وبالتالي لا يعود ثمة ضرورة من اجل قوة زجرية خاصة هي الدولة . ان اول

عمل تتشكل الدولة به بصورة فعلية كممثلة للمجتمع بأسره - الاستيلاء على وسائل الانتاج باسم المجتمع - هو في الوقت نفسه آخر اعمالها المستقلة بوصفها دولة . ان تدخل الدولة في العلاقات الاجتماعية يصبح عديم الضرورة في ميدان إثر آخر ، ومن ثم يتلاشى من تلقاء ذاته ، اذ يستعاض عن حكومة الاشخاص بادارة الامور ، وتوجيه عمليات الانتاج . فالدولة اسم « تلغ » ، بل هي تضمحل .

ف. انجلز : الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية ، في ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات المختارة في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ١٥٨ - ١٥٩ .

فالدولة لم توجد اذن منذ الازل . لقد كانت ثمة مجتمعات استغنت عنها ، مجتمعات لم يكن لديها أي مفهوم عن الدولة وعن سلطة الدولة . وفي مرحلة معينة من التطور الاقتصادي ، وهي مرحلة كانت مرتبطة بالضرورة بانقسام المجتمع الى طبقات ، أصبحت الدولة ضرورة بسبب ذلك الانقسام نفسه . وانا لنقترب الآن سراعا من مرحلة في تطور الانتاج حيث لن يكف وجود هذه الطبقات عن كونه ضرورة فحسب ، بل سيصير ايضا عائقا ايجابيا في وجه الانتاج . وعندئذ فهي ستنقرض بصورة لا تقل حتمية عنها عند نشوئها في مرحلة ابكر . وسوف تنقرض الدولة معها بصورة محتومة ايضا . وان المجتمع الذي سيعيد تنظيم الانتاج على اساس الشركة الحرة المتساوية بين المنتجين سيضع كل آلة الدولة حيث يجب ان تكون ، في متحف الآثار لقديمة ، جنبا الى جنب مع دولاب الغزل والفأس البرونزية .

ف. انجلز : اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة ، منشورات دار اليقظة العربية ، ص : ٢٦٦ - ٢٦٧ .

... يعتبر مفهوما « الحرية » و « الديمقراطية » عادة على أنهما

متمثالان وغالبا ما يستعمل أحدهما من أجل الآخر . وفي كثير جدا من الاحيان يفكر الماركسيون المتبدلون (وعلى رأسهم كاوتسكي وبلخانوف وشركاهما) بهذه الطريقة بالضبط . وفي واقع الامر ان الديمقراطية تنفي الحرية . ان جدلية (عملية) التطور هي كما يلي : من الحكم المطلق الى الديمقراطية البورجوازية ، من الديمقراطية البورجوازية الى الديمقراطية البروليتارية ، من الديمقراطية البروليتارية الى ولا أية ديموقراطية أخرى .

ف. لينين : « وثائق تحضيرية من أجل الدولة والثورة » ، الإلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد الثالث والثلاثون ، ص : ١٧٠ .

وهكذا فان دكتاتورية البروليتاريا « مرحلة سياسية انتقالية » ، ومن الواضح أن دولة هذه المرحلة هي كذلك الانتقال من الدولة الى لا دولة ، يعني أنها « ليست بعد الآن دولة بمعنى الكلمة الصحيح » . وبنتيجة ذلك ، فان ماركس وانجلز لا يناقضان نفسيهما مطلقا في هذه النقطة .

غير أن ماركس يتحدث فيما بعد عن « النظام الدولي للمجتمع الشيوعي » !! . وهكذا سوف يكون نظام دولي حتى في « المجتمع الشيوعي » ، اليس في ذلك تناقض ؟

كلا :

- ١ - في المجتمع الرأسمالي ، الدولة ضرورية للبورجوازية
الدولة بالمعنى الصحيح .
- ٢ - انتقال (دكتاتورية البروليتاريا) : دولة من النمط الانتقالي (ليست دولة بالمعنى الصحيح) .
- ٣ - المجتمع الشيوعي : اضمحلال الدولة .

هذا جازم وواضح تماماً !!

وبكلام آخر :

- ١ - ديموقراطية للاغنياء ولقسم زهيد من البروليتاريا فقط (لا شأن للفقراء بها !) .
١ - ديموقراطية في صورة الاستثناء فقط ، غير كاملة ابدا ...
- ٢ - ديموقراطية للفقراء ، لتسعة اعشار السكان ، وقمع مقاومة الاثرياء بالقوة .
٢ - ديموقراطية كاملة تقريبا ، محدودة فقط بقمع مقاومة البورجوازية .
- ٣ - ديموقراطية كاملة ، قد باتت عادة ، وبالتالي مضمحلة ، مخلية المكان لمبدأ : « من كل حسب قدراته ، ولكل حسب حاجاته » .
٣ - ديموقراطية كاملة حقا ، قد باتت عادة ، وبالتالي مضمحلة ان الديموقراطية الكاملة لا تساوي أية ديموقراطية . ليست تلك مفارقة ، بل الحقيقة !

ف. لينين : « وثائق تحضيرية من أجل الدولة والثورة » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد الثالث والثلاثون ، ص : ١٧٩ - ١٨٠ .

ثمة خطيئة ترتكب على الدوام في الاعتبارات المعهودة عن الدولة ، خطيئة ينبه انجلز ههنا اليها ويحذر منها ، وقد اشرنا اليها عرضاً اعلاه : إنه ينسى باستمرار أن الغاء الدولة هو الغاء للديموقراطية أيضا ، وأن اضمحلال الدولة هو اضمحلال للديموقراطية .

ويبدو مثل هذا التأكيد ، للوهلة الاولى ، غريبا جدا وعصيا على

الإدراك : بل قد يوجد أناس يخشون أن تكون نيتنا هي إقامة نظام اجتماعي لا يعمل فيه بمبدأ خضوع الأقلية للأكثرية ، إذ ليست الديمقراطية ، في آخر تحليل ، هي الاعتراف بهذا المبدأ ؟

كلا . ليست الديمقراطية مرادفة لخضوع الأقلية للأكثرية . فالديموقراطية هي دولة تعترف بخضوع الأقلية للأكثرية . وبكلام آخر ، فهي تنظيم غاية ممارسة العنف ممارسة منهجية من قبل طبقة ضد طبقة أخرى ، من قبل قسم من السكان ضد القسم الآخر .

إننا نضع نصب أعيننا كفاية أخيرة القضاء على الدولة ، يعني على كل عنف منظم ومنهجي ، على كل عنف مطبق على البشر بصورة عامة . إننا لا نتوقع قيام نظام اجتماعي لا يعمل فيه بمبدأ خضوع الأقلية للأكثرية . لكننا على يقين ، ونحن نطمح إلى الاشتراكية ، من أنها ستؤول في تطورها إلى الشيوعية ، وبالتالي تزول كل ضرورة من أجل اللجوء إلى العنف ضد البشر ، كل ضرورة من أجل خضوع إنسان لآخر ، قسم من السكان للقسم الآخر ، ذلك أن البشر سيقتادون أن يراعوا الشروط الأساسية للحياة في المجتمع ، دون عنف ودون خضوع .

وكي يشدد أنجلز على هذا العنصر من الاعتقاد ، فإنه يتحدث عن الجيل الجديد « الناشئ في شروط اجتماعية جديدة وحررة » و « القادر على التخلص من كل عفش الدولة هذا » ، من كل دولة ، بما في ذلك دولة الجمهورية الديمقراطية . . .

. . . إذا لم يقارن المرء الصورة سطحية بين رسالة ماركس إلى براك بتاريخ ٥ أيار ١٨٧٥ ورسالة أنجلز إلى بيبل بتاريخ ٢٨ آذار ١٨٧٥ ، المدروسة أعلاه ، فقد يخيل إليه أن ماركس اعظم « نزوعاً إلى الدولة » من أنجلز حتى درجة بعيدة ، وأن الفارق بين مفاهيم هذين الكاتبين عن الدولة

بين جدا .

يدعو انجلز ببيل الى الكف عن كل اثرثة عن الدولة والى حذف كلمة الدولة من البرنامج بصورة نهائية واستبدالها بكلمة «الجماعة» ؛ بل انه ليذهب حتى اعلان ان الكومونة لم تكن دولة بالمعنى الصحيح للكلمة . هذا بينما يتحدث ماركس عن « الدولة المقبلة للمجتمع الشيوعي » ، يعني انه يقبل فيما يبدو بضرورة الدولة حتى في المجتمع الشيوعي .

لكن مثل هذا التصور سيكون على درجة عظيمة من الخطل . ان شيئا اكثر من الانتباه يبين ان آراء ماركس وانجلز عن الدولة واضمحلالها تتطابق تماما ، وان التعبير المورد المأخوذ عن ماركس ينطبق بالضبط على الدولة في طريق الاضمحلال .

ومن المؤكد انه لا يمكن إثارة مسألة تحديد ساعة هذا «الاضمحلال» المقبل ، وعلى الاخص أنه سيشكل بالضرورة عملية طويلة الامد . ان الفارق الظاهري بين ماركس وانجلز يفسر بالفارق في المواضيع المعالجة والاهداف المتفاعة من قبل كل منهما . لقد كان هدف انجلز هو ان يبين لبيل بصورة نيرة ، قاطعة ، وبخطوط كبيرة ، كل سخر المستبقات السائدة (التي يشارك فيها لاسال بنسبة ملحوظة) عن الدولة . لوإن هذه المسألة لم يفعل ماركس سوى الالمام بها ، اذ ان موضوعا آخر كان يشغل انتباهه ، الا وهو تطور المجتمع الشيوعي .

إن نظرية ماركس بأكملها هي تطبيق نظرية التطور ، بشكلها الاحزم والاكمل والواعى والاعمق ، على الراسمالية المعاصرة . اننا لتدرك اذن ان ماركس قد اكان عليه ان يتصدى لقضية تطبيق هذه النظرية على الافلاس **المقبل** للرأسمالية ، وكذلك على التطور **المقبل** للشيوعية **المقبلة** .

اذن فما هي **المعطيات** التي يمكن انطلاقا منها طرح مسألة التطور المقبل للشيوعية المقبلة ؟

انطلاقاً من الحقيقة التالية ، الا وهي ان الشيوعية تنبثق من الرأسمالية ، تتطور تاريخياً انطلاقاً من الرأسمالية ، وتنتج عن فعل قوة اجتماعية مولودة من الرأسمالية . اننا لا نجد عند ماركس اثراً لاية محاولة لابتكار الطوباويات ، ولتشديد تخمينات لا طائل تحتها عما لاتمكن معرفته . ان ماركس يطرح قضية الشيوعية كما يطرح عالم طبيعي مثلاً قضية تطور نوع بيولوجي جديد ، وذلك اذا ما عرف أصله مرة والاتجاه الذي انخرطت فيه تبدلاته .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ١٠١ - ١٠٦ .

إن الاساس الاقتصادي لاضمحلال الدولة التام هو الشيوعية البالغة درجة عالية جداً من التطور بحيث يتلاشى كل تضاد بين العمل الفكري والعمل اليدوي ، وبالتالي يزول احد الينابيع الرئيسية للتفاوت الاجتماعي المعاصر ، وهو ينوع لا يمكن أن يجففه أبداً من الوهلة الاولى مجرد تشريك وسائل الانتاج ، مجرد نزع ملكية الرأسماليين .

إن نزع الملكية هذا سيحقق امكانية تطور هائل للقوى المنتجة . واذ نرى ان الرأسمالية ، منذ الآن ، تعوق هذا التقدم بصورة لا تصدق ، وكم من تقدم يمكن أن نحققه بفضل التقنية الحديثة التي حققناها حتى الآن ، فان لنا الحق في أن نؤكد بيقين مطلق ان نزع ملكية الرأسماليين سيستتبع بالضرورة تطوراً هائلاً لقوى المجتمع الانساني المنتجة . لكن كيف سنكون سرعة هذا التطور ، ومتى سيؤول الى انفصام عن تقسيم العمل ، الى القضاء على التضاد بين العمل الفكري والعمل اليدوي ، الى تحويل العمل الى « الضرورة الحيوية الاولى » - هذا مالا نعرفه ولا نستطيع ان نعرفه .

وهكذا فنحن لا نملك الحق في الحديث سوى عن اضمحلال الدولة المحتوم ، مؤكداً على ديمومة هذه العملية ، وعلى تبعيتها لسرعة تطور الدور الاعلى

للشوعية ، تاركين مسألة الوقت الذي سيتطلبه هذا الاضمحلال او أشكاله الحسية معلقة تماماً . ذلك انه لا وجود للمعطيات التي تتيح لنا حسم مثل هذه القضايا .

ويمكن للدولة ان تضحل تماماً حين يحقق المجتمع مبدأ « من كل حسب قدراته ولكل حسب حاجاته » ، يعني حين يألف البشر جيداً التقيد بالقواعد الاساسية للحياة الاجتماعية ، ويكون عملهم قد أصبح على قدر كبير من الانتاجية ، بحيث يعملون بملء ارادتهم حسب قدراتهم . « إن الافق الضيق للحق البورجوازي » ، الذي يجبر المرء على الحساب بشراسة شيكوك ما اذا لم يعمل نصف ساعة اكثر من جاره ، او تناول اجرا دون أجره - هذا الافق الضيق سوف يتم تجاوزه الآن . وعندئذ لن يتطلب توزيع المنتجات أن يقنن المجتمع المنتجات التي سيحصل كل امرئ عليها ، بل إن كل امرئ سوف يستقي بملء الحرية « حسب حاجاته » .

ويمكن من وجهة النظر البورجوازية أن نعت مثل هذا النظام الاجتماعي « بالطوباوية الخالصة » ، وأن نسخر من الاشتراكيين الذين يعدون « مواطنين بالحق في أن يتناول من المجتمع ، دون أية رقابة على عمله ، بل لا من الكفاءة والسيارات ، والبيانات ، الخ : وإن معظم « العلماء » البورجوازيين ليقتصرون اليوم ايضا على مثل هذا الاستهزاء ، فيكشفون بذلك عن جهلهم ويميطون اللثام عن دفاعهم المتحيز عن الرأسمالية .

الجهل ، لانه لم يخطر قط في بال أي اشتراكي أن « يعد » بقيام دور الشيوعية الاعلى ؛ واما تنبؤ الاشتراكيين الكبار بقيامه ، فانه يفترض انتاجية للعمل تختلف عن انتاجية اليوم ووزوال الانسان المتوسط المتغلب في هذه الايام والقمين - مثله مثل تلامذة بوميالوفسكي (٢٧) - بتبذير الثروات العامة « على هواه » والمطالبة بالمستحيل في الوقت نفسه .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ١١٨ - ١٢٠ .

في المجتمع الشيوعي فقط ، عندما تكون مقاومة الراسماليين قد تحطمت بصورة نهائية ، ويكون الراسماليون قد زالوا ولم يعد هناك طبقات (يعني لم يعد هناك فوارق بين افراد المجتمع بخصوص علاقاتهم بوسائل الانتاج الاجتماعية) ، عندئذ فقط «تكف الدولة عن الوجود ويصبح في الامكان الحديث عن الحرية» . عندئذ فقط تصبح الديمقراطية الكاملة حقاً، المجرد حقاً عن اي استثناء، ممكنة وموضع التطبيق. عندئذ فقط تأخذ الديمقراطية في الاضمحلال لهذا السبب البسيط ، الا وهو ان البشر ، وقد تخلصوا من العبودية الراسمالية ، ومن احوال الاستثمار الراسمالي واعماله المتوحشة وسخافاته وحقارته التي لا تحصى . **سوف يعتادون** تهريجياً على مراعاة القواعد الاساسية للحياة في المجتمع ، المعروفة منذ قرون والمرددة طوال آلاف السنين في سائر الوصفات الاخلاقية ، على مراعاتها دون عنف ، ودون الزام ، ودون خضوع ، **ودون هذا الجهاز الخاص** بالزجر الذي يسمى الدولة .

ان عبارة « الدولة **تضمحل** » موفقة جدا ، ذلك انها تعبر عن تدرج العملية وتلقائيتها في وقت واحد ؛ فالمادة وحدها يمكن ان تحقق مثل هذا التأثير ، وسوف تحققه بكل تأكيد ، ذلك اننا نشاهد الف والـ الف مرة فيما حولنا مبلغ السهولة التي يعتاد البشر بها على مراعاة القواعد الضرورية للحياة في المجتمع عندما لا يكون ثمة استثمار . عندما لا يكون ثمة شيء يثير الاستياء ، يثير الاحتجاج والتمرد ، ويتطلب **الزجر** .

وهكذا فاننا لا نملك في المجتمع الراسمالي سوى ديموقراطية ناقصة، بائسة ، مزورة ، ديموقراطية للثرياء فقط . للاقلية . وان دكتاتورية البروليتاريا ، المرحلة الانتقالية الى الشيوعية . سوف تقيم للمرة الاولى ديموقراطية للشعب ، للفالية . بصورة متوازية مع الزجر الضروري المطبق على اقلية من المستثمرين . ان الشيوعية وحدها قادرة على تحقيق ديموقراطية كاملة بصورة فعلية ؛ وفقد ما تكون هذه الديمقراطية اكمل ؛ فانها تصبح نافذة وتضمحل من تلقاء نفسها بصورة اسرع .

وبعبارة أخرى فإننا نملك في النظام الرأسمالي الدولة بمعنى الكلمة الصحيح ، وهي آلة خاصة من أجل اضهاد طبقة من قبل طبقة أخرى ، اضهاد الغالبية من قبل الاقلية ، واننا لنستطيع ان نتصور ان الاضطهاد المنهجي المطبق من قبل اقلية من المستثمرين ضد غالبية من المستثمرين يتطلب ، في سبيل انجازه على خير وجه ، وحشية وقسوة بالفتين في الزجر ، بحارا من الدماء تواصل الانسانية عبرها طريقها في ظل نظام العبودية والرق والعمل المأجور .

ومن بعد ، في المرحلة **الانتقالية** من الرأسمالية الى الشيوعية ، يكون الزجر ضروريا **بعد** ، لكنه يطبق بعد الآن ضد اقلية من المستثمرين من قبل غالبية من المستثمرين . وان الجهاز الخاص ، الآلة الخاصة من أجل الزجر ، « الدولة » ، هي ضرورية **بعد** ، لكنها باتت منذ الآن دولة انتقالية ، فهي ليست بعد الآن الدولة بمعنى الكلمة الصحيح ، ذلك ان الزجر المطبق ضد اقلية من المستثمرين من قبل غالبية عبيد الامس المأجورين هو شيء فائق السهولة نسبيا ، بسيط جدا وطبيعي جدا ، بحيث يكلف من الدماء اقل جدا مما كلفه القضاء على عصيانات العبيد والاقنان والعمال المأجورين ، بحيث تكون تكاليفه اقل على الانسانية . وانه لمتوافق مع امتداد الديمقراطية الى اقلية جارفة من السكان بحيث ان ضرورة آلة خاصة للزجر تأخذ في الزوال . ومن الطبيعي ان المستثمرين ليسوا في حالة تمكنهم من قمع الشعب دون آلة بالغة التعقيد ، الفاية منها تحقيق هذه المهمة ؛ واما **الشعب** فانه يستطيع ان يقمع المستثمرين حتى « بالآلة » بسيطة جدا ، بدون « آلة » على وجه التقريب ، دون جهاز خاص ، بمجرد **تنظيم الجماهير المسلحة** (كما نقول اذا شئنا ان نستبق الحوادث : المجالس السوفيتية للمندوبين العمال والجنود) .

وأخيرا فان الشيوعية وحدها تجعل الدولة نافلة بصورة مطلقة ، لانه لن يبقى عندئذ **انسان** يجب قمعه ، « انسان » بمعنى طبقة : ذلك انه

لم يعد هناك أي نضال منهجي ضد قسم معين من السكان . ونحن لسنا بطوباويين البتة ، ولا ننكر أبدا ان بعض المبالغات **الفردية** هي ممكنة ومحتومة؛ وكذلك لا ننكر ان يكون زجر مثل **هفته** المبالغات ضروريا . لكن قبل كل شيء لا حاجة في سبيل ذلك الى آلة خاصة ، الى جهاز خاص للزجر : فالشعب المسلح سيأخذ بنفسه على عاتقه هذه المهمة بمثل السهولة التي تفصل بها جماعة من الناس المتحضرين ، حتى في المجتمع الحالي ، قوما يتقاتلون او لاتسمح بمعاملة امرأة بقسوة وعنف . ومن بعد ، فاننا نعرف ان السبب الاجتماعي العميق للمبالغات التي تشكل خرقا لقواعد الحياة في المجتمع هو استثمار الجماهير ، المكرسة للحاجة والبؤس . واذا ما نحينا جانبا هذا السبب الرئيسي ، فان المبالغات ستأخذ حتما « **في الاضمحلال** » ، لكننا نهمل السرعة والتدرج اللذين ستضمحل بهما ، وان كنا نعرف انها ستضمحل . وان الدولة ستضمحل بدورها معها .

ف. لينين : **الدولة والثورة** ، منشورات دار دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ١١١ - ١١٢ .

الانتقال ، **بواسطة** دولة المجالس السوفيتية ، الى القضاء التدريجي على الدولة ، باعتبار ان عددا من المواطنين متزايدا دون انقطاع ، ومن بعد **جميع** المواطنين دون استثناء قد سيقوا بصورة منهجية الى المشاركة بصورة مباشرة **ويومية** في مهام تسيير الدولة .

ف. لينين : « المؤتمر السابع للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون ، ص : ١٥٧ .

إن المبدأ الديموقراطي للتنظيم ، في الشكل الاعلى الذي يرتديه مع تطبيق المجالس السوفيتية للاقتراحات والمطالب المتعلقة بمساهمة الجماهير

الفعالة ليس في مناقشة القواعد العامة والمراسيم والقوانين فحسب ، وليس في الرقابة على تنفيذها فحسب ، بل على الفور في هذا التنفيذ بالذات أيضاً ، يعني ان كل ممثل للجماهير ، كل مواطن يجب أن يوضع في شروط يستطيع معها ان يشارك في مناقشة قوانين الدولة ، وفي انتخاب ممثليها ، وفي تطبيق قوانين الدولة . غير انه لا يترتب على ذلك البتة انه يمكن التفاوض من أدنى تظاهرة للفوضوية والفوضى بخصوص المسؤوليات الشخصية ، في كل حالة خاصة ، فيما يتعلق بممارسة الوظائف التنفيذية المحددة ، وتطبيق القرارات ، وادارة هذه العملية المعينة او تلك من العمل المشترك في فترة زمنية معينة . يجب ان يكون للجماهير الحق في ان تعين قادة مسؤولين . ويجب ان يكون للجماهير الحق في استبدالهم ، وفي معرفة أدنى عناصر نشاطهم والتحقق منها . يجب ان يكون للجماهير الحق في ايفاد أي عامل كان تنتميه من وسطها الى الوظائف الإدارية .

ف. لينين : « المسودة الاولى لقالة » المهمات
الفورية لسلطة المجالس السوفيتية » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد السابع
والعشرون ، ص : ٢١٩ .

... إذا كنا نريد أن نواصل بناء الاشتراكية ، فانه من المحتم والعاجل
أن نواصل النضال ضد البيروقراطية ...

... وان العمل في هذا المنحى ، المرتبط بصورة لا تنفصم بالمهمة
التاريخية الرئيسية للسلطة السوفيتية ، يعني القضاء التام على الدولة ،
يجب أن يستقيم أولا في انه على كل عضو في مجلسٍ سوفيتي أن يشغل
بالضرورة مهمة معينة في ادارة الدولة ، وثانيا في أن هذه المهام يجب أن
تتبادل بصورة دورية ، بحيث تشمل كل دورة الشؤون المتعلقة بادارة
الدولة ، وجميع تفرعات هذه الدولة ، وثالثا ، وبصورة موازية للاجراءات
المتخذة بصورة متدرجة وبكل تبصر ، لكن بصورة حازمة ، في ان جميع

السكان الكادحين يجب أن يدعوا للقيام بنصيب شخصي في إدارة الدولة .

ف. لينين : « مشروع برنامج الحزب الشيوعي
(البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ،
ص : ١٠٥ - ١٠٦ .

لا يمكن ان نقضي من الوهلة الاولى ، في كل مكان وبصورة تامة ، على
البيروقراطية . إن ذلك الا وهم خالص . اما ان نسحق في الحال الآلة
الإدارية القديمة كي نبدأ دون تأخير في بناء آلة جديدة تسمح لنا بالقضاء
تدرجياً على كل بيروقراطية ، فهذا ليس وهماً خالصاً، بل هو تجربة الكومونة،
وهو المهمة العاجلة الفورية ، الملقاة على عاتق البروليتاريا الثورية .

إن الرأسمالية تبسط الوظائف الإدارية « الدولية » ، وتسمح بالتخلص
من « طرائق الامر » وبارجاع كل الامور الى تنظيم للبروليتاريين (الطبقة
السائدة) يشغل باسم المجتمع بأسره « عمالا ومناظرين ومحاسبين » .

نحن لسنا بطوباويين ، ولا « نحلم » بالاستغناء من الوهلة الاولى عن كل
إدارة وعن كل امتثال ؛ ان هذه الاحلام الفوضوية ، المبنية على عدم تفهم
المهمات المترتبة على دكتاتورية البروليتاريا ، غريبة كلياً عن الماركسية ، ولا
تفيد في واقع الامر الا في تأجيل الثورة الاشتراكية حتى اليوم الذي يصير
البشر فيه غير ما هم عليه اليوم . اننا نريد ، نحن ، الثورة الاشتراكية مع
البشر كما هم عليه في الوقت الحاضر ، هؤلاء البشر الذين لن يستغنوا عن
الامتثال والرقابة ، و « المناظرين والمحاسبين » .

لكن الامتثال يجب ان يكون للبروليتاريا ، الطليعة المسلحة لسائر
المستثمرين وجميع الشغيلة. ان في مقدورنا ويجب علينا منذ الآن ، بين ليلة
وضحاها ، ان نباشر الاستعاضة عن « طرائق الامر » الخاصة بالموظفين
العامين بالممارسة البسيطة لعمال « المناظرة والمحاسبة » ، وهي وظائف بالغة

البساطة وتقع تماما منذ اليوم في متناول عامة أهل المدن الذين يمكنهم
يقوموا بأعبائها على خير وجه لقاء « اجرة عامل » .

إننا نحن أنفسنا ، العمال ، الذين سوف ننظم الإنتاج الكبير متخذين
منطلقنا مما أبدعته الرأسمالية من قبل ، وذلك بالاعتماد على تجربتنا العملية ،
وباقامة انضباط حازم ، انضباط حديدي تحافظ عليه سلطة الدولة الخاصة
بالعمال المسلحين ، وسوف نرجع الموظفين العاملين الى دور مجرد
عملاء لتنفيذ توجيهاتنا، الى دور « المناظرين والمحاسبين » المسؤولين، والقابلين
للعزل ، والحاصلين على أجور متواضعة (مع الاحتفاظ طبعا ، وهو أمر
مفروغ منه ، بالاختصاصيين من كل مرتبة ومن كل نوع ومن كل درجة) ،
هذه هي مهمتنا البروليتارية ، وهذا ما يمكن ويجب ان نعبأه حين نقوم
بثورتنا البروليتارية . وان هذه التدابير الاولى ، المبنية على الإنتاج الكبير ،
تؤدي من تلقاء نفسها الى « الاضمحلال » التدريجي لكل بيروقراطية، والى
إقامة تدرجية لنظام - دون قوسين ، ولا يشبه في شيء العبودية المأجورة -
حيث الوظائف البسيطة أكثر فأكثر للمناظرة والمحاسبة تنفذ من قبل جميع
الناس ، كل بدوره ، كي تصبح فيما بعد عادة مألوفة وتزول أخيرا بصفتها
وظائف خاصة بمقولة خاصة من الافراد .

ان اشتراكيا ديموقراطيا المانيا فكها للسبعينيات قد قال عن البريد
إنه نموذج للمشروع الاشتراكي . ولا أصح من ذلك . فالبريد حاليا مشروع
منظم على غرار احتكار الدولة الرأسمالي . وان الامبريالية لتحول بصورة
تدرجية جميع التروستات الى منظمات من هذا النمط . وان الشفيلة
« البسطاء » ، المهقن بالعمل والمتضورين جوعا ، ليظلون خاضعين فيها
الى نفس البيروقراطية البورجوازية . غير أن آلية التسيير الاجتماعي جاهزة
هنا بصورة مسبقة . فاذا ما تمت الاطاحة بالرأسماليين ، وقمعت مقاومة
هؤلاء المستثمرين بيد العمال المسلحين الحديدية، وتحطمت الآلة البيروقراطية

للدولة الحالية ، فاننا نجد مامنا آلية مجهزة بصورة رائعة من وجهة النظر التقنية ، نظيفة من كل « تطفل » ، يستطيع العمال المشاركون أن يسيروها بأنفسهم على خير وجه بتشغيل فنيين ومناظرين ومحاسبين ، وبالتعويض على عملهم جميعا ، وكذلك عمل جميع الموظفين « العاملين » ، بأجرة عامل . تلك هي المهمة الحسية ، العملية . القابلة للتحقيق في الحال حيال جميع التروستات ، وهي المهمة التي تحرر الشفيلة من الاستثمار ، آخذة بعين الاعتبار التجربة التي سبق للكومونة أن باشرت بها بصورة عملية (وعلى الاخص في مجال تنظيم الدولة) .

تنظيم الاقتصاد الوطني بكاماه على غرار البريد ، بحيث ان الفنيين والمناظرين والمحاسبين يتلقون ، مثلهم مثل جميع الموظفين ، مرتبا لا يتجاوز « اجرة العامل » ، تحت رقابة البروليتاريا المسلحة وقيادتها : ذلك هو هدفنا المباشر . وتلك هي الدولة التي نحتاج اليها ، وذلك هو أساسها الاقتصادي . وبهذا ما سوف يوفره الفاء البرلمانية والاحتفاظ بالاجهزة التمثيلية - هذا ما سوف يخلص الطبقات الكادحة من افساد هذه الاجهزة من قبل البورجوازية .

ف. لينين : الدولة والثورة ، منشورات دار دمشق ، ١٩٥٨ ، ص : ٦٠ - ٦٣ .

... بقدر ما تتوطد أسس المكاسب التي حققتها الثورة الاشتراكية والنظام الاشتراكي بالذات يكبر وينمو دور مجالس الاقتصاد الوطني . ولسوف تكون هذه المجالس المؤسسات الوحيدة التي تحتفظ بمكانها من بين جميع مؤسسات الدولة . ولسوف يتعاضم دورها بقدر ما نكون اقرب الى اقامة النظام الاشتراكي وبقدر ما تنقص الحاجة الى جهاز اداري خالص ، جهاز لايعنى ، بكل معنى الكلمة ، الا بالادارة وحدها . وحين يتم تحطيم مقاومة المستثمرين بصورة نهائية ، وحين يكون الشفيلة قد تعلموا ان ينظموا الانتاج الاشتراكي ، فان هذا الجهاز الخاص بالادارة بمعنى الكلمة الصحيح ،

والمحدود ، والضيق ، هذا الجهاز الخاص بالدولة سيدعى السى الموت ، بينما يقدر للجهاز الذي من نمط المجلس الاعلى للاقتصاد الوطني ان يكبر . وينمو ، ويتوطد بالانابة عن النشاط الجوهري لمجتمع منظم .

ف. لينين : « خطاب القي في المؤتمر الاول
لمجلس الاقتصاد الوطني ، بتاريخ ٢٦ ايار ١٩١٨ » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
السابع والعشرون ، ص : ٤٢٣ - ٤٢٤ .

الآن ، نعم ، نستطيع ان نقول اننا نملك تنظيميا للسلطة يشير بكل وضوح الى الانتقال الى الالفاء التام لكل سلطة ، لكل دولة ، وسوف يكون ذلك ممكناً حين لا يبقى بعد الآن أي أثر للاستثمار ، يعني في مجتمع اشتراكي .

ف. لينين : « المؤتمر الثالث للمجالس السوفيتية
للمندوبين العمال والجنود والفلاحين في روسيا » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
السادس والعشرون ، ص : ٤٩٧ .

متى تبدأ الدولة في الاضمحلال ؟ سوف يكون لدينا الوقت لنجمع حتى ذلك الحين أكثر من مؤتمرين قبل أن يكون في مقدورنا ان نقول : انظروا كيف تضمحل دولتنا . أما الآن ، فلا يبرح الوقت مبكراً جداً ، ان المناادة مسبقاً باضمحلال الدولة معناها تشويه المنظور التاريخي .

ف. لينين : « المؤتمر السابع للحزب الشيوعي
(البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة
باريس - موسكو ، المجلد السابع والعشرون
ص : ١٤٩ .

الشيوعية وزوال الامم والفوارق القومية

ليس هدف الاشتراكية أن تضع فحسب حدا لتجزئة الانسانية الى دول

صغيرة ، وعزلة الامم ، ان تقارب بين الامم فحسب ، بل ان تحقق
انصهارها أيضا .

ف. لينين : « الثورة الاشتراكية وحق الامم
في تقرير المصير » ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد الثاني والعشرون ، ص : ١٥٩ .

طالما ان فوارق قومية وسياسية تقوم بين الشعوب والبلدان - وهي
فوارق سوف تستمر طويلا ، طويلا جدا ، حتى بعد اقامة دكتاتورية
البروليتاريا على النطاق العالمي - فان وحدة التكتيك الاممي للحركة العاملة
الشيوعية في سائر البلدان تتطلب لامحاء كل تنوع ، ولا القضاء على الفوارق القومية
(هذا حلم مجنون في الوقت الحاضر) ، بل تطبيقا للمبادئ الاساسية
للشيوعية (سلطة المجالس السوفيتية ودكتاتورية البروليتاريا) يعدل
بصورة صحيحة هذه المبادئ في المسائل التفصيلية ، ويكيفها ويقومها كما
ينبغي مع الخصائص القومية والسياسية . ان بحث ودراسة واكتشاف
وتخمين وادراك ما هو قومي بصورة مخصوصة ، ما هو قومي بصورة نوعية
في الطريقة الحسية التي يتصدى بها كل بلد لحل القضية الاممية ، التي هي
نفسها بالنسبة الى الجميع : قهر الانتهازية والعقائدية اليسارية في قلب
الحركة العاملة ، والاطاحة بالبورجوازية ، واقامة جمهورية المجالس
السوفيتية ودكتاتورية البروليتاريا ، تلك هي ، في هذه اللحظة التاريخية
التي نجتازها ، المهمة الرئيسية المعينة لجميع البلدان المتقدمة (وليس
المتقدمة فقط) .

ف. لينين : مرض الشيوعية الطفولي
(« اليسارية ») ، المؤلفات الكاملة ، باريس -
موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٨٨ .

إن الاشتراكية، اذ تنظم الانتاج دون اضطهاد طبقي ، واذا تضمن رخاء جميع
افراد الدولة ، تتيح بذلك الانطلاقة الحرة « لتعاطفات » السكان ، وبالتالي

تسهل التقارب بين الامم وانصهارها وتمجّل بهما بصورة فائقة .

ف. لينين : « كشف مناقشة عن حق الامم في تقرير المصير » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والعشرون ، ص : ٣٤٨ .

لا تستطيع الحركة الاشتراكية أن تنتصر في الاطار القديم للوطن . انها تخلق اشكالا جديدة ، عليا ، للمجتمع الانساني ، حيث ستلبى الحاجات المشروعة والمطامح التقدمية للجماهير الكادحة لجميع القوميات للمرة الاولى في الوحدة الاممية ، بعدما تكون الحدود القومية الحالية قد الفيت .

ف. لينين : « اوضاع الاممية الاشتراكية ومهامها » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والعشرون ، ص : ٣٣ .

★ ★ ★

الفصل الحادي عشر

نقد لتحريرية والاصلاحية واجمور العقائدي

نقد التصحيحية والاصلاحية

إن نسيان الاعتبارات الجوهرية الكبرى أمام مصالح اليوم العابرة ، هذا الركض وراء النجاحات المؤقتة والصراع الناشب حولها ، دون الاهتمام بالعواقب التالية . هذا التخلي عن مستقبل الحركة الذي يضحي به من أجل الحاضر ، لعل لكل هذه الامور دوافع شريفة ، غير ان هذا هو ويبقى من قبيل الانتهازية . والحال ان « الانتهازية » الشريفة قد تكون أشد الانتهازيات خطرا .

ف. انجلز : « نقد مشروع البرنامج الاشتراكي الديمقراطي لعام ١٨٩١ » ، في ك. ماركس وف. انجلز : « نقد برنامجي غوتا وايرلورت » ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٨٧ .

تستقيم الانتهازية في التصحيحية بالمصالح الاساسية من أجل الحصول على محسنات جزئية ومؤقتة . وهنا يقوم الامر كله ، اذا كان المقصود اعطاء تعريف نظري للانتهازية .

ف. لينين : « اجتماع المناضلين النشيطين لتنظمة موسكو للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا ، بتاريخ ٦ كانون الاول ١٩٢٠ » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٤٥٨ .

إن موهبة التكيف خاصة بكل أنتهازي (غير أن كل تكيف ليس من قبيل الانتهازية) .

ف. لينين : « من طهر الحرب » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد الثاني والثلاثون ، ص : ١٩ .

الدفاع عن التعاون بين الطبقات ، ورفض فكرة الثورة الاشتراكية وطرائق النضال الثورية ، والتكيف مع النزعة القومية البورجوازية ، ونسيان الطابع الانتقالي من وجهة النظر التاريخية لحدود القومية والوطن ، وقيمة الصنم المعزوة الى الشرعية البورجوازية ، والإعراض عن وجهة النظر الطبقيّة وعن النضال الطبقي خشية إضاعة « كتلة السكان الكبرى » (اقرأ : البورجوازية الصغيرة) ، تلك هي من دون ريب الاسس الايديولوجية للانتهازية .

ف. لينين : « اوضاع الاممية الاشتراكية ومهامها » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والعشرون ، ص : ٢٩ - ٣٠ .

إن الاشتراكية قبل الماركسية قد غلبت على أمرها ، وهي توأصل النضال ليس على أرضها الخاصة ، بل على الأرض العامة للماركسية ، على اعتبارها تصحيحية . فلنرَ إذن ماهو جوهر التصحيحية الايديولوجية .

كانت التصحيحية ، في موضوع الفلسفة ، تسير في ذيل « العلم » الاستاذي البورجوازي . وكان الاساتذة « يرجعون الى كانط » ، وكانت التصحيحية تتجرجر خلف الكانطيين الجدد . وكان الاساتذة يستأنفون الترهات التي اجترها الف مرة القساوسة ضد المادية الفلسفية ، وكان التصحيحيون ، وهم يتسمون بكل تعجرف ، يتعلمون (كلمة فكلمة وفقاً لآخر كتاب لهاندبوخ) بأن المادية قد « دحضت » منذ زمن طويل . وكان الاساتذة

يصفون هيغل « بالقلب العاطس » ، واذا يبشرون هم انفسهم بالمثالية ، وهي مثالية احقر واتفه الف مرة من مثالية هيغل ، يهزون اكتافهم بكل احتقار بخصوص الجدلية ، وكان التصحيحيون يمضون ليتورطوا خلفهم في مستنقع الاذلال الفلسفي للعلم ، مستعيزين عن الجدلية « الثاقبة » (والثورية) « بتطور » « بسيط » (ومستريح كليا) . وكان الاساتذة يكسبون مرتباتهم الرسمية بتكليف انظمتهم المثالية و « النقدية » مع « الفلسفة » الوسيطة الشائعة (يعني اللاهوت) ، وكان التصحيحيون يصفون الى جانبهم ، جاهدين ان يجعلوا من الدين « شأنا خاصا » لا حيال الدولة المعاصرة ، بل حيال حزب الطبقة المتقدمة ...

... وفي موضوع الاقتصاد الوطني ، لنلاحظ قبل كل شيء أن « تعديلات » التصحيحيين قد كانت أكثر تنوعا وتفصيلا حتى درجة كبيرة . لقد سمعوا الى التأثير في الجمهور بواسطة « المعطيات الحديثة للتنمية الاقتصادية » . وزعموا أن تركيز الانتاج وتنمية الانتاج الصغير من قبل الانتاج الكبير لا يشاهدان على الاطلاق في الزراعة ، وانهما لا يتحققان في التجارة والصناعة إلا ببطء كبير جدا . وزعموا ان الازمات تصبح اليوم اندر ، واضعف ، وانه من المرجح أن تتيح الكارتلات والتروستات للراسمال ان يقضي عليها كليا . وزعموا ان « نظرية الافلاس » الذي تتوجه الراسمالية صوبه هي نظرية واهية . اذ ان التضادات الطبقيه هي في سبيلها الى الكلل والخمود .

ف. لينين : « الماركسية والتصحيحية » ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد
الخامس عشر ، ص : ١٩ - ٢٠ .

في موضوع السياسة ، حاولت التصحيحية أن تراجع في واقع الامر مبدأ الماركسية الاساسي ، الا وهو نظرية صراع الطبقات . إن الحرية السياسية ، والديموقراطية ، والاقتراع العام ، تنتزع الارض من تحت قدمي الصراع

الطبقي ، فيما يؤكدون لنا ، وتكذب المبدأ القديم الذي نادى به بيان الحزب الشيوعي : ليس للممال وطن . فحالما تسود « ارادة الغالبية » في الديمقراطية لا يعود في الامكان ، فيما يبدو ، لا اعتبار الدولة على انها جهاز للسيطرة الطبقية ، ولا رفض التحالفات مع البورجوازية التقدمية ، الاشتراكية الاصلاحية ، ضد الرجعيين ...

... وكانت التكملة الطبيعية للاتجاهات الاقتصادية والسياسية للتصحيحية موقفها حيال هدف الحركة الاشتراكية الاخير . ان كلمة برنشتاين المجنحة : « ليس الهدف الاخير شيئاً ، فالحركة هي كل شيء » ، تعبر عن طبيعة التصحيحية بصورة افضل من مقدار كبير من المقالات الطويلة . فإعادة تحديد سلوكها من وضع الى آخر ، والتكيف مع الاحداث اليومية ، وتغيرات الوقائع السياسية التافهة ، ونسيان مصالح البروليتاريا الحيوية والسمات الاساسية لمجمل النظام الراسمالي ، لجماع التطور الراسمالي ، والتضحية بهذه المصالح الحيوية باسم مكاسب فعلية او وهمية آنية : تلك هي السياسة التصحيحية . وانه لينجم عن ماهية هذه السياسة بالذات الواقع البين التالي ، الا وهو انها تستطيع ان تغير اشكالها الى ما لا نهاية ، وان كل مسألة « جديدة » بعض الشيء ، وكل تغير في الاحداث غير متوقع او غير مقدر بعض الشيء - حتى اذا كان لا بد لهذا التغير ان يعدل حتى درجة تافهة ولاقصر فترة زمنية الخط الاساسي للتطور - سينتجان بصورة محتومة هذه الانواع او تلك من التصحيحية .

ف. لينين : « الماركسية والتصحيحية » ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ،
المجلد الخامس عشر ، ص : ٢٢ - ٢٣ .

ان جدلية التاريخ هي بحيث ان انتصار الماركسية في مادة النظرية يضطر اعداءها الى التنكر في زي الماركسيين . وان الليبرالية ، المتفسخة باطنا ، تحاول ان تستأنف الحياة في صورة الانتهازية الاشتراكية . وان مرحلة تهيئة

القوى من أجل المعارك الكبرى يفسرانا على أنها التخلي عن هذه المعارك .
إن تحسين شروط العبيد بهدف النضال ضد العبودية المأجورة يتم ، في
رأيهما ، لقاء اعراض العبيد . مقابل فلس واحد ، عن حقهم في الحرية .
اهما تبشران بكل جبن « بالسلام الاجتماعي » (يعني السلام مع العبودية) ،
والتخلي عن صراع الطبقات ، الخ . . .

ف. لينين : « المصائر التاريخية لعقيدة كارل
ماركس » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية
الرابعة ، المجلد الثامن عشر ، ص : ٥٤٦ .

في حقيقة الامر ان انتساب الانتهازيين الصوري الى الاحزاب العمالية
لا يمنعمهم البتة من أن يكونوا - موضوعيا - فصيلة سياسية من فصائل
البورجوازية ، ان يكونوا القناة التي تمارس نفوذها من خلالها ، ان يكونوا
عملاءها في قلب الحركة العاملة .

ف. لينين : « الملاس الاممية الثانية » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي
والعشرون ، ص : ٢٥٢ .

إن مسألة الامبريالية وارتباطها بالانتهازية في الحركة العاملة ، بخيانة
الزعماء العماليين للقضية العاملة ، مطروحة منذ زمن طويل ، منذ زمن
طويل جدا .

فخلال أربعين عاما، من ١٨٥٢ إلى ١٨٩٢، أشار ماركس وانجلز باستمرار
الى **تبرجز** الفئات العليا من الطبقة العاملة في انكلترا بسبب خصائصها
الاقتصادية (المستعمرات ، واحتكار السوق العالمية ، الخ . . .) . وبعد
١٨٧٠ ، اكتسب ماركس الحقد المشرف للإبطال الإذنياء للاتجاه الاممي
« البرناني » في ذلك العصر . والانتهازيين والاصلاحيين ، لانه ندد بعدد من
قادة التريديونيون الانكليز ، المبايعين للبورجوازية او القابضين منها لقاء

ما أدوه من خدمات لطبقتهما داخل الحركة العاملة .

ف. لينين : « مهمات الاممية الثالثة » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ، ص : ٥٠٦ .

انتهازية الفئات العليا من الحركة العاملة ، هذه اشتراكية غير بروليتارية ، لكن بورجوازية ، والبرهان على ذلك هو ان مناضلي الحركة العاملة الذين ينتسبون الى الاتجاه الانتهازي هم مدافعون عن البورجوازية افضل من البورجوازيين انفسهم . ولو انهم كانوا لا يمسون بزمام قيادة العمال ، فانه ما كان في مقدور البورجوازية الاستمرار في البقاء .

ف. لينين : « المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٢٧٨ .

حين نبين ان الانتهازيين والاشتراكيين الشوفينيين يخونون في واقع الامر مصالح الجماهير ، مدافعين عن الامتيازات المؤقتة لاقلية من العمال، ناشرين الافكار البورجوازية والنفوذ البورجوازي وهم في حقيقة الامر حلفاء البورجوازية وعملاؤها ، فاننا نعلم الجماهير ان تميز مصالحها السياسية الحقيقية وان تناضل في سبيل الاشتراكية والثورة عبر التقلبات الطويلة والالية للحروب الامبريالية والهدنات الامبريالية .

ف. لينين : « الامبريالية وانقسام الاشتراكية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والعشرون ، ص : ١٢٢ .

ان الازمة التي ختمتها الامبريالية قد هتكت الستار ، وكنتست الاتفاقات ، وفجرت الخراج الناضج منذ زمن طويل ، وكشفت عن الانتهازية

في دورها الحقيقي كخلفية للبورجوازية .

د. لينين : « افلاس الاممية الثانية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الحادي والعشرون ، ص : ٢٦٢ .

ان الانتهازيين والاشتراكيين الشوفينيين ، الذين أصبحوا خداما
للبورجوازية ، هم الاعداء الطبقيون المباشرون للبروليتاريا .

د. لينين : « مشروع برنامج الحزب الشيوعي
(البلشفي) في روسيا » ، المؤلفات الكاملة ،
باريس - موسكو ، المجلد التاسع والعشرون ،
ص : ١٠٠ .

ان الانتهازية او الاصلاحية لا بد ان تتحول بصورة محتومة الى
امبريالية اشتراكية او اشتراكية شوفينية ، ذات مدى تاريخي عالمي .
ذلك ان الامبريالية قد رفعت حفة من الامم المتقدمة البالغة الثراء التي
تنهب العالم بأسره ، وبذلك اتاحت لبورجوازية هذه البلدان ان تشتري
بفائض ارباحها الاحتكارية (الامبريالية هي الرأسمالية الاحتكارية)
ارستقراطيتها العمالية .

د. لينين : « مهمات الاممية الثالثة » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد التاسع
والعشرون ، ص : ٥٠٧ .

ان افلاس الاممية الثانية هو افلاس الانتهازية التي كبرت على ارض
نوعية لعصر تاريخي مضى وانقضى ا يسمى « سلميا ») والتي سادت
عمليا في الاممية في هذه السنوات الاخيرة . ولقد هيا الانتهازيون منذ
وقت طويل هذا الافلاس ، وذلك برفضهم الثورة الاشتراكية للاستعاضة
عنها بالاصلاحية البورجوازية ، وبرفضهم صراع الطبقات وضرورة تحويله ،
عند الاقتضاء ، الى حرب أهلية ، وبجعل انفسهم رسل التعاون بين الطبقات ،

وبتشيرهم بالشوفينية البورجوازية باسم الوطنية والدفاع عن الوطن ،
وبتجاهلهم أو انكارهم هذه الحقيقة الاساسية للاشتراكية ، المروضة من
قبل في بيان الحزب الشيوعي ، الا وهي انه ليس للعمال وطن ، وباقتصارهم
في النضال ضد النزعة العسكرية على وجهة نظر عاطفية بورجوازية صغيرة ،
بدلا من الاعتراف بضرورة الحرب الثورية لبروليتاريي جميع البلدان ضد
بورجوازية جميع البلدان ، وبجملهم صنما من الشرعية والبرلمانية
البورجوازيتين اللتين يجب الاستفادة منهما بالضرورة ، وينسيانهم ان
اشكال التنظيم والتحريض غير الشرعية تصبح حتمية لا غنى عنها في فترات
الازمات . ان التيار الفوضوي النقابي - « التكملة » الطبيعية للانتهازية
التي لا تقل عن ذلك بورجوازية ولا تقل عن ذلك عدا من وجهة النظر
البروليتارية ، يعني الماركسية - قد تظاهر ، بصورة لا تقل عارا عن ذلك ،
بتفسير ساذج للشعارات الشوفينية في سياق الازمة الحالية .

لا يمكن في الوقت الحاضر ان تنجز مهمات الاشتراكية ، لا يمكن ان
نحقق التجمع الاممي الحقيقي للعمال ، اذا لم تقطع بحزم كل علاقة مع
الانتهازية ودون ان نفهم الجماهير ان افلاس هذه الانتهازية محتوم .

ف. لينين : « الحرب والاشتراكية الديمقراطية
الروسية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ،
المجلد الحادي والعشرون ، ص : ٢٦ .

ان خيانة غالبية زعماء الاممية الثانية (١٨٨٩ - ١٩١٤) للاشتراكية
تعني الافلاس الايديولوجي والسياسي الذي منيت به تلك الاممية . وان
السبب الاساسي لهذا الافلاس هو تنوق الانتهازية البورجوازية الصغيرة في
قلب الاممية ، هذه الانتهازية التي كان طابعها البورجوازي والخطر الذي
تشكله موضع التشديد منذ زمن طويل من قبل افضل ممثلي البروليتاريا

الثورية في جميع البلدان .

ف. لينين : « مهمات الاشتراكية الديمقراطية
الثورية في الحرب الأوروبية » ، **المؤلفات الكاملة** ،
باريس - موسكو ، المجلد الحادي والعشرون ،
ص : ١٠ .

الشيء الأساسي اليوم هو أن الشيوعيين في كل بلد يعون جيدا ، من
جهة واحدة ، الأهداف الأساسية - الأهداف المبدئية - للنضال ضد
الانتهازية والمذهبية « اليسارية » ، ومن جهة أخرى **الخصائص الحسية**
التي يرتديها هذا الصراع ويجب أن يرتديها في كل بلد ، بصورة مطابقة
للصفات النوعية لاقتصاده ، سياسته ، وثقافته ، وتركيبه القومي
(أيرلندا ، الخ .) ، ومستعمراته ، وانقساماته الدينية ، الخ ، الخ .

ف. لينين : **مرض الشيوعية الطفولي**
(« اليسارية ») ، **المؤلفات الكاملة** ، باريس -
موسكو ، المجلد الحادي والثلاثون ، ص : ٨٧ .

ان كل نضال حزينا (والحركة الأوروبية بصورة عامة) يجب أن
يتمحور ضد الانتهازية . فليست هذه تيارا ، اتجاهها ، بل قد أصبحت
(الانتهازية) الآن سلاحا منظما للبورجوازية داخل الحركة العاملة .

ف. لينين : « رسالة الى د. وينكوب » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الخامس والثلاثون ، ص : ١٩٣ .

ان أحد الشروط التي لا غنى عنها من أجل تهيئة انتصار البروليتاريا
هو نضالها الطويل ، والعنيد ، والذي لا هوادة فيه ، ضد الانتهازية ،
والاصلاحية ، والاشتراكية الشوفينية ، وغير ذلك من التأثيرات والتيارات
البورجوازية المماثلة التي هي محتومة طالما ان البروليتاريا تقاتل في بيئة

رأسمالية . وبدون هذا النضال ، بدون احراز نصر تام بادىء الامر على الانتهازية في الحركة العاملة ، لا يمكن ان تثار مسألة دكتاتورية البروليتاريا . فالبلشفية ما كانت انتصرت على البورجوازية في ١٩١٧ - ١٩١٩ لو لم تتعلم اولاً ، من ١٩٠٣ حتى ١٩١٧ ، ان تقهر وتطرّد دون رحمة من صفوف حزب الطليعة البروليتارية المناشقة ، يعنى الانتهازين ، والاصلاحيين ، والاشتراكيين الشوفينيين .

ف. لينين : « انتخابات الجمعية التأسيسية ودكتاتورية البروليتاريا » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثلاثون ، ص : ٢٨٢ .

الاشتراكية الشوفينية بوصفها نوعاً من الانتهازية

انا نقصد بالاشتراكية الشوفينية الاعتراف بفكرة الدفاع عن الوطن في الحرب الامبريالية الحالية ، وتبرير تحالف الاشتراكيين مع البورجوازية وحكومات « بلدانهم » في هذه الحرب ، ورفض المطالبة بالاعمال الثورية البروليتارية ضد « بورجوازياتهم » والاعراض عن دعم هذه الاعمال ، الخ . وانه لمن الواضح تماما ان المضمون الايدولوجي والسياسي الاساسي للاشتركية الشوفينية يتوافق كلياً مع مبادئ الانتهازية . ذلك نفس **التيار الواحد** . فالانتهازية ، الموضوع في اطار حرب ١٩١٤ - ١٩١٥ ، تنجب الاشتراكية الشوفينية . إن الشيء الرئيسي في الانتهازية هو فكرة التعاون بين الطبقات . وتدفع الحرب هذه الفكرة الى حدها المنطقي ، مرفقة بعواملها ومحرضاتها المألوفة مجموعة كاملة من العوامل والمحرضات الاستثنائية ، وذلك بأن تجبر الكتلة غير المتجانسة والمنقسمة ، بواسطة تهديدات واعمال عنف خاصة ، على التعاون مع البورجوازية : وان هذا ليوسع بصورة طبيعية حلقة أنصار الانتهازية ويعلل تماماً انتقال الكثيرين من راديكاليي الامس الى هذا المعسكر .

وتستقيم الانتهازية في التضحية بالمصالح الاساسية لكتلة البشر على

مذبح المصالح المؤقتة لاقلية زهيدة من بينهم ، أو بعبارات أخرى تحالف قسم من العمال مع البورجوازية ضد كتلة البروليتاريا . وتجعل الحرب هذا التحالف ظاهرا وجبريا بصورة مخصوصة . لقد ولدت الانتهازية خلال عشرات السنين من خصائص مرحلة تطور الرأسمالية حيث كان الوجود السلمي والميسور نسبيا لفئة من العمال المنعمين « يبرجزهم » ، ويمنحهم بعض الفئات من أرباح الرأسمال الوطني ، ويجنبهم البؤس ، والآلام ، ويحولهم عن الاتجاهات الثورية لدى الكتلة المكرسة للدمار والبؤس . وان الحرب الامبريالية لتشكل امتدادا مباشرا وتتوججا لهذه الاوضاع ، ذلك انها حرب في سبيل امتيازات الامم الامبريالية ، في سبيل اقتسام جديد للمستعمرات فيما بينها ، في سبيل سيطرتها على الامم الاخرى . وان حفظ وتوطيد وضعيتهم الممتازة بوصفهم « فئة عليا » ، بوصفهم بورجوازية صغيرة او ارستقراطية (وبيروقراطية) للطبقة العاملة ، ذلك هو الامتداد الطبيعي في زمن الحرب للآمال الانتهازية البورجوازية الصغيرة والتكتيك المقابل لها ، وذلك هو الاساس الاقتصادي للاشتراكية الامبريالية في اليوم الحاضر . . . ومن المفروغ منه ان قوة العادة ، وروتين تطور « سلمي » نسبيا ، والمستبقات القومية ، والخوف من التبدلات المفاجئة والتشكك حيالها ، هذا كله قد لعب دور الظروف التكميلية التي قوت الانتهازية كما وطدت المصالحة المرائية والجبانة معها ، هذه المصالحة التي يزعم انها لبعض الوقت فقط ، والتي يزعم انها لأسباب ودوافع مخصوصة فقط . وقد عدلت الحرب مظهر الانتهازية التي حضنت طوال عشرات السنين ؛ فقد رفعتها الى درجة أعلى ، وزادت من عدد وتنوع تبايناتها الزهيدة ، وضاعفت صفوف انصارها ، واغنت حجتهم بجمهرة من السفسطات الجديدة ؛ لقد صهرت اذا جاز التعبير عددا من السواقى والجداول الجديدة مع تيار الانتهازية الرئيسي ، لكن هذا التيار الرئيسي لم يختف . . بل الامر على النقيض من ذلك .

ان الاشتراكية الشوفينية هي الانتهازية التي نضجت حتى درجه ان هذا الخراج البورجوازي لم يعد في استطاعته ان يستمر في البقاء كما في الماضي في قلب الاحزاب الاشتراكية ...

... اولا ، ان للشوفينية والانتهازية نفس الاساس الاقتصادي في الحركة العاملة : تحالف الفئات العليا ، القليلة العدد ، من البروليتاريا والبورجوازية الصغيرة ، التي تستفيد من الفئات التي تخلفها لها امتيازات « رأسمالها » الوطني ، ضد كتلة البروليتاريين ، كتلة الشغيلة والمضطهدين عامة . ثانيا ، ان المضمون الايديولوجي والسياسي للتيارين واحد . ثالثا ، ان انقسام الاشتراكيين القديم الى تيار انتهازي وتيار ثوري ، الذي يميز مرحلة الاممية الثانية (١٨٨٩ - ١٩١٤) ، يقابل على الاجمال الانقسام الجديد الى شوفينيين وامميين .

ف. لينين : « الملاس الاممية الثانية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الحادي والعشرون ، ص : ٢٤٧ - ٢٥٠ .

كي نفسر ازمة الحركة بكاملها ، يجب ان نحلل اولا المدى الاقتصادي للسياسة المقابلة ، وثانيا الافكار القائمة في اساسها ، وثالثا ارتباطها مع تاريخ الاتجاهات في قلب الاشتراكية .

ما هي الطبيعة الاقتصادية لفكرة الدفاع عن الوطن في حرب ١٩١٤ - ١٩١٥ ؟ ان بورجوازية جميع الدول الكبرى تخوض الحرب في سبيل اقتسام العالم واستثماره ، في سبيل اضطهاد الشعوب . وان بعض الفئات من الارباح الضخمة التي تحققها البورجوازية يمكن ان تكون من نصيب اقلية زهيدة ، من نصيب بيروقراطية عمالية ، او ارستقراطية عمالية ورفاق الطريق البورجوازيين الصغار . ان الخفايا الطبقية للاشتراكية الشوفينية والانتهازية متماثلة : انها تحالف فئة ضئيلة من العمال المنعمين مع

« بورجوازيتهن » الوطنية ضد كتلة الطبقة العاملة ، تحالف أجزاء البورجوازية مع هذه البورجوازية ضد الطبقة التي تستثمرها .

إن مضمون الانتهازية السياسي ومضمون الاشتراكية الشوفينية السياسي متناقضان : انه تعاون الطبقات . والتخلي عن دكتاتورية البروليتاريا ، عن العمل الثوري . والاعتراف دون تحفظ بالشرعية البورجوازية ، وانعدام الثقة في البروليتاريا ، والثقة في البورجوازية . **إن الاشتراكية الشوفينية هي الامتداد المباشر والتبويج للسياسة العمالية الليبرالية الانكليزية ، للميلر اندية (٤٨) والبرنشتاينية (٤٩) .**

ف. لينين : « الانتهازية وافلاس الاممية الثانية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والعشرون ، ص : ١١٩ - ١٢٠ .

على العموم . اذا اخذنا بعين الاعتبار التيارات والاتجاهات ، لا يمكن ان نقصر في معرفة ان الجناح الانتهازي من الاشتراكية الاوروبية هو الذي خان الاشتراكية والتحق بالشوفينية . من اين تأتية قوته ، هيمنته الظاهرية في الاحزاب الرسمية ؟

... إن ما اعطى الانتهازيين والشوفينيين قوة عملاقة هو تحالفهم مع البورجوازية ، مع الحكومات ورئاسات الاركان العامة .

ف. لينين : « افلاس الاممية الثانية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والعشرون ، ص : ٢٥٢ .

إن الاشتراكية الشوفينية هي الانتهازية في شكلها الاكمل . انها ناضجة من اجل تحالف علني . مبتذل غالبا ، مع البورجوازية ورئاسات الاركان . وان هذا التحالف هو الذي يسبغ عليها قوة كبرى ، وكذلك احتكار الصحافة المشروعة وتضليل الجماهير .

ف. لينين : « الانتهازية وافلاس الاممية الثانية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثاني والعشرون ، ص : ١٢٠ - ١٢١ .

إن الاشتراكية الشوفينية هي الانتهازية التي نضجت حتى درجة كبيرة ، والتي أصبحت قوية وسليطة حتى درجة كبيرة خلال المرحلة الطويلة للراسمالية « السلفية » نسبيًا ، والتي تبلورت حتى درجة كبيرة من الوجهة الأيديولوجية والسياسية ، والتي ارتبطت بروابط الصداقة مع البورجوازية والحكومات حتى درجة كبيرة ، بحث لا يمكن احتمال وجود مثل هذا التيار في قلب الأحزاب العمالية الاشتراكية الديموقراطية .

ف. لينين : « افلاس الاممية الثانية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الحادي والعشرون ، ص : ٢٥٥ .

إن الانتهازية التي أصيبت بالموت سلفًا قد انتقلت بصورة نهائية إلى معسكر البورجوازية إذ تحولت إلى اشتراكية شوفينية ، لقد انفصلت معنويًا وسياسيًا عن الاشتراكية الديموقراطية . وسوف تنفصل عنها كذلك في شؤون التنظيم .

ف. لينين : « الانتهازية وافلاس الاممية الثانية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الثاني والعشرون ، ص : ١٢٨ .

نقد الإصلاحية

لا الليبرالية ضد الاشتراكية ، بل الإصلاحية ضد الثورة الاشتراكية ، هذه هي صيغة البورجوازية المعاصرة ، المتعلمة و « المتقدمة » . فبقدر ما تكون الراسمالية في بلد ما أكثر تطورًا ، وبقدر ما تكون سيطرة البورجوازية أكثر نقاءً ، وبقدر ما تكون الحرية السياسية أعظم . يكون مجال تطبيق الشعار البورجوازي « الحديث » أوسع : الإصلاحات ضد الثورة . والترقيع الجزئي للنظام المنهار بفرض قسم الطبقة العاملة واطعافها ، بفرض الإبقاء

على سلطة البورجوازية ضد الاطاحة بهذه السلطة بالطريق الثورية .

ف. لينين : « الإصلاحية في الاشتراكية
الديموقراطية الروسية » . المؤلفات الكاملة ،
الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السابع عشر ،
ص : ١٩٩ .

ان الإصلاحية ، حتى اذا كانت طيبة النية ، تصبح عمليا أداة إفساد
بورجوازي واضعاف للعمال . وان تجربة سائر البلدان تبين ان العمال
ينخدعون دائما حين يضعون ثقتهم في الإصلاحيين .

ف. لينين : « الماركسية والإصلاحية » ، المؤلفات
الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد التاسع
عشر ، ص : ٢٢٤ .

يعلم الاشتراكيون ان الثورة محتومة وأن البروليتاريا يجب ان تستثمر
جميع تناقضات الحياة الاجتماعية ، واوهى ضعف من جانب أعدائها او
الشرائح المتوسطة ، في سبيل تهيئة نضال ثوري جديد ، واصدار طبعة
جديدة للثورة في حلبة أعرض ، في شروط تطور ثقافي أعظم للسكان . ويعلم
البورجوازية والليبراليون ان الثورات عديمة الجدوى وضارة بالعمال ،
الذين يجب ألا « يندفعوا » صوب الثورة ، بل ان يعملوا ، مثل اولاد عاقلين ،
بكل تواضع من أجل الإصلاحات .

ف. لينين : « الإصلاحية في الاشتراكية
الديموقراطية الروسية » ، المؤلفات الكاملة ،
الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السابع عشر ،
ص : ٢٠٤ .

إن العلم التاريخي يخبرنا بأن التمييز بين التغير الإصلاحي والتغير
غير الإصلاحي لنظام سياسي معين يستقيم ، بصورة عامة ، في ان السلطة
في الحالة الاولى تظل بين أيدي الطبقة الحاكمة القديمة ، وأما في الحالة الثانية

فنتقل السلطة من الطبقة القديمة الى الطبقة الجديدة .

ف. لينين : « بيان متزايد » ، المؤلفات
الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد الثامن
عشر ، ص : ٥٢٩ .

ليس برنامج الحكومة السوفيتية اصلاحيا ، بل ثوريا . ان الاصلاحات
تنازلات تقبل بها الطبقة السائدة وهي باقية في السلطة . اما الثورة فهي
الاطاحة بالطبقة السائدة . وهذا هو السبب في ان البرامج الاصلاحية تتضمن
عادة نقاطا جزئية عديدة . ولم يكن برنامجنا الثوري يتضمن ، بصورة
اجمالية ، سوى نقطة عامة : الاطاحة بنير الملاكين العقاريين الكبار
والراسماليين ، والاطاحة بسلطة هؤلاء المستثمرين ، وتحرير الجماهير
الكادحة ، ونحن لم نعدل هذا البرنامج قط .

ف. لينين : « رد على اسئلة صحفي اميركي » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
التاسع والعشرون ، ص : ٥٢٠ .

يجب ان نشدد عمل التحريض الثوري في الجماهير ، ونطلق شعاراتنا
الكاملة ، غير المبتورة ، بصورة اوسع ونطورها بمزيد من الوضوح ، وهكذا
فاننا نعجل ، في افضل الاحوال ، بنصر الثورة التام ، او ننتزع في اسوأ الاحوال
تنازلات هجينة (من نمط وزارة للدوما والاقتراع العام لكن غير المباشر ،
الخ . .) ونضمن لانفسنا امكانية تحويلها الى ادوات للثورة . إن الاصلاحات
تشكل فضالة للنضال الطبقي الذي تخوضه البروليتاريا الثورية . أما ان
« يتبنى » المرء قضية الحصول على فضالة ، فهذا معناه السقوط في الاصلاحية
الليبرالية البورجوازية .

ف. لينين : « كيف يجب الا تحرر القرارات » ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ،
المجلد الثاني عشر ، ص : ٢٠٧ - ٢٠٨ .

إن التحسينات الجزئية لا يمكن أن تكون (وقد كانت دائماً في التاريخ) سوى نتيجة ملحقه للنضال الطبقي الثوري .

ف. لينين : « لماذا النضال ؟ » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السادس عشر ، ص : ١٥١ .

إما يدرك العمال أن الإصلاحات لا يمكن أن تكون دائمة وجدية طالما بقيت الرأسمالية ، فانهم يقاوتون من أجل التحسينات ويستخدمونها من أجل مواصلة نضال أشد عنادا ضد عبودية العمل المأجور . ويسمى الاصلاحيون جهدهم ، اذ يرمون ببعض الصدقات الى العمال ، كي يقسموهم ، ويخدعوهم ، ويحولوهم عن النضال الطبقي . ان العمال الذين وعوا ضلال الاصلاحية يستخدمون الاصلاحات من أجل تطوير نضالهم الطبقي ونشره .

وبقدر ما يكون نفوذ الاصلاحيين على العمال اقوى يكون العمال اعجز ، وتكون تبعيتهم حيال البورجوازية اعظم ، ويكون اسهل على البورجوازية ان ترد الاصلاحات الى الصفر باستخدامها مختلف الاحاييل . وبقدر ما تكون الحركة العاملة اصيلة وعميقة ، وبقدر ما تكون اهدافها اعرض ، وبقدر ما تكون أكثر تحررا من ضيق الاصلاحية ، فان العمال يتوصلون بصورة أفضل الى توطيد التحسينات الجزئية واستخدامها .

ان في جميع البلدان اصلاحيين ، ذلك ان البورجوازية تجتهد في كل مكان لافساد العمال ، بهذه الطريقة أو تلك ، ولتحويلهم الى عبيد راضين يتخلون عن فكرة دمار العبودية .

ف. لينين : « الماركسية والاملاحية » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد التاسع عشر ، ص : ٣٣٤ - ٣٣٥ .

... ان الاصلاحية متنافرة بصورة مطلقة مع الماركسية الثورية التي

يفترض فيها أن تستخدم حتى الدرجة القصوى الوضعية الثورية الحالية في أوروبا كي تبشر على رؤوس الأشهاد بالثورة ، وبالاطاحة بالحكومات البورجوازية ، وبلاستيلاء على السلطة من قبل البروليتاريا المسلحة دون التخلي البتة عن الانتفاع بالإصلاحات بفرض توسيع النضال في سبيل الثورة وفي سياق هذه الثورة .

ف. لينين : « السلمية البورجوازية والسلمية الاشتراكية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والعشرون ، ص : ٢١٤ .

يجب أن يثدد الاشتراكيون في نضالهم على النضال ضد الإصلاحية التي أفسدت أفكارها البورجوازية الحركة العاملة الثورية دائما، والتي اتخذت في هذه الاوقات شكلا مخصوصا حتى درجة ما ، ألا وهو : انها « تستند » الى اصلاحات ينبغي للبورجوازية ان تطبقها بعد الحرب ! انها تطرح المسألة بحيث يلوح علينا ، إذ ننادي بالثورة الاشتراكية للبروليتاريا ونشرها ونهيتها . أننا « نهمل » مظهر الأشياء « العملي » ، و « نضيع » فرص الإصلاحات . . .

... إن الإصلاحيين البورجوازيين ، الذين تبني كAUTسكي وتوراتي وميرهايم مواقفهم في واقع الامر ، يستطيعون وحدهم أن يطرحوا المسألة هكذا : إما التخلي عن الثورة وتحقيق الإصلاحات وإما لا اصلاح البتة .

ان تجربة التاريخ العالمي بكاملها ، وكذلك تجربة الثورة الروسية لعام ١٩٠٥ ، تعلمانا العكس من ذلك : إما النضال الطبقي الثوري ، الذي تترتب عليه دائما كمنتجات ملحقه بعض الإصلاحات (في حالة نجاح الثورة نجاحا ناقصا) ، وإما لا إصلاح البتة .

ف. لينين : « مشروع موضوعات نداء الى اللجنة الاشتراكية الاممية والى جميع الاحزاب الاشتراكية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والعشرون ، ص : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

من يجهل أذن أننا ، نحن الاشتراكيين الديموقراطيين ، لسنا ضدالنضال في سبيل الاصلاحات ، لكننا لا نقتصر على هذا العمل ، بخلاف الاشتراكيين الوطنيين والانتهازيين والاصلاحيين ، بل نخضعه للنضال في سبيل الثورة ؟

ف. لينين : « رسالة مفتوحة الى شارل فين ،
عضو اللجنة الاشتراكية الاممية في برن » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث
والعشرون ، ص : ٢٤٦ .

يكون من الخطأ المطلق أن نحسب أنه يمكننا أو يجب علينا ، كي نناضل بصورة مباشرة في صالح الثورة الاشتراكية ، أن نتخلى عن النضال في سبيل الاصلاحات . ابدا . اننا لا نستطيع أن نعلم كم سيستغرق بلوغنا النجاح من وقت ، وفي أي لحظة تتيح الشروط الموضوعية قيام هذه الثورة . ان من واجبنا أن ندعم كل تحسين ، كل تحسين فعلي لاوضاع الجماهير الاقتصادية والسياسية . انما يفضلنا عن الاصلاحيين (يعني عن الفروتليين (٥٠) في سويسرا) ليس هو اننا ضد الاصلاحات وهم معها . ابدا . انهم يكتفون هم بالاصلاحات وينحطون هكذا بحيث يصبحون مجرد «ممرضين للرأسمالية» حسب التعبير الجميل لمتعاون ثوري (نادر !) . . . اننا نخطب العمال بقولنا : صوتوا من اجل انتخابات ذات تمثيل نسبي ، الخ ، لكن لا تقصروا نشاطكم على ذلك ، بل ضعوا في المرتبة الاولى النشر الدائب لفكرة الثورة الاشتراكية الفورية ، وتهيأوا من اجل هذه الثورة واجلبوا لهذا الغرض التحولات الجذرية الملائمة في جميع مجالات نشاط الحزب .

ف. لينين : « موضوعات مبدئية عن الحرب » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث
والعشرون ، ص : ١٧٤ .

من المؤكد ان الاصلاحات لا تنفي الثورة . لكن ليست تلك هي المسألة في الوقت الراهن : إن المقصود بالنسبة الى الثوريين هو الا يستبعدوا أنفسهم

امام الاصلاحيين ، يعني أن الاشتراكيين يجب ألا يستعوضوا عن نشاطهم الثوري بنشاط اصلاحي .

ف. لينين : « السلمية البورجوازية والسلمية الاشتراكية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والعشرون ، ص : ٢١٣ .

إن الماركسيين ، على النقيض من الفوضويين ، يقبلون النضال من أجل الاصلاحات ، يعني من أجل تحسينات على أوضاع الشغيلة ، وهي تحسينات تترك السلطة بين ايدي الطبقة السائدة . لكن الماركسيين يقاتلون في الوقت نفسه بأعظم طاقة الاصلاحيين الذين يقصرون ، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، مطامح الطبقة العاملة وفعلها على الاصلاحات وحدها . ان الاصلاحية خديعة بورجوازية للعمال الذين سيظلون دائما ، طالما قامت سيطرة الرأسمال ، عبيدا مأجورين بالرغم من بعض التحسينات الجزئية .

ف. لينين : « الماركسية والاصلاحية » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد التاسع عشر ، ص : ٢٢٤ .

يعمل الماركسيون بلا كلل دون أن يفتتوا أدنى « امكانية » من أجل امرار الاصلاحات والانتفاع بها ، وانهم لا يبعد ما يكونون عن استنكار تجاوز الاصلاحية ، بل يؤيدون ويطورون بكل عناية كل تجاوز لها ، في الدعاية والتحريض على السواء ، وفي نشاط الجماهير المطلبية ، الخ ...

ف. لينين : « الماركسية والاصلاحية » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد التاسع عشر ، ص : ٢٢٦ .

يرتكب الاصلاحيون خيانة حيال الحركة العمالية حين يطلقون ، في وجه الانطلاقة الكبرى لهذه الحركة ، شعارات اصلاحية (كما يفعل ذلك انصار

التصفية عندنا) . اما خصوم الاصلاحية ، فانهم لا يؤكدون انفسهم فقط على انهم مخلصون للشعارات غير المتورة للبروليتاريا ، بل يبدون ايضا انهم افضل « العمليين » : فالانطلاقة الكبرى والشعارات غير المتورة تضمن على وجه التحديد القوة التي توفر ، كفضالة ، إما تنازلا أو اصلاحا ، واما تنحية للقيود ، أو ضرورة - حتى اذا كانت مؤقتة - تجبر القمة على التساهل حيال نشاط القاعدة المزعج .

ف. لينين : « كشف انتخابي » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد الثامن عشر ، ص : ٤٨٤ .

ما الذي يجعل التصحيحية محتومة في المجتمع الراسمالي ؟ لماذا هي اعمق من الخصائص القومية ودرجات تطور الراسمالية ؟ لكن لانه يوجد دائما في كل بلد راسمالي ، الى جانب البروليتاريا ، الشرائح الواسعة للبورجوازية الصغيرة ، وأرباب العمل الصغار . ان الانتاج الصغير قد انجب الراسمالية وهو يستمر في انجابها باستمرار . وان هذه الراسمالية لتخلق بصورة لا مفر منها « شرائح متوسطة » جديدة (ملحق المصنع ، والعمل المنزلي ، والورشات الصغيرة المبعثرة في طول البلاد وعرضها ، من جراء ضرورات الصناعة الضخمة ، مثلا الدراجة والسيارة ، الخ . .) . وان هؤلاء المنتجين الصغار الجدد ليقعون هم ايضا ، بصورة لا مفر منها ، في صفوف البروليتاريا . ومنذئذ ، فانه من الطبيعي تماما ان تتغلغل المفاهيم البورجوازية الصغيرة اكثر فأكثر في صفوف الاحزاب العمالية الكبرى . ومنذئذ ، فانه من الطبيعي تماما ان تكون هناك بالضرورة مفاهيم بورجوازية صغيرة وان يكون الامر كذلك بالفعل دائما حتى احداث الثورة البروليتارية بالذات . ذلك انه سيكون من قبيل الخطأ الجسيم الاعتقاد بأنه لا بد من تحويل بروليتاري « كامل » لغالبية السكان كيما تتحقق هذه الثورة .

ف. لينين : « الماركسية والتصحيحية » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد الخامس عشر ، ص : ٢٤ - ٢٥ .

إن تفاقم نضال الإصلاحية ضد الاشتراكية الديمقراطية الثورية في قلب الحركة العاملة ينتج ، بصورة محتومة تماما ، من التفيرات المبينة ، الحادثة في مجمل الوضع الاقتصادي والسياسي لجميع البلدان المتحضرة في العالم . إن نمو الحركة العاملة يجتذب بالضرورة الى عداد انصارها مقدارا معيناً من العناصر البورجوازية الصغيرة ، المفتونة بالأيديولوجية البورجوازية ، وهي تتحرر منها بكل عناء كي تعاود السقوط فيها بعدئذ من جديد . . .

. . . وفي روسيا لا تختلف الامور في حقيقتها ، غير انها تتعقد ، وتنطس ، وتتعدل من جراء كوننا متخلفين عن أوروبا (وحتى عن القسم المتقدم من آسيا ؛ إننا نجتاز بعد عصر الثورات البورجوازية . وهذا ما يجعل الإصلاحية الروسية تتميز بطبعتها العنيد بصورة مخصوصة ؛ انها تمثل داء أخبث اذا جاز التعبير ، وهي تسبب ضرراً اعظم جدا لقضية البروليتاريا وقضية الثورة . ان الإصلاحية عندنا تنبثق من ينبوعين في وقت واحد . اولاً ، ان روسيا بلد بورجوازي صغير اكثر حتى درجة كبيرة من بلدان أوروبا الغربية . ولذا فكثيراً ما يشاهد عندنا ظهور رجال ، وجماعات ، وتيارات ، يتميزون بموقف متناقض ، مقلقل ومتردد حيال الاشتراكية (فتارة « حب لاهب » وتارة خيانة جبانة) ، وهو موقف خاص بكل بورجوازية صغيرة . ثانياً ، إن الجماهير البورجوازية الصغيرة عندنا تستسلم للباس بسهولة أكبر وبسرعة اعظم منها في أي مكان آخر ، وتنساق مع روح الإنكار كلما تعرض دور واحد من ادوار ثورتنا البورجوازية للاخفاق ؛ انها ترفض بمزيد من التعجل اهداف ثورة ديمقراطية كاملة معينة لتخليص روسيا كلياً من سائر بقايا العصر الوسيط ونظام الرق .

ف. لينين : « الإصلاحية في الاشتراكية الديمقراطية الروسية » ، الإصدارات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السابع عشر ، ص : ٢٠٠ .

إن أحد الأسباب الأعمق التي تولد الخلافات الدورية بشأن التكتيك هو واقع نمو الحركة العاملة بالذات . فاذا نحن أخذنا هذه الحركة بعين الاعتبار على أنها حركة عملية لبشر عاديين ، بدلا من أن نقيسها بمقياس لا أدري أي مثل أعلى وهمي ، فإنه يتبين بكل وضوح أن انضمام « مجندين » جدد دائما ، أن اسهام شرائح جديدة من الجماهير الكادحة يجب أن يترافق بالضرورة بتذبذبات في مجال النظرية والتكتيك ، وتكرار أخطاء قديمة ، وبعودة مؤقتة الى المفاهيم والطرائق الباطلة ، الخ . . إن الحركة العاملة في كل بلد تنفق بصورة دورية ، في سبيل « تعليم المجندين الجدد ، مخزونات تزيد أو تنقص من الطاقة ، والانتباه ، والزمن » .

ف. لينين : « الخلافات في الحركة العاملة الأوروبية » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السادس عشر ، ص : ٢١٧-٢١٨ .

لماذا يفسر احتكار انكلترا نصر الانتهازية (المؤقت) في هذا البلد ؟ لان الاحتكار يوفر **ربحا فائضا** ، يعني زيادة الربح بالقياس الى الربح الرأسمالي الطبيعي ، العادي في العالم أجمع . ويستطيع الرأسماليون أن يضحوا بجزء صغير (وحتى كبير حتى درجة ما !) من هذا الربح الفائض ليفسدوا **عمالهم** ، ويخلقوا شيئا من قبيل التحالف (تذكروا « التحالفات » الشهيرة للثريديونيون الانكليزية مع ارباب عملها ، الموصوفة من قبل ويب) ، تحالف عمال أمة معينة مع رأسمالييهم ضد البلدان الأخرى .

ف. لينين : « الامبريالية وانقسام الاشتراكية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثالث والعشرون ، ص : ١٢٦ .

إن التواءات التكتيك البورجوازي تؤدي الى تقوية التصحيحية في الحركة العاملة وتدفع احيانا بالخلافات المتظاهرة فيها حتى الانقسام .

ف. لينين : « الخلافات في الحركة العاملة الأوروبية » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السادس عشر ، ص : ٢٢١ .

وأخيراً ، فإن سبباً هاماً بصورة فائقة يولد الخلافات بين أنصار الحركة العاملة ، وتلك هي تفرقات تكتيك الطبقة الحاكمة عامة ، والبورجوازية خاصة . فإو أن تكتيك البورجوازية كان منتظماً على الدوام ، أو على الأقل من نفس النوع بصورة دائمة ، فقد كانت الطبقة العاملة تتعلم سريعاً أن ترد عليه بتكتيك منتظم كذلك ، أو من نفس النوع بصورة دائمة . والواقع أن بورجوازية جميع البلدان تعد ، بصورة محتومة ، نظامين للحكم ، طريقتين للنضال من أجل الدفاع عن مصالحها وصيانة سيطرتها - وهما طريقتان تتعاقبان تارة وتتشابكان تارة في تركيبات متعددة . فهناك أولاً طريقة العنف ، الطريقة التي تستقيم في رفض كل تنازل للحركة العاملة ، وفي دعم جميع المؤسسات القديمة الباطلة ، وانكار الإصلاحات الحازم . وتلك هي ماهية السياسة المحافظة التي تكفأكثر فأكثر في الغرب عن أن تكون سياسة طبقة الملاكين العقاريين الكبار لتصبح أحد أنواع السياسة البورجوازية العامة . وإن الطريقة الثانية هي طريقة « الليبرالية » ، طريقة التدايسر المتخذة في منحى توسيع الحقوق السياسية ، في منحى الإصلاحات ، والتنازلات ، الخ ...

ف. لينين : « الخلافات في الحركة العاملة
الأوروبية » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية
الرابعة ، المجلد السادس عشر ، ص : ٣٢٠ .

إن الأيديولوجيين البورجوازيين ، الليبراليين والديموقراطيين ، إذ لا يفهمون الماركسية ، ولا يفهمون الحركة العاملة المعاصرة ، يقفزون باستمرار من طرف عاجز إلى آخر . فتارة يفسرون الأشياء بواقع أن إنساناً أشراراً « يهيجون » طبقة ضد طبقة ، وتارة يتعززون إذ يقولون في نفوسهم أن الحزب العمالي « حزب إصلاحات سلمية » . وإن نتاجاً مباشراً لهذا المفهوم البورجوازي ونفوذه هما الفوضوية النقابية والإصلاحية اللتان تتعلقان بمظهر واحد من الحركة العاملة ، واللذان ترفعان هذا الطابع الوحيد

الجانب فتصوغانه في نظرية ، واللذان تناديان بأن اتجاهات أو سمات هذه الحركة التي هي الخاصة النوعية لهذا العصر أو ذلك ، ولهذه أو تلك من شروط نشاط الطبقة العاملة ، هي اتجاهات أو سمات تتنافى . والحال ان الحياة الفعلية والتاريخ الفعلي يشتملان على الاتجاهات المختلفة ، تماما كما ان الحياة والتطور في الطبيعة يشتملان على التطور البطيء والقفزات السريعة والحلول الاستمرارية على حد سواء .

ان التصحيحيين يعتبرون ان جميع المحاكمات عن « القفزات » وعن التضاد المبدئي بين الحركة العاملة والمجتمع القديم بأسره هي عبارات فارغة . انهم ليأخذون الاصلاحات على انها تحقيق جزئي للاشتراكية . ان الفوضوي النقابي يحتقر « العمل الصغير » ، وبصورة خاصة استخدام المنبر البرلماني . وحقيقة الامر ان هذا التكتيك الاخير يؤول السى ترصد « الايام العظمى » ، دون أي معرفة بتجميع القوى التي تخلق الاحداث العظمى . ان هؤلاء واولئك يكبحون الفعل الاعظم شأنا ، والاكثر إلحاحا ، الا وهو جمع العمال في تنظيمات عريضة ، قوية ، تعمل جيدا وتعرف جيدا كيف تعمل في سائر الاوضاع ، تنظيمات مشربة بروح النضال الطبقي ، تعي بكل وضوح هدفها ، ومنشأة بروح التصور الماركسي الحقيقي .

ف. لينين : « الخلافات في الحركة المساملة الاوروبية » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السادس عشر ، ص : ٣١٩ .

... ليست الانتهازية من فعل المصادفة ، ولا هي خطيئة ، ولا هي هفوة ، ولا هي خيانة افراد منعزلين ، بل هي النتاج الاجتماعي لعصر تاريخي كامل ... ان الانتهازية ثمرة الشرعية .

ف. لينين : « افلاس الاممية الثانية » ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الحادي والعشرون ، ص : ٢٥٢ - ٢٥٤ .

ان الطابع « السلمي » نسبيا للمرحلة ١٨٧١ - ١٩١٤ قد غابى
الانتهازية ، وهي حالة ذهنية قبل كل شيء ، واتجاه بعدئذ ، وأخيرا
جماعة او شريحة تتضمن البيروقراطية العمالية ورفاق الطريق البورجوازيين
الصفار .

ف. لينين : « الانتهازية وافلاس الاممية الثانية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الثاني والعشرون ، ص : ١١٨ .

عن التشيع في الاحزاب الشيوعية

... لقد أسست الاممية لتضع في مكان الشيع الاشتراكية او نصف
الاشتراكية التنظيم الفعلي للطبقة العاملة . وان الانظمة البدئية والنساء
الافتتاحي على السواء يبينان ذلك من النظرة الاولى . ومن جهة اخرى ، فان
الاممية لا تستطيع الاستمرار في البقاء لو ان مسيرة التاريخ لم تسحق
بصورة مسبقة عالم الشيع . ان تطور التشيع الاشتراكي وتطور الحركة
العاملة الحقيقية يسيران دائما في اتجاه معاكس . وطالما ان الشيع تجد
ما يبررها (تاريخيا) ، فان الحركة العاملة لما تنضج اذن من اجل حركة
تاريخية مستقلة . وحالما تبلغ هذه الطبقة هذا النضج ، فان جميع الشيع
تصبح جوهريا رجعية . ومهما يكن من امر ، فقد تكرر في تاريخ الاممية
ما يبينه التاريخ في كل مكان . ان الباطل يسعى دائما الى اعادة تشكيل
نفسه والى الاستمرار في البقاء في قلب الشكل الجديد .

ولقد كان تاريخ الاممية نضالا مستمرا للمجلس العام ضد الشيع
ومحاولات الهواة ، التي سعت دائما الى الاستمرار في البقاء ضد الحركة
الفعلية للطبقة العاملة في قلب الاممية بالذات . ولقد جرى هذا الصراع في
المؤتمرات ، لكن اكثر من ذلك ايضا في المفاوضات الخاصة بين المجلس
العام وكل فرع على حدة .

ولما كان البرودونيون (التبادليون(٥١)) الشركاء المؤسسين للرابطة في باريس ، فقد استلموا الدفة بصورة طبيعية خلال السنوات الاولى . وفيما بعد تشكلت بصورة طبيعية ، في تعارض معهم ، جماعات جماعية ، وايجابية ، الخ .

وفي المانيا - العصبة اللاسالية . وقد تراسلت شخصيا طوال سنتين مع شوايتزر الشهير ، مبينا له بصورة لا تدحض ان منظمة لاسال ليست سوى مجرد تنظيم شيعي وانها بصفتها هذه معادية لتنظيم الحركة العاملة الفعلية الذي تسعى الاممية اليه . ولقد كان لديه « اسبابه » كي لا يفهم . -

وفي نهاية ١٨٦٨ ، انتسب الروسي باكونين الى الاممية بفرض تشكيل اممية ثانية يكون هو زعيمها في قلب تلك الاممية ، وذلك باسم « تحالف الديموقراطية الاشتراكية » . انه - هو الرجل الخالي من اي معرفة نظرية - كان يدعي تمثيل الدعاية العلمية للاممية في كل هيئة خاصة وقد جعل هذه الدعاية الرسالة النوعية لهذه الاممية الثانية في قلب الاممية . وكان برنامجه خليطة مشكلة بصورة سطحية من استعارات مسلوبة ذات اليمين وذات اليسار - مساواة الطبقات(٥٢) ، الفاء حق الارث على اعتباره منطلقا لحركة اجتماعية (عبث سان - سيموني) ، اتحاد مفروض على انه عقيدة على المنتسبين الى الرابطة ، الخ . ، والاستنكاف عن الحركة السياسية على اعتباره العقيدة الرئيسية (البرودونية) .

ووجدت حكاية الاطفال هذه صدى (ولا تزال تقوم لها قائمة ما) في ايطاليا واسبانيا حيث الشروط المادية للحركة العاملة لا تبرح قليلة التطور ، وبين بعض المذهبيين المغرورين والطموحين والفاغرين في سويسرا الرومانية وفي بلجيكا .

وبالنسبة الى السيد باكونين ، فان العقيدة (حشوة التسؤل لدى

برودون ، وسان سيمون ، الخ) كانت ولا تزال دائما شيئا ملحقا - مجرد وسيلة للظهور الشخصي . واذا كان يساوي صفرا بصفته نظريا ، فانه بطل الميدان بصفته متأمرا .

وكان لابد للمجلس العام من سنوات ليكافح هذه المؤامرة (المدعومة حتى درجة ما من قبل البرودونيين الفرنسيين ، وعلى الاخص في جنوبي فرنسا) . ولقد وجه اخيرا الضربة المهيأة منذ زمن طويل بقرارات الاجتماع المرقمة ٢٠٢ و ٢٠٣ ، و IX و XVI و XVII .

ومن البدهي ان المجلس العام لا يؤيد في اميركا ما يكافحه في اوروبا . ان القرارات ١ و ٢ و ٣ و IX تمنح الآن لجنة نيويورك الاسلحة الشرعية لتضع حدا لكل ما هو شيع وجماعات من الهواة ، ولتفصلهم عند الاقتضاء .

ك. ماركس : « رسالة الى ف. بولت بتاريخ ٢٣ تشرين الثاني ١٨٧٦ » ، في لاء ماركس وف. انجلز ، المؤلفات المختارة في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ٥١٠ - ٥١٢ .

يجب الا نتأثر بكل هذه الضوضاء من أجل « الوحدة » . ان اكبر المحرضين على الشقاق هم اولئك الذين كثيرا ما تتردد هذه الكلمة على شفاههم ، كما هي في هذا الحين حال الباكونيين في سويسرا الجورانية ، صناع جميع الانقسامات ، الذين لا يكفون عن المطالبة بالوحدة . ان هؤلاء المهوسين بالوحدة هم اما عقول محدودة تريد ان تجمع كل شيء وتصنع منه عجينة عديمة الشكل تظهر اكثر فاكثرا ، عندما لا يجري تحريكها ، التضادات الموجودة جميعا في الحق نفسه (ان لدينا في المانيا مثلا جميلات على ذلك في هؤلاء الناس الذين يبشرون بالمصالحة بين العمال والبورجوازية الصغيرة) ، واما اناس يريدون ، بصورة غير واعية (مولبرجر مثلا) او واعية ، ان يفسدوا الحركة . وهذا هو السبب في ان اكبر المتشيعين ، اكبر

الناهقين والاحتالين، يطالبون في بعض الاحيان بالوحدة بأعظم العنف. وليس انسان قد اساء الينا في وجودنا ، ليس انسان أظهر لنا مكرًا اعظم من جميع هؤلاء الناهقين بالوحدة .

ومن الطبيعي ان كل قيادة حزبية تبني ان يكون في مقدورها تسجيل نجاحات ، وهذا امر حسن . غير أن هناك لحظات يجب ان يكون للمرء فيها الشجاعة على التضحية بنجاح مؤقت في سبيل امور أعظم شأنًا . وعلى الاخص في حزب مثل حزبنا ، الذي نجاحه الاخير مؤكد بصورة مطلقة جدا والذي تطور ، في ايماننا وتحت ابصارنا ، بصورة رائعة جدا ، لا نحتاج على الدوام الى نجاح مؤقت . خذ الاممية على سبيل المثال . لقد حققت نجاحا مذهلا بعد الكومونة . وكان البورجوازيون الذين أصابهم الهلع يقدرّون انها كلية القوة . وكانت الغالبية العظمى من أفرادها تعتقد ان الامر سيكون كذلك بصورة دائمة . وكنا ، نحن ، نعرف جيدا ان الجراب يجب ان ينفجر . كانت لمامة من كل نوع تعلق به . وكان المتشيعون الذين يضمهم يزدادون وقاحة ويسيطون الى الاممية املا بأن يسمح لهم بارتكاب أسوأ الحماقات والافعال الدنيئة . ولم نتهاون في ذلك . واما كنا نعرف ان الجراب لا بد ان ينفجر ذات يوم ، فقد جعلنا مهمتنا لا ان تؤخر الكارثة ، بل ان نسهر على ان تخرج الاممية منها تقية ودون تزوير . وانفجر الجراب في لاهاي ، وانت تعلم ان معظم المندوبين الى المؤتمر عادوا الى اوطانهم وقد اصيبوا بخيبة مريرة . والحال ان معظم هؤلاء الذين سقطت القشور من عيونهم والذين كانوا يحسبون انهم واجدون في الاممية المثل الاعلى للاخفاء والمصالحة العموميين قد خاضوا في اوطانهم معارك اقسى من معركة لاهاي ! وان هؤلاء المحاكين المتشيعين يبشرون في الوقت الحاضر بالمصالحة وينادون باننا انطوائيون ، ودكتاتوريون ! غير اننا لو تصرفنا في لاهاي بروح المصالحة ، لو منعنا الانقسام من الوقوع ، فمبا عسى ان تكون العواقب اذن ؟ كان المتشيعون ، يعني الباكونيين ، يحصلون على عام آخر كي يرتكبوا باسم

الاممية حماقات ودناءات اسوا أيضا ؛ وكان عمال البلدان الاكثر تطورا يشيخون عنا باشمئزاز ؛ وكان الجراب ، بدلا من أن ينفجر ، ينتفخ ببطء ، وقد ثقبتة ضربات الدبابيس ، وكان المؤتمر التالي ، الذي كان لابد ان يؤدي بالضرورة الى الازمة ، يستحيل الى فضيحة شخصية من اسوا الانواع ، اذ ان المبدأ قد سبق ان تمت التضحية به في لاهاي ؛ وعندئذ كانت الاممية تغنى بصورة فعلية ، تغنى بسبب من « الوحدة » ؛ وبدلا من ذلك ، فقد تخلصنا ، الامر الذي يشرفنا ، من العناصر المتفسخة (ان اعضاء الكومونة الذين حضروا الجلسة الاخيرة ، الجلسة الحاسمة ، يقولون ان اية جلسة من جلسات الكومونة لم تؤثر فيهم مثل هذا الحكم على خونة البروليتاريا الاوروبية) ؛ ولقد تركناهم طوال عشرة اشهر ينفقون قواهم في اكاذيب ، وافتراءات ، ومكائد ، وما الذي نتج عن ذلك ؟ ان هؤلاء الممثلين الزعوميين للغالبية الساحقة من الاممية يعلنون الآن بأنفسهم انهم لا يجروون على القدوم الى المؤتمر التالي (انظر التفاصيل في مقال مرسل مع هذا الى الفولكستات) . واذا كان لا بد لنا ان نفعل ذلك من جديد ، فاننا لن نتصرف بصورة مغايرة على الاجمال ؛ ومن المفروغ منه ان اخطاء التكتيك ممكنة دائما .

وعلى اي حال ، فاني اعتقد أن العناصر الكفوة من بين اللاساليين سوف يأتون اليكم فيما بعد من تلقاء أنفسهم ، وانه لن يكون اذن من الحكمة فطف الثمار قبل نضوجها ، كما يريد ان يفعل انصار الوحدة .

ف. انجلز : « رسالة الى ا . بيبيل بتاريخ ٢٠ حزيران ١٨٧٢ » ، في ك. ماركس وف. انجلز ، المؤلفات المختارة في مجلدين ، منشورات التقدم ، موسكو ، المجلد الثاني ، ص : ٥٢١ - ٥٢٢ .

ان تاريخ العصور الثورية يقدم الكثير ، الكثير جدا من الامثلة على الضرر الهائل المسبب عن المحاولات المتعجلة والفجة « لاتحادات القتال » التي تفرق في قلب لجان الشعب الثوري العناصر الاشد تنافرا ، الامر

الذي يؤدي الى المناوشات المتبادلة والى خيبات أمل مريرة .

اننا نريد ان ننتفع من دروس التاريخ هذه . اننا نرى في الماركسية ، التي تلوح لكم عقيدة ضيقة ، خلاصة هذا الدرس التاريخي وهذا التعليم بالذات . اننا نرى في الحزب المستقل ، الماركسي بصورة لا تلتين ، للبروليتاريا الثورية الضمانة الوحيدة لانتصار الاشتراكية والطريق الى النصر الاكثر تجردا عن التذبذبات . ولذا فاننا لن نتخلى قط ، حتى في اقسى ساعات الثورة ، عن الاستقلال التام للحزب الاشتراكي الديمقراطي ، عن الصلابة التامة لايدولوجيتنا .

ف. لينين : « في اتفاق قتالي من اجل العميان » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الثامن ، ص : ١٥٥ .

عن المقائدية

تجبرنا الماركسية على ان نأخذ حسابا دقيقا جدا ، حقيقيا بصورة موضوعية ، عن علاقة الطبقات والخصائص الحسية لكل لحظة من التاريخ . ولقد بذلنا جهدنا على الدوام ، نحن البلاشفة ، للبقاء مخلصين لهذه القاعدة ، الضرورية بصورة مطلقة لكل سياسة مقررة علميا .

« ليس ملهنا عقيدة ، بل دليلا للفعل » ، هذا ما قاله ماركس وانجلز دائما ، ساخرين بحق من الطريقة التي تستقيم في ان يحفظ المرء عن ظهر قلب ويكرر كما هي « صيفا » قميئة على الاكثر بان تدل على الاغراض العامة ، المتبدلة بالضرورة بفعل الوضع الاقتصادي والسياسي الحسي في كل دور خاص من ادوار التاريخ .

ف. لينين : « رسائل من التكتيك » ، المؤلفات
الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الرابع
والعشرون ، ص : ٢٢ .

... ليست الماركسية عقيدة ميتة ، مذهبا مكتملا ، جاهزا ، لا يتبدل ، بل دليلا حيا للفعل ، ولا يمكن أن يقصر في عكس التغير السريع بصورة خاصة لشروط الحياة الاجتماعية . ولقد كانت نتيجة هذا التغير تفتتا عميقا ، والبلبل ، وتذبذبات من مختلف الانواع ، وبكلمة واحدة : ازمة داخلية خطيرة للماركسية . ان فعلا قويا ضد هذا التفتت ، نضالا عنيفا وعنيدا في سبيل الدفاع عن مبادئ الماركسية ، يندرج من جديد في جدول الاعمال . ان الشرائح العريضة جدا من الطبقات التي لاستطيع ان تتفادى الماركسية من اجل صياغة مهامها قد تمثلت هذه الماركسية في المرحلة السابقة بصورة وحيدة الجانب جدا ، وبالغة التشويه ؛ لقد احتفظت بهذه « الشعارات » او تلك ، بهذه الاجوبة او تلك على المسائل التكتيكية ، دون ان تفهم المعايير الماركسية لهذه الاجوبة . وان « مراجعة جميع القيم » في ميادين الحياة الاجتماعية المختلفة قد قادت الى « مراجعة » مبادئ الماركسية الفلسفية الاعم والاكثر تجريدا . وان تأثير الفلسفة البورجوازية ، في فوارقها المثالية الاشد تنوعا ، قد تظاهر في وباء الماخية(٥٢) التي انتشرت بين الماركسيين . وان تكرار « الشعارات » المحفوظة عن ظهر قلب ، لكن غير المفهومة وغير المتروى فيها ، قد آل الى نشر هراء فارغ على نطاق واسع ؛ وان هذا الهراء الفارغ قد أدى عمليا الى اتجاهات مناقضة بعمق للماركسية وبورجوازية صغيرة مثل « الاوتزوفية(٥٢) » ، الصريحة او المكتومة ، او وجهة النظر التي تعترف بالاوتزوفية على انها « نوع مشروع » للماركسية .

ف. لينين : « في بعض خصائص تطور الماركسية التاريخي » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد السابع عشر ، ص : ٢٣-٢٤ .

... القبول بأي شيء كان بخلوص نية ، واستبعاد التطبيق النقدي والتطوير ، هذه خطيئة خطيرة ؛ فمن المؤكد أن « التعليق ببساطة » لا يكفي

من اجل التطبيق والتطوير .

ف. لينين : « نقد لانقدي » ، المؤلفات الكاملة ،
الطبعة الروسية الرابعة ، المجلد الثالث ، ص :
٥٥١ - ٥٥٢ .

لا حاجة الى الكد : لكن ينبغي لنا أن ننمي ونحكم ذاكرة كل تلميذ
بمعرفة الوقائع الاساسية ، ذلك ان الشيوعية لن تكون سوى كلمة فارغة ،
سوى لافتة بسيطة ، ولن يكون الشيوعي سوى مدعٍ بأئس ، اذا لم تنضج في
وجدانه كل المعرفة المكتسبة . وان من واجبك لا ان تمثلوها فحسب ،
بل كذلك ان تمثلوها بطريقة نقدية ، بحيث لا ترحموا ذكاءكم بركام عديم
الجدوى ، بل بالاحرى تغنوه بمعرفة جميع الوقائع التي لا يمكن بدونها ان
يكون رجل عصري مثقف . واذا عنّ للشيوعي ان يتبجح بالشيوعية انطلاقا
من استنتاجات جاهزة محفوظة عن ظهر قلب ، دون ان يقوم بعمل كبير
بالبحر الجدية وبالغ الصموبة ، دون ان يسعى لان يرى بوضوح في الوقائع التي
يجب عليه ان يتصدى لها بروح نقدية ، فان هذا الشيوعي يكون فردا تافها .
ان الوقوف عند سطح الامور امر ضار حقا .

ف. لينين : « مهمات الاحداث الشيبية » ،
المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد
الحادي والثلاثون ، ص : ٢١٧ .

ان الانتهازيين من جميع المقاييس يحلو لهم ان يقولوا لنا : انتفعوا من
من دروس الحياة . ومن سوء الحظ ان ما يسمونه الحياة ليس سوى حماة
مراحل السلم ، مراحل الركودة التي تكاد الحياة الا تتقدم فيها . انهم
يتأخرون دون انقطاع ، هم المميان ، عن دروس الواقع الثوري . ان
مذاهبهم الميتة تتخلف دائما عن الحركة المندفعة للثورة ، التي تعبر عن
متطلبات الحياة الاساسية ، التي تعرض للخطر اعرق مصالح الجماهير

ف. لينين : « المائة السود وتنظيم المصيان » ،
المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية الرابعة ،
المجلد التاسع ، ص : ٧٨ .

ان الانتهازية في الماركسية ، يعني المنشفية في عصرنا ، تملك الخاصة
التالية ، الا وهي انها تستهدف مذهبيا أن تبسط ، وتمسخ وتشوه حرف
الماركسية ، ان تخون روحها (تلك كانت الحال سواء بالنسبة الى أنصار
وابوتشيه دييلو ام بالنسبة الى أنصار ستروفه (٥٤)) . وان المناشفة ، حين
كافحوا الشعبية على اعتبارها تصورا مغلوطا عن الاشتراكية ، قد أفلتوا كليا ،
بذلك الضيق الذي يميز المذهبين ، المصون التقدمي والواقعي تاريخيا
للشعبية بوصفها نظرية للنضال الجماهيري البورجوازي الصغير للراسمالية
الديموقراطية ضد الراسمالية الليبرالية الزراعية ، للراسمالية «الإميركية»
ضد الراسمالية « البروسية » . ومن هنا كانت فكرتهم المسيخة ، الحمقاء ،
المرتدة ، الا وهي أن الحركة الفلاحية رجعية .

ف. لينين : « رسالة الى ا . سكفورسوف -
ستيبانوف » ، المؤلفات الكاملة ، الطبعة الروسية
الرابعة ، المجلد السادس عشر ، ص : ١٠٢ .

ہوا میں

(١) **اللامعموديون** - أفراد شيعة دينية عامية في عهد الإصلاح وأنصار هذه الشيعة في ألمانيا وسويسرا والبلدان الواطئة ، وكانون لا يجرون المعمودية الا عند بلوغ سن الرشد ، وينكرون الترتاب الاكثريكي ، وينادون بالملكية المشاعية لسائر الخيرات . وقد لعب اللامعموديون دورا هاما في الحرب المناهضة للاقطاعية التي خاضها الفلاخون في ألمانيا (١٥٢٥) . وكان تشكيل كومونة مونستر (ويستفاليا) في ١٥٢٤ - ١٥٢٥ قمة حركة اللامعموديين . فقد أعلنت مدينة مونستر ، حيث أنشأ اللامعموديون سلطة ثورية ، اوروشليم جديدة ، ووزت الاراضي البلدية على الناس ، وصودرت المجوهرات لمصلحة الجميع ، والقى النقد ، وكانت اشيء الاستهلاك توزع وفقا لمبدأ المساواة . وقد سقطت مونستر أخيرا ، بعد اربعة عشر شهرا من الدفاع ضد جيوش الاقطاعيين . - ص : ٧ .

(٢) **دعاة التسوية** ، ويقصد انجلز « دعاة التسوية الحقيقيين » أو « الحفارين » ، وهم ممثلو اليسار الاقصى في الثورة الانكليزية في القرن السابع عشر . وكانوا يطالبون ، مبررين عن مصالح الشرائح الاقفر في الريف والمدينة ، بالغاء الملكية الخاصة للارض ، وينشرون مفاهيم مستلهمة من شيوعية بدائية تدين بمبدأ المساواة ويحاولون تحقيقها عمليا باللجوء الى الحرثة الجماعية للارض . - ص : ٧ .

(٣) يقصد انجلز قبل كل شيء أعمال دعاة الشيوعية الطوبوية : توماس مور (**الطوباوية** ، ١٥١٦) وتوماسو كامبانيللا (**مدينة الشمس** ، ١٦٢٣) . - ص : ٧ .

(٤) تنص نظرية روسو على أن البشر كانوا يحيون بدائيا في الحالة الطبيعية وكانوا جميعا متساوين . وان ظهور الملكية الخاصة وزيادة التفاوت المادي كالا سببين في التفاوت السياسي . وان حكومة معقولة ، قائمة على أساس عقد اجتماعي جديد ، هي التي ستصفي في رأي روسو هذا التفاوت تصفية تامة .

أما حكم الارهاب ، فنقصد منه الدكتاتورية الديمقراطية الثورية لليعاقبة (حزيران ١٧٩٣ - تموز ١٧٩٤) التي كانت ردا على الارهاب المضاد للثورة للجيرونديين والملكيين . - ص : ٩ .

(٥) **حكم الإدارة** - كان يتألف من خمسة مديرين يعاد انتخاب واحد منهم كل عام ، وكان يشكل الزعامة الجماعية للسلطة التنفيذية في فرنسا بعد سقوط دكتاتورية اليعاقبة الثورية عام ١٧٩٤ . وقد استمر حكم الإدارة حتى عام ١٧٩٩ ، حين سقط بفعل الانقلاب الذي قام به نابليون بونابرت ، ولقد كان يدعم نظام الارهاب المطبق ضد القوى الديمقراطية ، ويدافع عن مصالح البورجوازية الكبيرة . - ص : ٩ .

(٦) المقصود شعار الثورة الفرنسية لعام ١٧٨٩ : حرية ، مساواة ، اخاء . - ص : ١٠ .

(٧) نيو لانارك - مفلز للقطن ومدينة عمالية تأسسا عام ١٧٨٤ قريبا من مدينة لانارك في اسكتلندا . - ص : ١٠ .

(٨) حرب المائة يوم ، هي عودة نابليون بونابرت القصيرة الى السلطة ، من ٢٠ آذار ١٨١٥ ، تاريخ دخوله الى باريس بعد فترة المنفى التي قضها في جزيرة ايليا ، حتى ٢٢ حزيران ١٨١٥ ، حين تنازل عن عرشه مرة ثانية بعد هزيمة والرلو . - ص : ١٤ .

(٩) هزم جيش نابليون في ١٨ حزيران ١٨١٥ من قبل الجيوش الانكليزية والهولندية بقيادة ولنغتون والجيوش البروسية بقيادة بلوشر قريبا من واترلو في بلجيكا ، وقد لعبت هذه المعركة دورا حاسما في حملة ١٨١٥ ، وضمنت للانتصار النهائي للتحالف السابع (انكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا والسويد واسبانيا ودول اخرى) وسقوط امبراطورية نابليون . - ص : ١٤ .

(١٠) غرالوس بابوف (القرن السابع عشر) الذي كان انصاره يناضلون « في سبيل جمهورية الاسوياء » ، وهي كومونة تجمع الامة بأسرها وتساس من مركز وحيد . - ص : ٢٢ .

(١١) يستشهد لينين بمقدمة انجلز للطبعة الالمانية الاولى من كتاب ماركس بؤس الفلسفة : - ص : ٣٠ .

(١٢) الشيوعية ، ايدولوجية الديمقراطية البورجوازية الصغيرة الفلاحية في روسيا . وكان الشمبيون يسمون لائبات ان الاقتصاد الفلاحي الصخر ممرض على طول الخط للاقتصاد الرأسمالي ، ولا يعترفون بأي تراتب في الثروة او الطبقة في قلب الطبقة الفلاحية ، وينشرون الاشتراكية الطوبوية .

التروودوفية ، ايدولوجية فريق من الديمقراطيين البورجوازيين الصغار في دوما الدولة ، وقد تشكل عام ١٩٠٦ من نواب فلاحين ومثقفين من اتجاه شمبي . وكان برنامج التروودوفيين يستلهم المبادئ الشعبية للانتفاع المتساوي بالارض . - ص : ٣١ .

(١٣) البرودونية ، تيار في الاشتراكية البورجوازية الصغيرة يرتبط بالفوضوي الفرنسي برودون (١٨٠٩ - ١٨٦٥) الذي كان يؤمن ، وهو ينقد الرأسمالية ، انه في الامكان مع ذلك « تحسين » العلاقات الاجتماعية الرأسمالية بواسطة الاصلاحات ، و « تحريرها » من تناقضاتها ، وخلق مجتمع فوضوي من المنتجين الصغار يرى انه المجتمع المثالي . - ص : ٣٣ .

(١٤) تأسست الشركة الملكية للتجارة البحرية في بروسيا عام ١٧٧٢ ؛ وان هذه الشركة التي منحها الدولة امتيازات هامة عديدة قد كانت تقرضها مبالغ هائلة ، وتلعب عمليا حيالها دور المصرف والمجمل المصرفي . - ص : ٦٢ .

(١٥) يستشهد انجلز هنا بصيحة الحرب القديمة : « هنا آل غيلف ، وهناك آل جيبلان ! » وكان الاولون يؤيدون في العنصر الوسيط سلالة غيلف ، والاخرون سلالة هو هشتوفن ، سادة وبلنجن . - ص : ١٢٧ .

(١٦) ان موضوعه لاسال عن « الكتلة الرجعية الوحيدة » قد سجلت في برنامج الحزب الاشتراكي الديمقراطي في ألمانيا ، الذي جرت الموافقة عليه في مؤتمر فونتا المنعقد في ٢٢-٢٧ ايار ١٨٧٥ . وكان البرنامج يقول : « ان تحرير العمل يجب ان يكون من صنع الطبقة العاملة ، التي لا تشكل جميع الطبقات الاخرى حيالها سوى كتلة رجعية » . انظر نقد هذه الموضوعة اللامالية في مؤلف كارل ماركس **نقد برنامج فونتا** . - ص : ١٢٧ .

(١٧) **رجال السياسة الاقتصادية الجديدة** - هذا هو الاسم الذي اطلق على التجسار والملايين في السنوات الاولى لتطبيق السياسة الاقتصادية الجديدة من قبل الدولة السوفيتية. وان هذه السياسة التي جرى اقرارها عام ١٩٢١ قد كانت تستهدف بناء الاشتراكية باستخدام العلاقات التجارية وبيعول وجود الرأسمال الخاص ضمن بعض الحدود ولاجل محدد . وماكان يمكن للتجارة والاستثمارات الرأسمالية الصغيرة ان تهدد بناء الاشتراكية ، لان الدولة البروليتارية كانت تسيطر على الموانع الحساسة في الصناعة والتجارة . وكان من الضروري بصورة مطلقة تنظيم العلقات التجارية بين المدينة والريف من أجل توطيد اتحاد البروليتاريا وطبقة الفلاحين وانهاض الاقتصاد الوطني الذي دمرته سبع سنوات من الحروب المتواصلة . - ص : ١٤١ .

(١٨) « دستور الإيمان » ، هكذا سميت الوثيقة التي ظهرت عام ١٨٩٦ والتي كانت تعرض مذاهب العناصر الانتهازية في الاشتراكية الديمقراطية الروسية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين الذين يسمون « الإقتصاديين » . وكان « الإقتصاديون » ينادون بأن العمال يجب الا يخوفنوا سوى نضال مطلبى يتركز على تحسين شروط العمل ، وزيادة الاجور ، الخ . وكانوا ينكرون الدور القيادي للحزب والنظرية الثورية في الحركة العاملة ، زاعمين ان هذه الحركة يجب ان تنطور تلقائيا . - ص : ١٥٩ .

(١٩) ك- ماركس وف. انجلز : **بيان الحزب الشيوعي** ، منشورات دار دمشق ، - ص : ١٦٥ .

(٢٠) **دعاة التصفية** ، تيار منشفي انتهازى في قلب حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في بروسيا بعد هزيمة الثورة الروسية للاعوام ١٩٠٥ - ١٩٠٧ ، وكان دعاة التصفية يعمون

الاستعاضة عن الحزب الثوري غير الشرعي للطبقة العاملة بتنظيم انتهازي يكون نشاطه مرخصا من قبل حكومة القيصر ؛ ولم تكن الجماهير العاملة تؤيد دعاء التصفية هؤلاء ؛ وفي عام ١٩١٢ ، طردوا من حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا . - ص : ١٦٧ .

(٢١) رابوتشي دييلو (القضية العمالية) ، جريدة اتحاد الاشتراكيين الديمقراطيين الروس في الخارج . وقد صدرت في جنيف من نيسان ١٨٩٩ حتى شباط ١٩٠٢ بإدارة كريتشيفسكي وتبلوف (سيرياك) وايفانشين ، ومن ثم مارتينوف . وقد صدر منها ١٢ عددا فقط تشكل تسع ملازم . وكانت هيئة التحرير تشكل مركز « الاقتصاديين » في الخارج . - ص ١٧٩ .

(٢٢) الحزب العمالي المستقل في انكلترا - منظمة اصلاحية تأسست عام ١٨٩٣ عندما اتسع النضال المطالب للطبقة العاملة في انكلترا واشتدت حركتها من اجل استقلالها حيال الاحزاب البورجوازية . وكان هذا الحزب يحتل مواقع بورجوازية اصلاحية ويركز اهتمامه على الائتلافات البرلمانية مع حزب الاحرار .

الجمعية الغابية - منظمة اصلاحية تأسست عام ١٨٨٤ في انكلترا ، على اسم فابوس كونكتاتور (المسوف) ، وهو قائد روماني في القرن الثالث قبل الميلاد ، كان يسمى السى انهاك هانيبال دون ان يخوض معه معارك نظامية ، وكان الغابيون ينكرون ضرورة النضال الطبقي للبروليتاريا والثورة الاشتراكية مؤكدين ان الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية مستحيل الا بواسطة الاصلاحات الصغيرة وتحويل المجتمع تحويلا متدرجا . - ص : ١٨٦ .

(٢٣) انصار الايسكرا الجديدة - مناشفة من الجناح الانتهازي لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا . فبعد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا عام ١٩٠٣ استولى المناشفة على الايسكرا ، الصحيفة التي اوجدها لينين عام ١٩٠٠ . وان الايسكرا ، التي كانت اول صحيفة ماركسية غير مرخص بها في روسيا قد لعبت دورا حاسما في انشاء حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي في روسيا .

وحين وقمت الصحيفة بين أيدي المناشفة ، بدلت مجراها بصورة مفاجئة وأصبحت الناطقة بلسان الانتهازيين ، وحتى لا يتم الخلط بينها وبين الايسكرا « القديمة » اللينينية فقد سميت منذ ذلك الحين الايسكرا الجديدة . - ص : ١٩٦ .

(٢٤) فيريود - (الى الامام) ، صحيفة اسبوعية سرية كان البلاشفة يصدرونها ، وقد ظهرت في جنيف (١٩٠٤ - ١٩٠٥) تحت ادارة لينين . - ص : ١٩٦ .

(٢٥) الاشتراكيون الثوريون - حزب بورجوازي صغير روسي تشكل حوالي أواخر عام

١٩٠١ وأوائل عام ١٩٠٢ . ولم يكن الاشتراكيون الثوريون يرون أي فارق طبقي بين البروليتاريا وطبقة الفلاحين ، كما كانوا يطمسون التناقضات داخل طبقة الفلاحين . وكانوا يطالبون بإلغاء الملكية الخاصة للأرض ، وتسليم هذه الأرض للجماعات الريفية . ولم يكن ثمة أثر للاشتراكية في البرنامج الذي كانوا يدعونه « تشريك الأرض » ، ذلك أن الاحتفاظ بانتاج البضائع وبالاقتصاد الخاص على الأراضي المشاعة كان سيترتب عليه الاحتفاظ بسيطرة الرأسمال ، وما يعقبه من استثمار ونهب . - ص : ٢٠٣ .

(٢٦) التشريع الاستثنائي - استصدر في ألمانيا عام ١٨٧٨ من قبل حكومة بسمارك ، وكان يحظر جميع التنظيمات التابعة للحزب الاشتراكي الديمقراطي والصحافة العمالية . وقد ألغى هذا التشريع تحت ضغط حركة الجماهير العاملة . - ص : ٢١٦ .

(٢٧) المقصود هم مؤلفو القرار المتخذ في ٢٤ شباط ١٩١٨ من قبل مكتب منطقة موسكو لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي ، وكانت غالبية تنسب وقتذاك إلى المناضلين الذين كانوا يطلقون على أنفسهم لقب « الشيوعيين اليساريين » . وكان القرار يدين السياسة التي تنتهجها لجنة الحزب المركزية بفرض عقد معاهدة بريست - ليتوفسك . - ص : ٢١٨ .

(٢٨) المقصود هي العملية المضادة للثورة التي نظمتها البورجوازية بالاتفاق مع الملاكين العقاريين (آب ١٩١٧) والتي قادها الجنرال القيصري كورنيلوف . وكان المتآمرون ينوون سحق الحزب البلشفي ، وحل المجالس السوفيتية ، وإقامة دكتاتورية عسكرية ، ومن بعد إعادة الملكية . وقد حاول كورنيلوف الاستيلاء على بتروغراد ، لكن فصائل الحرس الأحمر ألحقت الهزيمة به . - ص : ٢٢٠ .

(٢٩) من ٢٧ شباط حتى ٤ تموز ١٩١٧ . قامت سلطتان في روسيا ، بعد الثورة الديمقراطية البورجوازية في شهر شباط ، وهما دكتاتورية البورجوازية المثلة في الحكومة المؤقتة ودكتاتورية البروليتاريا وطبقة الفلاحين التي كان يمثلها المجلس السوفيتي للمندوبين العمال والجنود في بتروغراد .

وان أحداث ٣ - ٤ تموز ١٩١٧ قد كانت تشهد على أزمة سياسية عميقة في البلاد : فشل الهجوم الذي شنته الحكومة المؤقتة في الجبهة في حزيران ، ونفاد البطالة المسبب عن إغلاق الرأسماليين لبعض المشاريع ، وارتفاع الاسعار ، ونقص المواد الغذائية . وفي ٣ (١٦) تموز اندلعت مظاهرات عفوية ، وقد اشترك في هذه المظاهرات ، في ٤ (١٧) تموز ، أكثر من ٥٠٠٠٠ شخص ، لكن الحكومة المؤقتة قمعت هذه المظاهرات بالعنف . وحظرت صحف البلاشفة ، وبذلت المساعي لتجريد العمال من السلاح ، كما شنت أعمال التفتيش والاعتقال والفتن . وانتقلت السلطة بأكملها إلى أيدي الحكومة المؤقتة . - ص : ٢٢١ .

٣٠ - راجع رسالة انجلز-الى اوغوست بيبيل ، ١٨ - ٢٢ آذار ١٨٧٥ ، في ك. ماركس وف. انجلز : نقد برنامجي غوتا وايرفورت ، المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٤٨ - ص : ٢٧٥ .

٣١ - يقصد لينين مؤامرة كانت تستهدف تسليم بتروغراد وقد نظمها « المركز القومي » المناهض للثورة الذي كان ينسق نشاطات الجماعات المناهضة للسوفييت مع عناصرالتجسس . وفي ١٣ حزيران ١٩١٩ أثار المتآمرون عصيانا في القلاع الثلاث التي تحمي بتروغراد ، لكن سحقوا في يومين . - ص : ٢٨٦ .

٣٢ - المائة السود ، عصابات فوضوية أوجدها البوليس القيصري لمناهضة الحركة الثورية ، وكان المائة السوديفتالون الثوريين ، وبرهبون المتقنين التقدميين ، وينظمون الفتن . - ص : ٢٨٦ .

٣٣ - الكاديت (الحزب الدستوري الديمقراطي) الحزب الرئيسي للبورجوازية الليبرالية في روسيا ، وقد تشكل في تشرين الاول ١٩٠٥ . وبعد ثورة شباط ١٩١٧ ، احتل الكاديت مركزا سائدا في الحكومة المؤقتة البورجوازية ومارسوا سياسة مناهضة للثورة ومناهضة للشعب . وبعد انتصار ثورة اكتوبر ، هتك الكاديت الستار عن انفسهم بوصفهم العدو الالذ لسلطة المجالس السوفييتية . - ص : ٢٨٦ .

٣٤ - ك. ماركس : الحرب الاهلية في فرنسا ، مقدمة ف. انجلز (١٨٩١) . المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ١٧ - ص : ٣١٧ .

٣٥ - ك. ماركس : الحرب الاهلية في فرنسا ، نداء المجلس العام لجمعية الشفيلة الاممية . المنشورات الاجتماعية ، باريس ، ص : ٥١ - ص : ٢٢٣ .

٣٦ - « المعارضة العمالية » - شعبة انفصالية مناهضة للحزب تشكلت في ١٩٢٠ - ١٩٢١ ، وكان موقفها يعكس آراء التجمع الفوضوي - النقابي في الحزب . ومثال ذلك أن « المعارضة العمالية » كانت تعتبر النقابات ، لا الحزب ، على أنها الشكل الاعلى لتنظيم الطبقة العاملة . وقد أعلن المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي (البلشفي) في روسيا أن نشر آراء « المعارضة العمالية » لا يتفق مع الانتساب الى الحزب وطالب بالحل الفوري لسائر التجمعات الشيعية . وان المؤتمر الحادي عشر هو الذي عمل على تصفية هذا الفريق تصفية نهائية عام ١٩٢٢ . - ص : ٣٤٠ .

٣٧ - ان قانون تشريك الارض قد اتخذ في ١٨ (٣١) كانون الثاني ١٩١٨ في المؤتمر الثالث للمجالس السوفييتية في روسيا وأصدر في شكله النهائي من قبل اللجنة المركزية التنفيذية في ٢٧ كانون الثاني (٩ شباط) . وقد أكد هذا القانون الغاء كل ملكية للأرض وسلم الارض للسلطة السوفييتية . وكان القانون يتضمن مادة تلزم السلطة السوفييتية بالاسهام في تطوير

الاستثمارات الزراعية الجماعية بفرض تأمين الانتقال الى الاشتراكية . وكان البلاشفة ضد شعار الثوريين الاشتراكيين عن الانتفاع المتساوي بالارض ، لكنهم نزلوا عند رغبات الفلاحين ووافقوا على أن يسجلوا في القانون فقرة تتعلق بالانتفاع المتساوي بالارض . وكان لينين يقول : « ليست هذه الفكرة فكرتنا ، ونحن لا نوافق على هذا الشعار ، لكننا نرى ان من واجبا تطبيقه ما دام ذلك هو مطلب الغالبية الساحقة من الفلاحين . والحال ان فكرة ومطالب غالبية الشغيلة يجب على الشغيلة انفسهم أن يتخلوا عنها ، فنحن لا نستطيع « الغاءها » ، ولا « القفز من فوقها » . نحن البلاشفة سوف نساعد الفلاحين على التخلي عن الشعارات البورجوازية الضعيفة كي « ينتقلوا » في أسرع وقت ممكن وبأسهل طريقة ممكنة الى الشعارات الاشتراكية (ف. لينين : الثورة البروليتارية والمرتد كاوتسكي ، المؤلفات الكاملة ، باريس - موسكو ، المجلد الثامن والعشرون ، ص : ٣١٩ - ٣٢٠) . ص : ٣٧٦ .

٣٨ - ان لجنة الاغاثة العمالية الى تنظيم النظام الاشتراكي للارض قد شكلت في شباط ١٩١٩ قرب مفوضية الشعب للزراعة . وكانت مهمة هذه اللجنة ارسال منظمين مجربين ، قادمين من الطبقة العاملة ، الى ادارات الاقاليم والنواحي لاستثمارات الدولة والى البعض من هذه الاستثمارات بالذات ، والمساعدة في تنظيم التجمعات النقابية للعمال الزراعيين ، وتأمين المواد للزراعة . وكانت اللجنة تضم ممثلين عن مفوضية الشعب للزراعة ومجلس نقابات روسيا . - ص : ٣٩٢ .

٣٩ - البوند (الاتحاد العام للعمال اليهود في لتوانيا وبولونيا وروسيا) ، وقد نظم عام ١٨٩٧ ، وكان يضم بصورة أساسية الحرفيين نصف البروليتاريين للمناطق الغربية من روسيا . وكان البوند ينشر الافكار القومية والانفصالية في الحركة العاملة الروسية . - ص : ٤٠٩ .

٤٠ - يقصد لينين اجتماع اللجنة المركزية للحزب العمالي الاشتراكي الديمقراطي في روسيا ، الموسع لمناضلي الحزب (وهو يسمى اجتماع الصيف لاسباب الامن) الذي انعقد في ٢٣ ايلول حتى الاول من تشرين الاول (٦ - ١٤ تشرين الاول) ١٩١٣ في قرية بوردين . (قرب كراكوفيا) ، حيث كان لينين مقيما في ذلك الحين . وان المسألة القومية ، التي اتخذت في تلك الفترة أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية في روسيا ، قد كانت المسألة الرئيسية المدروسة في ذلك الاجتماع . وقد رفض الاجتماع بصورة جازمة مطالب « الاستقلال الذاتي القومي والثقافي » التي تقدم بها المناشفة والبوند وتبنى الموضوعات التي اعدتها لينين عن المسألة القومية . - ص : ٤١٢ .

٤١ - يتحدث لينين عن معاهدة الصلح الموقعة في شباط ١٩٢٠ بين الجمهورية الاشتراكية الاتحادية السوفييتية لروسيا ولتوانيا ، حيث اعترفت روسيا السوفييتية باستقلال لتوانيا . وكانت تلك الخطوة الاولى التي قامت بها الدولة السوفييتية نحو اقامة علاقات سلمية مع البلدان الرأسمالية . - ص : ٤٤٢ .

٤٢ - « حزب الاكتوبريين » (أو « اتحاد ١٧ اكتوبر ») ، حزب مناهض للثورة :

كان يمثل مصالح الرأسمال الصناعي الكبير والملاكين المغاربة الذين يطبقون طرقا رأسمالية في إدارة مشاريعهم . وقد تأسس هذا الحزب بعد اذاعة بيان ١٧ اكتوبر ١٩٠٥ ، هذا البيان الذي وعد القيصر الشعب فيه ، وقد هاله صعود الثورة ، بوضع دستور ، وبحرية الكلام ، والاجتماع ، والصحافة ، الخ . . وكان الاكتوبريون يدعمون السياسة الداخلية والخارجية للحكومة القيصرية . - ص : ٤٦٠ .

٤٣ - يقصد لينين البيان عن الحرب الذي تبناه المؤتمر فوق العادي للاممية الثانية الاشتراكية المنعقد في بال (سويسرا) في ٢٤ - ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٢ . وكان البيان يحذر الشعوب من الخطر المتزايد باستمرار للحرب الامبريالية العالية ، وبين الاهداف اللصوصية الكامنة وراء هذه الحرب ، ويدعو عمال جميع البلدان الى نضال حاسم في سبيل السلام ، وذلك بمعارضة الامبريالية الرأسمالية بكل عنفوان تضامن البروليتاريا العالية . وان احدى موضوعات قرار مؤتمر ستوتغارت (١٩٠٧) - وهي موضوعة صاغها لينين - قد ضمت الى بيان بال . وكان البيان يوصي العمال بأن يستخدموا ، في حالة اندلاع النزاع الامبريالي ، الازمة الاقتصادية والسياسية في سبيل التمجيل بانهيار سيطرة طبقة الرأسماليين والنضال في سبيل الثورة الاشتراكية . - ص : ٤٦١ .

٤٤ - المقصود الاقتراع على معاهدة الصلح مع المانيا الحادث في اجتماع اللجنة المركزية للحزب الموسعة لممثلي مختلف التيارات في الحزب ، وذلك في ٢١ كانون الثاني (٣ شباط) ١٩١٨ . وان اثنين فقط من « الشيوعيين اليساريين » قد صوتوا في هذا الاجتماع ضد القبول بأية علاقات سلمية بين الدول الاشتراكية والامبريالية . وقد اتخذ معظم « الشيوعيين اليساريين » موقفا غامضا ، يعترف بإمكانية عقد معاهدات الصلح بين الدول الاشتراكية والامبريالية ، لكنهم اترعوا مع ذلك ضد التوقيع الفوري على المعاهدة مع المانيا . انظر الهامش رقم ٢٧ ايضا . - ص : ٤٧٤ .

٤٥ - انظر الهامش رقم ٤١ .

٤٦ - انظر لينين : **الدولة والثورة (المؤلفات الكاملة)** ، باريس - موسكو ، المجلد الخامس والعشرون ، ص : ٥٠٧) . - ص : ٥٠٣ .

٤٧ - ان الكاتب نقولاي بوميالوفسكي قد وصف بصورة رائعة في روايته **الطلاب الداخليون** عادات الطلاب الداخليين في روسيا القيصرية وحياتهم اليومية . - ص : ٥٢٩ .

٤٨ - **الميلاندية (الوزارة « الاشتراكية »)** ، تكتيك انتهازي يتضمن اشتراك الاشتراكيين في حكومات بورجوازية رجعية . وتشتق هذه العبارة من اسم الاشتراكي الفرنسي والدليك - روسو . وحين ينمت لينين الوزارة بالتصحيفية والردة ، فقد كان يبين ان الاشتراكيين الاصلاحيين الذين يشتركون في حكومات بورجوازية كانوا يخدمون مصالح الرأسماليين ، ويشكلون تظلية لهم ، وسلاحا يستخدمونه من اجل تضليل الجماهير . - ص : ٥٥٢ .

٤٦ - البرنشتانية ، تيار انتهازي معاد للماركسية في الحركة الاشتراكية الالمانية
والاممية ، وقد سمي كذلك بالنسبة الى ادوار برنشتاين ، اشد انصار التصحيحية
اخلاصا وحزما . وان التخلي عن الموضوعات الاساسية للماركسية عن الثورة الاشتراكية
ودكتاتورية البروليتاريا يشكل ماهية البرنشتانية التي كانت تقترح على الاشتراكيين
الديموقراطيين التخلي عن النضال الثوري في سبيل المطالبة ببعض الاصلاحات فقط في اطار
المجتمع الراسمالي . ص : ٥٥٢ .

٥٠ - اتحاد الفروتلين ، منظمة اصلاحية بورجوازية ، وكانت جزءا من الحزب
الاشتراكي الديموقراطي السويسري من ١٩٠١ حتى ١٩١٠ ، مع احتفاظها باستقلالها الذاتي
في مجال التنظيم . وكان هذا الاتحاد يطبق سياسة بورجوازية قومية . ص : ٥٥٨

٥١ - التبادليون - ذلك هو الاسم الذي كان يطلق على انصار برودون الذين اطلقوا
شعار المعونة المتبادلة . ص : ٥٦٦ .

٥٢ - الماخية ، تيار مثالي ذاتي رجعي في الفلسفة ، لاقى انتشارا واسعا في اوربا
الغربية في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . وكان مؤسسه ارنست ماخ ،
وهو عالم فيزيائي وفيلسوف نمسوي ، وريتشارد افناريوس ، وهو فيلسوف الماني . وكانت
الماخية تناهض المثالية في الكلام فقط ، مستلزمة الاكتشافات الحديثة ، الامر الذي كان يسبغ
عليها مظهرا علميا . وفي مرحلة الرجعية التي أعقبت ثورة ١٩٠٥ - ١٩٠٧ في روسيا ، سقط
قسم من المثقفين الاشتراكيين الديموقراطيين الروس تحت تأثير الماخية . وقد برهن لينين
في كتابه المادية والمذهب النقدي التجريبي على الماهية الرجعية للماخية ، ودافع عن
الفلسفة الماركسية ضد هجمات التصحيحية ، وطور المادية الجدلية والتاريخية في الشروط
التاريخية الجديدة . ص : ٥٦٦ .

٥٣ - الاوتزوفية - تيار انتهازي يساري ظهر في الحزب البلشفي عام ١٩٠٨ . وكان
« الاوتزوفيون » يطالبون ، وهم يطلقون العبارات الثورية ، باستدعاء النواب الاشتراكيين
الديموقراطيين في مجلس دوما الدولة الثالث وبالتخلي عن العمل في المنظمات الشرعية ،
زاعمين انه لا يمكن في مرحلة الرجعية القيام الا بالعمل السري . ص : ٥٧١ .

٥٤ - بيوتر ستروفيه ، الممثل الرئيسي « للماركسية الشرعية » في روسيا ، وقد
ظهرت « الماركسية الشرعية » على اعتبارها تيارا سياسيا واجتماعيا بين المفكرين الليبراليين
البورجوازيين في روسيا في اواخر القرن التاسع عشر . وكان « الماركسيون الشرعيون »
يحاولون ، بقيادة ستروفيه ، ان يستخدموا الماركسية في مصلحة البورجوازية . وقد
بين لينين ان انصار هذا التيار يأخذون من الماركسية ما هو مقبول من البورجوازية الليبرالية
ويرفضون الروح الحية للماركسية ، ماهيتها الثورية ، الا وهي عقيدة الزوال الحتمي
للراسمالية وقيام الثورة البروليتارية ودكتاتورية البروليتاريا . ص : ٥٧٣ .

الفهرس

الصفحة

الفصل الاول

٧

رواد الاشتراكية العلمية - الاشتراكية الطوبوية

الفصل الثاني

٣٢. **مولد الشيوعية العلمية**
٣٢ العلاقة بين الشيوعية العلمية والشيوعية الطوبوية
٣٢ العلاقة بين الشيوعية العلمية والفلسفة الالمانية
٣٤ الشيوعية العلمية والاقتصاد السياسي المثالي
٣٩ العلاقة بين الشيوعية العلمية ونضال البروليتاريا الطبقي
٤١ كارل ماركس وفريدريك انجلز مؤسسا الشيوعية العلمية
٤٤ اعداد نظرية الشيوعية العلمية في الكتابات الاولى لماركس وانجلز

الفصل الثالث

- ٥٠ **الثورة الاجتماعية**
٥٠ التحرك في اتجاه الاشتراكية هو مضمون العصر الحالي
٥٠ الطابع الحتمي تاريخيا للثورة الاشتراكية
٧٦ الشروط المادية للثورة الاشتراكية
٨٣ الفارق بين الثورة الاشتراكية والثورات الاجتماعية السابقة
٩١ طبقات المجتمع الراسمالي ، مكانها ودورها في الثورة الاشتراكية
٩٤ الثورة الاشتراكية والبورجوازية
٩٦ خصائص البورجوازية الصغيرة بوصفها طبقة
١٠٠ خصائص طبقة الفلاحين

١٠٥	خصائص القضية الفلاحية في روسيا
١٠٨	دور البروليتاريا التاريخي في الثورة الاشتراكية
١٢٥	دور تحالف البروليتاريا والجمهير غير البروليتارية في الثورة الاشتراكية
١٤٢	اشكال النضال الطبقي والتنظيم الطبقي للبروليتاريا في مرحلة تهيئة الثورة الاشتراكية وتحقيقها
١٤٢	مولد نضال البروليتاريا الطبقي وتطوره
١٥٥	تنوع اشكال نضال البروليتاريا الطبقي
١٥٦	خصائص نشاط البروليتاريا المطلبية
١٦٠	نضال البروليتاريا السياسي في تهيئة الثورة الاشتراكية وتحقيقها
١٦٩	النقابات ودورها في صراع البروليتاريا الطبقي ضد البورجوازية
١٧١	الدور القيادي لحزب البروليتاريا السياسي في التحضير للثورة الاشتراكية وتحقيقها
١٨٢	موقف حزب البروليتاريا حيال الاحزاب السياسية الاخرى
١٨٧	عن امكانية انتصار الثورة الاشتراكية في بلد واحد
١٨٨	تحول الثورة الديمقراطية البورجوازية الى ثورة اشتراكية
٢٠٥	في القوانين العامة المحكمة في تطور الثورة الاشتراكية وفي تظاهراتها النوعية في مختلف البلدان
٢١٠	بخصوص الطرق السلمية وغير السلمية للثورة
٢٢٤	خصائص الثورة الاشتراكية في روسيا
٢٣١	عن امكانية انتصار الثورة الاشتراكية في البلدان المتخلفة
٢٤٣	بخصوص شروط انتصار الثورة الاشتراكية
٢٥١	الثورة الاشتراكية ودمار آلة الدولة البورجوازية

الفصل الرابع

٢٦١	الرسالة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا
٢٦١	ضرورة دكتاتورية البروليتاريا
٢٧٠	طبيعة دكتاتورية البروليتاريا وأغراضها
٢٩٣	الاقتصاد في مرحلة دكتاتورية البروليتاريا
٢٩٧	الطبقات وصراع الطبقات في مرحلة دكتاتورية البروليتاريا
٣٠٨	اشكال دكتاتورية البروليتاريا

الصفحة

- ٣٠٨ تنوع اشكال دكتاتورية البروليتاريا
٣٠٩ كومونة باريس على اعتبارها شكلا لدكتاتورية البروليتاريا
٣١٨ المجالس السوفيتية على اعتبارها شكلا لدكتاتورية البروليتاريا
٣٣٦ نظام دكتاتورية البروليتاريا
٣٤٧ دكتاتورية البروليتاريا ديموقراطية من نمط جديد
٣٥٤ دكتاتورية البروليتاريا على اعتبارها نمطا للدولة يقابل مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية

الفصل الخامس

- ٣٥٦ التحولات الاشتراكية في مرحلة الانتقال من ائراسمالية الى الاشتراكية
خصائص رأسمالية الدولة على اعتبارها شكلا انتقاليا من الانتاج
٣٦٥ الرأسمالي الخاص الى الانتاج الاشتراكي
٣٦٩ اعادة صهر الزراعة صهرا اشتراكي

الفصل السادس

- ٣٨٥ القضاء على التعارض بين المدينة والريف
٣٨٥ ظهور التعارض بين المدينة والريف
٣٨٦ احتداد التعارض بين المدينة والريف في ظل الرأسمالية
٣٨٩ وسائل القضاء على التعارض بين المدينة والريف

الفصل السابع

- ٣٩٤ الثورة الثقافية
٣٩٤ موقف البروليتاريا تجاه الثقافة البورجوازية
٣٩٧ ضرورة تحسين تعلم الجماهير وثقافتها
٣٩٨ الثورة الثقافية وادارة الدولة والاقتصاد الاشتراكيين
٣٩٩ الثورة الثقافية وتجميع الفلاحين في تعاونيات
٤٠١ دور المثقفين في الثورة الثقافية

الفصل الثامن

- الثورة الاشتراكية والمسألة القومية
- ٤٠٣
- ٤٠٣ الامم هي منتجات حتمية للعصر البورجوازي
- ٤٠٥ الاتجاهان التاريخيان للمسألة القومية
- ٤٠٧ عن القومية البورجوازية والاممية البروليتارية
- ٤١٤ عن تقرير المصير والمساواة بين الامم
- ٤٢٣ ثلاثة انماط للبلاد بالقياس الى حق الامم في تقرير المصير
- ٤٣٤ الاتحاد الفدرالي على اعتباره شكلا لتنظيم الدول المتعددة القوميات
- ٤٤٠ العلاقات بين القوميات في روسيا بعد انتصار الثورة الاشتراكية

الفصل التاسع

قضايا الحرب والسلام والتعايش السلمي بين الدول الاشتراكية

- والرأسمالية
- ٤٤٤
- ٤٤٤ الحرب استمرار للسياسة بوسائل أخرى
- ٤٤٧ «الحرب هي استمرار السياسة «بوسائل» أخرى (الا وهي العنف)»
- ٤٥١ موقف الماركسية من الحرب
- ٤٥٤ بخصوص شعار «الدفاع عن الوطن»
- ٤٥٧ بخصوص الحروب الامبريالية
- ٤٥٩ خصائص الحرب الاهلية
- ٤٦١ بخصوص تحول الحرب الامبريالية الى حرب اهلية
- ٤٦٣ بخصوص امكانية الحروب الوطنية في ظل الامبريالية
- ٤٦٥ شروط زوال الحرب
- ٤٦٩ عن السلم والتعايش السلمي

الفصل العاشر

- التكوين الاقتصادي والاجتماعي الشيوعي
- ٤٧٩

الصفحة

٤٧٩	في مرحلتي المجتمع الشيوعي
٤٨٨	٤ الصفات الأساسية للاشتراكية بوصفها الدور الأول للمجتمع الشيوعي
٤٩٧	٥ القاعدة المادية والتقنية للاشتراكية
٥٠٠	٦ الاشتراكية والرقابة الشعبية على الانتاج والاستهلاك
٥٠٣	الصفات الأساسية للدور الأعلى للمجتمع الشيوعي
٥٠٧	العمل بوصفه الحاجة الحيوية الأولى
٥٠٩	٣ « من كل حسب قدراته ولكل حسب حاجاته »
٥١١	الشيوعية وازدهار الشخصية
٥١٥	الشيوعية واضمحلال الطبقات
٥٢٧	الشيوعية وزوال الامم والفوارق القومية

الفصل الحادي عشر

٥٤٠	نقد التحريفية والإصلاحية والجمود العقائدي
٥٤٠	نقد التصحيحية والإصلاحية
٥٤٩	الاشتراكية الشوفينية بوصفها نوعاً من الانتهازية
٥٥٣	نقد الإصلاحية
٥٦٥	عن التثبيح في الأحزاب الشيوعية
٥٧٠	عن العقائدية
٥٧١	هوامش



۲

۱۹۷۸ س/۲... ط/۴۳.۲

هذا الكتاب

يتضمن هذا الكتاب مقتطفات من أهم ما كتبه ماركس وإنجلز ولينين عن الاشتراكية العلمية ومختلف القضايا المرتبطة بها .. ماهي العلاقة بين الاشتراكية العلمية والاشتراكيات الطوباوية السابقة لها ؟ ما هي الشروط المادية للثورة الاشتراكية ؟ ما هو دور الطبقة العاملة في الثورة الاشتراكية ؟ من هم حلفاء الطبقة العاملة في هذه الثورة ؟ ما دور النقابات فيها ؟ ما هي خصائص البورجوازية الصغيرة كطبقة وخصائص الفلاحين كطبقة ؟ ما هي دكتاتورية البروليتاريا وما هي رسالتها التاريخية وما هي أشكالها ؟ ما هي التحولات الاشتراكية في مرحلة الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية ؟ كيف نشأ التعارض بين المدينة والريف وما هي وسائل القضاء عليه ؟ ما هي الثورة الثقافية في ظل الاشتراكية وما هو الدور الذي يلعبه المثقفون ؟ ما هو موقف الثورة الاشتراكية من المسألة القومية ؟ ما هي إمكانيات التعايش السلمي بين الدول الاشتراكية والدول الرأسمالية ؟ ما هو موقف الاشتراكية من الحرب ؟ ما هي معالم التكوين الاقتصادي والاجتماعي الشيوعي ؟ ما هو دور العمل في بناء المجتمع الشيوعي ؟ جميع هذه القضايا وغيرها نجدها مشروحة هنا بأفلام مؤسسية الاشتراكية العلمية بكل وضوح .

كتاب لا يستغني عنه كل مناضل في سبيل الاشتراكية ،

وكل دارس وباحث فيها .

النشر والتوزيع في الاقطار العربية .

بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحه
دار دمشق
دمشق : شارع بورسعيد هاتف ١١١.٢٢

السعر ٢٠ ل.ل.